

الموسوعة الشاملة

في

تاريخ الحروب الصليبية

تأليف رقيق ورجية

الأستاذ الدكتور سهيل زكار

المجلد الثالث عشر

دار الفكر

طباعة والنشر والتوزيع

الموسوعة الشامية في تاريخ الحزب والصلبيّة

المصادر العربية
مؤرخو القرن السادس (٣)

تأليف وتحقيق وترجمة
الأستاذ الدكتور سهيل زكار

الجزء الثالث عشر

دمشق

١٩٩٥ ١٤١٦ هـ

المصادر العربية

مؤرخو القرن السادس

- من البرق الشامي للعماد الاصفهاني
- الفتح القسي في الفتح القدسي -- للعماد الاصفهاني

دوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

سلف لنا التعرف الى بعض المؤرخين المسلمين الذين عاينوا وصول الغزاة الفرنجة الى بلاد الشام ، ولدى استعراضنا لأخبار الصراع مع هؤلاء الغزاة ادركنا كم هي هامة السنوات التي تولى فيها قيادة المسلمين كل من نور الدين وصلاح الدين ، وأرخ لأحداثها من جانب الفرنجة ولیم الصوري ثم صاحب الذيل على تاريخه ، وكان العماد الاصفهاني - وفيما بعد ابن شداد - قد شارك في صنعها والتأريخ لها ، وبناء عليه ان ما كتبه العماد فائق الأهمية ، لكن مما يؤسف له ان هذه الأهمية ببديتها صنعة الكلام التي ابتلي بها العماد أكثر من سواء من معاصريه .

والعماد هو : محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني ، ولد في اصفهان سنة ٥٩٧ هـ / ١١٢٥ م ومات بدمشق سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م ، وهو بعمره المئيد كان شاهد القرن السادس للهجرة الثاني عشر للميلاد .

انحدر العماد من اسرة رفيعة المكانة ، عمل رجال منها بالادارة ، وشهروا بسعة الثقافة ، واتقنوا العربية والفارسية ، وكان العماد قد نشأ في اصفهان ، وفيها تلقى علومه الاولى ، وفي سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م التحق ببغداد حيث تولى بعض الاعمال الادارية ، وتمتع بالسلطة وعانى من تقلباتها ، وكانت كثيرة مفاجئة انذاك في بغداد ، وهكذا بعدما أمضى بالاعتقال قرابة العامين التحق بدمشق سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م ، وكان على معرفة بنجم الدين ايوب وبعده شخصيات في دولة نور الدين ، مما هيا له السبل للعمل في ادارة نور الدين ، وفي عام ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م ، تسلم ديوان الانشاء في دمشق ، وظل يعمل

به حتى وفاة نور الدين ، وأثر هذا بامد وجيز استخدمه صلاح الدين ، وظل مرافقا لهذا السلطان العظيم وقريبا منه حتى وفاته .

وفي مواد موسوعتنا اشارات مفصلة للعماد وللادوار التي تولاهما ، لا بل حتى لاسماء بعض ما صنّفه او ترجمه ، وكان العماد خصب الانتاج في ميداني الادب والتاريخ ، اهتم - بحكم كونه اتقن نظم الشعر - بشعراء العربية في عالم الاسلام في ايامه شرقا وغربا ودون اخبارهم في كتابه « خريدة القصر وجريدة العصر » ونيولها له . وفي حقل التاريخ كان اهم ما صنّفه :

١ - كتاب « نصرة الفترة وعصرة القطرة » أرخ به لسلطين السلاجقة ووزرائهم واعيان دولهم ورجالاتهم ، وبنى أصل هذا الكتاب على كتاب صنّفه بالفارسية الوزير أئو شروان بن خالد ، وعنوانه « فتور زمان الصدور وصدور زمان الفتور » ، ونظرا لصعوبة التعامل مع لغة العماد فقد قام الفتح البنداري في العصر الايوبي بتعريبه ، مثلما هذب غيره من كتبه ، والمتداول المطبوع في ايدي الناس ، هذب البنداري ، علما ان هناك نسخة خطية من اصل العماد محفوظة بالكتبة الوطنية بباريس .

٢ - كتاب « الفتح القسي في الفتح القدسي » ويقال « الفيح القسي » وهي التي نقدم له اليوم ، وواضح من عنوانه ان العماد استهدف من تصنيفه التاريخ لفتح القدس وازالة المملكة اللاتينية من الوجود ، وفي الحقيقة أرخ به العماد للفترة الممتدة من سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧ م حتى سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣ م ، السنة التي توفي بها صلاح الدين ، وما دونه العماد في هذا الكتاب ، دونه بشكل او آخر في كتابه .

٣ - « البرق الشامي » ويفترض ان العماد جعل هذا الكتاب في سبعة اجزاء ، أرخ فيها من تاريخ قدومه الى الشام سنة ٦٢ هـ / ١١٦٧ حتى وفاة صلاح الدين ، اي أرخ فيه للدولتين النورية والصلاحية ، المهمة سيقوم بها بشكل اوسع ابو شامة في كتابه الروضتين .

ولم يصلنا كتاب البرق الشامي بأكمله ، بل وصل إلينا من أجزائه الثالث والخامس ، وقطعة كبيرة تتضمن جل المتبقي من الكتاب ، وجرى نشر الجزء الثالث في عمان ١٩٨٦ ، وكذلك الخامس في السنة نفسها والمكان نفسه ، وذلك اعتمادا على المخطوطة الوحيدة لهما المحفوظة في مكتبة البودليان في أكسفورد ، ووقفت على القطعة المتبقية في الخزانة العامة بالرباط ، وهي مصورة على شريط ، كان قد أودعه فيها المرحوم المختار السوسي ، ولانعرف الآن مكان الاصل المصور ، ونشرت في مجلدنا هذا نموذجا من هذه القطعة .

لم يكن من السهل التعامل مع كتاب العماد هذا لصعوبة لغته ، فقد تغيبت المعاني وتبدت أخبار الوقائع داخل صنعه السجع الممل . مع ان بعض جمل هذا السجع رائعة التصوير ، دقيقة جدا ، لكن هذا نادر الوجود صعب التحصيل ، والاقدام على تحقيق هذا الكتاب مغامرة محفوفة بالمخاطر ، ربما سيكون الخطأ في قراءة النص أكثر من الصواب ، وبالنهاية ان المحصلات قليلة القيمة لاتسمن ولا تغني من جوع ، واضرب هنا مثلا انني قمت بمقارنة سريعة للصفحات : ١٧٠ - ١٧٩ من الجزء الخامس المذخور في عمان فوجدت فيها / ١١٥ / كلمة صحت ولم يحالف المحقق التوفيق في ضبطها مع انه بذل جهودا طيبة في هذا المجال .

وقديما واجه ابو شامة وسواه مثل ابن واصل هذه المصاعب فاقترضوا بالنقل بتصريف من نصوص العماد ، وحاول الفتح البنداري حل هذه المعضلة فهدب كتاب البرق الشامي ، ودعا الكتاب الجديد المذهب « سنا البرق الشامي » وسلف للباحث التركي رمضان شوشن ان عثر منذ ثلاثة عقود من الزمن على مخطوطة غير كاملة من هذا الكتاب فذشر الجزء الاول منها في بيروت عام ١٩٧١ ، ثم جرى نشر المخطوط كاملا في القاهرة عام ١٩٧٩ محققا بشكل معتدل من قبل فتحية نبراوي .

وبناء على هذه المعطيات وجدت أنني لن أحقق فوائده تذكر في تحقيق الموجود من كتاب البرق الشامي ، وإن الاقتصار على الفتح القسي فيه كفاية . والقارئ لما كتبه العماد يلاحظ مدى اعتدائه بنفسه وبالأدوار التي قام بها ، وأفاد هذا حيث تولى وهو كاتب الانشاء - ايداع كتابيه عندا كبيرا من الوثائق ، ولحسن الحظ قام ابو شامة بنقل نصوص هذه الوثائق وغيرها وأدعها في كتابه الروضتين كما اقتبس ما كتبه العماد عن الوقائع التي حدثت بعد وفاة صلاح الدين وعليه لم نفقد شيئا بعدم نشر كتاب البرق الشامي .

سيكون مفيدا مقارنة ما كتبه العماد بما كتبه وليم الصوري وصاحب النبل على تاريخه وايضا بما كتبه ميخائيل السوري ، ففي هذا مجال لرسم الصورة بشكل اكمل واهصح ، وهذا ما توفره موسوعتنا هذه للمرة الاولى للقارئ العربي ، وسواء .

من الله أسأل العون والسداد ، وله جل وعلا المزيد من الحمد والشكر والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه اجمعين .

سهيل زكار

دمشق ١٦ - ذي القعدة - ١٤١٥ هـ
١٥ نيسان - ١٩٩٥ .

من

كتاب البرق الشامي

للعلماد الاصفهاني الكاتب

وبخلت سنة ثلاث وثمانين

وهي السنة المحسنة ، والعام الذي عامت به في بحار الانعام بالاخلاص والحمد القلوب والالسنه ، والزمان التي تقضت على انتظار احسانه الازمنة ، والعصر الذي احسننت به الامة المؤمنة ، وظهر فيه المكان المقدس الذي سلمت لسلامته الامكنة ، وخلصت بمنحة الله من المحنة الارض المقدسة الممتحنة . وتمكنت من رقاب اعداء الله به الاسنة بأيدي اوليائه المتملكة المتمكنة ، وتبسمت من غرار الغرور باحتباء حبرات الحبور الاجفان المتوسنة .

وفي هذه السنة نزل نص النصر ، وكفت كف الكفر ، وعلت اعلام الاسلام ونقلت احكام الاحكام ، وكفى الله شر الشرك وحكم على دماء الكفرة واسارهم بالسفك ، والهتك ، وتمكنت فيهم ايدي الايد بالفتك ، وضائق بهم رحاب الملك ، وطمت للدين بالسواحل بحار الملك ، ونصرت الدولة الناصرية ، وخسذلت الملة النصرانية ، وحق الاعاء بالحق ، وبخل من قر فوق الامرة من تلك الاسرة تحت الرق ، وطالت الوية الاولياء ، وسالت اودية الاولياء ، ونال الاحماء فضل رب السمماء ، وتجلت مزاها ب النعماء ، وظهر سر السراء ، وتميز الطيب من الخبيث ، وانتقم التوحيد من التثليث ، وبتت للدين اعانة العين ، واغاثت المغيث ، وشاع في الدنيا بحاسن الايام الصلاحية حسن الاحابيث ، وبلي الفرنج الفجرة بما اثاروه واثروه في البلاء من التأثير والتاريت ، واحسوا من المصيبات التي فجأتهم فعمتهم بالكسر الكريث ، واغتضت بالذكور اليمانية في الحرب العوان الفدوح الابكار ، وحلبت هدى الهدي ، في ندى الندي ، وحليت بحلي الحلبي وتليت الانكار ، واعترف من عادته الجحود واقر من دابه

الانكار ، وملكك من معاقل الكفر على من باض فيها وفرخ
الاوكار ، واعتري ليلهم يوم الاعتراك الاعتكار .

وتناهت بالفتوحات الممنوحات في هذا العام عشي ايامه
والابكار ، وكاذوا كما قال الله تعالى : « وترى الناس سكارى
وما هم بسكارى » فبالله ذلك العذاب الشديد والاسكار ، وقد
وصفت في الكتاب الموسوم بالفتح القدسي هذه الاحوال ، ووسعت
ووسعت الاقوال ، وحليت الفتوح ، وامليت الشروح ، وامليت
المنوح ، ونفخت في اجسام تلك الايام باحياء ذكرها الروح

وأنا أورد في هذا الكتاب مما أوردته جملة الجميلة وجلالته
الجليلة ، وحالته الحالية ، وقيمتها الغالية ، وفصيلته
الفاضلة ، وعدالته الشاهدة وشهادته العادلة .

ذكر مقدمة لذلك مباركة ومكرمة من لطف الله
متداركة .

كان السلطان قدم الكتب لاستقدام الكتائب واستدعت الفرائب
بالرغائب وقرب جنحية الاقارب والاقاصي مظهرات
مكرماته والجوهر على عادات علاء عادته (١) وسمات
حسناته ، واصل الموصل بالبر البري من الحر ، وسنجار استجرى
المذاكي الخلية الوهن ونصيبين للاسعاف نصيب الاسعاد ، وآمد
بيار بكر بالامداد بعد الامداد ، واستدعى عساكر ممالك الشام من
الاطراف والاوساط ، وأمرهم بالاحتياط ، وصانهم للاقتصاد في
القضم من التفريط والافراط ، وبرز من دمشق يوم السبت اول
محرم في العسكر العرمم ، والعزم المصمم للفرض المحتم والرعب
الى العدو والبأس المقدم ، ومضى بأهل الجنة بالجهاد الى أهل
جهنم ، فلما وصل الى رأس الماء (٢) اتخذها منبع نحو الهجاء
ومضمار خيل الاجراء ومثار العجاج المكرر على نهار الزوع ليل

الظلماء ، وجعلها مطلع فلق فيالقته ، ومحيط مضارب
سراذقة ، ومجال رواعه على بسوارقه ، ومجر سوابغه مجرى
سوابقه ، ومجمع جموع خلائقه ، ومحمى حماة حقايقه ، ومحشر
معاشره ، ومربض أسانه وقساوره ، ومخيم جيوشه ومجثم
عساكره ، وأمر ولده الملك الأفضل نور الدين عليا بالاقامة هناك
ليستني اليه الأمراء الواصلين والاملاك ، ويجمع الأعراب
والاعاجم والأتراك ، ويدأوم لما... (٣) فرط الاستدراك ولايفارق لما
يلزمه الاحاطة بعمله الادراك ، ويضمم لجمع الاجناد
الاشتات ، ويجم لموسم الجهاد الاوقات ، وسار السلطان الى
بصرى ، وخيم على قصر السلامة ، وقد استقبل من الله
الكرامة ، والاستقامة .

ذكر السبب في ذلك

وقد سبق ذكر غدر ابرنس الكرك • وقسحه للهندة • واعتماده
من قطع الطريق واخافة السبيل كل ما في المكّة • وهو على طريق
العسكر المصري والحاج • شديد الالتجاج • وفي بحر
الحاج • وكان في الحج حسام الدين محمد بن عمر بن
لاجين • ووالدته اخت السلطان مع جملة من الخواص
المقربين ، واقام الى تلقى الحجيج • واستقبل محيا لقائهم
البهيج • ورأى رؤاهم الاريح • وخلا من منعم سره • وتجلّى
ليشرى سلامتهم بشره • وذلك في آخر صفر • ووجه صباحته
لاسفار صبيحة الظفر صفر • ثم لما فرغ باله • جم الى الكرك
استقلاله • وتقدم بمن معه من العساكر حتى نزل على حصنها
نزول الحاص الحاصر • واقمنا هناك نرعد ونبرق • ونوقد
ونحرق • ونزرق ونومق ، ونهرق ونزmq ، ونغرب
ونشرق ، ونضايق ونضيق ، ونجمع البلاء على تلك البلاد
ونمزق ، حتى اجتث اصولها وفروعها ، واستأصل كرومها

وزروعها ، وقطع ماوجه من لينة ، وأذهب ماراقه من زينة ، وفرى
وقرى وقصم العرى ، وأبسط الذرى ، وهجم على ظهر
الثرى ، وحلب حر النجع هدى ، وشب الشوك نار الوعيد بأشارة
رأس الوليد ، وقطف ثمر النصر من ورق الحديد ، ووصل العسكر
المصري متصل المدد ، محتفل العدد والعدد متفصح الجدد
والجدد ، ومضطرم للهام ، ملتهم للضرام ، ملتهب الجمر ، ملتج
الجمع ، أخذه يوارقه ورواعده ، بالبصر والسمع ، فقوى
الاستظهار واستظهرت القوى ، وسامت وراقت مزاينه المجلوبة
ومحاسنة المجلوة ، وأقمنا على الحالة الحالية والجلالة
الجالية ، والمهابة المرهبة ، والمحبة المرغبة .

ذكر ظفر السرية التي بعثها الملك الأفضل وعودها
بالنصر الاكمل والغنم الاجزل .

أما الملك الأفضل فإنه اجتمعت عنده الجنود من كل فريق ، وأتته
من كل فج عميق وضاق بوفورهم الفضاء ، وفاض بوفورهم
القضاء ، واجتمع من نجى عتيرهم ومشى بنورهم الظلام
والضياء ، واشتبكت الأرض والسماء ، وطفا على بحار الرحاب
من القب والقباب الحباب ، وطما بأمواج العوامل وأفواج الجحافل
من الكمت والكماء العباب ، وانقضى من السنة شهران ، وطال بهم
انتظار السلطان ، والنين يتقاضاهم بينه ، والكفر يتحاماهاهم على
حينه ، فرأى الملك الأفضل أن يشغلهم بفزوة يعوودون منها
بحظوة ، فأنهض منهم سرية سرية نخية على ذوي الإسالة والباس
والشدنة والمراس ، ورتب علي خيل الجزيرة ومن جاء من الشرق
وبيار بكر مظفر الدين كوكبرى صاحب حران الأغلب الأعز ، وعلى
عسكر حلب والبلاد الشامية بدر الدين بلدرم بن ياروق * وهو الذي
بحماسته يرتق من الاسلام بالفتوح الرتوق * وعلى عسكر دمشق
وبلاها صارم الدين قايماز * وهو يفوق أعضاء مضاربه الصارم

المهرماز والعصب الجراز • فأسرجوا الخيل • وألججوا
الليل • وجروا من السابريات النذل • وأجروا من الأعوجيات
السيل • وجلبوا الى العدة الويل • وصبحوا صفورية في أواخر
صفر • وصباح النصر قد افتقر • فخرح اليهم الفرنج في حشود
جهنم وريويلملم • وجنود ابليس واسود تحمي العريس ،
وسراحين على سراحيب • وأهـاضيب تتحلحل
أهـاضيب • وتعتقل انابيب وتشتمل شأبيب • في الداوية
بأدواتها • والاسبطار بأسوائها • والبـارونية
بـلاواتها • والتـركبولة وأريائنها • والـفرنجية
بـضـرـائـها • ووثبوا في وثبات الأساد • وحملوا في ثبات
الاجواد • قلولا ان الله قد اصحب اصحابنا التوفيق وهدى أهل
هذه الطريق • لكاد الكفر ينجو والاسلام لا يعتز بالاجر • لكن
أمـرائـه الكرام استـطـابوا الحـمام • فـلاقـوهم بـقلوب
الصخور • وحبور الصقور • وباشروا بصدورهم صدور
الاسنة • وغامروا بنحورهم نحور الاعنة ، فاتاهم الله النصر
المنى ، والظفر السننى ، وسقوا منهم حنين الحنايا • وأدركوا
فيهم منى المنايا • وغازوا وظفروا • وحازوا وانتصروا • وقتلوا
وأسروا • وهلك مقدم الاسبتار • وحصل جماعة من فرسانهم في
قبضة الاسار • وعادوا سالمين ساليين • غانمين غاليين • وقد
كسبوا وكسبوا • وسحبوا نيول الاختيال بصدق ماحسبوا • وكانت
تلك النوبة الحلوة • والخطوة الصفوة • بإكـوره
البركات • ومقدمة ما بعدها من ميامن الحركات • واندرج ان الله
يعلى لاوليائه الدرجات • ويسوق زمر اعدائه الى
الدركات • وجاءتنا البشرى ونحن في نواحي الكرك والشوبك ندور
ونجول • ونجور ونثور وعلى الاعاء منا الدحور والثبور • فلما
قرأنا الكتب بالاستنهاض والانبجاث حللنا حبلى اللبـاث وعقنا عزم
الانبـاث • واستـمـلنا مهول الاوعاث .

ذكر الاجتماع بالعساكر .

وعبنا واجتمعنا بالعساكر ، وانتظم عمل الاوائل والاواخر ، وخيمنا على عشترا ، والقدر يقول للسلطان تعيش وتري ، وقد غصت بخيل الله الوهاد والذري ، واشتمل المعسكر على فراسخ عرضا وطولا ، وملا بالملا حزننا وسهولا ، فما يرى الا خيل صفون رحض كأنها حصون ، وزحف موضون ، وغضب مسنون ، وفيض مكتون ، وحركة وسكون ، وركوب وركون ، وجنات وعيون ، وفلك في بحر من العسكر في البر مشحون ، وضائق الايام عن عرضها ، وتقاضت الليالي بقرضها ، ونزلت جنود سمائها الى جنود ارضها ، فللمقانب مناقب ، وللمواكب من الخرصان كواكب ، وللكتاب من الشجعان مناكب ، وللذوائل ذوائب ، وللعصب من اليبارق عصائب ، وللريح سحائب ، وللوهج مشارق ومغارب ، وللمراكب مراقب وللسلاهب جنائب . وللحقائق حقائق ، وللمواهب مزاheb ، وفي كل يوم انفاق وارقاد وارفاق ، واشراف واشراق ، واعتلاء واعتلاق ، واعتناء واعتناق ، واجتماع لا افتراق ، وانطلاق واندلاق ، وامترءاء وامتراق ، وايلاف وانتلاف ، واستباق والتحاق ، واختفاق من ألوية الاولياء واصطفاق ، وضمر وعناق ، وسمر ودقاق ، وبيض رقاق ، وعطاء حساب ، وكاس من الجود بهاق ، وعرض العسكر في اثني عشر الف مدجج ، في ليل العجاج مدلج ، يشتمل على عدة جنائب اسعاد أنت في الجري شمائل ، وجنائب سواغب تجري بها الرياح ، ورماح شيلها المراح ، ورواسي سواربي ، واعلام جواربي ، من كل كاف بلام ، وراء لعين حمام ، وضارب بضرام وهام لهام لهام ، وضلغم ضرغام ، ومصمم بصمصام ، وحاسم بدسام ، ومقام لهام قمقام ، وفارس للأسد فارس ، وللروع ممار ممارس ، وللصبح بما يثيره حابس ، وباسر بالكريهة غير عابس ، قاذح لسنا السنايك قابس ، مناف لعداء الاسلام في الدين

مناقس ، وكل مجاهد يسر الصدق مجاهر ، ومظافر لأولياء الله
مظاهر ، ولعاشر الحق معاشر ، وباسل للباس ياسر ، وللفتخ
الكواسر كاسر ، ولكأس النجيع حساس وعن ساعد الجسد
حاسر ، ناصب لنصرة الدين ماله غير الله من ناصر .

ذكر الدخول الى الساحل للقاء الفرنج ، وكان الرحيل يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الآخر

ولما انقضى العرض . اقتضى الفرض . وسالت بأفلاك السماء
الأرض . والتطم البحر . والتمسم الجمع . والتهب الجمر .
واضطرب الجمر . واحتبس الفجر . واقتبس الأجر . وقربت
الضمر . وبرقت البيض والسمر . وردت بالردى العداة الزرق المنايا
الحمر . ونشرت للأواء بني الأصفر الألوية الصفر . وراقت لنصرة
ثمر النصرة أوراق الحديد الخضمر . وآنارت بالأيامن الفر الأيام
الغير . وتمكن في قلب الكفر من بأسنا الذعر . وانصف الدهر .
واسعف النصر . وكان السلطان قبل يوم رحيله . وعزم الجهاد لله
في سبيله . أركب المسكر بعدته وعنته . وحبيده وحدته . وبيضه
ومجره ولجه . ورتبه أطلايا . وحزبه احزابا . وعين رجال القلب
ومن يقف بالقرب . والميمنة وحمااتها . والميسرة وللاتها .
والجناحين وقوائمه من ذوي الاقدام . والمقدمة والساقة على سنن
النظام . وعين مواقف الرجال ومواضع الابطال . وعين الجاليشية
من كل طلب ورماة احداقها وحذاق رماتها . وعين لكل امير
موضعه . ولكل منير مطلع . ولكل اسل مركزه ولكل سحبل
منهزه . ولكل أسد عرينه . ولكل قرن قرينه . ولكل جحدم
مقامه . ولكل مرام مراره . ولكل عازم مذهبه ولكل حازم
موكبه . وقدر مظاهراته في الركوب والنزول والثبوت
والحلول . ومعارج الصفوف . ومدارج الزخوف . ومناهج
الحتوف . ومخارج المثين . وموالج الالوف .

وسار يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخر بالعساكر . والاسد
القساور . والفتخ الكواسر . والقضب البواتر . والفلك
المواخر . والسحب المواطر . والسمح الدياجر . والحمس
الزوائر . والغر السواغر . والبيض الزواهر . والسمر
الشواجر . والبيض المغافر . والقوم المعاشر . والباد
والحاضر . والخف والحافر . والصلب والمساجر . والأكارم
والأكابر . والسباعي والسمائر . والعالمي
والفاخر في عايات سفره . رعن الرعن لعايات كفره . حزن الحزن
وهي . مغاوير هدى . نان لها التقدير الخمائر عدى . لنا منها
التدمير . وسارت على ترتيبها وتعبيتها وتنكيبها وتنقيبها محدشورة
عصائبها مذنشورة ذوائبها . سائلة أوبيتها . جائلة أرضها . فهي
تخرق الخرق . وتفرق الفرق على الفرق . تملا الوهاد
بهوائها . وتكلا من العوادي بعوايها . وأناخت ليلة السبت على
خسفين والكفر مخسوف . والشرك مكسوف . وكل جبل بلجبها
مذسوف ونسيم النصر من قوتها مسوف . والاقدام في لج الاقدام
رسوب ورسوف . وللين في فضله وعدله وللوفر عسوف . وباتت
تلك الليلة والرماح مركزوه والصفاح مهزوزة . وللمقربات
تصال . وللمضروبات هقال . وللمنسوجات اجراء . وللشريجات
اغراء . وللعوج رنان . وللأعوجيات رهان . وللقساطل
اقساط . وللصواهل أصوات . وللسلامة امراط . وللاستقامة
صراط . ولأوراد المنايا قراط . ولأقطار الجو من جوانب الاسنة
اقراط . ولحكم الظفر من مقتضيات القدر مناط . وللقيام
اشترات . وللقناد اختراط . وللعسكر بساط . وللعشير
اضباط . وللهم اعباط . وللهم ارتباط . وللهم
اختباط . وللأمم احتباط . وللعزم نشاط . وللحزم
يشاط . وللغماغم اختلاط . وللصورم اشتطاط . وللنجم
مطاط . وللأفق منه سباط .

فلما يكروا ركبوا وكبروا . واخذ بحرهم في الالتجاج . وبرهم في
الارتجاج والجو في الارتجاج . والدو في الامتجاج . وقلب الكفر في

الانزعاج . وجند السماء والأرض في الامتزاج . والصبح في الانبلاج
لولا معارضة العجاج . وخضرم الخضراء من غبرة الغبراء ذو
الامواج والأفواج . وتلتها افق العجاج . وقوس الترائك لأمعة في
الابراج . ومضايق الزحام داعية الى الانفراج . والأسد سباحة في
غاب القنا الى الهياج . وأجنة الحنايا مشرفة على
الاحراج . وأسنة المنايا مشرعة للانشاج . وأعنة السرايا مسرعة
للادلاج . وليل الخيل ناج . وطرف الغزالة ساج . ورعب الجيش
يخامر النهر شاج . ونقود الرواحل من عقود الرواغب في
رواج . والشوارع نازعة لالجاه واسراء من الجمام
واسراج . ونزلوا يثغر الأقحوانة حسروض راء . وعقد غير
واء . وعزم غير باء . وعز متبء ، وسعد متبء . وحكم أمر
ناء . وعيون نات اسباء . ووجه نضر ذي اتجاء . ومضاء للضاء
مضاء . وشفار يبيض لها مع الأعداء شفاء شفاء . وضربت
الخيام . وغصت الوهاد والأكام . واشتد الغرام . وامتد
الغرام . ووجد بالجد العرام . وتقدمت المساعي وسعت
الاقدام . وعلت الاعلام الاعلام . وزها الاسلام . وأمكن من الكفر
الانتقام . وحمي للتحزب الحمام . وشد للتحزب الحزام . وأقام
الطيف . وطاب المقام . وزاد في الكف اكفاء الكفاح مراح
الرماح . وتصافح الصفاق . وعرف كيف ركوب الجبال
للرياح . وودعت الظباء الظلماء ياروائها من الارواح .

واقام السلطان هناك خمسة ايام الى يوم الخميس . في ذلك
الخميس بضراغم الخيس . وقساور العريس . وبنات قواعد
التأسيس . وأساة المضايق بالتفتيس . وحماة الحقائق في طوري
الايحاش والتأسيس . وولاة الغيالق المباشرة بالبشر يوم
التعبيس . ورواة المازق في ادارة العناب البئيس من بلاد الشرك
بدار الدريس . واقتداح زناد الافراج . وانهاض جناح
النجاح . الى ارباء اهل الجناح . وكيف وأين ومتى يكون
اللقاء . وهل يفترق الاحباب . وقد اجتمع الأعداء . ثم صمنا

العزائم على تثبيت الاقدام للاقدام . وسلب لبس السلامة من
ملايس عادة الاسلام .

ذكر ما اعتمده الفرنج

أول ما سمع الفرنج باجتماع كلمة الاسلام . ووصول امداد
العساكر المصرية والجزيرية الى الشام فرغوا من هجوم حين
حينهم . وشرعوا في اصلاح نات بينهم . وزحفوا عن التفاير
والتنافس الى التضافر والتواؤس . وقالوا : نحن انصار
النصرانية . واصلاب الملة الصليبية . وقيام القيام بها . وعصب
العصبية . وعمدة المعموية . وباروا بدر افايق الوفاق . ونزعوا
الى نزع شفق الشقاق . واثار القوم صلح القومص (٤) ووصلوا
على مرابه مطلع امانيه بالمخلص . ثم تزاووا وتواوزوا . وتضافروا
وتظاهروا . وحشدوا وحشروا . ونصروا واستندفروا . والتاموا
واشلاموا . وتذمروا وتذمروا . وتخطوا وتورطوا . واخترموا
واختلطوا . واشتطوا واغرطوا . وندموا على ما فرطوا . وخطبوا
وخطبوا . وامتزجوا واختلطوا . وقبضوا وبسطوا وقسطوا وفي
ايديهم اعطوا . وجمعوا عبدة الناسوت واللاهوت . ورفعوا صليب
الصلبوت . وثار اليه كل ملتاح الى الشارمرتاج . الى النار دار
بالجب الجرار . وار يفلح الاوار . ضار بلا ضرار . مستمر مع
اسرار . غمر من الاغمار . وكل مغوم مغوار . وباد بادبار . وناز
بزئار . وكافر فجار . وناكت غدار . وباسل ذي باس * وفارس
للأساد فراس * وداوي داء خبيته عضال * واستثاري له دون تباره
نضال . وباروني يبارى البوار . وتركبولي لا يترك القوار . وينزع
النزاع الى الاوتار الاوتار . وكل متدرد بجلد ارقم يهز
افعوانا . وكل شيطان يجر لهتخ ماء الارواح اشطانا . وكل متميز
في الوغى متمرن على الردى مترنم . بصليل الطبا مترنح . بكعوب
القنا متوقح . بضراورة الشر على ضاربي الشرى متوقد . يغض

الجمع الجم كانه حمر الغضا . مقتحم للطبيعة النارية شواظ
لظى . ضرب كالغضب المنتفض . تتحت كالشبا . وكل جيمي
جاحم . وضرامي ضارم . وجهنمي بجهامة . وممتري
بصرامة . وناري يافح . وحجري يقح . ومارد مارج . وصرف
للشر ممازج . وسعري نبي استعار . كاس من عار . حاس من دم
جار . عاس على العجم جاس في الهجوم . خاس في الرجم . قاف
اثر الفي . كاف بعين البغي . جاف على النشر والطي . حاف في
الزحف راد بالزحف . ساق بالحذف . ناصب بالفعل جازم
بالحذف . وشارب نجيع شار ، وضريب قريع ضار ، وكل مجترم
مجترح محترف للموت مقترح ، حقيق بالروع مصطبح ملتفع ملثم
الخطوب ملتفع مصطلم لثم الخطوب مصططح ، وكل نبي فضفاض
وسايغ ونضناض لادغ ، وعاو زاتغ ، وعار في الدمساء
والغ ، وسالب باسل ، وطالب باطل ، وعامل ناصب ، وعاسل
لاسع بعاسل ، وكلب نايح وتعلب ضايح ، وسرحان سارح ، وذئب
جارج ، وزرق تمزش بيزرق الاسنة ، وشقر تعبي الشقر بصرف
الاعنة ، وكل رامح رام ، ونابل ناب ، وراحض عاب ، وحاضر
غاب ، ومرتكب كبائر ، ومرتكب جرائم ، ومبتكر جرائم ومشارك
عظائم رثبال ، وامعط مغتال ، وامرط ضال ، فعاموا في بحر
العمى ، وحاموا من الردى حول العمى ، وغاروا للاقتحام
الوغي ، واصحروا بصحراء صفورية في غيل القنا ، وطلبوا في نهج
المنيا نجح المنا ، ومشروا الى المدانة ، ونأوا عن الموني ، وطمى
سيل خيلهم على الوهاد والثرى ، ودب راجلهم كرجل الدبا ، وحلوا
لحب الموت الحبا ، وقال الظلال في ظلام العجاج ، وضاق الفضاء
عن مجال الضحضاح ، وبدا خرق الصبيح فوقى النقع
بالوقع ، وشكا الثرى الى الثريا من الصواجر الصوافر شدة
الوقع ، واحتابوا مواقع واجتنبوا سوابق ، والمعوا والبوارق •
واسمعوا الصواعق • وقربوا السوابق • وابعدوا الضوانق •
وحملوا الطوارق الطوارق ، وشبوا نار الفسرق ، وأشابوا
المفارق ، واعتقلوا القنطاريات قناطر العبور العير ، وانتزوا لحماية

السلب في العوامل كما سلات النحل مسدساتها بالابر ، وطال الشر
وطار الشرار ، وشق الامر ، وسقت المزار ، وأخضرت الغبراء من
الحديد ، وأغبرت الخضراء من الصمغ ، وساحت
السيول ، وسالت الشعاب ، وتقايضت البحار ، وتضايقت
الرياح ، وتموج بضراغة الغاب ، وأرعبت أيماض البروق
وأصعاد الرعود ، فللكفر منهم ظلمات بعضها فوق بعض ، وختم
القتام بالفضاء في فض ، وغدران الغران في فيض ، والنجوم في
انقاض ، والرجوم في ارفضاض ، والذوايل في ارتفاع ، والعوامل
في ارتعاض ، والعواهل في اضطراب ، والصواهل في اضطخاب
والجيش شاك ، والعيش شاك ، والاشراك ناصب واشراك وخاطب
ادراك ، وطالب بوار ، وحاطب ليل خسار ، وثائر ثار ، ونيران
المذاكي مذكي نار .

عاد الحديث الى افتتاح السلطان بفتح طبرية وذلك عشية الخميس ثالث عشر ربيع الآخر وذكر المشاورات

وما زال السلطان لله مستخيرا ، وبعمونه مستجيبرا ، ولأعوانه
مستشيرا ، فأشار الأمراء ذؤوا الآراء بالصمود عن اللقاء
والمحافظة على نضار الاسلام بصون الذماء وحسن الدماء
وقالوا : لم يسبقك احد الى مضايقة القوم ، ومحاققة المزم في
الرقم ، وما بلغ الأملاك قبلك الا ما بلغت ، ولم يريغوا من هذا المراد
ما أرغت ، وهذه جمرة الاسلام ، ونخبة رجال الشام فلا تفركم
تتقال المعركة ، ولاتلق بأيديهم الى التهلكة ، وهذه بلادهم قد خلت
منهم ، ونأت بقربهم ضياعهم ، فذشتغل بالآغارة على بلادهم
الخالية ونقدم بأقدامنا عطل أحوالها الحالية ، ونرجع بالفنائم
والسبايا والمرباع والصفايا ، وما نزال نزيدهم حتى نضعهم بامداد
البلايا ، ونخلص من انسانهم عاجلا أو آجلا ، بالقود والسبايا .

فقال السلطان : ان الايام غير مأمونة ، والاعمار غير مضمونة ، والجهاد فرض فرضه رسل الله في أرضه وسمائه ، وندير بطوله وعرضه عرضة ، ولا بد من هذا اللقاء أما وإما وإن الله اصدق القائلين : « لينصرن الله من ينصره » فقالوا : خصك الله وأفردك بهذه الفضيلة ونجح الوسيلة ، وحيث استخرت الله في الاقدام فانا نبذل المنح بين يديك للاسلام.

فلما أصبح يوم الخميس • سار الخميس • وزحف بأسره العريس، وطلبت اطلاب احباب لاله لقاء الاعداء • وجرت السوابق على الاربن اربيان الوبيان في الاجراء، واعتضدت أملاك الارض بملائكة السماء • ولوت أولياء الله على العبدى ألوية اللاواء • ورميت عين الفلك من ملايسة الاقضاء • وحارت غزالة الفلق من أسد الفيلق • وتقيد عنان الجوم من عنان الجواد • ولاح سنا الموت الاحمر في السنان الأزرق • وأشرف على الفرنج في معسكرها العسكر • وقام الحشر • وعاث العير • وماج البيض والسذور • ومار المورد والمصدر • وغام اليوم الاغبر، وراغ الحديد الاخضر • وراق الابيض والاسمر • ووقف مع المثير المعشر • وحال المغيث وحال المحضر • وهاب المنظر والمخير • وظهر الحق وحق المظهر • وارتفعت الأصوات يقول : « الله الاكبر ؛ فلو برزوا للمصاف لطالت عليهم يد الانتصاف لكنهم ربحوا وما نبحوا • وقعدوا وما نهضوا وأخلدوا الى الارض • وشدوا نواجذ العض • ولم يدعوا مزابضهم في ذلك المكان • ولم يشيعوا ما في الاجفان • وثبتوا ونبتوا ، وسكنوا وسكنوا • وأشفقوا في البروز من الخطر • وفي الخروج من الغر • وحذروا من القدر لو دفع القدر بالحذر .

فلما عرف السلطان أنهم لا يبرحون • ومن قرب صفوفية لا ينزحون وأنهم لا يهيجون الى الهياج • ولا يرضون معه بحر العجاج • أمر أمراءه ان يقيموا على مقابلتهم • وينموا على عزم

مقاتلتهم • ونزل هو في خواصه العيسية على مدينة طبرية • وعلم
أنهم اذا علموا بنزوله عليها بادروا بالوصول اليها • فحينئذ يتمكن
من قتالهم • ويجهد في استئصالهم • فحضر طبرية
وحصرها • وابتدأ بها وابتدئها وجمع الرجال على أحد أبراجها
وأخلاها مما حمى أهلها من أعلاها • فوقع ذلك البرج • وانتزع
عنه الفرنج • ونصبت عليه سلالمة الاسلام • وبخلوها في جنح
الظلام • فاستضاءوا بما أعلق من الضرام • وعاد ليلة معدونة من
الأيام • ووقعت النار في مخازن كتان وأهراء غلال • فاحترقت
أمتعة بأموال • وكبسوا رباعا وكسبوا متاعا • وأرهجوا
وأهجوا مرضا وضرموا • وأخرجوا وأخرجوا نعمما
ونعما • وبقيت الدور فارغة شاغرة • وأفواه الاطماع الى ازدياد
ماتحويها فارغة • وتحصنت القومصية ست طبرية في
قلعتها • ومعها بنوها وحموها يسوفهم وعصموها • ووقع
الاشتغال بحصارها • ونقب جدارها وطسم جوارها • وفصم
سوارها .

فجاء من أخير بأن الفرنج قد بكروا وركبوا • وأجلبوا بخيلهم
ورجلهم وتحربوا وتحزبوا وتصلبوا وصلبوا • وتعصبوا
وتصعبوا • وثاروا وفاروا • ورازوا وزأروا • وجاءوا
واجئين • بالفجائع ماجئين • وفي ليل القتام مدجين • وفي بحر
اللام ملججين مدجين • وإلى حزب التوحيد بحزب التثليث
مفرجين • ومن كل جبل تحرقه الريح • ومشيع شعاره
المسيح • ونمر يفر الزمان ويبيع ، ونصب الى الموت
يستريح • ومشتاق الى ملاقة المذون قد حثه التبريح • ومخرج
الى التورط في الردى من هول ماهوله يصيح • ومرتجج يؤنسه
المارق اللجج • ويوحشه الفضاء الفسيح • ومن كل بسط
مكره • وحبل مد منه ، وقرم قرم • وضرغام ضرم • وكل معاند
للبلاء معاق وكل حان لثمر العناء جان .

ذكر مسير السلطان لعزم اللقاء .

فلما سمع السلطان بحركتهم • أيقن بهلكتهم • وقال : الحمد لله الذي أنجز وعده • وأيد جنده وأبنا من — راننا القطاف • وأصغى من مرامنا النطاف • واسنى لنا الالطاف ونهض بجباله الى جبالهم • وبرجاله الى رجالهم • وسار لقتالهم • وضيق عليهم سعة مجالهم • وأخذ عليهم بذوي الاقدام قدامهم • ووقف بصفوفه امامهم • وصدد طسرقهم • وسدد فلقتهم • ورد عن الزحف فيلقهم • وأغرى غرامهم • وأضرى ضرامهم ذاك والله ذاك ، والجيش شاك والقيظ عليهم فيض • وما للفيظ منهم غيض وقد قد الحر ، واستشرى الشر • ووقع الكر والفر • وللأوار تأجج • وللأرام توهج ، وللعدى شغل • وللردى شغل • والسعير واقعد • والهجير عاقعد • والأل شايط غرار • ومال الشيطان قرار • والسراب طافح • والظما لاقح ، والجو محرق • والجوى مقلق • ولأولئك الكلاب من اللهب لهث • وبالعيث عبث ، وفي ظنهم أنهم يردون الماء • ويردون الذماء • ، فحلاتهم الحسالة الحالية • وغالتهم الغلة الفائلة • واستقبلتهم جهنم بشارها • واستظهرت عليهم الظهيرة بنظارها • وذلك يوم الجمعة بجمع أهلها المجتمعة • ووراء عسكرنا بحيرة طبرية • والورد عد وما فيه بعد • وقد قطعت على الفرنج طريق الورد • وبلوا من العطش بالنار « ذات الوقود ، فوقوا صابرين مصابرين مكابرين مضابرين ، فكلبوا على ضراوتهم • وشربوا مائي اداوتهم • وشفها ماحولهم من موارد المصانع • واستنزفوا حتى ماء الدامع • وأشرفوا على المصير الى المصارع • وبخل الليل وسكن السيل • وبياتوا على شغف البصيرة بحيرة • وحقيقت ظنونهم • ولم يبق بهم غير غيرة • وياتوا بقريحة وقرح • وظماء برج • وقروا أنفسهم على المشقة • واستعدوا بالعزائم والضرائم المحتمة المحتة • وارتوا من ماء الفرند • واكتفوا بماء جداول الاغصاد من الورد

العد • وقالوا غدا نصب عليهم ماء المواضي ونقاضيهم الى
القواضيب القواضي • ونقتضي بحقوق الحقدود أشد
التقاضي • ونبليهم في برد الصباح بحر الكفاح • ونظهر لارواء
الارواح نجاح النجاح، وشدوا حزم الانتزاء • وأعدوا حرم
الغناء • وأجدوا عزم البلاء • وطلبوا البقاء بالتوسط في
العناء • وأما عساكرنا فانها قد اجتذرات • ومن كل مايعوقها
برئت • وهذا لسانه شاحذ • وهذا شههم موفق • وهذا لحده
معه • وهذا لحده منه • وهذا لسهمه موفق • وهذا شههم
موفق • وهذا مكثرت للتكبير • ومنتظر للتبكير • وهذا مجر
ضامر • ومعر يائر • ومغر مؤمن بكافر • وهذا يقول : أنا المبارز
المناجز • والمحاجز للحاجز • وهذا ناج للسعادة • وهذا راج
للسعادة • فيالله تلك من ليلة حراسها الملائكة، ومن سمره انعامها
الطاف الله المتباركة • ومن نجنة اضاء بها نور الجنة • ومن نجية
أنارت بها نجوم الاسنة • ومن هزيع تجره بالحق صديق • ومن
ظلام ممله بالضياء جميع • ومن جنح كل جناح تحت مغافره
مغفور • ومن ينجور مابعده لاشراق سنا النصر ينجور • ومن
الوية اولياء الله عقدتها بخمرها الحور • وقد قابل بها فيها ظلمة
الكفر من الايمان والنور • فهي ليلة القدر « خير من ألف
شهر » تنزل فيها الملائكة والروح • وفي سحرها نشر الظفر
يفروح • وفي صباحها الفتوح • فما ابهجنا بتلك الليلة
الفاخرة ، فقد كنا ممن قال الله فيهم : « فاتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الآخرة » وبتنا والجنة معروضة • والسنة مفروضة
والكوثر واقفة سقاته • والخلد قاططة جناته • والسلاسل واضحة
سبيله • والاقبال ظاهر قبوله • والظهور قائم دليله • والدين
متقاضي بالشفاء علية • راع رياض الرضا رعيه • والله ناصر
الاسلام ومبيله .

ذكر الذشباب ووصفه .

وسهر السلطان تلك الليلة • حتى عين الجالوشية من كل طلب
باسماء رجالها • وملا جعابها وكثائنها عريات نبالها • ومريشات
نصالها • وكان ما فرقه من النشاب أربعمائة حمل • فتزل نص
النصر منها على كل نصل • ووقف سبعين جمaze في حومة الملتقي
ياخذ منها من خلت جعابة • وفرغ نشابه من تغالق تفتح من باب
الجنة المغالق • وتواضيع تخرق المضاعف النسيج • وناوكات ذوات
نكايات • وزيارات وزنبوركات • ونبل عنده نبال لكل تبل • ونشاب
في الأحداق ذي انشاب • وجروح الجروح • وخروج الروح • وسهام
الاشهر سهام الحمام وتذفير اقرانها الثعام . ونصل وصالها
تقطع اوصال نافق بكل حمس صال . ومطالق نطلق بها سراح
الارواح . ومعابل تكثر منها صعاب الجراح . ومهرقات موفقات
مسدات ... الحصارق... (٥) المبريات وصايبات الى المقبل
صايبات . ونواجز تعيد السباع قنافذ . وتجعل للنجيع
مناجع . وللمنون منافذ . وبوارق تمزق اهب المارق . وتطقم
وتنتقم من المارد المارق . ومريشات اوكارها الحدق . وأوكائنها
الحلق . وفاصلات ناضحات اربية الردى . وناحلات فاضحات
اوربة العدى . وقاضيات قاضيات بحكم الردى . وحارقات رقعات
خروق النواظر . وفاتقات راتقات فتوق الخواطر . وراشقات
راشقات شفاء المقاتل . وقائقات قانعات منفسار
المناصل . وماضيات حاظيات بالاصابة . وساعات داعيات
للإجابة . وحفيفات ثقيلات الجناوبة . ومخيفات قمينات
الذكاية . ومضميات مصمعات الافتك . ومدميات مسديمات
البتك . وقريبات بعيدات المطار . وطالعات مطلعات على
الاسرار . هاتكات للذماء . سافكات للدماء . مثيريات
للثرى . مفريات للفرى . جائرات بالجري . واثبات وثب
الجراد . واريات وري الزناد . طائرات من الاكتاد الى
الاكباد . مرهفات من الهيف . مرعبات بالهيف . خارجات من

طلوع الحنايا الى اجزاء الضلوع . مارجات لدى الروح الراد
الروح . قارعات ابواب القراع . قالعات انياب القلاع . بالغات
الشعور . عالقات بالتامور . محقات للحدور . غاربات الغروب في
النحور . ورائات الصدور الى الصدور . قاطعات
للحجاب . واقعات بالعذاب . مدمجات على الالتهاب . مغنيات
بالدماء على الطعان والضراب . ومراسيل تروى امام
العوالي . ومعاريض مالها مندوحة من التوالي من كل فريض يؤدي
به فرض الجهاد . ورميض يعوض بياضه من العين في السواد
ومعتدل تحذو له العوج . ويرق خاطف تحمس وراءها
الهوج . ومنزع لنزع المهج وقطع الود . اخطف من
الوميض . والحق من المريض . وأنظم من القريض . واشجى من
الحريض . واشبى من الطرف الفضيض . وأعمل من السمر
والبيض . والسلطان يأمر . والحنايا توتر . والمنايا
تؤثر . والاعنة تصرف . والاسنة ترهف . والحقائب
تنفض . والمقائب تعرض . والجالبشية تشمر . والجاوشية
تنصر . والسوابق تضمر . والسوابغ تذر . والصلادم
تنقى . والصورم تنقى . والسلاهب تجمع . والجنائب
تمرح . وإيم الضراء تنساب . وغيم الغماء تنجاب . والنفوس
مرتاحة الى التعب . والهمم مشتاقة الى النصب . والجد شاغل عن
العب . والعزم غالب بالغب . وصب بالوصب .

ذكر يوم حطين وهو يوم السبب الخامس والعشرون من شهر ربيع الآخر .

وأصبح الجيش على تعبيته . والنصر على تلييته . ووقف
العسكر في قلبه وجناحيه ويمينته وميسرته أطلابا متقاربة
متباعدة . وانجبا متعاهدة متساعة و الأفا متضافرة . وأضعافا
متضاعفة متظاهرة . ويرز رجال الجاليش . وارتجزدعاء

التحريض والتحريض . وصفا لباس الناس على الكمي
الكمي . وشرعت ثعالب الشرع في رعي الدشاشات رعي
الدشيش . وتطائر في الجو على سنابك الهمام جراد النصل
المريش . وكان طيور النصال ضلت ركونها فخربت حجب الارواح
للتقيش . وقامت الحرب على ساقها . ووفت بميثاقها . واسرعت
اعنة عتاقها . وشرعت اسنة دقاقها . واطالت رقاب
رقاقها . وابلانت غايات سيقاقها . وأعلت رياحات
احتفالقها . وأحلت مئاق مئاقها . وأغلت أوساق
أوساقها . وأغرقت سهام اطلاقها . وأطلقت لهام اعراقها . ومدت
ظلال رواقها . وبارت كؤوس اصطباحتها للاعتباط
باغتباتها . وتحملت بفرم اجتماعها لغنم افتراقها . وأنهيت فرق
مذهبنا لساعة افراقها . ذلك والفرنج راكبة الجرد . متراكبة
المدد . متكاثفة العدد . آخذة طريق البحيرة . بطوارق الحيرة . قد
احاط رجلها بخيلها . جارية الى القرار بسيلها . أمواجها
ملتطمة . وأفواجها مزحمة . واطلايها منتظمة . ونيرانها ملتبهة
ملتهمة . ونفعها مديد . ووقعها شديد . وحدها حديد . وجدها
جديد . يامنون المنون . ويجنون الجنون . ويجرون الشمول
والحزون . فاعترضهم مننا . واعتراهم صننا . وربت سيولهم
بيضاتنا . وخيولهم عرابنا . ووقعت لنا برمم حبالنا . وشوتهم
بنيرانها نصالنا . فعرفوا انه لا سبيل الى الحياة الا سلوك نهج
الموت . وأنه لا مطمع في البقاء الا باستحلاء مطعم
الموت . والسلطان قد رفق قلبه . ووقف الى الوثوق بنصر الله
قلبه . وهو يمضي بنفسه على الصدف . ويحضهم على حظهم من
الفتوح او الحتوف . ويعدهم من الله بنصره المألوف . ويغري المثين
يالالوف . وهم بمشاهدته اياهم يجيدون ويجدون . ويصدون العدو
ويردون . وكان له مملوك اسمه مذكورس من اقمار الفلك . ومن
شموس الترك . وأسود الفتك . ورماة الحدق . وكماء الخلق . قد
علقته الحور العين لحسنه . واستبشر رضوان بيمنه . وقلوب القبول
في رهنه . وعقود العقول في وهنه . والكواعب الاتراب يشدقنه في
جهات عدة . وكان الله برأي الاقامة منته . والمقام في جنته . ودعاه

الى قصور الجنان والحدور الحسان . وكان ظريفا طريفا . نظيفا عفيفا . طاهر النبل للنزاهة . ظاهر الميل الى النباهة . قد كمل الله له حسن الخلق والخلق . وفصله في الفروسية والسبق . وركب عنقه في الرق . وألهمه نصرة الحق . وهو راكب امام المسكر . شائم غمام العثير . نامق عرف الكوثر . مستعفر تحت المغفر . مستنير في سنا الستور مشرق كالقمر الازهر . وأراد ان تكون له فضيلة السبق في الاقدام . فوثب بحصانه وثوب الضرغام . معتقلا الى الردى رينيا . ومشتعلا للترف مشرفيا . وممتطيا للاستقامة اعوجيا . وحمل حملة جرى فيها عنانه . وفرس سنانه . وماد فيها ميدانه . وشكر لها احسانه . ونكل عنها اقارانه . ونفذ طعانه . وظن انه موافق في الركض اعوانه . فجذبته لقوة رأسه حصانه . وخلا خلانه . وخانه اخوانه . فلمسا رآه الفرنج وحيدا . ووجدوا المدد عن نصرته بعيدا . عطفوا عليه . وزحفوا اليه . ورموه عن ظهر حصانه . وأحاطوا به في مكانه . فأثبت في مستنقع الموت رجله . وقاتل الى ان بلغوا قتله . فلما أخذوا رأسه ظنوا انه احد اولاد السلطان . وزعموا ظهور الكفر على الايمان . فاما الشهيد فإنه انتقل الى جوار الرحمن في غرفات الغفران . وأما عساكرنا فإنها لما شاهدت استشهاده وجلاله وجلاله حميت حميتها . وأبت غير الغيرة ابيتها . وخلصت لله في ارباء اعدائه بنيتها . وصممت الجاليشية تصمي سهامها وتشوي اهل النار بنار ضرامها وتلفصهم بلوا فحها . وتقبحهم بقوايحها . وتسقيهم بجداول مناصلها . وترميهم بجنادل صواهلها . وتربيهم بأربية رباها . وتقريهم بما يفرون من المذون عن مناهها . وقد قست عليهم قلوب القسي لاوتار اوتارها . وتمسور من الضوامر بجبالها . وتموج في البواتر في بحارها . وبرج بالفرنج العبطش . وأبست عثرتها تنتعش . ولانت تدششور وتتشوش . وتتحري وتتحرش . وتوشح بالضراء والضراب وتتحوش . وتتشط على أنها تبسطش . فتجد الطرق مصدوبة . والسبل مسدوبة . والمسالك محدوبة والمهاالك موروثة . وكان الذسيم امامها . والحشيش تحت اقدامها . فرمى

بعض مطوعة المجاهدين النار في الحشيش . فتأجج
استعارها . وتوهج أوارها . فبلوا وهم أهل التلثيت من نار الدنيا
بالثلاثة الأقسام : في الاصطلاء والاصطلام نار الضرام ونار
الأوام . ونار السهام . فخلصوا من ورطة الاحتواء
والاجترام . وضايقت ذماتهم دماء الضراغم . وعارضت صقور
بأستهم القشاعم . ولقيت العظام العظام . وبارت بمساعير
الجحيم دوائر السعير الحواجم والجأناهم الى حملات اعجزوا بها
وأزعجوا . وهاجوا وأهجموا . وماجوا وموجوا وأجوا
وأججوا . وارهبوا وارهجموا . فما ضعفوا رواسينا الرواسخ
ولا خلخلوا من مقامنا الشم الشوامخ .

ونظر القومص يومئذ الامر الى غايته . واره غيه انه متورط في
غيايته وان القوم في عين الوقم . وان صحتهم مفضية الى السقم .
وانه تداعى بنيانهم ودعاهم خذلانهم . وخانهم اخوانهم . واهت
اصلابها صلبانهم . فافكر القومص كيف ينجو ويتخلص . فقال
لهم : انا اسبق بالحمة . وافصلهم من الجملة . فاجتمع هو
وموازره . وجملة من المقيمين هم مضافروه . وصحبه صاحب
صيدا وباليان بن بارزان . وتوامروا على انهم يحملون ويلفون
الطعان . فحمل القومص ومن معه على الجانب الذي فيه الملك المظفر
تقي الدين . وهو مؤيد من الله بالتوفيق والتمكن . ونجوا بنفوسهم .
وخلصوا من باس القوم ويؤسهم . ولما عرفوا ان القومص اخذ
بالعزيمة ونفذ في الهزيمة . وهنوا وهانوا ثم اشتدوا وما لانوا .
وثبتوا على ما كانوا . وقالوا : انما فر في شزيمة هم شزيمة .
وعصية قليلة بغير عصية . واستقبلوا واستقتلوا . واستلحموا
وحملوا فما وجدوا للنجج نهجا . ولا اصابوا لمن جاء لمصابهم
شجى . وحملوا حملات راضوا بها جماع الحرب . وخاضوا فيها
غمار الطعن والضرب . وعدموا فيها استطاعة الغدر . بل طاعة
القدر . واستعرتنا النصر عليهم من النصل المستعر .

ووقعنا عليهم وقوع النار في الحلفاء . وصببنا ماء الحديد

للاطفاء . فزاد في الانكاء . وافترت مياسم البيض من استيعاب
عيون مقاتلهم في البكاء . وعيت نأماء الدماء . وشبت شبا الهنية في
الفرنجية ضرام الضراء . وباح لنا سر السراء . فحملوا خيامهم على
غارب حطين حين رأونا بهم محيطين . فاعجلناهم عن ضرب الخيام
بضرب الهام . وازللنا اقدامهم عن مداحض الاقدام .

وخاطبناهم بكلام الكلام . وزحفنا زحفا مرتزا . وحفزنا زحفا
ملتزا . ونقضنا من اطرافهم . وحضضنا من اكنافهم . واحتست
اذية الظبا طلاء الطلى . وارفعت ثعالب القنا كلاً الكلا . واكتست
عرأس الهدى للعللى من دم الكفر الحلى . وخالطهم الحريق
المستطيل . والحريق المستطير . ومطروا ويل الوبيل . فالهب عليهم
يومهم المطير . فما زالت الحجج تفيض . والمهج تفيض . ومنايع الكفر
تفيض . وملاحم الاسلام تغيط . والنفوس تقع . والرؤوس تطير .
والقضب تثير . والقب تغير . ورحى الحرب تدور . وقوى الشرك
تغور وتبور . واسد الوغى تجول وتجوو . ومراحل الراجل والفارس
تفور وتثور . حتى كست اشلاء مهلوكيهم عرى العراء . وحسنت
شفاه الشفار من افلاذ مملوكيهم احساء الدماء . ورست منا
الهضاب حول ذلك القل . ورضيت اسلنا الفضاب بظهور القتلى
بطون النمل . وتداعى جناب الاضطراب . وكشف الزائب شك
الحجاب . وتفتحت ابواب الطعان والضراب . وكثر مرعى الثعلب
والذئاب . وتقطعت اشراك الاشراك . وتوزعت منه اكتاف الفتاك .
وانكسر من الصليبي صلبه . وبطل طلبه . وعليت وغلبت غلبه .
وقلب قلبه . وخذل حظه . وجرت الحرب عليه حزنه . وجبرت كمامته
وكمية وقبايه وقبه . واحتلأت بملاهم جهنم . وملك عليهم الصليب
الاعظم . وذاك مصابهم الاعظم . ولما شاهدوا الصليب ساليا .
ورقيب الردى قريبا . ايقنوا بالهلاك . واخذوا بالضرب الدراك .
فما برحوا يؤسرون ويقتلون ويخمدون ويحملون وللوثوب يخفون .
وبالجراح يذقلون . ومن مصارع القتل الى معاصر الاسر يذقلون .
ويردون وهم لا يدرون . ويعقلون وهم لا يعقلون . وقرم بقوى
القواطع مطعون . وقوم بجوى الجوامع يوصلون . والحديد تارة

يحل الاعناق وتارة يغلقها . واونه بالبري يعبرها . ومرة بالسبي
يذلها . ونكبوا في ارواحهم وانفسهم . ووصلنا الى مقدمهم وملكهم
وابرذسهم . فتم اسر الملك . وابرذس الكرك . واخي الملك جفري .
واوك صاحب جبيل . وهنفري بن هنفري ، وابن صاحب اسكندرونه
وصاحب مرقية . واسر من نجا من القتل من الداوية ومقدمها . ومن
الاسبتارية ومعظمها . ومن البارونية من اضطا به البال لما عز
الدين . ودر اللباس . ودارت عليهم بعقار عقيرهم الكاس * وقوي بنا
الرجاء ومنهم اليأس * وعروا من ملابس العز . وضفا عليهم من
ملابس الصغار اللباس . وتعرضت للسوء في السواقي طول
حسومهم الادراس . ووجبت في اجناس غنائمهم الاجناس . ولما جد
بهم حكم القضاء لم يجدهم الاحترار والاحتراس . ورسفت
وارسفت الانفس والانفاس . وانعقد الاجماع بتحليل تركيب
جمعهم . ونص النصر وصح القياس . وجبر الاسلام بكسرهم .
وقتلوا واسروا ياسرهم . فمن شاهد القتلى قال : ما هناك اسير .
ومن عاين الاسرى قال : ما هناك قتيل . ومذاستولي الفرنج
بساحل الشام ما شفي للمسلمين كيوم حطين غليل . قاله عز وجل
سلط السلطان واقدره على ما اعجز عنه الملوك . وهناه من التوفيق
لامتثال امره ، واقامة فرضه النهج المسلوك . ونظم له في حتوف
اعدائه والفتوح لولياته السلوك . وخصه بهذا اليوم الاغر . والنصر
الابر . واليمن الاسر . والنجح الادر . ولو لم يكن له الا فضيلة هذا
اليوم لكان متفردا على الملوك المسالفة . فكيف ملوك العصر في السمو
والسوم . غير ان هذه النوبة المباركة كانت للفتح القدسي مقدمة .
ولعاهد النصر وقواعده مبرمة محكمة .

ومن عجائب هذه الواقعة . وغرائب هذه الدفعة . ان فارسهم ما
دام قرسه سالما لم يذل للصرعة . فانه من لبسه الزردي من قرنه الى
قدمه كانه قطعة حديد . ودراك الضرب والرمى اليه غير مفيد . لكن
قرسه اذا هلك فرس وملك . فلم يخن من خيلهم ودوا بهم - وكانت
الوفا - ما هو سالم . وما ترجل فارس الا والاطعن والرمي لمركوبه
كالم وثالم . فما سلعت لهم دابة ولا ذابة . ولا مورد السروح سائبة

ولانار الروح شابة . وغنمنا ما لا يحصى من بيض مسكونين وزغف
موضون . وبلد وحصون وسهول وحزون . وابتتلنا منهم بهذا الفتح
كل اقليم مصون . وذلك سوى ما استبيح من مال مفزون .
واستخرج من كنز مدفون . و حاصلة . و ... (١) تحقق اهله .
ومصاحبة قديمة . ومناصحة كريمة . ومراوحة في عمارة القلب .

واتفق انه سرقت لي في طريقنا الى حمص ثلاثة اجمال بما لها من
عنة ورحال . وكنت قد سلوتها . وتمكن عني قوتها . فجاءنا هذا
الامير بعد يومين . وقد اتانا من الجمال المسروقة بقطارين . وقال :
لما سرتم عرفت ان وراءكم لصوها وانهم ان ظفروا بجناح غادروه
محصوصا . ورتبت اصحابي على الطرق . وفي الدواضع البعيدة من
العمارة ليتوصلوا الخارجين من اهل الذعارة . فوجدوا هذه الجمال
التي احضرتها . وقد حرمت على المفسدين الحركة وحظرتها .
فتاملتها واذا جمالي بأعيانها . فشكرت همته الكريمة على
احسانها . ونشد كل من له ضالة . فوجدها لاجل امن الطرق التي
حفظ هذا الامير ورصدها . ولم تنزل الثغور بسداده مسدودة
والخطوب بصيده مصدوبة . والظلال باشتماله ممدوبة . والرعايا
بسياسته محروسة . والبلاد بحراسته مسوسة . ورايات الكفر
بنكاياته منكوسة . وايات الدين بهدايته مانوسة . والدواضع
معمورة . والمنافع موفورة . والصنائع مشكورة . والشرائع
مشهورة .

وهؤلاء الذين قرضتهم ووصفتهم وعرفتهم وعرفتهم تتكرت
معرفتهم . وتكرت صفوتهم بعد الايام السلطانية . وانقلب
سجيتهم بعد الدولة الصلاحية . فهم صادقوني لصدق الحاجة .
وصادفوني مقدما للذب عنهم تحت العجاجة . غائبا لاستخراج
جواهر مقاصدهم لجج اللجاجة . قلما استغنوا عني جهلوا معرفتي
وانكروا عارفتي . وهذه سنة اخلاء الدنيا في بين الاخلال . وملة
الملال . واستحالة الحال . وتعريض عرض الود لذلة الزوال . فما
ابدعوا غريبا وما ابعدوا قريبا . ولا اعجبوا بابيا . ولا ابدوا عجبيا (٢) .

كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي

للعمام الأصفهاني الكاتب

بسم الله الرحمن الرحيم

نسأل الله من الحمد ما يبلغ قضاء حقه وإن حقه لعظيم . ومن
الرشد ما يكتب سلامة نياتنا في الطريق إلى كرمه وأنه لكريم .
ونشكر بسر القلب وجهر اللسان إحسانيه إلينا بأنهما حادث
وقديم . ونستزيده ونستقيم نعمة وإن يخيب على الشكر والرضا
مستزيد ومستقيم . ونستعين به على البهر وقد فعل فإنا وهو الذي
بيننا (وبينه عداوة كأنه ولي حميم) (فصلت : ٣٤) . والحمد
لله الذي بدأ بنعمه متطولا . ويمزيده متفضلا . وعلمنا شكر فضله
الموقور . وقبل منا عفو خاطئنا المنزور . فلا يكلفنا من الشكر فوق
الطاقة . ولا يطلع من النعم الطليعة إلا وراءها من المزيد الساقية .
وقد وصف المشكور منه نفسه بأنه شاكر عليم . فرب غافل منا عن
الشكر ما غفل عنه فضله العظيم . فلا عدمن ينتاب منتاب راجيا
وداعيا . ومستيقظا وساهيا . وصامتا ومتقاضيا . لنا منه على كل
حال كل حال من مواهب ربما عطل عنها . لسان شكرنا وضمير
ذكرنا . وباتت سارية إلينا لاطيفا بل حقيقة على نوم فكرنا . ثم إن
الله سامحنا في حقه من الشكر فقبله من عيينا وبلغنا . ومتجرعنا
ومسيفنا . فتارة يقبله ضميرا مجمعا . وتارة يحيط به قولا
مترجما . ومرة يعلمه نظرا من قلب ينفذ نور الذكر من ظلمات
ضلوعه . ومرة يسمعه همسا من لسان يناجي ملكه بنفمات
مسموعة . وكيف لا (يعلم السر وأخفى) (طه : ٧) من بعينه
مسارحه . وكيف لا يعلم الغيب من عنده مفاتحه . ونرغب إليه في أن
يحمل عنا حق نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإننا لانرضى بعفو
استحقاقه من الوصف جهننا . فنصل إليه صلاتنا ونؤذي إليه
وبنا . ونعظم موقعه حين كان منه كقاب قوسين أو أنى . ونشكره
على أن فتح علينا الدار التي كانت إلى الله طريقه ليلة أسري به .
فانبعث صلى الله عليه وسلم سهما فكان كقاب قوسين في إقترا به .

ما كذب الفؤاد . ولا خاب المراد . ولا صدق المراد . وأين من أخبر
عنه أنه راه بالافق الأعلى ممن امتن عليه بأنك بالواد . فمن كان في
روض القرآن يسرح . فرق بين المنزلتين من رب اشرح وألم نشرح .
ونصلي على آله وأصحابه ولالة الحق . وقضاة الخلق . ورتقة
الفتق . وغرر السبق . وأسنة الفرق . وفتحة الغرب والشرق .
منهم من ردة العرب عن اسلامها . ومنهم من استنزل أرجل
العجم عن أسرتها وتيجانها عن هامها . وأحمد عبدة نيرانه أن
يطعموها حطباً ولو وصلت إليهم لأكلتهم . وأحمد عبدة أوثانه عن أن
يقعوا لها سجداً ولو وقعت عليهم لقتلتهم . ومنهم من أنفق في سبيل
الله وجه . ومنهم من قتل أعداء الله فأجهز . ومنهم الأشداء على
الكفار . ومنهم الأشداء إذا زاغت الابصار . ومنهم الساجدون
الراكعون . ومنهم السابِقون ومنهم التابعون . ومنهم نحن أهل
الزمن الآخر . وقد سلم علينا سلام الله عليه في زمنه الحاضر .
وسمانا أخوانا . واشتاق إلى أن يلقانا . فنحن الآن إنما نرد عليه
تحيته والباديء أكرم . وإنما نرجو شفاعته بسالموة التي قدمها
والفضل للأقدم .

هذا كتاب أسهمت فيه بين الأدباء الذين يتطلعون إلى الفرر
المتجلى . وبين المستخبرين الذين يستشفون إلى السير المتحلية .
ياخذ الفريقان منه على قدر القرائح والعقول . ويكون حظ المستخبر
أن يسمع والاديب أن يقول . فإن فيه من الالفاظ ما صار معنا من
معادن الجواهر التي نولها . ومن غرائب الوقائع ما صار به لسانا
من السنة العجائب التي نوردها . وإنما بدأنا بالتاريخ به لاستقبال
سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة لأن التواريخ معتابها إما أن تكون
مستفتحة من به نشأة البشر الاولى . وإما مستفتحة بمعقب من
الدول الاخرى . فلا أمة من الامم ذوات الملل . وذوات الدول . إلا
ولهم تاريخ يرجعون إليه . ويعولون عليه . ينقله خلفا عن سلفها
وحاضرها عن غابرها تقيد به شوارد الايام . وتتصب به معالم
الاعلام . ولولا ذلك لانقطعت الوصل . وجهلت الدول . ومات في ايام
الآخر ذكر الاول . ولم يعلم الناس انهم لعرق النرى . وأنهم نطف في

ظلمات الاصلاب طويلة السرى . وان اعمارهم مبتدأة من العهد
الذي تقادم . لادم . وقد أخذ ريك من بني آدم من ظهرهم .
ذرياتهم . لما اراده من ظهورهم . فليعلم المرء قبل انقضاء عمره .
وقبل نزول قبره . ما استبعده اهل الطي من حقيقة الذشر . وتقبل في
واحدة من الاطوار شهانة عشر . فقد قطع عمرا بعد عمر . وسار
دهرا بعد دهر . وثوى واذشر في الف قبر . وإنما كان من الظهور في
ليل إلى أن وصل من العيون إلى فجر . ولولا التاريخ لضاعت
مساعي اهل السياسات الفاضلة . ولم تكن المدائح بينهم وبين المذام
هي الفاصلة . ولقل الاعتبار بمسألة العواقب وعقوبتها . وجهل
ماوراء صعوبية الايام من سهولتها وماوراء سهولتها من صعوبتها .
فأرخ بنو آدم بيومهم . وكان أول من اشترى الموت نفسه وقام النزع
مقام سومه . ثم أرخ الاولون بالطوفان الذي بلل الارض وأغرقتها .
ثم بالعام الذي بلبل الاسن وفرقتها . وأرخت الفرس أربعة تواريخ
لأربع طيقات من ملوكها أولهم ككاشاه . ومعني هذا الاسم ملك
الطين . فاليه ترجع الفرس باندسايها . وعليه يذسق عقد حسايها .
وهي الآن تؤرخ بيزجرد آخر ملوكها وهو الذي بزه الاسلام تاج
إيوانه . واطفا نور الله بيت نيرانه . وأرخ اليونان من فيلبس أبى
الاسكندر والى قلو بطره آخرهم وهؤلاء المسمون بالحلفاء وهم
المصابئون . وأرخ الروم بالاسكندر لعظم خطره . وشهرة أثره .
وأرخ النبط بالعراق والقيط بمصر بتواريخ موجودة في الكتب التي
خلدوها . والازياج التي رصدوها . وأرخ اليهود بأنبيائهم
وخلفائهم . وبعمارة البيت المقدس وبخراجه على ما اقتضاه نقل
أوائلهم وأبائهم . وكانت العرب قبل ظهور الاسلام تؤرخ بتواريخ
كثيرة فكانت حمير تؤرخ بالتبابعة ممن يلقب بذو ويسمى بقليل .
وكانت غسان تؤرخ بعام الاسد حين أرسل الله عرم السيل . وأرخت
العرب اليمانية بظهور الحبشة على اليمن ثم بغلبة الفرس عليه .
وأرخت معد بغلبة جرهم للعماليق وأخراجهم عن الحرم . ثم أرخوا
بعام الفساد وهو عام وقع فيه بين قبائل العرب تنازع في الديار
فنقلوا منها . وافترقوا عنها . ثم أرخوا بحرب بكر وتغلب ابني وائل

وهي حرب البسوس ، ثم أرخوها بحرب عبس وذبيان ابني بغيض
وهي حرب ناحس والغبراء ، وكانت قبل المبعث بستين سنة . ثم
أرخوا بعام الخنن قال النابغة الذبياني :

فمن يك سائلا عني فإني
من الفتیان في عام الخنن

وأرخوا بعده من مشاهير أيامهم وأعوامهم بعام المخالق وعام
النائب ويوم ذي قار وبحرب الفجار . وهي أربع حروب ذكرها
المؤرخون . وأستدھا الراون ، وأدنی ما أرخوا به قبل الاسلام
بحلف الفضول منصرف قريش من الفجار الرابع . وبحلف المطيبين
وهو قبل حلف الفضول . ثم بعام الفيل وهو الجار ذو القربى لتاريخ
الاسلام . وبعده خرج امام الجمعة فطويت الصحف وجفت الأقلام .
وأظهر الله على الأنبياء الذين القيم . ونسخ تاريخ الهجرة كل تاريخ
متقدم . فأمن وقوع الخلف الواقع في تواريخ الامم .

وجبت الهجرة ما قبلها جب الأنوار للظلم . ودفع الله الناس
بعضهم ببعض . واستدار الزمان كهياته يوم خلق الله السموات
والارض . وسأل الله عباده على يد وكيل حقه من الأموال والأنفس
ما يعيده إليهم مضاعفا من القرض . ووقت هذه الهجرة الوقت الذي
أمر به أمر الاسلام . ويومها اليوم الذي ما ولدت الليالي مثله من
بنيها الايام . وعامها الخاص بالفضل وكل ما بعده يعد من عوام
الأعوام .

وأنا أرخت بهجرة ثانية تشهد للهجرة الاولى بأن الاولى أمها
بالقيامة معذوق . وبأن موعدها الموعد الصحيح غير المدفوع
والصريح غير المذوق . وهذه الهجرة هي هجرة الاسلام الى البيت
المقدس وقائمها السلطان صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب
وعلى عامها يحسن أن يبنى التاريخ وينسق . وتسفر عن أهلتها
دادئ المداد وتتشق . وهي وإن كانت هجرة الاسلام إلى القدس

ثانية . فقد كان ادثنى عن وطنه منها لما تثته يد الكفر ثانية . وهذه الهجرة أبقي الهجرتين . وهذه الكرة بقوة الله أبقي الكرتين . فإن العرب كانت إنا تناهت في وصف الرجل بالقوة قالت كأنه كسر ثم جبر . والحق أن نقول إن أطول الحياتين حياة المرء إذا مات ثم نشر . والعيان يشهد أن أمنع السوريين ما عمر بعد أن ثغر . والفرق بين فتوح الشام في هذا العصر وبين فتوحه في أول الامر . فرق يتبين تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر . فإن الشام فتح أول والعهد بالرسول صلى الله عليه وسلم فغير بعيد . والوحى ماكاد يتعطل في طريقه من السماء إلى الأرض بريد . والعيون التي شاهدت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسلم سيوفها من أجفانها . والقلوب التي شهدت مواقف معجزاته أوثق بخبره في الافتح منها بعيانها . ورسل عالم الغيب إلى عالم الشهادة بالآيات المؤتلفة مختلفة . ونجدات السماء إلى الأرض متصلة بالملائكة منزلة ومسومة ومردمة . وقد أخبرهم سيدنا وسيدهم أن الأرض زويت له مشارقها ومغاريها . وأنه سيبلغ ملك أمته المذوبة المرحومة ما ضمت عليه جوانبها . والروم حينئذ يغاث ما استنسر . والفرس يومئذ رخم ما استبصر . والحديد ما تدوعت أشكاله الرائعة . ولأطبع سيوفه هذه القاطعة . ولانسجت ثيابه هذه المانعة . والبروج لاتعرف إلا مشينة لامجلة . والمنجنيقات لايتوثب ما يتوثب اليوم من خشبها المسننة . والأقرا لا تتراجم بالنيران المذكاه . والأسوار لا تتناطح بالكباش المشلاه . وبصائر السلف الصالح رضوان الله عليهم يقاتل بها لو كانوا عزلا . والواحد منهم يسوق العشرة كما يساقون إلى الدوقف حفاة عزلا . وكانوا أحرص على الموت منا على البقاء . وكان شوقهم الى لقاء الله باعثهم على لقاء الأعداء بذلك اللقاء . والشام الآن قد فتح حيث الاسلام قد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبا . وهريق شبابه واستشن أديمه وقد عاد غريبا كما بدأ غريبا . وقد أطلع شرف الاستمانة وهي للملك المعترك . وكثرت معارثه بما نصب الشرك من الشرك . وأخلق الجسديان ثوبه وكان القشيب . وذوى غصنه وكان الرطيب . ونصلت كفه وكانت الخضيب . وطال الأمد على القلوب فقسست ورائت الفتسن على

البصائر فطمست . وعرض هذا الاننى قد أعمى وأصم حبه . ومتاع هذه الحياة قليل قد شغل عن الحظ الجزيل في الآخرة كسبه . والكفار قد خشنت عراذكهم . واتسعت مجالسهم . واستبصروا في الضلال . واستبضعوا للقتال . وخرجوا من بيارهم يخطبون غاشية الموت . ونفروا من وراء البحر يطلبون أمامهم من البر ناشية الصوت . وقتلوا جندا ورعية . واستباحوا الانفس متورعين فلا ترى أعجب من أن ترى استباحة ورعية . وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون . وأمدهم في طغيانهم يعمهون . ورفعوا التكاليف فلا ينزع الحديد لوضوء ولا مسح . واستشعروا لبوس البوس فلم يلبسوا وجهها إلا مزور الشفاء على القلوب بلا بشر ولا مزج . شقرا كأنما لفحت النار وجوههم وهم فيها كالحن . زرقا كأنما عيونهم من فهم بقلوبهم وعيونهم يكافحون . قد نزع الله الرقة من قلوبهم . ونقلها إلى غروبهم . وعذب بهم لما يريده من تعذيبهم . واشتعلت نار جهلهم في فحم ذنوبهم . تستعيز المردة من مردتهم . ويدعى للنار بالعون على الاطلاع على أفئدتهم . ففاظ غلاظ . جهنميون كلامهم شرر وأنفاسهم شواظ . (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) (الاعراف : ١٧٩) . خلق الله الخلق من طين وخلقه من حجارة فهم المكني عنهم بوقود جهنم حين قال (وقوبها الناس والحجارة) (البقرة : ٢٤) والا فالحجارة لا تستحق الوقود . إلا أن يراد بها القلوب التي هي كالجمود في الجمود . ومضت ملوك الاسلام . ومضت أيامهم كالبارق وإن لم تخلع الاظلام . وزابت أيامهم الايام خبالا ففتنازع الناس طرائف الاحلام . وحاربوا هذا العدو الكافر فما أثروا فيههم وكانوا محاربين كمسلمين . وبذلوا جهدهم فلا نقول انهم مظلومون بالعجز وما نسميهم ظالمين . اللهم غفرا (لكل أجل كتاب) (الرعد : ٣٨) (كل يوم هو في شان) (الرحمن : ٢٩) ولكل مقدور أجل ولكل ما خلق له تيسير . ولكل ما تقدم الكتاب الموقوت تأخير . والايام تمخض وتمطل بالزببة . والسور تتلى إلى أن تأتي بالسجدة .

والناس يريدون الخروج ولكن ما أعدوا له عدة . والعذر على كل
لسان لكل قوم منة .

إننا عجزوا قالوا مقادير قدرت
وما العجز إلا ما تجر المقادير .

وأبى الله من يقبل عذرا صحيحا . وكفى بلفظة النبوة لوما
صريحا . فلما أراد الله الساعة التي جلاها لوقتها . وأظهر الآية
التي لا اخت لها فذوق هي أكبر من اختها . أفضت الليلة الماطلة
إلى فجرها . ووصلت الدنيا الحامل إلى تمام شهرها . وجاءت
بواحدتها الذي تضاف إليه الأعداد . ومالكها الذي له السماء خيمة
والهيك أطناط والأرض بساط والجيال أوتاد . والشمس دينار .
والقطر دراهم . والأفلاك خدم . والنجوم أولاد . صلاح الدنيا
والدين ومهما دعونا له فإن الله قد سبق إليه كونا . ورأينا بين منانا
وبين كرمه بونا . فهو سبحانه أكرم بالذوال . منا بالسؤال .
والكريم بكرم الله مجزي . والساكت عن الدعاء له مكفي . فان قلنا
أحسن الله إليه فقد قال (إننا لانضيع أجر من أحسن عملا)
(الكهف : ٣٠) وأن قلنا جزاء الله بالاحسان فقد قال : (هل
جزاء الاحسان إلا الاحسان) (الرحمن : ٦٠) وأن قلنا هداه الله
سبيله فقد قال : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)
(العنكبوت : ٦٩) وأن قلنا لاضيع الله عمله فقد قال (فاستجاب
لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل) (آل عمران : ١٩٥) وأن قلنا
لاجعل الله لنعمر عليه سبيلا فقد قال : (ما على المحسنين من
سبيل) (التوبة : ٩١) وإن قلنا زاده الله هدى فقد قال : (والذين
اهتدوا زادهم هدى) (محمد : ١٧)

كل مسؤول سائل

في معاليه قد كمل

لايسل فيه سائل

سبق الجود ما سأل

وليصح تأملا

يجد الله قد فعل

ونعود إلى ذكره أعز الله ذكره . فجاد إلى أن لم يبق مال ولا أمل . وجاهد إلى أن لم يبق سيف ولا قلل . فلا كفتح على يديه فتح وما هو فتح واحد ما هو إلا فتحة فتح والدم ذائب وفتح والذهب جامد . فما البلاد التي جمعها فاتحا . بأغرب من البلاد التي فرقها مانحا . فقد استوعب بأسه أكثر مما ولدت المعادن جديدا وزاد لأنه ضرب بالسيوف التي كسرها ثم ضربها . واستوعب جوده ما ولدت المعادن نهبا وزاد لأنه نقل إلى الأعداء ثمن سلع تم نهبها فزويها . فكل معاد معادي إلا هذا المعاد . وكل مداد يكتب به أسود إلا هذا المداد . (أفسح هذا أم أنتم لاتبصرون) (الطور : ٦٥) أما يرى الناس ما على وجه الصدق من قبول القرائح . وما على يد الجود من قبل المدايح .

الناس أكيس من أن يمنحوا ملكا .
ولم يروا عنده آثار احسان

وإنا لندرجو أن نكون قد كتبنا بمنحه مع الصادقين الذين أمر الذين أمروا أن يكونوا معهم . وأن نكون قد كتبنا مع المحسنين لانا أحسنا وصف إحسان الله إلى عباده ولم يقطع بنا ما قطعهم . وإنا وإن كنا رعاياه لنرى أنفسنا ملوكا ونرى الملوك وهم له سوقة . وإن القلم في أيدينا ليهتز طربا لذكره كأنه جان وكان السيف يشنع بانه فروقه . ولنا نسمة قصيرة وإن جدد أنفه . ولكنا نركبه كما ركب قصير العصا إلى وصف هذا السلطان ليذكر وصفه . ونقول للقلم إذا فاخره السيف (إن شأذك هو الأيتر) (الكوثر : ٣) . ونريد إذا أوردناه وصف مولانا (أنا اعطيناك الكوثر) (الكوثر) . على أن هذا القلم يلزم الأدب لذكره أعلاه الله فينكس رأسه . ويقبل بين يديه كما يقبل حامله الأرض قرطاسه . ولست ببعيد في تقييد هذه المفاخر . وتشديد هذه الآثار . من رجال الطعن والضرب الذين

فتحوا بين يديه . وأوجبوا الحق عليه . بل حقي من حقوقهم أوجه
وأوجب . وقلبي من سيوفهم أضرى وأضرب . ومن رماحهم أخطى
وأخطب . ومن سهامهم انجي وأنجب . ومن قسيهم أكسى وأكسب .
ومن جياهم أسرى وأسرب . ومداي من ذقهم أغلى وأغلب .
وقرطاسي من راياتهم أجلى وأجلب . وسيوفهم قد أغمدت وجردت
منه مالا يعمد ولا يعمد . وأثار السيف من الجراح قد رقا دمها
وأثاري من الذكر لاتخمل ولا تخمد .

وما السيف أشوى ضربه من إسانيا .

فكل أثر خبر به غيري يموت الخبر بموته وينقطع صيت الأثر
بانقطاع صوته . والذي أخبر أنا به عنه روض يزهر إذا أقلت
الأيام سحبا . ونجم يبدو إذا أفاض الشفق على قضة النجوم نهبا .
فهو قول يذكر ويذسى كل فعل وفاعله . لاقول يؤثر مهما عاش اليوم
عالمه ثم لا يأتي في غد إلا جاهله . فهذه الكتب نهب الأعمار الثانية .
وتفاخر الاسنة القائلة بها الأيدي الكاتبة البانية . فانظروا إلى
أيوان كسرى وسينية البحترى في وصفه تجددوا الأيوان قد خرت
شعقاته . وعفرت شرفاته . وتجددوا سينية البحترى قد بقي بها اسم
كسرى في إيوانه . أضعاف ما بقي شخصه في إيوانه . وإنما نراوح
بين الأوصاف الغابية . ونناوب بين السمات السامية . للإشارة إلى
من ينبه على مسماه . ويذوه بسمياه . فاما من يقول الله لاسمه أنت
من معقبات حمدي . ويقول الدهر لذكرك أنت الباقي من بعدي فانما
يلزم الأدب بوصف فضله العظيم . ويرفع قدر القول بفضله وصفه
الكريم . ويسر الله هذه الفتوح . وأنزل بها الملائكة والروح . في أيام
سينا ومولانا الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبي العباس
أحمد بن الامام المستضيء بالله أبي محمد الحسن بن الامام
المستجد بالله أبي المظفر يوسف بن الامام المقتدي بالله عبد الله بن
الخيرية محمد بن الامام القائم بأمر الله عبد الله بن الامام القادر
بالله أبي العباس أحمد بن الامير اسحق بن الامام المقتدر بالله أبي
الفضل جعفر بن الامام المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق

بإله أبي أحمد طلحة بن الإمام المتوكل على الله أبي الفضل جعفر
ابن الإمام المعتصم بإله أبي اسحق محمد بن الإمام الرشيد بإله
أبي جعفر هرون بن الإمام المهدي بإله أبي عبد الله محمد بن الإمام
المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس
صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين والخلفاء الراشدين . وهي
الأيام التي زاهر أيامها ذواء ومضاء مضاريتها للقضاء مضاء . فما
أجلها فضلا وأفضلها جلالا . وأقبلها جدا وأجدها قبالا وأقربها
ندى ونوالا . وأبعدها مدى ومنالا . وما أعلى سني مجدها . وأحلى
جني رفسها . وأفعم ريا رياض فضائلها . وأفسم حيا حياض
فواضلها . واسع سماء سماحها أمطارا . وأصح جناح نجاحها
مطارا . والسلطان صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف بن أيوب
ناصر دعوته . وناعي نصرته . وولي الطائع . وسيفه القاطع
والمحكم بأمره . والمؤمر بحكمه . فرأيت إيداء ميامن هذه الأيام الغر
على الآباد يفرر الآداب . وقيدت شوارد معانيها وسيرت معامد
معاليها بهذا الكتاب . وأدعته من فرائد الكلام والفرائد الفذ
والتوأم در السحاب ودر السحاب . وسميته الفتح القدسي تتبها على
جلالة قدره . وتذويها بدلالة فخره . وعرضته على القاضي الأجل
الفاضل . وهو الذي في سوق فضله تعرض بضائع الفضائل . فقال
لي سمه (الفتح القدسي في الفتح القدسي) فقد فتح الله عليك فيه
بفصاحة قس وبلاغته . وصاغت صيغة بيانك فيه ما يعجز ذوو
القدرة في البيان عن صياغته . ولما كان هذا الفتح في سنة ثلاث
وثمانين وخمسمائة بدأت بها . وأنشأت رياضي بسحبها . وما
شهدت إلا بما شاهده وشهته . وما استمطرت إلا عهاد العهد الذي
عهدته . وما عنيت إلا بإيراد ما عاينته ، ولا بنيت القاعة إلا على
أس ما تبينته فيبينته وما توخيت إلا الصدق وما أنهيت إلا الحق . ولا
ذكرت كلمة تسقط . ولا اعتمدت إلا ما يرضي الله ولا يسخط .
وبإله التوفيق والعصمة . وله الحمد ومنه النعمة

دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة: وكتب الملك الناصر صلاح
الدين يوسف بن أيوب إلى الاقطار والبلاد . يستدعي من جميع

الجهات جموع الجهاد . وأهل للاستدعاء أهل الاستعداد .
واستحضر الغزو . من الحضرة والبدو . وبرز من دمشق يوم السبت
مستهل المحرم قبل استنجد الجنود . واستحشاد الحشود .
وإصحار الأسود . واحضار البيض والأسود . مضي العز ماضي
العزم . صائب السهم ثائب القهم . ثابت السعود . كابت الحسود .
وخيم على قصر سلامة من بصرى وكفت يد رغبة الطولى من الفرنج
اليد القصرى . وأقام على ارتقاب اقتراب الحجاج . وقد رتب
الفرنج من الارصاد أفواجا على تلك الفجاج . لاسيما ابرذس
الكرك . فانه كان حريصا على الدرك . ناصبا شر المشرع نصب
المشرع . فلما شم ذلك الذئب رائحة الأسد . عاود دخول حصنه حذار
خروج روحه من الجسد . ووصل الحاج في اول صفر . وقد قضوا
حاجهم . ورضوا منهاجهم . وخرجوا عن قرضهم . وبخلوا إلى
أرضهم . وفرغ القلب من شغلهم . وخف ما لزم من ثقلهم . وانتظر
السلطان وصول العسكر المصري المستدعى . ورعى منه حصول
العدد المسترعى . فأبطأ عليه ورويه . واختلعت في الاسراع وعوبه .
فأمر ولده الأكبر الملك الأفضل نور الدين عليا . ولم يزل مكانه عنده
عليا . أن يقيم على رأس الامراء برأس الماء . وتجتمع المساكر
الواصلت منه تحت اللواء . وتقدم السلطان في اتباعه وأشياعه . إلى
الكرك وضياعه . فأقام عليها يرهق ويزهق . ويحرب . ويحرق .
ويرعد بصاعقة بأسه ويبرق حتى الحق الموجود بالمعدوم . وأتى
بالقطع على البساتين والكروم . ورعى الزروع وعرى الضروع .
واستأصل الأصول والفروع . حتى أقوت من الاقوات . واستعرت
الغلة بفلاء سعر الغلات . وحلت أجال الارزاق . وانحلت عرا
الارماق . واقفر بلد الشرك . وامتلأ من الكرد والترك . وسار إلي
الشوبك فأسار به شوبيا . وأدفعه من عريه ثوبا . وأخلاه من زرع
ونبات . وفرغه من أقوات وقوات . وأنهب ضياء تلك الضياع .
وأزال بقاء تلك البقاع . وجاس الخلال . وداس الغلال . وقشر
الثرى وبشره . وحشر الردى وبشره . وسلب قرار القرى وسكون
مسكونها . وفجع الفرنج بكرمها وزيتونها . فقد عدم ليلها
المصباح . وصباحها الاصباح . ووصل عسكر مصر فتلقياه

بالقريتين . وفرقه على أعمال القلعتين . وأقام على هذه الحالة في ذلك الجانب شهرين . والملك الأفضل ولده مقيم برأس الماء . في جمع عظيم من العظمة . وعنده الجحافل الحافلة . والحواصل الواصلة والعساكر الكاسره . والقساور القاسره . والبواتر الواثره . والخضرم الضرم . والعرمم العرم . واللهام الملتهم . والجيش الجأش . والترك والاكادش . والجنود والبزود . والاسود السود . والفيالق الفوالق . والبيارق البوارق . وبنات الاغمد قد برزن من خدورها حبا لمعاذقة العدى . ظامئات إلى ورد الوريد وما أحسن حلي نجيع الكفر على عرائس الهدى . والعزم يستنهضه . والعز يحرضه . والدين يستبطيه . والنصر يستعطيه . والقدر يحركه . والظفر يدركه . والكفر قد مات من ذعره . والاسلام قد مت بعذره . وهو ينتظر أمرا من أبيه يأتيه بما يأتيه . ويكتب إليه ويقتضيه من رآيه بما رآيه يقتضيه . ولما استمر تأخر الامر استمر التأخير وقدم في الاقدام التبكير والتكبير . وانتهز الفرصة وأحرز الحصه . وانتحى وانتخب الاجناد الانجاد . وجرد الجرد واستجاد الجباد . وسرى السرية السرية . وأمرها بالغارة على الغرة بأعمال طبرية . ومظفر الدين بن زين الدين علي كوجك المقدم المقدم . والهمام الهمام . والاسد الاسد . والأرشد الأشد . وعلى عسكر دمشق قايماز النجمي ، وعلى عسكر حلب دلدرد اليازوقي . فساروا مدججين . وسروا مدلجين . وصباحوا صدقورية (فساء صباح المنذرين) (الصافات : ١٧٧) . فخر اليهم الفرنج في جمع شك . وجمر ناك . وقنطاريات طائرات . وسابريات سابغات . ولداوى دوي وللاستباري هوي . والباروني يقدم على البوار والتركبولي يلقي نفسه على النار . وقد ثاروا والثار قد وقد والجو قد عقد . وقد انصدع زجاج الزجاج . وارتجز عجاج العجاج . وانفض القضاء وانقض القضاء . وكادوا يفلون الجمع ويجمعون الفل . ويحلون العقد ويعقدون ما انحل . فثبت قايماز النجمي في صدورهم . وأشرع الاسنة الى نحوهم . وروى اللهازم من تامورهم . وعطف مظفر الدين يشلهم ويفلهم . ولايكثر بكثرتهم ويستقلهم . ولقيهم دلدرد بالوجه الابيض . والعزم الانهض . والجد

الاجد . والحد الاحد . وانجلى الغبار . وقد عم القرنج القتل
والاسار . وفجع يقتل مقدمهم الاسبتار . وأقلت مقدم الداوية وله
حصاص . ووقع الباقون ولم يكن لهم من الهلك محاص . واخلفت
رنة السراء أنة الاسراء . وكانت هذه النوبة بلا نبوة . والهبة بلا
هبة . وسكنت القلوب بهذه الحركة . وركنت النفوس إلى هذه
البركة . وسارت البشرى وسرت . وبارت النعمى وبرت . وعد ذلك
من إقبال الملك الافضل . وفضل الملك المقبل . وحسنت السنة
بالنصر . وأحسننت الالسنه في الشكر . هذا العساكر في كل يوم
يغدون ويغدون . ولهما يجدون الطريق إليه من النكاية في العدو
يجدون ويجدون . وجامتنا البشارة ونحن بالكرك . فايقت الآمال
بالتج والدرك . وسار سلطاننا الملك الناصر صلاح الدين ووصل
السير بالسرى وخيم بعشتر . ففصت بسيل الخيول الوهاد
والذرى . واجتمع به ولده . وقر عينا بشبل العرين أسده . وما
رأيت عسكرا أبرك منه ولا أكبر . ولا أكرث للكفر ولا أكثر . وكان
يوم عرضه مذكرا بيوم العرض . وما شاهد الا من تلا (ولله جنود
السموات والأرض) (الفتح : ٤٠) . في الوية كأنما عقدتها حور
الجنان بخمرها . وبيارق كأنما حبها أنف الرياض بزهرها . ويوم
كالليل عجا . وليل كاليوم ابتلاجا . ومناصل بالمنى صلت .
وقساطل بالقسي طلت . وفلق لهم يفلق . وقلوب يمانية رفاق في
صدور الاغمد تقلق . وطيور سهام من أوتار الحنايا إلى أوكار
المنايا تمرق . وسوابغ مفاضه . وسوابق مرتاضه . وهضاب
راسيات . وهواضب ساريات . ولما تم العرض . حم الفرض .
وتعين الجهاد . وتبين الاجتهاد . واضطربت السهول والوعوث .
وانبعثت الهمم وهمت البعوث . وسمع القرنج بكثرة الجمع الجم .
وزخرة اليم الخضم . وبرز التوحيد إلى التثليث . وانتهاض الطيب
لأحاض الخبيث . فخافوا وخابوا . وهبوا وهابوا . وعرفوا أن
حزبهم مخذول . وأن غربهم مفلول . وأن حدهم مثلوم . وأن جندهم
مهزوم . وأنه قد جاءهم ما لا عهد لهم بمثله . وأن الايمان كله برز
إلى الشرك كله . وقد كان بينهم حينئذ خلف منيع . وحلف منتكث .
ووقع نفار بين الانفار . ووقود شرار بين الشرار . ولما استنذوا

حين حينهم . سعو في إصلاح ذات بينهم . وبخل الملك على القومص . ليدقمص له بالود الأخلص . ورمى عليه بنفسه . واستبدل وحشته بأذنة . فاصطحبها بعدما اصطالحا . وأصحابا بعد ما جمحا . وتزاور الفرنج وتوازروا . وتأمروا ما بينهم وتشاوروا . وقالوا هذا بين متى بنا منه الوها هوى . وعود إذا عاده الأذى ذوى . فالسيح لنا . والصليب معنا . والمعصوبية عميدتنا . والنصرانية نصرتنا . ورماحنا مراحنا . وصحافنا صفاحنا . وفي لوائنا اللاواء . ومع أودائنا الداوية الادواء . وطوارقنا الطوارق . وبيارقنا البوائق . وسيف الاستبار بثار . ولقرن الباروني من مقارنته بوار . ومعنا الدلاص والصلاد . والصعاب والصعاد . وفي كل قطاري قطار . ولكل سابري من استنتا مسبار . وقد عم بحرنا الساحل . وشددنا به المعاهد والمعاقل . وهذه الأرض تسعنا نيفا وتسعين سنة وما تضيق بنا في هذه السنة . وأرماحنا إلى هذه الغاية من الاسواء أسوار هذه البقاع والامكة . وسلطين الاسلام ما صدقوا أن يسلموا إلينا ويسالمون . ويبذلوا لنا القطنائع ويقاطعوننا . وطالما ناصفونا وما صافونا . وهادونا وهادونا . وفي جمعنا تفريقهم . وفي وقعتنا تعويقهم . فقال القومص وكان محربا مجربا . متدبر متدربا . هذا صلاح الدين لا يقاس بأحد من السلاطين لتسلطه . واقنامه على المخاوف وتورطه . وإن كسرهم مرة فلا يصح لكم الجبر . وليس إلا المراوغة والمقاورة والصبر . والصواب أن لا نخالطه ولا نباسطه . ولا نخالفه ونقبل شرائطه . فقال له الملك : أنت قد قلبتك الآفه . وفي قلبك المخافة . وأنت للخور رجو . وللخشية حشو . وأنا لا بد أن أصدمه وأصده . وأكلمه وأكلمه . وأراندته حتي أربه . وأقيم صليب الصليوت فلا يقعد عنه من أهل الاحد أحد . وأمد يد الأيد لجمعي فلا تمتد لأهل الجمعة يد . فقبل القومص قوله على مضض وصح ظاهره معه على ما كان في الباطن من مرض . ولما أحس منه الملك بالوفاء والوفاق . وعدم الشقاء ما وجدوه بينهما من الشقاق . اشتغلوا بالحدش والحدش والطبي والندش .

ذكر ما كان بين ملك الافرنج وبين القومص من الخلاف

لما هلك الملك أماري بن فاك في آخر سنة تسع وخمسمائة خلف ولدا مجذوما. وكان مع الوجود معدوما • قد أعضل نأؤه • وأيس شفاؤه • وطال بلاؤه • فوضع الفرنج التاج على رأسه • وتمسكوا مع امراضه بامراسه • ونفخوا في ضرعه • وتسمنوا بورمه • وصحوا بسقمه ورقوا في سامه • ورضوا بتقدمه • واكبسروه وأركبوه • وأقدموا به وقدموه • وهم يكرثون بجنا (١) ملكهم هذا ولا يكرثون بجنامه • ويحمون حماه ان يحم حلول حماه • وبقي بينهم زهاء عشر سنين ملكا مطاعا • معارا من اشفاقهم واتفاقهم مراعى • فلما احس بهلاكه • وسكون حراكه • احضر البطرك والقسوس • والمقدمين والرؤوس • وكان له ابن اخت صغير • عن التناول الى الملك قصير • وقال لهم الملك في هذا ولكن القومص (٢) يكفله مدة سني صفه • وهو يستقل به بعد كبره • فهو الان لا يستبد • ومن أمر القومص يستمد • فقبل القومص الوصية • وجمع اليه الاطراف • الدانية والقاصية • وسكن بطبرية فان صاحبته كانت تزوجت به • وطمعت في قوته وقربه • وهلك الملك المجذوم • وظهر المكتوم وطمع القومص في الملك استقلالا فعدم موافقة النارية • وقالوا يلزمك العمل بشرط الوصية فكفل بالامر وهو مغلوب • وتفقد اختياره فانما هو مسلوب • ورغب في مقاربة السلطان صلاح الدين ليقوى بجانبه • ويحظى من مواهبه • فاشتد ازره واشتد امره • واستقل بنفسه • واستولى على جنسه • حتى مات الملك الصغير • فانتقل الملك منه الى امه • وبطل ما كان في عزم القومص برغمه • وانتقل الملك اليها • واجتمع الفرنج عليها • فقالت لهم زوجي أقدر وهو احق بالملك واجدر • واخذت التاج من رأسها فوضعت على رأسه • وعاش رجاءه بعد يأسه • ورأى غناه بعد افلاسه • وانتاش إبليس بعد ابلاسه • وقامت قيامة القومص باجلاسه • وطالبه الملك الجديد بحساب ما دولاه • فما اجاب دعوته

ولالباه • والتنصر عليه بسلطاننا الملك الناصر • واقام بطبرية في
زي المتناول المتقاصر • وضم اليه من الافرنجة من استرغيه • بما
استماحه من سلطاننا واستوهبه • وحث العزم السلطاني على
قصدهم ليرد اليه الملك • ويجد له في نظم امره السلك • فلما
اجتمعت العساكر الاسلامية • وتآلفت منها الجزرية والديار بسكرية
والمصرية والشامية • جاء الملك الى القومص بذفسه وفتح له ما
وجده من وحشته وعدمه من انسه • وقال اصحاب القومص له ان
لم تنصره فنحن ما نخذل الدين • ولا نكون بايدينا مسلمين الى
المسلمين • وتمت بينهم ليوم المصاف المصافاه • وزالت المنافسة
والمنافاه .

ذكر دخول السلطان صلاح الدين بالعسكر الى نيار الفرنج

اصبح بالخيم عارضا من العسكر لعارض شجاج • وبحر بالعجاج
عجاج • وخضم بالصواهل السوايح والمناصل والصفائح ذي
امواج • وقد رتب ابطاله وطلايه • وسحب على وجه الارض
سحابه • ونقل به الثرى الى الثريا قرايه • وطار الى الذسر الواقع
من الغبار غرايه • وقد قض الفضاء ختام القتام • وشدت للشدائد
كتب الكبت على حسم الحسم • وجنت ضلوع الحنايا على اجنة
السهام • وتكفلت العوجاء بالمعتدلة • وضمت المنذلة الى المنذلة ،
ووقت الاوتار بالاوتار • وثار كل طلب لطلب النار • ووقف
السلطان يوم العرض يرتب العسكر ترتيبا • ويديه تبويبا • ويعبیه
بعيدا وقريبا وقرر لكل امير امرا • ولكل مقدم مقاما • ولكل موفق
موقفا • ولكل كمين مكانا • ولكل قرن قرانا • ولكل جمر مطفئا •
ولكل جمع مكفئا • ولكل زند موريا • ولكل حد ممهيا • ولكل
قضية حكما • ولكل حنية سهما • ولكل يمين مقضبا • ولكل يمان
مقبضا • ولكل ضامر مضمارا • ولكل مغوار مغارا • ولكل رام

مرتمى • ولكل نام منتقى • ولكل سام مسمى • ولكل اسم مسمى • وعين لكل امير موقفا في الميمة والميسرة لا ينتقل عنه • ولا يغيب جمعه ولا يبرح احد منه • واخرج الجاليشية الرماة الكساة من كل طلب • ووصى كل حزب بما بقره من حزب • وقال اذا دخلنا بلد العدو فهذه هياة عساكرنا ، وصورة موارنا ومصادرنا • ومواضع اطلابنا • ومطالع ابطالنا • ومصارع اسنقتنا • وشوارع اعنقتنا • وميادين جردنا • ويساتين وردنا • ومواقف صروفنا • ومصارف وقوفنا • ومرامي مرامنا • ومجالي مجالنا • وقوى الامال بما بذله من الاموال • وحقق في انجاز المواعد وانجاح المقاصد رجاء الرجال • وجمع العدد • وفرق العدد • وهب الجياد واجاد المواهب • ورغب في العطايا واعطى الرغائب • ونثر الخزائن • ونزل الكنائن • وانفق النخائر • واستنفذ كرائنها والاخير وقسم احوال النشاب • فدفق الناس منه بأكثر من مله الجعاب • واجرى الجرد واجنى الاجناد • واذكى المذاكي واشهد الاشهاد • واذال مناقب المناقب • واستمال معاطف المعاطب • وقوى القواطع • وروى الروائع • وعاد الى المخيم مسرورا محبورا • مقبولا مبرورا • موفورا مشكورا • وقد رتب وربت • وقنب وكتب وثبت ونبت • قد بر عمله وابرامله • وفاح نشره • ولاح بشره • وتارج رياه • وتبلج محياه • وايقن بالظفر وظفر باليقين • وامن الى الدعوة المستدعية للتأمين • وتيمن باوضح عرابه الميامين • وايضاح اعرابه في اقتضاء دين الدين • واذس ببهجة الخيل ولهجة الخير • وسر سره بما سرى له من وجه السير • وشد حزم العزم • وجد في العزم الجزم • وقدم الاسراح للاسراء • والجم العراب للعراء .

ورحل يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخر والتوفيق مسايه • والتأييد مؤازره • والتمكين مضافره • والسعد مظاهره • والجسد مكائره • واليمن محاضره • والعز مسامره • والظفر مجاوره • والاسلام شاكركه • والله عز وجل ناصره • وسار على الهياة التي قدما ذكرها من المقانب المقتبة • والكتائب المكتبة • والمراتب

المرتبة • والمناهب المهذبة • والسلاهب المجنبية • والصواب
المجعية • والقواضب المقرية • والثعالب المذرية • واللهاذم
الهائمة • والصلابم اللازمة • والضراغم الضاغمة • وخيم على
خسفين • وقد اننى الله الخسف بالعدو وخسوفه • وكسف الكفر
وكسوفه • وبات والوجوه سافرة • والعيون في سبيل الله ساهرة •
والايدي لسيوف الايد شاهرة • والاسن لانعم الله شاكرة •
والقلوب بالاخلاص عامرة • والانفس للانس مسامرة • والاقدام
بالاقدار متضافرة متظاهرة .

ثم اصبح سائرا ونزل على الاردن يثغر الاقدوانة • بعزم
الصيال وعز الصيانة • واحاط بببحيرة طبرية بحره المحيط •
وضاق ببساتن خيامه ذلك البسيط • وبرزت الارض في قشب
اثوابها • وتفتحت السماء لتتنزل الملائكة من ابوابها • ورست سفن
المضارب على تلك الانياج • وطمت الاطلاب امواجها على امواج •
وانعقدت سماء العجاج • وطلعت فيها انجم الخرصان والزجاج •
واعاد الاقدوانة رياضاً نضرة • وحداثق مزهرة • من فرس رد
وفارس كالاسد الورد • ومشريات كبطاقات الرياحين • ويزنيات
كاشجار البساتين • ورايات صفراء تخفق بعنايات الياسمين •
والوية حمر كشقائق النعمان • وموضوعة زغف كالغدران •
ومصقولة بيض كالخلجان • ومريشة زرق كالاطيار • ومحنية عوج
كالافنان • وبيض تلمع كثغور الاقدوان • وجبب ترائك على بحور
الدارعين • وعقبان صواهل تروق وتروع الناظرين والسامعين •
والفرنج قد صفوا راياتهم بصفورية • ولووا الالوية على مدود
الضوامر الزواجر قناطر القنطاريات • واوقدوا في ظلام القتام
الثائر سروج السريجات • وصوبوا الى صوب قرا الاقران نيات
اليزنيات • واحاطوا حول مراكزهم بدواثرهم • وحاطوا
بواشرهم • وجمعوا الاوشاب والاوباش • ورتبوا الجيش •
وثبتوا الجاش ، وحشدوا الفارس والراجل • والرامح والنابل •
ونشروا الذوابل • وحشروا ابطال الباطل • ورفعوا صليب
الصلبوت • فاجتمع اليه عباد الطاغوت • وضلال الناسوت

واللاهوت • ونادوا في نوادي اقباليهم اهل الاقانيم • وصالباوا
الصليب الاعظم بالتعظيم ، وماعصاهم من له عصا • وخرجوا عن
العد والاحصا • وكانوا عند الحصى • وصاروا في زهاء خمسين
الفا ويزيدون • ويكيدون مايكيدون • قد توافوا على صعيد •
ووافوا من قريب وبعيد • وهم هناك مقيمون • لا يرومون حركة
ولا يريمون • والسلطان صلاح الدين في كل صباح يسير اليهم
ويشرف عليهم • ويراميههم • ويذكي فيهم • ويتعرض لهم
ليعرضوا له • ويردوا عن رقابهم سيوفه وعن شعابهم سيوله •
فربضوا ومانبضوا • وقعدوا ومانهضوا • قلو برزوا لبرز اليهم
القتل في مضاجعهم • وعانذوا مقام صارعهم • في سروقهم الى
مصارعهم • وفزعوا مما فيه وقعوا • وجبنوا عما له تشجعوا •
فراى السلطان ان يطيب ربه • من طبرية ويشرف على خطتها
بالخطية والمشرية • ويحوز حوزتها ويملك مملكتها • فجر على
الاربن اردان الربينيات • واطلع النقع المثار من البحر بحوافر
الاعوجيات • واستسهل عليها ولم يستوعر عربيات العربيات •
فامر عساكره • وامراء جيشه واكابره • ان يقيموا قبالة الفرنج •
ويضيقوا عليهم واسع النهج • فان خرجوا للمصاف بادروا الى
الانتقام منهم والانتصاف • وان تحركوا الى بعض الجوانب • وثبوا
بهم وثوب الاسود بالارانب • وان قصدوا طبرية لصونها وان يكونوا
في عونها • عجلوا الاعلام ليعجل عليهم الاقدام •

ذكر فتح طبرية

ونزل على طبرية في خواصه ، وذوي استخلاصه . واحضر
الجانبارية والنقابين . والخراسانية . والحجارين . واطاف
بسورها • وشرع في هدم معمرها . وصدقها القتال . وماصدف
عنها النزال . وكان ذلك يوم الخميس . وهو يؤم الخميس . واخذ
النقابون النقب في برج فهدوه وهدموه . وتساقوا فيه وتسلموه .

ودخل الليل وصباح الفتح مسفر . وليل الويل على العدو معتكر .
وامتنتعت القلعة بمن فيها . من القومصية . ست طبرية وبنيها . ولما
سمع القومص بفتح طبرية واخذ بلده . سقط في يده . وخرج عن جلد
جلده . وسمع للفرنج بسببه وليله . وقال لهم لاقعود بعد اليوم *
ولا بد لنا من وقم القوم * وانا اخذت طبرية اخذت البلاد * ونهبت
الطراف والتلاد * وما بقي لي من صبر . وما بعد هذا الكسر لي جبر
وكان الملك قد حالفه . فما خالقه . وواقفه . فما نافقه . وما حاضه فما
ماذقه ووانده فما رانده . وواعده فما عاوده . ورجل بجمعه . وبصره
وسمعه . وثعابينه وشياطينه . وسراجينه وسراجينه . واتباع غيه .
واشباع بغيه . فماتت الارض بحركته . وغامت السماء من غبرته .
ووصل الخبر بان الفرنج ركبوا . وثابوا عن ثبات ثباتهم ووثبوا .
وعبوا وعبوا . ودبوا حتى يذبوا . وشبوا النار . ولبوا النار .
وقدموا للنزل بالدار البدار . وذلك يوم الجمعة رابع عشر ربيع
الاخر . فما كذب السلطان الخبر حتى صدق عزمه . بما سبق به حكمه .
وسر حين احاط به سيرهم علمه . وقال : قد حصل المطلوب . وكمل
المخطوب . وجامنا مانريد . ولنا بحمد الله الجد الجديد . والحد
الحديد . والباس الشديد . والنصر العتيد . وانا صحت كسرتهم .
وقتلت واسرت اسراتهم . فطبرية وجميع الساحل . مادونها مانع .
ولا عن فتحها وازع . واستخار الله وسار . وعدم القرار . وجاء يوم
الجمعة رابع عشر ربيع الاخر والفرنج سائرون الى طبرية
بقضهم وقضيضهم . وكانهم على اليفاع في حضيضهم . وقد ماجت
خضارهم . وماجت خراغهم . وطارت قشاعهم . وثارت غماغهم
وسدت الافاق غماثمهم . وشاقت ضاربيها جماجمهم . وهم كالجبال
السائرة . وكالبحار الزاخرة . امواجها ملتطمة . وافواجها مزحمة .
وفجاجها محتدمة . واعلاجها مصطلمة . وقد جوى الجو . وضوى
الضو . ودوى الدو . والفضاء منفض . والقضاء منقضى . والثريا قد
استزار الثرى . وجرنيل الخيل قد برى البرى . والحوافر الصوافز
للارض حوافر . والفوارس اللوايس في المبيض سوافر . وذئاب
النياد واجلاد الجلال قد حملوا كل عده . وكملوا كل عدة . فرتب
السلطان في مقابلتهم اطر اطلابه . وقصر على مقاتلتهم ارايه .

وحصل بعسكره قدامهم . وركب على الحملة اقدامهم . وحجز بينهم وبين الماء . ومنع زمامهم على النماء . وحلأهم عن الورد . وصدهم بالصد . ذاك واليوم قيظ . والقوم غيظ . وقد وقست المهاجرة . فوقدتها غير هاجرة . وشربت ماكان في اداوتها فهي على الظما غير صابرة . وحجز الليل بين الفريقين . وحجرت الخيل على الطريقين . وبات الاسلام للكفر مقابلا . والتوحيد للتثليث مقاتلا . والهدى للضلال مراقبا . والايمان للاشرك محاربا . وهيئت دركات النيران . وهنئت درجات الجنان . وانتظر مالك واستبشر رعدوان . حتى اذا اسفر الصباح . وسفر الصباح . وفجر الفجر انهار النهار . ونفر النفر غراب الغبار . وانتبهت في الجفون الصوارم . والتهبت في الضوامر الضوالم . وتيقظت الاوتار . وتغيظت النار . وسل الفرار . وسلب القرار . خرج الجاليدية تحرق بنيران النصال اهل النار . ورنت القسي وغنت الاوتار . ورقصت مران المراد . لجلاء عرائس الجلال . وبرزت البيض من ملائها في الملا عارية . ورتعت السمر لكلتها من الكلى راعية . فرجا الفرنج فرجا . وطلب طلبهم المخرج مخرجا . فكلما خرجوا جرحوا . وبرح بهم حر الحرب فما يرحوا . وحملوا وهم ظماء . ومالهم سوى مايايديهم من ماء الفرند ماء . فشوتهم نار السهام واشوتهم . وصممت عليهم قلوب القسي القاسية واصممتهم . واعجزوا وازعجوا . واحرجوا واخرجوا . وكلما حملوا ردوا وارادوا . وكلما ساروا وشدوا اسروا وشدوا . ومادت منهم نملة . ولاذبت عنهم حملة . واضرموا واضطربوا . والتهفوا والتهبوا . وناشبههم الذباب فعالت اسودهم تنفذ . وضايقتهم السهام فوسعت فيهم الخرق النافثة . فأووا الى جبل حطين يعصمهم من طوفان الدمار . فأحاطت بحطين بوارق الدوار . ورشفتهم الظبا . وفرشتهم على الريا . ورشقتهم الحنايا . وقشرتهم المنايا . وقرشتهم البلايا . ورقتشتهم الرزايا . وصاروا للردى درايا . وللقضاي رمايا . ولما احس القومص بالكسرة . حسر عن ذراع الحسرة . واقتال من العزيمة . واحتال في الهزيمة . وكان ذلك قبل اضطراب الجمع واضطرام الجمر . واحتداد الحرب واحتدام الحر . فخرج بطله يطلب الخروج . واعوج الى الوادي وماود ان يعرج .

ومضى كومض البرق . ووسع خطا خرقه قبل اتساع الخرق . وافلت في عنة معدوبة . ولم يلتفت الى ردة مردوبة . وغاب حالة حضور الوعي . ونابه الرعب الذي نوى الهزيمة به وماونى . ثم استجرت الحرب . واشتجر الطعن والضرب . واحيط بالفرننج من حوالهم بما حووا اليهم . وبارت باثرة الدوائر عليهم . وشرعوا في ضرب خيامهم وضم نظامهم . فحطوا على حطين مضاربهم . وقلت حدود الرماة مضاربهم . واعجلوا عن نصب الخيم ورفعها . وشغلوا عن اصل الحياة وفرعها . وترجوا خيرا فتسرجلوا عن الخيل . وتجلدوا وتجادلوا فجرفهم السيف جرف السيل . واحاط بهم المسكر احاطة النار بأهلها . ولجأوا الى حزم الارض فبلغ حزامهم الطيبين من سهلها . واسر الشيطان وجنوده . وملك الملك وكذوده . وجلس السلطان لعرض اكابر الاسارى . وهم يتهادون في القيود تهادي السكارى . فقدم بدائه مقدم الداوية . ومعه عدة كثيرة منهم ومن الاسبتارية . واحضر الملك كي واخوه جفري . واوك صاحب جبيل وهذفري . والابرذس ارناط صاحب الكرك . وهو اول من وقع في الشرك . وكان السلطان نذرده . وقال لاعجلن عند وجدانه عدمه . فلما حضر بين يديه اجلسه الى جنب الملك والملك بجنبه . وقرعه على غدره وذكره بنذبه وقال له: بكم تحلف وتحنث . وتعهد وتتكث . وتبرم الميثاق وتنقض . وتقبل على الوفاق ثم تعرض . فقال الترجمان عنه ان يقول قد جرت بذلك عانة الملوك . وما سلكت غير السنن المسلوك . وكان الملك يلهث ظميا . ويميل من سكرة الرعب منتشيا . فأنسه السلطان وحاوره . وفتا سورة الوجل الذي ساوره . وسكن رعبه . وامن قلبه . واتي بماء مثلول ازال لهثة وأزاح من العطش ماكرته . وناوله الابرذس ليخمد ايضا لهبه . فأخذه من يده وشربه . فقال السلطان للملك لم تأخذ مني في سقيه أننا . فلا يوجب ذلك له مني أمنا . ثم ركب و خلاهما . وبنار الوهل اصلاهما . ولم ينزل الى ضرب سراقده . وركزت أعلامه وبيارقه . وعانت عن الصومة الى الحمى فيالقه . فلما دخل سراقده . استحضر الابرذس فقام اليه وتلقاه بالسيف فحل عاتقه . وحين صرع . امر برأسه فقطع وجسر برجله قدام الملك حين اخرج . فارتاع وانزعج . فعرف السلطان انه

خامره الفزع . وساوره الهلع وسامره الجزع . فاستدعاه واستنناه
وامنه وطمنه . ومكنه من قربه وسكنه . وقال ذاك رداً عليه اودته .
وغدرت كما تراء غادرت . وقد هلك بغيه وبغيه ونبا زنده حياته ووردها
عن وريه وريه . وصحت هذه الكسرة . وتمت هذه النصرة يوم
السبت وضربت ذلة اهل السبت على اهل الاحد . وكانوا اسودوا
فعادوا من النكد . فما اقلت من تلك الالاف الا احاد . ومسانجا من
اولئك الاعداء الاعداد . وامتلأ الملا بالاسرى والقتلى . وانجلى
الغبار عنهم بالنصر الذي تجلى . وقويت الاسارى في الحبال واجبة
القلوب . وفرشت القتلى في الوهاد والجبال واجبة الجيوب . وحطت
حطين تلك الجيف عن متنها . وطاب نشر النصر بنتنها . وعبرت
بها فلقيت اشلاء المشلولين في الملتقى ملقاه . بالعراء عراة . ممزقة
بالمازق . مفصلة المفاصل . مفرقة المرافق . مفلقة المفاقر .
مخدوفة الرقاب . مقصوفة الاصلاب . مقطعة الهام . موزعة
الاقلام . مجدوعة الاناف . منزوعة الاطراف . معضأة الاعضاء .
مجزأة الاجزاء . مفقودة العيون ميعوجة البطون . مخصوبة
الضفائر . معضوبة المرائر . مبرية البنان . مفرية اللبان مقصومة
الاضالع . مقصومة الاشاجع . مرضوضة الصدور . مفضوضة
النحور . منصفية الاجساد . مقصقة الاعضاء . مقلصة الشفاة .
مخلصة الجباه . قانية الذوائب . دامية الترائب . مشكوكه الاضلع
مفكوكه الاذرع . مكسورة العظام . محسورة اللثام . بئانة
الوجوه . بانية المكروه . مبشورة الابشار . معشورة الاعشار .
منشورة الشعور . مقشورة الظهور . مهدومة البنيان . مهتومة
الاسنان . مهركة الدماء . مرهقة الدماء . هاروة الذرى . واهية
العرى . سائلة الاحداق . مائلة الاعناق . مفتونة الافلاذ . مبتوتة
الافخاذ . مشدوخة الهامات . مسلوخة اللبسات . عديمة الارواح .
هشيمة الاشباح . كالا حجار بين الاحجار . عبرة لاولي الابصار .
وصارت تلك المعركة بالدماء ادماء . وعانت القبرة حمراء . وجرت
انهار الدم المنهمر . وسفر تلك الخباثت المظلمة وجه الدين المطهر .
فما اطيب نفحات الظفر من ذلك الخبث . وما الهب عذابات العذاب
في تلك الجثث . وما أحسن عمارات القلوب بقبح ذلك الشعث . وما

اجزى صلوات البشائر بوقوع ذلك الحدث • هذا وحساب من قتل فقد
حصرت السنة الامم عن حصره وعده • وأما من أسر فلم تكف
اطناب الخيم لقيده وشده • ولقد رايت في حبل واحد ثلاثين وأربعين
يقودهم فارس • وفي بقعة واحدة مائة ومائتين يحميهم حارس •
وهناك العتاة عناة • والعداة عراة • وذو الاسرة أسرى • وأولو
الاثرة عثرى • والقوامص قنائص • والفوارس فرانس • وغوالي
الارواح رخائص • ووجوه الداوية الداوية عوابس • والرؤوس تحت
الاخامص • ومطالع الاجسام ذوات المقاطع والمخالص • فكم اصيد
صيد • وقائد وقيد • ومشرک مکشر • وكافر مفكر • ومثلث
منصف • ومكيف مكثف • وجارح مجروح • وقارح مقروح • وملك
مملوك • وهاتك مهتوك • ومتبر مبتور • ومحسر محسور • وكاب
في الكبول • ومفتال في الغلول • وحر في الرق • ومبطل في يد الحق •

ذكر الصليب الاعظم والاستيلاء عليه يوم المصاف

ولم يؤسر الملك حتى اخذ صليب الصليبوت • واهلك دونه اهل
الطاغوت • وهو الذي انا نصب واقيم ورفع • سجد له كل نصراني
وركع • وهم يزعمون انه من الخشبة التي يزعمون انه صلب عليها
معبودهم ومسجونهم • وقد غلفوه بالذهب الاحمر • وكللوه بالدر
والجوهر • واعدوه ليوم الروح المشهود • ولوسم عيهم الموعود •
فاذا اخرجته القسوس • وحملته الرؤوس • تبادروا اليه • وانثالوا
عليه ولا يسع لاحدهم عنه التخلف ولا يسوغ للمتخلف عن اتباعه في
نفسه التصرف • واخذه اعظم عندهم من اسر الملك وهو اشد مصاب
لهم في ذلك المعترك • فان الصليب السليب ماله عوض • ولا لهم في
سواه غرض والتاله له عليهم مفترض • فهو إلههم • وتعفر له
جباهم • وتسبح له اقواهم • يتغاشون عند احضاره • يتعاشون
لابصاره • ويتلاشون لاظهاره • ويتغاضون اذا شاهده •
ويتواجدون اذا وجدوه • ويبذلون دونه المهج • ويطلبون به الفرج بل
صاغوا على مثاله صليبانا يعبدونها • ويخشعون لها في بيوتهم

ويشهدونها • فلما اخذ هذا الصليب الاعظم عظم مصابهم . ووهت اصلايهم . وكان الجمع المكسور عظيما . والدوقف المنصور كريما . فكانهم لما عرفوا اخراج هذا الصليب لم يتخلف احد من يومهم العصيب . فهلكوا قتلا واسرا وملكوا قهرا وقسرا . ونزل السلطان على صحراء طبرية كالاسد المصحر . والقمر المبدر .

ذكر فتح حصن طبرية

ونذب الي حصنها من تسلمه امانا . واسكنه بعد الكفر ايمانا . وكانت الست صاحبة طبرية قد حمته . ونقلت اليه كل ما ملكته وحوته . فامنها على اصحابها واموالها . وخرجت بذسائها ورجالها ورجالها . وسارت الى طرابلس بلد زوجها القومص يمالها وحالها . وغادرت طبرية اهلة آمنة باهل الايمان . وعين لولايتها صارم الدين قايماز النجمي ، وهو من الاكابر الاعيان . وهنا والملك الناصر نازل ظاهر طبرية . وقد طب البرية . وعسكره طبق البرية .

ذكر ما اعتمده في الاسارى الداوية والاسبتيارية من ضرب رقابهم واعطاء بشر الوجوه باعطابهم

فلما اصبح يوم الاثنين سابع عشري شهر ربيع الاخر بعد الفتح بيومين . طلب الاسارى من الداوية والاسبتيارية ، وقال : انا اطهر الارض من الجذسين التجسين . وجعل لكل من يحضر منهما اسيرا خمسين . فاحضر العسكر في الحال متئين . وامر بضرب اعناقهم . واختار قتلهم على استرقاقهم . وكان عنده جماعة من اهل العلم والتصوف . وعة من ذوي التعفف والتعيف . فسأل كل واحد في قتل واحد . وسل سيفه . وحسر عن ساعد . والسلطان جالس . ووجهه باشر والكفر عايس . والعساكر صفوف . والامراء في السماطين

وقوف . فمنهم من فرى ويرى وشكر . ومنهم من أبى ونبأ وعذر .
ومنهم من يضحك منه . وينوب سواء عنه . وشاهدت هناك الضحوك
القتال . ورأيت منه القوال الفعال . فكم وعد انجزه . وحمد اجره .
واجر استدامه بدم اجراه . ويراعق اليه بعنق براه . ونصل
خضبه . لنصر خطبه . واسل اعتقله . لاسد عقله . وباء دواؤه
لداوي ادواؤه . وقوة اهداها لهداة قواها .

ولواء نشره للارواء طواها . وكفر اماته لاسلام احياء . وشرك
هدمه لتوحيد بناءه . وعزما مضاهها . لامة ارضاهها . وعدو قصمه .
لولي عصمة . وسير ملك الفرنج وأخاه وهذفري وصاحب جبيل
ومقدم الداوية وجميع اكابرهم المأسورين الى دمشق ليودعوا
السجون . وتستبدل حركاتهم السكون . وتفرقت المساكر بما حوته
أيديهم من السبي ايدي سبا . وخمد جمر جمع الكفر وخبا .

ذكر فتح عكا

ورحل السلطان ظهر يوم الثلاثاء ظاهرا على اهل التثليث مديلا
للطيب . مزيلا للخبث . وسار عسكره . وشار عثيره . وظهرت
راياته . وبهرت لياته . ونعرت كوساته . وصاحت بوقاته . وجالت
خيوله . وسالت سيوله . وطلعت في سماء العجاج نجوم خرصاته
وقلعت قلائع تلك الجبال جبال فرسانه . وحفرت عوافر الصلاد م
أصلاب الصلاد الصلاب . وفصحت باعراب الصماحم صواهل
الجياد العراب . والاسنة مشرعة . والاعنة مسرعة . وبحور السوابح
متموجة . وغدران السوايح مترجرجة . وبوارق البيارق متبرجة .
وأوضح الجرد وغررها كأوضح النصر وغرره متبلجة . ونزل عشية
بأرض لوبية لداعي الفتح مليا . ولجيش النصر معيا . ولولود
الملك المعقيم بتلقيح الحرب العوان مريا . وبات بها معرسا بانيا
على عروس الظفر البكر . جانبا ثمار الاماني من غروس البيض

والسمر . وأصبح وقد أصبح جماح النهر . وصح نجاح الأمر .
وحص جناح الكفر . وأسفر فجر الفرج . وسفر وجه البهج . وسار
سارا سره بارا بأرباب الدين برة . زائرة أسدونه . طائرة بذوبه .
ظاهرة جنوبه زاهرة جدونه . سامية أضواؤه . هامية أنوارؤه . رائعة
مواكب . رائقة مراكب . مجنية عتاقه . فكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سير للفقير الى نصرته من يثري به . وهذا الأمير عز
الدين أبو فليته القاسم بن المهنا الحسيني قد وفد في تلك السنة أو ان
عود الحاج . وهو ذو شيبة قد كالسراج . وما برح مع الملك الناصر .
مأثور المأثر . ميمون الصحة . مأمون المحبة . مبارك الطلعة .
مشاركا في الوقعة فما تم فتح تلك الستين الا بحضوره . ولا اشرق
مطلع من النصر الا بنوره . فرايته ذلك اليوم للسلطان مسايرا .
ورأيت السلطان له مشاورا محاورا . وأنا أسير معهما . وقد دنوت
منهما ليسمعاني وأسمعهما . ولأحت أعلام عكا وكان بيارق الفرنج
المركوزة عليها أسنة من الخوف تتشكى . وكان عذبات النيران
تصاعدت لعذاب أهلها . وقد توافرت عساكر الاسلام إليها من
وعرها وسهلها . فلما قرب منها خيم وراء تلهها . وأنت عروش
معاشر الشرك بتلها . وعقود معاقدي الكفر بجلها . وأصبح يوم
الخميس وركب في خميسه . ووقف كالأسد في عريسه . فخرج أهل
البلد يطلبون الامان . ويبذلون الأذعان فامنهم وخبرهم بين المقام
والانتقال . وهب لهم عصمة الانفس والاموال . وكان في ظنهم أنه
يستبيح دماءهم . ويسبي ذريتهم ونسائهم . وأهلهم أياما حتى
ينقل من يختار النقلة . واغتمتوا تلك المهلة . وفتح الباب
للخاصة . واستغنى بالدخول الى البلد جماعة من ذوي الخصاصة .
فان القوم ما صدقوا من الخوف المزعج . والفرج المخرج . كيف
يتركون دورهم بما فيها ويسلمون . وعندهم أنهم إذا نجوا بأنفسهم
أنهم يغنمون . فترك معظمهم المدينة . وعندهم أنه ما كسب السكينة .
الا من ركب السفينة . وذلك ان الجند لما نخلوها . استولوا على
الدور ونزلوها . وركز كل منهم بيرقه على دار . وقال صاحبها كيف
يصح المقام مع الأسد في غايه ولا مقام على زار . وكان السلطان
جعل للفقير عيسى الهكاري كل ما يتعلق بالداوية من منازل وضياع .

ومواضع ورباع • فأخذها بما فيها من غلال ومتاع . ووهب عكا
لوله الملك الافضل • فأجراها من نظره على الاحسن الاجمل •
ودخلناها يوم الجمعة مستهل جمادى الاولى فاقمنا بها الجمعة •
ووصلنا فريضتها المنقطعة • واعنا الكنيسة العظمى مسجدا
جامعا • وعاد نور الهدى الخافي بالضلالة لامعا • وحضر القاضي
الاجل الفاضل فامر بترتيب القبلة والمنبر ، وتبسم بميامنه للاسلام
بعد الاظلام سني الصبح المسفر ، وخطب جمال الدين عبد اللطيف
ابن الشيخ ابي النجيب السهروردي ، فإنه تولى بها القضاء
والخطابة ، وملأنا بعد الذئاب بالاساد السادة السادة تلك
الغابة ، وخلي سكان البلد دهمهم ، ومخزونهم ومنخورهم وتركوها
لن أخذها ، ونبدوا ماحووه لن حواها مانينها ، وافترق من الفرنج
اغنياء ، واستغنى من أجناسنا فقراء ، ولونخرت تلك الصواصل
وحصلت تلك النخائر ، وجمع ليبت المال ذلك المال المجموع
الوافر ، لكان عدة ليوم الشدائد ، وعمدة لنجح المقاصد ، فترعت في
خضرائها بل صفرائها وبيضاها سروج الاطماع ، وطال لاستحليها
ومستحليها الامتاع بذلك المتاع ، وأقام السلطان بباب عكا على التل
مخيما ، وعلى فتح سائر بلاد الساحل مصمما ، ولملكتها
متما ، وكان قد كتب الى أخيه الملك العادل سيف الدين أبي بكر
وهو بمصر ، بما أتاه الله من النصر ، وقبضه له من اقتضاض
الفتح البكر ، فدوصلت البشرى بوصوله باشرا ، وللواء الحمد
ناشرا ، ولاستفتاح ماني طريقه من الحصون مباشرة ، وأنه فتح
حصن مجدل يابا ومدينة يافا عذوة ، واغتنمها غزوة ، وتسلمها
حظوة ، فقصده من عساكرنا القصاد ، ووفد اليه من عندينا
الوفاد ، فحباهم بالحباء من السبايا ، وأتاهم المرباع
والصفايا ، وخصهم من الحاصل بالنقود ، ووعدهم مما سيحصل
بالنسايا ، وشرع يستضيف حصنا فحصنا ، ويستضيف حسنى
وحسنا ، ويستزيد بلدا ، ويستزير مدنا ، ويستزيل من المكفر
يدا ، ويستعمل الى الهدى هدى ، والدين بسيف سيفه
منصور ، والاسلام بنصر ناصره مسرور ، والملك العادل مالك
بعده ، سالك نهج النجح بفضله ، فائز العزيمة حائز

الغنمية ، ماضي الضريبة قاضي الكتيبة ، ميمون النقيبة مأمول
الرغبة .

ذكر فتح عدة من البلاد

وأقام السلطان بمخيمه ، ظافرا بمغنمه ظاهرا بكرمه ، شاكرا
عرام عزمه ، ملهبا ضرام مخذه ، مرويا أوار لهذمه ، وأمر
أمراده بقصد البلاد المجاورة ، وأمدهم بالضراغم المراوغة
المغاورة .

فتح الناصرة وصفورية

فسار مظفر الدين كوكبـوري الى الناصرة فاستباح
حماها ، واستبي دماها ، وحلها واستحلها ، وأزالها
وأزلها ، وخف اليها واستخفها ، واستشفها وشفها ، وشافها
بشفار البواتر ، فشفه منها موارد النخائر ، واجتلى
عرائسها ، واجتني مفارسها ، وجمع نفائسها ونزع
ملابسها ، واستدر طبيها ، واسترد سبيها ، واستقل منها بما
استقل به من كل غانية عانية • ورقيقة رقيقة • ومصابة
مصيبة ، ومسيبة مصيبة ، ومجلوة مجلوبة ، وسالبة
مسلوبة ، ودمية نامية ، وجارية لطيفة بالعنف جارية ، واسيرة
من أسره ، وحاسرة عن حصره ، وثالكة لواحدتها ، وأكلة
لساعدها ، وعاضة على يديها ، وفاضة ختم الدمع على خديها •
وناهضة متتهدة ، وفريدة متفردة ، وناعمة شقية ، وقينة
نقية ، وعذراء مفترعة ، وحسناء منتزعة ، ومخطفة ، وقوية
مستضعفة ، وعزيزة ذليلة ، وصحيحة عليلة ، وساجية
عبرى ، وصاحبة سكرى ، وغريرة غراء ، وظبية

ظمياء ، وغضبيضة غضة ، وفضة منفضة ، وخمارة
مخمورة ، وسحارة مسحورة ، ومخدرة مهتوكة ، وموقرة
منهوكة ، وجاءوا بالأسارى بين يديه مقرنين في الأصفاذ ، مقوين
في الاقياد ، مسوقين الى السوق ، والحديد منهم في الاعناق والسوق
وصفرت صفورية من سكانها فلم يوجد بها صافر ، وكان بها من
الخاثر مبلغ واقر .

فتح قيسارية

وتوجه بدر الدين بالدرم وغرس النين قليج وجماعة من الامراء
الى قيسارية ، فافتتحوها بالسيف ، وسلطوا على الانفس بها
حاكمي الحتف والعيق ، وسلبوا ، وحبطوا
وسلبوا ، وجلبوا . وجالوا ، ونالوا ووقدوا ، واخذوا ، واحتوا
وارتوا ، وربطوا ، وضبطوا واستفادوا ، وفرسوا
الفوارس ، وكسبوا الكتائب ، واستبوا الاكرار
العرائس ، والعون العوانس ، وتسلمت بعدها حيفا
وارسوف ، واستولى على تلك الشמוש والاقمار الكسوف
والخسوف ..

فتح نابلس

وسار حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين على سمت نابلس
حاسما بحسامه ناء الشرك ، مسالنا بسهام القتك جعاب
الترك . تاليا أي الفتح . جاليا رأي الفتح ، ووصل الى سمسطة
فتسلمها ، وتعجل مغنمها . ووجد مشهد زكريا عليه السلام قد
اتخذ القسوس كنيسة ، واعادوها بالصور والالات الذهبية
اميسة . فاستخرج المصونات والمصوغات ، واستوعب العبد

والالات . وأعاده مشهدا ، ورده مسجدا ، ووضع فيه من بره بالاسلام منبرا ، وأصبح الذين به مثريا والكفر مقبرا ، ثم أناخ على نايلس وناب حده غير ناب ، وطرف حده غير كاب ، وحد بأسه طرير . وناظر الدولة به قرير . وكان من قبل سلب ساكنوها من الفرنج والنصارى السكون . وأيقنوا أنهم ان اقاموا لا يأمنون المذون ، فان المسلمين بها وباعمالها نهضوا اليهم في مواطنهم ، فاجفلوا من مساكنهم ، وانتقلوا من أماكنهم ، وخلوا دورهم وأخلوها ، وتسفلوا منها وسلوها ، وتحول الاقوياء الى قلعتها ، وتحصنوا بتلعتها . ونازلها حسام الدين وحاصرها . وطال عليه حصرها وصايرها ، ولم يزل عليها مقبما . وقتلها مديما ، الى أن وثقوا بأمانه ، وعلقوا بأحسنه . وسلموا وسلموا . واستأمنوا وأمنوا ، وخلصت له نايلس واعمالها . وحليت به احوالها . ولكون معظم اهلها وجميع سكان نواحيها مسلمين ، لم يسع الفرنج المتحصنين عند مضايقتهم الا ان يكونوا لحصنهم مسلمين ، فانمى بالسعود رسم النحوس . ونزعنا عنها لبوس البوس ، واستبشرت وجوه اهلها بعد العبوس . وقام جاء الأذان وانكسر ناموس الناقوس .

فتح الفولة وغيرها

وكانت الفولة احسن قلعة واحصنها . واملاها بالرجال والعدد واشحنها . وهي للناوية حصن حصين . ومكان مكيين وركن ركين . وفيها مشتاهم ومصيفهم . ومقراهم ومضيفهم . ومربط خيولهم . ومجر ذيولهم . ومجرى سيولهم . ومجمع اخوانهم . ومشروع شيطانهم . وموضع صلبانهم . ومورد حمتهم . وموقد جمرتهم . فلما اتفق يوم المصاف خرجوا بأجمعهم الى مصرعهم . واثقين بأن الكرلا يتمكن من صفو مشرعهم . فلما كسروا واسروا . وخسروا وتحسروا . خلت طول الفولة . بحدود

اهلها المفلولة . وماء ناويتها المفلولة . ولم يجتمع شمل غمودها
بالسيوف المسلولة . ولم يبق بها الرايا راع . وغلمان
واتباع . واشياع شعاع . فعدموا مكان حماية المكان . ووجدوا
امنهم في الاستئمان . فسللوا الحصن بما فيه الى
السلطان . وكانت فيه اخاير النخائر . ونفائس الاعلاق . فوثقوا
بما احكموه من الميثاق . وخرجوا ناجين . وبخلوا في الذمام
لاجين . وللسلامة راجين . وتسلم جميع ما كان في تلك الناحية من
البلاد مثل دبورية وجنين وزرعين والطور واللجون . وبيسان
والقيمون . وجميع ما لطبرية وعكا من الولايات . والزيب ومعليا
والبعنة واسكندورنة ومنذوات .

فتح تبنين

ولما خلصت تلك الممالك والأعمال ، وقلصت من الضلال تلك
الظلال ، وصفت الممالك ، ووفت المدارك ، أوعز السلطان الى ابن
أخيه الملك المظفر عمر ابن شاهنشاه تقي الدين بقصد حصن
تبنين ، وأن يتوكل على الله فيه ويستعين ، فالقى عليه جرار
بأسه ، ولقي بالتذليل حرار ناسه ، وأخذ في مضايقته
بأنفاسه ، ولح مالمع من قبس فتحه فشفعت بأقتباسه ، وسنح له
قنصه فاشراب بأقتناصه وأفتراسه ، وكتب الى السلطان ببعثه على
الوصول اليه بعسكره ، والنهوض نحوه بأبيضه وأسمره . فضرب
الكوس ، وسمت الذفوس ، والنهوض في ظلام القتامة من الترك
والترائك الاقمار والشموس ، واشتعلت من شبيب البيارق في شعاع
تلك البوارق الرؤوس ، وتحرك السواد كمهيل النقا ، واشتبك على
الاساد غيل القنا ، وسالت الاوبية بالسابحات العتاق ، وطالت على
السير أعناق الاعناق ، ومالت الى الرقاب الغلاظ من اهل الكفر
رقاب الرقاق ، وجرت الفجاج ، وتموجت الافواج ، وتفوجت
الامواج وتحركت غدران السوايح ، من رياح السوايق ، وتدركت
ضوامن الضوامر بالارقاد في ارداف الحق اللاحق ، وأسفر من بريق

البيض والبيض فلق الفياق ، وترنمت الصواهل ، وترنحت الذوابل
وساح الساحل ، وراح الراحل ، ووصلنا الى تبين في ثلاث
مراحل ، فرمينا أهل التثليث فيها بثلاثة الاثاني ، وأوطاناهم بشفاه
الشفار على حدود الاشافي ، ونزلنا عليها بالذوازل ، وبسطنا من
المجانيق عليها أيدي القوائل ، فتهلبدوا من الرعب ، وتجلدوا على
الحرب ، ثم خاروا وحاروا ، وجأروا وجأروا ، ورغبوا
ورهبوا ، وصحوا من سكر الجماح وأصبحوا ، وعجزوا
فجزعوا ، وفزهم الحصر وفزعوا ، وشكوا الندوب وتذبذبوا فدانوا
وبذوا ، وأنغخوا إنغخوا ، واعتذروا مما جنوا ، ورأسلوا
السلطان ، وسألوا الامان ، واستمهلوا خمسة ايام لينزلوا بأموالهم
فأمهلوا ، وبذلوا رهائن من مقدميهم ووقفوا بما بذلوا ، وأقلع من
بالقلعة عن الجهلة ، وتعلق لبت العلق بالمهلة ، وتقدروا باطلاق
الاسارى المسلمين ، فخرج المأسورون مسرورين ، وأصبح الصاحب
المكسورين مجبورين ، محبوبين بالفرج بعد الشدة مجبورين ، وسر
بهم السلطان وسر بهم ، وأقرهم وقربهم ، وكساهم
وحباهم ، وأتاهم بعد ردهم الى مغانيهم غناهم ، وهذا ناب في كل
بلد يفتحه وملك يريحه ، أنه يبدأ بالاسارى فيفك قيودها ، ويعيد
بعد عزمها وجودها ، ويحيي بعد اليأس آمالها ، ويوسع أرزاقها
بعدما أجال عليها ضيق الاسر أجالها ، فخلص تلك السنة من الاسر
أكثر من عشرين ألف اسير للقيود الف ، ووقع في أسرنا من الكفار
مائة ألف ، ولما خلوا القلعة ، وأخلوا البقعة ، سيرهم ومعهم من
العسكر المنصور ، من أوصلهم الى صور ، ورتب في الموضع مملوكه
سنقر الدوي ، فأرشد به ذلك الصنع القوي ، فان أعصا جبل
عاملة مجبولة على الشر ، وأهلها وان كانوا مسلمين كانوا أعوانا
لاهل الكفر ، فوصى سنقر بتأسيس النافر ، وتعميس
الكافر ، وتأليف الجافل ، وتعريف الجاهل ، وقال له تبني بتبنيين
ماهدم بالمنجنيق ، وتجد لسورها وخندقها كل مايمكن من التوشيق
والتعميق ، ورحل ومعه رفيق التفويق ، وكان النزول على تبنيين
يوم الأحد حادي عشر جمادى الاولى وتسلمها يوم الأحد الثامن
عشر منه .

فتح صيدا

يوم الاربعاء الحادي والعشرين من جمادى الاولى يوم النزول عليها . وسنحت له صيدا فتصدى لصيدها ، وكانت همته في قيئها وبأدراها اشفاقا من مسكر العداة وكيئها ، وسرنا وسرنا مرتاح ، ونصرنا متاح ، والجد جديده والمزاح مزاح والعزم جزم ، والحكم حتم ، ونفحات القنوح لمناشق أهمل الهسدى تفوح ، ونفحات الردى لأعين العدى تلوح ، ونص النصر قد تنزل ، وقصد الصدق قد تعدل ، وفكر الكفر قد توزع ، وشرك الشرك قد تقطع وتقلع ، وظل الظفر ضاف ، وسر السرور غير خاف ، والقدر عون والمعين قادر ، والنظر سعيد والسعد ناظر ، وأوجهنا وأوجه البشائر باشر ، وقد جئت أجفانها البواتر الواترة ، وجلت نياجير النقع من لمعان الحديد السواغر الوافرة ، واتصلت للممالك من الملائك أمداد النصره المتواترة المتواترة ، ووصلنا في يومين الى صيذاء الى منهل فتحها صابن ، وعن حمى الحق دونها لأهل الباطل صابن ، ولما نزلنا من الوعر الى السهل سهل ماتوعر ، وصفا من الامر ماظن أنه تكدر ، فصرنا الأعنة الى صرفند ، وأسمننا في مسارحها الجند ، وهي مينة لطيفة على الساحل ، مسورة المناهل ، ذات بساتين ، وأزهار ورياحين ، وأشجار النارنج والأترنج ، تعرب مسراتها لجناتها عن أشجان الفرنج ، فحسنا خلالها ، وكل قلب مشغول خلالها ، وراقتنا وشاقتنا تلك الحالة والحلية ، وقرتنا بما اشتبهنا من فواكهها تلك القرية ، ولم نخرج عليها حتى خيمنا على صيدا وقد حصلنا على صيدها ، وخلصنا من كيئها ، وانطلقت هممنا من قيئها ، فقد جاءت رسل صاحبها بمفاتيحها ، وانهبنا ظلماتها من العزائم الغر بمصاييحها وطلعت الراية الصفرأ باليد البيضاء على سورها ، وجلت غياهب تلك المذاهب بنوارها ، وفتحت أبوابها ، وأنجحت آرابها ، وعادت معالمها

مأهولة ، بعد أن كانت مقفرة مجهولة ، وصدق منبرها ، وصدق مفخرها ، وربع متجرها ، ووضع منظرها ، وأقيمت بها الجمعة والجماعة ، واستكثمت بها بعد العصيان لله الطاعة ،

فتح بيروت

وكان النزول عليها يوم الخميس ثاني
عشري جمادي الاول وتسلمها يوم الخميس
التاسع والعشرين منه

ولما فرغ من شغل صيياء وتبينين ، وجمع لهما التحصين والتحصين ، قال لعصمة الله شيدي مابصيدا وتبينين تبينين ، والفيهما رداء الحماية فما يضيغ ماتحفظلين ، ولايطرق ماتحمين ، ثم صرف عنانه ، وأرهف سناناه ، ورحل على سمت بيروت ، مالتا به سكره الأكام والمروت ، وسار على الساحل ، بتلك الجحافل ، يجر على البحر مائج ، ومجر مجرالى الهياج هائج ، ونقد من عقد الجد رائج ، وعزم على صدق القصد عائج ، ووصل إليها ونزل عليها ، وبنيت القباب ، وطفا على خضم المعسكر من الخيم الحباب ، وزحف الى الأعداء الاخاب ، وضويق البلد ، وفورق الجلد ، وأحاط الرجال بأرجائه ، ورجمت بشهب النصال شياطين الضلال في سمائه ، وانقضت نجوم السهام من أبراجه ، وتلاطم عباب ذلك الجمع الجم بأمواج أفواجه ، وترجل دونه الناس ، وتعجل نحوه لباس ، واصططقت التراس ، واشتد المراس ، واحتد القتال ، واحتدم النزال ، وامتد المصاع والمصال ، واتصل خروج الجروح للجروح ، ودام احتراق الروح على اقتراح القروح ، وممت الجفاتي ، كأنها أعناق البخاتي ، وأتى العاتي وعتا الآتي ، وأحمد النصر المواتي المواتسي ، ودارت كؤوس المنايا للأرواح بخنزي

وهاتي ، وطارت القوارير ، وثارت المساعير ، واشتعل
الذفت ، واشتغل الرهط ، والتهم الزارق والتهب الحراق ، ومرق
الشهم الكمي ، مروق السهم من الرمي ، وأتى الوادي فطم على
القرى ، ودبت الدبابة بليوث الرجال ، وصبت الصبابة غيوث
النبال ، وارتجزت رواعد الأبطال ، وأنجزت مواعد
الأجال ، وجالت في الضمائر ضوامر الأوجال ، وهالت بالذوازل
ذوازي الأهوال ، ورعدت بوارق البوار ، واسعدت
الأقدار ، بالأقدار ، وشغلت الرقاب ، قواضي القواضب ، وحملت
النواكب على المناكب ، وخفت للأثقال اكتاف الفتاك ، وهتكت
سسقائر السور — وهت أشراك الأشرار ، ونام
القتال أياها ، يتضاعف اصطلاء واصطلاها ، ويتظاهر اضطرابا
واضطرابا ، وبنات الحنايا هائجة ، وأمات المنايا ناتجة ، ورجمت
بشهب النفاطات شياطين اللابوة المربة ، وتعاوت الأسود
العادية ، على أولئك القرية ، حتى خرق الخندق وطرق ، وعلق
الذقاب بالسور فثقب وعلق ، وكاد النقب يتسع ، والبـرج
يقع ، والجدار ينقض ، والحجار بالحجار تنفض وترفض ، وسوار
السور ينكسر ، وقناع النقع لا ينحسر ، وخرج من البلد رجال ، الى
الموت عجال ، وقفوا دون الباشورة مبشرين ، ولعاشر أصحابنا
بمعاطة كؤوس المذون معاشرين ، فتلاقوا بسلام السلام ، وكلام
الكلام ، وتصافحوا بالصفائح ، وتجاروا بالجرائح ، وتواصلوا
بالقواطع ، وتعانقوا بالمقامع ، وتصارعوا على المصارع ، وتجلدوا
وتجادلوا وتواقحوا وتواقعوا وتعاقروا وتقارعوا ، والبيض
يقد ، والبيض تقد ، والباسل يرد ، والباس يرد ، والصقيل
الصادي يصدا بالدم ويروي ، وحزب الكفر يضعف وحزب الاسلام
يقوى ، ثم انحصروا في البلد ، وانحشروا على اللد ، وأضافهم
الرعب ، وضاق بهم الرحب ، وذلوا وخاروا ، وضلوا
وحاروا ، ولما خام المقاتلة وخذلوا ، ظن أهل بيروت ان المسلمين
نخلوا ، فأجفلوا الى البصر اذ عدوا سكينتهم ، ليركبوا
سفينتهم ، ويخلوا مدينتهم ، فخرج أحد المقدمين يستدعي
الامان ، ويستدعي الايمان ، ويطلب مثالا يعصمهم ، وذماما

بحرمهم ، وعهدا يسلمون به ويسلمهم ، وعقدا في عقد الامن ينظمهم ، وكنت يومئذ في مرض قد أزعجني وأعجزني ، ومضض أجفاني ولعين العواد أبرزني ، وانقطعت عن الحضور عند السلطان وضعت عن تحرير كتاب الامان ، فطلب السلطان كل كاتب في ديواني ، وكل من يمسك قلماً من أفاضل الملك وأعيانه ، فلم يرصه مآكده ، ولم يكفه مآرتبه فجاءني في تلك الحالة من استعلاء مني ومرضت انهان الأصحاء ولم يمرض نهني ، فتسلم بيروت بخطي وأصبحوا وأنا الأخذ والمعطي ، وكان الناس قد اندسوا بما أسطره وأزبره ، وأنسوا سوى ما أذكرك وأحبره ، وألقوا الصحة فيه فالفوه ، ولقوا السقم في غيره فانفوه ، فلم يكن في ذلك التوقيع تعويق ، بل كله بتوفيق من الله توثيق ، فما فتح الا بمفتاحه ، ولا رتق فتق الا بأصلاحه ، ولا جلي ظلام الا بأصباحه ، ولا وري زند الا بأقتداحه ، وكانت يومئذ جمره الحر متوهجة ، ووقدة القيط متأججة ، وضرم مرضي ملتهب ، وروح روحي منتهباً ، وبقيت مضطرباً ، ولقيت من ذلك الوصب نصيباً * وحصلت من الإقامة أو السفر على الخطر أو الضرر ، وتعذر المقام لعذر السقام ، واشتغلت عن الآء شغلي بالآلام ، وحملني اختلالي بنصبي ، على اخلالي بمنصبي ، وعزت علي مفارقة السلطان ، وهو باعزائي على مواصلة الاحسان ، فمضيت على مضض وانصرفت بمضرة ومرض ، وحملت الى دمشق في محفة ، وحصلت بفضل الله من طيب هـوائها بعد الأثقل ، بخفة ، ففضل الله بالشفاء ، وبذل الكدر بالصفاء ، وعدت الى السلطان يوم فتسح القدس ، وانتهت الوحشة الى الأندلس ، وتسلم السلطان بيروت يوم الخميس التاسع والعشرين من جمادى الاولى مطاع الأمر ، مذاق السر في تضوع النثر * وتوضح البشر ، مستفيض الزيادة ، ناجح الارابة ، راجح العبابة ، رابح المتجر ، واضح المقهر ، قد شب غرب الهدى ، وجب غارب العدى واستجدي من من الله منجا ، واستجد باستفتاحه فتحاً ، واستفاد ملكاً ، واستزاد ملكاً ، وبر بيروت اذ برت ، وحفلت له اخلاف

الفتوحات قدرت • واستمرى صوب من عزائمه وصرائفه
فاستمرت .

فتح جبيل

يوم الثلاثاء سابع عشري جمادى الاولى

ووصل كتاب الصفي ابن القاىض . وهو يومئذ قد فوضت منه
دمشق الى الكافي الناهض . يتضمن ان اوك صاحب جبيل اسر اليه
في اسره . واستشاره في امره . وقال له ان قنع مني بتسليم جبيل
سلمت وسلمت . وابعتها لكم وتحرمت . واخرجتها من عصمتي
وخرجت واعتصمت . فانا اطلقها ان اطلقت . وازيلها من وثاقي
اذا وثقت . فأجيب باحترازه من كيد . واحضاره في
قيد . فأحضر في صافيه وسامع ببلده . فخلص ناجيا وملص
راجيا . وملكت مدينة جبيل وجرت عليها الفتح النيل . ونحن
يومئذ على بيروت حاضرون حاصرون . ولاعداء الله مصابرون
مكابرون . وكان معظم اهل صيدا وبيروت وجبيل
مسلمين . مساكن لساكنة الفرنج مستسلمين . فناقوا العزة بعد
الذلة وفاقوا الكثرة بعد القلة . وصدقت البشائر . وصبحت
المنابر . وترنمت المحاريب . وترنعت المطاريب . وتليت
الآيات . وجلت الفيايات . وخربت الكنائس . وعمرت المدارس
وظهر غيب البيع . وشهر جمع اجمع . وقرى القران . واستشاط
الشیطان . ونطقت الاعواد . وحقت الاعياد . وخرست
النواقيس . وبطلت النواميس . ورفع المسلمون رؤوسهم وعرفوا
ذفوسهم . وانتعشوا من شكاة عثارهم . وانتفشوا من شوكة
عارهم . وقروا في يارهم . وقروا ابصار بانصارهم . وكان كل
من استامن من الكفار . يمضي الى صدور محمي الذمار . وصارت

صور عش غشهم . ووكر مكرهم . وملجأ طريدهم . ومنجأ شريدهم . ومأمن خاشيهم . وممكن عاشيهم . وهي التي فر القومص اليها يوم كسرتهم . بل يوم حسرتهم .

ذكر هلاك القومص وبخول المركيس الى صور

ولما عرف القومص قرب السلطان منها اخلاها وخلها . وأوى الى طرابلس وتوأن . فما متع بما ملك . وكان مما قيل :

راح يبغي نجوة من هلاك فهلك

فما انجاه الفرار من القضاء . وفر من البلاء الى بلاءه فوقع في البلاء . وظن ان صبور خلت . وان مجانيها حلت . وان جماعها اذعن . وان كفاحها امكن . وان فرصتها انتهزت . وان حصتها احرزت . وان قيادها اطاع . وان مرتادها استطاع لكنها تعرضت عن القومص بالمركيس . كما يتعوض عن الشيطان بابليلس . فادرك نماء الكفر بعدما اشفى . وايقظ روع الروح بعدما اغفى . وضبط صور بمن فيها . من مهزموي الفرنج وبمذهبيها . وكان المركيس من اكبر طواغيت الكفر واغوى شياطينه . واضرى سراحينه . واخذث نثابه . وانجس كلابه . وانهش ضلاله . وافحش ضلاله . واعوى اعوانه . واخون اخوانه . وابغى بغاته . واجفى جفاته . وأرعى حماته . واحمى رعاته . وشر شراره . وانكر نكاره . وافجر فجاره . وأروغ ثماله . والسبب عقابيه . واخذث معاصيه . وانكث معاقبيه . وهو الطاغية الناهية . التي خلقت له ولأمثاله الهاوية . ولم يكن وصل الى بلاد الساحل قبل هذا العام . ولا خلف مقسدي الكفر غيره في الاقدام على خلاف الاسلام . واتفق وصوله الى ميناء عكا وهو يفتحها جاهل . وعمن فيها من المسلمين ناهل . فعزم على ارساء الشيني بالمينا . ثم

تعجب وقال ما نرى احدا من اهلها يلتقينا . ورأى نبي الناس غير
الذي الذي يعرفه . فارتاب وارتاع وحدث عن النحول توقفه . وبان
تقدمه . وتأخر تقدمه . وسأل عن الحال فأخبر بها . ففكر في النجاة
وكيف يتعلق بسببها . ثم وقف بالقرب . فلبث على الرعب . والهواء
راكد . والقضاء عنه راقد . فانه لو خرج اليه مركب لآخذه . ولو
وقف له قاصد لوقفه . فاحتال كيف يخرج بسفينته . ولا يذهل مع
فقد سكينته . وانتظر هبوب الريح الموافقة له فلم تهب . وما تم له
الافلات على ما حب . فسأل عن البلد ومن إليه أمره . ومن بيده
ذفعه وضره . فقيل هو الملك الافضل . والمالك الاكمل . فقال خذوا
لي منه امانا حتى أدخل . وارفع اليكم ما معي من المتاع
وانقل . فجاء اليه بالامان . وقيل هذا بعلامة السلطان . فقال ما
اذق الا بخط يده . ولا اذل الا بعهد الى بلده . فما زال يريد
الرسال . ويدير الحيل . حتى وافقته الريح فاقطع . وافلت من
الشرك بعدما وقع . وصار في صوور . فزعم الامور . وأجزم
الجمهور . وجرا الكفر بعد خوره . وبصر الشيطان بعد عماء
وعوره . فاستعلى بالخزي . واستولى بالقلي والبغي . وارسل
رسله الى الجزائر . وذوي الجزائر . يستعدي ويستدعي .
ويستودع ملة الصليب عباده ويستترعي .
ويستثير . ويستزير . ويستنفر . ويستنصر . وثبت في صوور
ونبت . وجمع اليه من الفرنج من تشقت . وما فتح بلد بالامان . الا
سار اهل في حفظ السلطان . حتى يصيروا في صوور . ويأمنوا
المحذور . فاجتمع اليها اهل البلاد المفتوحة . بالقلوب المدفلة
المقروحة . فامتلات وكانت خالية . وانتشأت وكانت بالية . وتعللت
وكانت معتلة . وتعقبت وكانت منحلة . وتسننت وكانت
مختلة . ولم يحتفل بها فأخر فتحها . وما ظن بها الضن حتى علم
شحها . فاستجدت رمقا بالمهلة . وتصبعت بعد مقاباتها السهلة .
ففضى امهالها باهمالها . وعانت عيونها الى الاغفاء
باغفالها . والهي عن طلبها طلب ما هو اشرف . والعزم بفتحها
اشغف . وهو البيت المقدس . فان فتحه من كل فتح
انفس . والمركيس في أثناء ذلك يحفر الخندق ويحكمه . ويعقد

المؤلفة ويبرمه . ويجمع المفرق وينظمه . وسنذكر ما تجسد منه في أوقاته . وما فات من فرصة الامكان في دفع آفاته .

ذكر فتح عسقلان وغزة والداروم والمعاقل التي يأتي ذكرها

وكان النزول على عسقلان يوم الاحد السادس عشر من جمادى الآخرة، ولما فرغ السلطان من فتح بيروت وجبيل . شئ عثانه يجبر ويجري من العسكر والعشير على السماء والارض الخيل والسيل . وعاد عابرا على صيدا وصرفند . وقد اوى فيهما باقتداح اقتراحه الزند . وجاء الى صور ناظرا اليها وعابرا عليها . غير مكثرت بأمرها . ولا متحدث في حصرها . ولا معتقد في تعديها . ولا متأكد في توربها . وعلم ايضا انها معتقة . وعن سوعها مرتفعة . فعمل بالحزم وعمد الى العزم . ودلته الفراسة على ان محاولتها تصعب . ومزاولتها تتعب . وليس يالساحل بلد منها أحسن . فعطف الأعتة الى ما هو منها أهون . وكان قد استحضر مالك الفرنج ومقدم الداوية . وشرط معهما واستوثق منهما انه يطلقهما من الاسر والبليّة . متى تمكن بإعانتها من البلاد البقية . وعبر والعيون صور الى صور . والمركيس ما شك انه بها محصور محصور . فلما أرخى من وثاقه . واتسع ضيق خناقها . حلق في مطار اوطاره . وحرك لفواته أوتار أوتاره . واجتمع السلطان بأخيه الملك العادل . واتفقا على طي المراحل ونشر القساطل . وحل معاقد المعاقل . وسئل قواصم القواصل . ونزل عسقلان . وشنيدها قد لان . وقد آتاها الله الخذلان . فتجلد من بها على الحصار . وتخوفت أسوئها الخادرة من الاصغار . وتربصوا وتصبروا . وتترسوا وتستروا . وحاصوا وصاحبوا . وحانوا ونادوا . واباسوا واسبلوا . وأغلوا مما عليه عولوا . وشبوا وشابوا . وخبوا وخابوا . لكنهم استقبلوا الموت

واسدقتلوا . وتعقدوا على الفتح وماتحللوا . واحزنوا في الالباء وما
اسهلوا . وجهدوا وجهلوا . فاقام السلطان عليها مجانيق مجت
نيقها . وفرجت بالحجار طسريقها . ورججت بالتفريق
فريقها . ووسعت بالتضييق ضيقها . واضعفت بالتوثيق
وثوقها . وجمع شمل الحجارة ب (النار التي وقودها الناس
والحجارة) (البقرة ٢٤) ولفحتهم نيرانها وتوالت عليهم بعد
الشرارة . وخربت منهم العمارة . ووجبت بالجسارة منا لهم
الخرارة . وتهدمت الصخور بالصخور . ولزم عيث بورهم
بالثبور . وجسر النقاب فحسر النقاب . وياشر الباشورة فرفع
الحجاب . واشتد القتال . واحتد المصال . وراسلهم عند ذلك الملك
الماصور . وقال قد بان عنركم حين نقب السور . وجرت
حالات . وتكررت حوالات . وتردت رسالات . وقال لهم الملك
الاسير . لا تخالفوا ما به اشير . واطيعوني ما
استطعتم . واسمعوا مني اذا سمعتم . واحفظوا رأسي فهو رأس
مالك . وحلية حالكم . ولا تخطروا غيري ببالك . فاني اذا
تخلصت خلصت . واذا استدفنت استدفنت . وخرج . مقدمون
وشاوروا الملك . ونهجوا في التسليم نهجا سلك . وسلموا عسقلان
على خروجهم بأموالهم سالين . واستوفوا بذلك الميثاق
واليمين . وذلك يوم السبت لانسلاخ جمادى الآخرة . وتلالات
السعود في اوجها بالاوجه السافرة . ومن استشهد على عسقلان
من الامراء الكبراء ابراهيم بن حسين المهراني وهو اول امير افتتح
بالشهانة . واختتم بالسعانة . وكان السلطان قد اخذ في طريقه
اليها: الرملة، وبيت لحم، والخليل . واقام بها حتى تسلم
حصون الداوية: غزة، وانطرون، وبيت جبريل . وكان قد استصحب
معه مقدم الداوية وشرط معه انه متى سلم معاقلم اطلقه . فسلم
هذه المواضع الوثيقة لما اخذ موثقه . واجتمع بالسلطان ولده
صاحب مصر الملك العزيز عثمان . على عسقلان . بشارة
وبشارة . وراية وآية . وهياة وهيبة . وثرة وثروه . وهزة وعده .
وجدة وجده . وشد وشدة . وحد وحدة . وضوغة . وروعه . ونخوه .
وسطوه . وصوت وصيت . ومصاعيب ومصاليت . ومساعير .

ومغاوير . وبهم . ونهم . وشهب وكمت وصلاب وصلاد . وانجاب
وانجاد . وجلب ولجب * وببض ويلب . وببض وسود واسود
وسود . وجرد . ومرد . وكهول . وفحول . ورقاق . وعقاق .
وقود . واطلاب وابطال . وفوارس . ورجال . وخفاف
وثقال . وعراب واعاريب . وسراحين وسراحيب . وحدلا يكل .
وجد لا يمل . وجمر يتقى . وجمع لا يلتقي . ومعه رماة الاحداق
كماة الاتراك . وهداة التوحيد عداة الاشراك . فقترت عينه
بولده . واعتضد بعضده . ووضع يده بتأييد الله . في يده . وكان قد
استدعى الاساطيل المنصورة فوافقت كالفتح الكواسر . بالفلك
المواخر . وجاءت كأنها امواج تلاطم امواج . وافواجا تزاحم
افواجا . تدب على البحر عقاريها . وتخشب كقطع الليل
سحائبها . وتجر بالذوايل ذوائبها . وتزاحم مناكب الاطواد
مناكبها . والحاجب لؤلؤ مقدمها ومقدمها * وضرغام غابها
وهمامها * فطاف يكسر ويكسب ويسل ويسلب . ويقطع الطريق
على سفن العدو ومراكبه . ويقف له في جزائر البحر على
مناهبه . وسيأتي ذكر ذلك في موضعه . ويظهر في وقائعه حسن
موقعه .

فتح بيت الله المقدس

ثم رحل من عسقلان للقدس طالبا . وبالعزم غالبا . وللنصر
مصاحبا ولليل العز ساحبا . قد اصحب ريش مناه . واخصب
روض غناه . واصبح رائج الرجاء . أرج الارزاء سيب العرف .
طيب العرف . ظاهر اليد . قاهر الايد . سني عسكره قد فاض
بالفضاء فضاء . وملا الملا فافاض الالاء . وقد بسط عتير فيلقه
ملامته على الفلق . وكأنما اعاد العجاح واد الضحى جنح
الفسق . فالارض شاكية من اجحاف الجحافل * والسماء حاذية
بأقساط القساطل * وسار سارا بالاحوال الحوالي . مروية

احايث فتوحه العوالي من العوالي . مطوية مدارج مناخجة على
ما تنشره الامال من الامالي . وقد حلت وعلت من مغارس النصر
ومطالعة المجاني والمجالي . والاسلام يخطب من القدس
عروسا . ويبذلها في المهر نفوسا ويحمل اليها نعي ليحمل عنها
بوسي . ويهدي بشرا .

ليذهب عبوسا . ويسمع صرخة الصخرة المستدعية المستعينة
لاعدادها على اعدائها . واجابة دعائها . وتلبية نداءها . واطلاع
زهر المصاييح في سمائها . واعادة الايمان الغريب منها الى
وطنه . ورده الى سكونه وسكته . واقصاء الذين اقصاهم الله
يلعنه من الاقصى . وجنب قياد فتحه الذي استعصى . واسكات
الناقوس منه بانطاق الانان . وكف كفا الكفر عنه بايمان
الايمان . وتطهيره من نجاس تلك الاجناس . وانفاس انبي
الناس . وافحام الافهام باخراس الاجراس . وطار الخبر الى
القدس فطارت قلوب من به رعبا وطاشت . وخفقت افئدتهم خوفا
من جيش الاسلام وجاشت . وتمنت الفرنج لما شاعت الاخبار انها
ما عاشت . وكان به من مقدمي الفرنج باليان بن بارزان والبطرك
الاعظم . ومن كلا الطائفتين الاسبتارية والداوية المقدم . فاشتغل
بال باليان . واشتغل بالنيران . وخمدت نار بطر البطرك . وضاعت
بالقوم منازلهم فكان كل نار منها شرك للمشرك . وقاموا بالتبشير في
مقام الادبار . وتقسمت افكار الكفار . وايس الفرنج من
الفرج . واجمعوا على بذل المهج .

ذكر كنيسة قمامة

وقالوا ههنا نطرح الرؤوس . ونسبك النفوس . ونسبك
الدما . ونهلك النعماء . ونصبر على اقتراح القروح واقتراح
الجروح . ونسبح بالارواح شحا بمحل الروح . فهذه قمامتنا فيها
مقامتنا . ومنها قيامتنا . وتصحيح همامتنا . وتصحيح

ندامتنا . وتسبح علامتنا . وتسبح عماقتنا . وبها غرامنا . وعليها
غرامتنا . وبأكرامها كرامتنا . وبسلامتها سلامتنا . وباستقامتها
استقامتنا . وفي استدامتها استدامتنا . وإن تخلينا عنها لزمنا
لامتنا . ووجبت ملامتنا . ففيها المصلب والمطلب . والمذبح
والمقرب . والمجمع والمعبد . والمهيكل والمصعد . والمرقي
والمرقب . والمشرب والملعب . والموهب والمنهب . والمطلع
والمقطع . والمريى والمربيع . والمرخيم والمخرم . والمحلل
والمحرم . والصور والاشكال . والانظار والامثال . والاساد
والاشبال . والاشباه والاشباح . والاعمدة والالواح . والاجسام
والارواح . وفيها صور الدواب في حوارهم . والاحبار في
احبارهم . والزهاد في صوامعهم . والاقساء في
مجامعهم . والسحرة وحبالها . والكهنة وخیالها . ومثال السيدة
والسيد . والهيكل والمولد . والمائدة والصوت . والمنعوت
والمثبوت . والتلميذ والمعلم . والمهد والصبي المتكلم . وصورة
الكبش والعمار . والجنة والنار . والنواويس . والنواميس . قالوا:
وفيها صلب المسيح . وقرب النبيح . وتجسد اللاهوت . وتاله
الناسوت . واستقام التركيب . وقام الصليب . ونزل النور . وزال
اليجور . وازدوجت الطبيعة بالاقنوم . وامتزج الوجود
بالمعوم . وعمدت معسوبة المعبود . ومخضت البتول
بالمولود . وأضافوا الى متعبيهم من هذه الضلالات . ما ضلوا فيه
بالشبه عن نهج الدلالات . وقالوا دون مقبرة ربنا نموت . وعلى
خوف فوتها منا نفوت . وعننا ندافع . وعليها نقارع . وما لنا لا
نقاتل . وكيف لاننازع ولا ننازل . ولاي معنى نتركهم حتى يأخذوا .
وندعهم حتى يستخلصوا ما استخلصناه منهم ويستذلوا . وتأهبوا
وتباهوا . وما انتهبوا بل قناهوا . ونصبوا المجانيق امام الاسواء
على الاسوار . وسبوا بظلمات الستائر وجوه
الانوار . واستشاطت شياطينهم . وسرحت سراحينهم وطلعت
طواغيتهم . واصلقت مصاليتهم . ونشرت طواميرهم . وتسعرت
مساغيرهم . وهاج هائجهم . وهاج مائجهم . ودعت
دواعيهم . ودعت عواذيتهم . وسعت افاعيهم . وحضت

قسوسهم . وحرضتهم رؤوسهم . وحركتهم نفوسهم . وجاءتهم
بجوى السوء جواسيسهم . واخبرتهم باقبال العساكر الناصرية
منصورة الجنود . منشورة البنود . موصولة القواطع بالاشاجع
مهجورة القمود . مشهورة القواضب . مشهونة الكتائب . مقونة
الضوامر الى نار العدى . موقفة الضمائر بنار الهدى . مشبوبة
العزائم . مجنونة الصلادم . مسالولة الظبا . مطلولة
الريا . مجنوبة اجنة اغماها . مسنونة اسنة صعاها . مطلقة
اعنة جياها . محققة مظنة طراها . قد سالت الوهاد
باكامها . وجالت الاعلام في اعلامها . وسدت الفجاج
امواجها . وحجبت الغزالة عقبانها . والهبت الذبالة
خرسانها . وجرت بالجبال رياحا . وجرت كالجبال رماحا
واشتمل على الضراغم غيلها . واقبل بالعظائم قبيلها . وواى كل
واف بعهد ربه . كاف لكف خطبه . شاف لهم قلبه . ضاف بفيض
شربه . خاف في لبوسه . باسل بياسه . غاسل يامراسه . ناسل
بنت القعد من جفنه . غاسل نبت الحد بدم قرنه . واصل بيض الهند
بسواعه . فاصل خطاب الخطوب ببوارقه ورواعه حاد بجده . جاد
بحده . وكل شاب لنار الحرب شاب . ورب دين لدين الرب
راب . وكل جيش كالبحر عباب . وكل سال ذي ذباب عن الهدى
ذاب . وكل قاتل بالآخرة للحياة الدنيا قال . سائل من الله الشهادة
عن حب البقاء سال . مائل في سبيل الله الى انفاق مال . واقبل
السلطان باقبال سلطانه . وابطل شجعانه . واقبال اولاده
واخوانه . واشبال مماليكه وغلमानه . وكرام امرائه . وعظام
اوليائه . في مقانب بالمناقب مقببه . وكتائب بالمواكب
مكتبة . وذوايل بالكواكب منصله . وجعاقل بمضاء المضارب
مدفله . والوية صفر للآواء بني الاصفر . ويبض وسمر تزرق زرق
العدا من الموت الاحمر . وقباب وقبائل . وقتا وقتابل . وصوافن
صواهل . وعوامل وعواسل . وفوارس فوارس . وكل من يبذل
لأشبح بينه النفوس والنفائس . واصبح يسأل عن الاقصى وطريقه
الادنى . وفريقه الاسنى . يذكر مايفتح الله عليه بحسن فتحه من
الحسنى .

وصف البيت المقدس

وقال ان اسعدنا من الله على اخراج اعدائه من بيته المقدس فما اسعدنا . واي يد له عندنا اذا ايننا . فانه مكث في يد الكفر احدى وتسعين سنة . لم يتقبل الله فيه من عابده حسنه . وبامت همم الملوك دونه متوسنة . وخلت القرون عنه متخلية . وحات الفرنج به متولية . فما امخر الله فضيلة فتحه . الا لال ايوب . ليجمع لهم بالقبول القلوب . وخص به عصر الامام الناصر لدين الله ليفضله به على الاعصار . ولتفخر به مصر وعسكرها على سائر الامصار . وكيف لا يهتم بافتتاح البيت المقدس الاقوى . والمسجد الاقصى المؤسس على التقوى . وهو مقام الانبياء . وموقف الاولياء . ومعبد الاتقياء ومزار ابدال الارض وملائكة السماء . ومنه المعشر والمذشر . ويتوافد اليه من اولياء الله بعد المعشر . وفيه الصخرة التي صينت جنة ابهاجها من الانهاج . ومنها منهاج المعراج . ولها القبة الشماء التي على رأسها كالتاج . وفيه ومض البارق ومضى البراق واخضعت ليلة الاسراء يهلول السراج المنير فيه الافاق . ومن ابوابه باب الرحمة الذي يستوجب داخله الى الجنة بالنزول الخلود . وفيه كرسي سليمان ومحراب داود . وله عين سلوان التي تمثل لوازيها من الكوثر الحوض المورد . وهو اول القبلتين . وثاني البيتين . وثالث الحرمين . وهو احد المساجد الثلاثة التي جاء في الخبر النبوي انها تشد اليها الرحال . ويعقد الرجاء بها الرجال . ولعل الله يعيده بنا الى احسن صوره . كما شرفه بذكره مع اشرف خلقه في اول سورة . وقال عز من قائل : « سبحان الذي اسرى عبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى » . وله فضائل ومناقب لا تحصى . واليه ومنه كان الاسراء . ولارضه فتحت السماء . وعنه تدثر انبياء الانبياء والاء الاولياء . ومشاهد الشهداء . وكرامات الكرماء . وعلامات العلماء . وفيه مبارك المبار . ومسارح المسار . وصخرته الطولى . القبلة الاولى . ومنها

تعالى القدم النبوية . وتوالت البركة العلوية . وعندها صلى نبينا
صلى الله عليه وسلم بالتبيين . وصحب الروح الامين . وصعد منها
الى اعلى عليين . وفيه محراب مريم عليها السلام الذي قال الله
فيه : « كلما دخل عليها زكريا » . ولنهاره التعبد ولليله
الحيا . وهو الذي اسسه داود واوصى ببناؤه سليمان . ولاجل
اجلاله انزل الله « سبحان » . وهو الذي افتتحه الفاروق وافتتحت به
سورة من الفرقان . فما اجله واعظمه . واشرفه وافضه . واعلاه
واجلاه . واسماه واسناه . وايمين بركاته وابرك ميامنه . واحسن
حالاته واحلى محاسنه . وازين مباهجه وابهج مزايينه . وقد اظهر
الله طوله وطوله . يقول : « الذي باركنا حوله » . وكم فيه من الآيات
التي اراها الله نبيه . وجعل مسموعنا من فضائله مرثية . ووصف
السلطان من خصائصه ومزاياه . ما وثق على استعانة الاله
مواثيقه والاياه . واقسم لا يبرح حتى يبر قسمه . ويرفع بأعلاه
علمه . وتخطو الى زيارة موضع القدم النبوية قدمه . ويصفي الى
صرخة الصخرة . ويبغي بالبشرى بشر اسرة الاسرة . وسار واثقا
بكمال النصرة وزوال العسرة . وحسر الفرنج قناع العسرة . ونزل
على غربي القدس يوم الاحد خامس عشر رجب . وقلب الكفر قد
وجب . وحزب الشرك قد شارف الشجى والشجب . والقدر قد
اظهر العجب . وكان في القدس حينئذ من الفرنج ستون الف
مقاتل . من سائف ونابل . وبطل للباطل . وعاس عاسل
بالعاسل . قد وقفوا دون البلد يبارزون ويحاجزون . ويعاجزون
ويناجزون . ويرمون ويدمون . ويحمونه ويحمون . ويحتدون
ويحتدمون ويضطربون ويضطرمون . ويذودون ويذبون . ويشدون
ويسبون . ويصرخون ويحرضون . ويلهثون ويتفوثون . ويلوذون
ويلوبون . ويجولون ويجوبون . ويقدمون ويحجمون . ويتعلمون
ويألمون . ويتعاولون . ويتضاعون ويحترقون للبلايا . ويقترحون
المنايا . وقاتلوا اشد قتال . وناضلوا اشد نضال . ونازلوا اجد
نزال . وطاقوا بصحاف الصفا . لارواء الظبا الظماء من ماء
الارواح . وجالوا بالاولجال . واجالوا قناع الاجال . وصالوا لقطع

الاوصال . والتهموا . والتهبوا . وتأشبوا ونشبوا . واستهدفوا
للسهام . واستوقفوا للحمام . وقالوا كل واحد منا بعشرين . وكل
عشرين بمئتين . ودون القمامة تقوم القيامة . ولحب سلامتها تقلى
السلامة . ودامت الحرب . واستمر الطعن والضرب . فانتقل
السلطان يوم الجمعة العشرين من رجب الى الجانب الشمالي وخيم
هناك . وضيق على الفرنج المسالك . ووسع عليهم المهالك ونصب
المجانيق . ومري من أفاتها الافاويق . واصرخ الصخرة
بالمصخور . وحشر حشر السوء منهم وراء السور . فعا عادوا
يخرجون من السور الرؤوس . الا ويلقون البوس . واليوم
العبوس . ويلقون على الردى الذفوس . فللداوية دوي . وللبارونية
من البوار في الهاوية هوى . وللاستبار تبار . وما للفريرية من
الموت فرار . وما بين الحجار الحلقة وبين المرمى اليهم
حجاب . وفي كل قلب من الفتتين من نار حرصه التهاب . اذ الوجوه
لقبل الاتصال مكشوفة . والقلوب للوجد بالقتال ملهوفة . والايدي
على قوائم السيوف المفتوحة مضمومة . والذفوس لاستبطاء الهمم
في الاهتمام مهمومة . وقواعد السور ونواجز شراريفه بالاحجار
الخارجة من الكفات مهدومة مهتومة . فكائن المجانيق مجانين
يرامون . ومناجيد لا يرامون . وجبال تجذبها حبال . ورجال
تنجدها رجال . وأمات الدواهي والنايا . وحوامل تلد البلايا . لا
حجر عليها في حجر . ولا أمن عندها من حذر . ولا تخطر سهامها
الا بالخطر . ولا خطر مرورها الا مرارات ذوي الفطر . فكم نجم
من سمائها ينقض . وصخر من أرضها يرفض . وجمر من شرارها
ينفض . وما شيء كآفات كفاتها . وآيات نكاياتها . وركات
ادراكاتها . ولفتات فلتاتها وجذبات عذباتها . فما زالت تقلع
بمقالعها . وتقرع بمقارعها وتمتج بأشطانها . وتمرح في
ارسانها . وتصدم . وتهدم . وتصرع . وتصعد . وتهز
ببلائها . وتجهز ببلائها . وتحصل تركيب الجلاميد بأفراد
جلاميدها . وتقل شمل المباني بتفريقها وتبديدتها وتقوض القواعد
بضربها من اساهها . وتنقض المعاهد بجذبها في أمراسها . وتشفه

الموارد بشر بها من كاسها . حتى تركت السور سورا . وجعلت
الذباب عنه محسورا . وعاد العدو من نظمه المبتور مبتورا . وخرق
الخنديق وحفر الزحف . وظهر للاسلام الفتح وللکفر الحذف . واخذ
اللقب . وسهل الصعب . وبذل المجهود . وحصل المقصود . وكمل
المراد . وكلم المراد . وثغر الثغر . وامر الامر . وأرپى
الأرب . واستتب السبب وخاف القوم الوقم . واستعاضوا من
الصحة السقم . واسلم البلد وقطع زنا رخندقه . وبرز ابن بارزان
ليأمن من السلطان بموثقه . وطلب الامان لقومه . وتمنع السلطان
وتسامى في سومه . وقال لا أمن لكم ولا أمان . وما هو الا أن نديم
لكم الهوان . وغدا نملككم قسرا . ونوسعكم قتلا . ونسفك من
الرجال الدماء . ونسلط على الذرية والنساء السباء . وابى في
تأمينهم الا الاءاء . فتعرضوا للتضرع . وتخوفوا وعاقبة
التسرع وقالوا انا ايسنا من امانكم . وخفنا من سلطانكم . وخينا
من احسانكم . وايقنا ان لا نجاة ولا نجاح . ولا صلح ولا
صلاح . ولا سلم ولا سلامة . ولا نعمة ولا كرامة . فانا نستقتل
فندقا قاتل الدم . ونقابل الوجود بالعدم . ونقدم اقدام المستشري
بالشر . ونفتحم اقتحام المستشري من الضر . ونلقي انفسنا على
النار . ولا نلقي بأيدينا الى التهلكة والعار . ولا يجرح واحد منا
حتى يجرح عشرة . ولا تضمنا يد الفتك حتى ترى ايدينا بالفتك
منذشرة . وانا نهرق الدروب ونخرب القبة . ونترك عليكم في سبينا
السبه . ونقلع الصخرة . ونوجدكم عليها الحسرة . ونقتل كل من
عندنا من اسارى المسلمين وهم الوف . وقد عرف ان كلامنا من
الذل عزوف وللعز الوف . واما الاموال فإنا نعطبها ولا
نعطيها . واما الذراري فانا نسارع الى اعدامها ولا
نستطيعها . فاية فائدة لكم في هذا الشح وكل خسر لكم في هذا
الربح . ورب خيبة جاءت من رجاء النجح . ولا يصلح السوء سوى
الصلح . ورب مدلج اضله ظلام الليل قبل اسفار الصبح . فعقد
السلطان محضرا للمشورة . واحضر كبراء عساكره
المنصورة . وشاورهم في الامر . وهاورهم في السر

والجهر . واستطلع خبايا ضمائرهم . واستكشف خفايا
سرائرهم . واستورى زندهم . واستعلم ما عندهم . وراوضهم
على المصلحة المترجحة . وفاوضهم في المصلحة المربحة . وقال أن
الفرصة قد امكتت فنحرص في انتهازها . وأن الحصة قد حصلت
ونستخير الله في احرازها . وأن فاتت لاستدرك . وأن افلتت لا
تملك . فقالوا قد خصصك الله بالسعاية . واخلصك لهذه
العبادة . ورايك حاشد . وكلنا لك في اغتنام هذا الموضوع
الشريف مناشد . واستقر بعد مرادوات ومعاودات . ومفاوضات
وتفويضات وضراعات من القوم وشفاعات . على قطيعة تكمل بها
الفبطة . وتحصل منها الحوطة اشتروا بها منا انفسهم وأموالهم
وخلصوا بها رجالهم ونساءهم وأطفالهم . على انه من اعجز بعد
اربعين يوما عما لزمه . أو امتنع منه وما سلمه . ضرب عليه
الرق . وثبت في تملكه لنا الحق . وهو عن كل رجل عشرة ننانير
وكل امرأة خمسة وكل صغير أو صغيرة ديناران . وبخل ابن
بارزان والبطرك ومقدا الداوية والاسبتار في الضمان . وبذل ابن
بارزان ثلاثين الف دينار عن الفقراء . وقام ابالاداء ولم يذكل عن
الوفاء . فمن سلم خرح من بيتسه أمنا . ولم يعد اليه
ساكنا . وسلموا البلد يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب على
هذه القطيعة . وردوه بالرغم رد الغصب لا الوديعة . وكان فيه أكثر
من مائة الف انسان . من رجال ونساء وصبيان . فأغلقت دونهم
الابواب . ورتب لعرضهم واستخراج ما يلزمهم النواب . ووكل بكل
باب أمير . ومقدم كبير . يحصر الخارجين ويحصى الوالجين فمن
استخرج منه خرج . ومن لم يقم بما عليه قعد في الحبس وعدم
الفرج . ولو حفظ هذا المال حق حفظه . لفاز منه بيت المال بأوفر
حظه . لكنما تم التفریط . وعم التخليط . فكل من رشا مش .
وتدبى الامناء نهج الرشد بالرشا . فمنهم من ادلى من السور
بالحيال . ومنهم من حمل مخفيا في الرجال . ومنهم من غيرت
لبسته فخرج بزى الجند . ومنهم من وقعت فيه شفاعة مطاعة لم
تقابل بالرد . وكانت في القدس ملكة رومية مترهبة . في عبادة

الصليب متصلية . وعلى مصايها به متلهية . وفي التمسك بملتها
متعصبة . انفاسها متصاعدة للحنن . وعبراتها منحدره تحدر
القطرات من المزن ولها حال ومال واشياء واشياع ومتاع
واتباع . فمن عليها السلطان وعلى كل من معها بالافراج . وانن في
اخراج كل مالها في الاكياس والاخراج . فراحت فرحى . وان كانت
من شجنها فرحى . وكانت زوجة الملك المأسور ابنة الملك
اماري . مقيمة في جوار القدس . مع مالها من الخدم والخدم
والجواني . فخلصت هي بمن معها ومن تبعها . ومن ادعى انه
ممن صحبها وشيعها . وكذلك الابرنساسة ابنة فليب ام هذفري
اعفيت من الوزن . وتوفر مالها عليها في الخزن . واستطلق صاحب
البيرة زهاء خمسمائة ارمني ذكر انهم من بلده . وان الواصل منهم
الى القدس لاجل متعبيه . وطلب مظفر الدين بن علي كوجك زهاء
الف ارمني ادعى انهم من الرها . فأجراه السلطان من اطلاقهم له
على ما اشتهى . وكان السلطان قد رتب عنة دواوين . في كل ديوان
منها عنة من الذواب من المصريين ومنهم من الشاميين . فمن اخذ
من أحد الدواوين خطا بالاداء انطلق مع الطلقاء . بعد عرض خطه
على من بالباب من الامناء والوكلاء . فذكر لي من لا اشك في
مقاله . انه كان يحضر في الديوان ويطلع على حاله . فربما كتبوا
خطا لمن نقده في كيسهم . ويلبس امر تلبيسهم . فكانوا شركاء بيت
المال لا امناء . وخاذوه على ما حصل لكل من الغنى والنفع وبقي من
بقي تحت رق واسار . ينتظر به انقضاء المدة المضروبة . والعجز
عن الوفاء بالقطيعة المطلوبة .

ذكر يوم الفتح وهو سابع عشرين رجب

واتفق فتش البيت المقدس في يوم كان في مثل لياته منه
المعراج . وتم بما وضع من منهاج النصر الابتهاج . وزاد من
الاسنة بالدعاء والابتهاج . وجلس السلطان للهناء . للقاء
الاكابر والامراء والمتصوفة والعلماء . وهو جالس على هيئة

التواضع وهيبة الوقار . بين الفقهاء وأهل العلم جلسائه
الأبرار . ووجهه ينور البشر سافر . وأمله بعز النجح ظافر . وبابه
مفتوح ورفده ممنوح . وحجابه مرفوع وخطابه مسموع . ونشاطه
مقبل . ومحياء يلوح . ورياء يفوح . ومحبتة تروق ومهابته
تروع . وأفاقه تضيء ، وأخلاقه تضروع . ويده اغيض أمواء
السقاء . وفض أفواه العطاء . ظاهرها قبلة القبل . وباطنها كعبة
الامل . قد حلت له حالة الظفر . وكأن دسسته به هالة
القمر . والقراء جلوس يقرأون ويرشدون . والشعراء وقوف
ينشدون وينشدون . والأعلام تبرز لتدثر . والأقلام تبرز
لتبشر . والعيون من فرط المسرة تدمع . والقلوب للفرح بالنصرة
تخشع . والاسنة بالابتهاال بالله تضرع . والكاتب يذني ويوشي
ويوشع . والبليغ يسهب ويوجز ويضيق ويوسع . فما شبهت قلبي
الا بإشائر أري الإشائر . ولا وجهت كلمي الا لطائف وحى
الطائف . وما أرسلت يراعى الا ليراعى الرسائل . ويشيع
الفواضل . ويشيع القول . ويسبغ الطول ويطول بالحجة وإن كان
في حجه قصر . ويصول باللهجة وإن كان في حجه حصر . ويسمن
المك به وهو نحيف . ويثقل الجيش به وهو خفيف . ويبدي بياض
الفر من سواد . ويجلو بهجة الضياء من محجة الظلمة . ويجري
بالأجال والأرزاق والمنع والأطلاق . والخلف والوفاق . والأرقاق
والاعناق . والمعدة والانجاز . والجنة والاعواز والفتق
والرتق . والرقع والخرق . وهو الذي يجمع الجيوش . ويرفع
العروش . ويوحش المستأنس المستوحش . وينعش العائر ويعثر
المتنعش . يجري بالأعداء على الأعداء وبالإيلاء للإيلاء . فبشرت
بأقلامي أقاليم البشر ، وعبرت بأعاجيبى عن عجائب العبر وملاط
البروج بالدراري والدروج بالدرر . ورويت تلك البشر حتى أطابت
ريا الربى وسمر سمر قند . وأطربت وحلت حتى فاقت القنيد
والقند . وعلقت بفتح القدس بلاد الاسلام وزينت . وشرحت
فضيلتها وبينت . وأبيت فريضة زيارتها وتعينت .

ذكر حالي في العود الى الخدمة

وكتت قد انقطعت من الصحة لما عرض لي في المرض من النوبة
فاقت بدمشق ادوي مزاجي واداري منهاجي واعالج تدييري وادبر
علاجي الى ان وصل الخبر بان السلطان نزل على القدس فوجدت
خفة في النفس وانست بابلالي بعض الازس وامنت لو ثوقي بالصحة
والاستقامة من الذكس ، فوجهت الى تلك الجهة وسرت بطاعة
الذفس المتتزهة ، وعصيان الطبيعة المنكره واخترت تعب السفر
على راحة الاقامة ورأيت في ركوب طريق العطب وجه السلامة
ووصلت بكرة السبت ثاني يوم الفتح بالسعد واليمن والنجح
فوصلني السلطان عند وصولي باجلى بشاشة واحلى هشاشة
وسرى عنه سر وابر وبر وقال: اين كنت، ولم ابطات، وحيث اصبحت في
المجىء فما اخطأت وقد كنا في انتظارك، والسؤال عن اخبارك، وهذا
اوان احسانك، فاين احسان اوانك، فاجر بنانك بجرأة بيبانك، واجر في
ميدانك، وما للبشائر الا واصفها، وللفرائد الا راصفها . وللصاحبة
الا قسها . وللصافه الا قيسها .

وكان قد جمع امس كتاب دوايينه على انشاء كتب ما ارتضاها .
واقترضاب معان وما اقتضاها ، وكانوا سألوه في كتاب البيوان
العزیز. فقال لهذا من هو اقوم به وعناني. فلما راني ناداني
واستداني . فصرفت الى امتثال امره عناني . وسلم الى الكتب
التي كتبها . بالالفاظ التي رتبها . وقال :
غيرها . ولا تسيرها . وغرضه اني اعدل معوجها . وايدل مثبجها .
واقترع المعنى البكر للفتح البكر . واوشح ذكر اياته بآيات الذكر .
فاستجبتها فمما استجبتها . واستجبتها فمما
استمليتها . وشمميتها وبها سهك . وكشفتها وسترها هتك . وكانوا
قد تعاونا عليها وفيها لهم شرك . فشرعت في اقتضاها الابكار .
واقترضاء الافكار . واقترع القريحة . واقترع رحاب الكلم

الفصيحة . وافتتحت في بشرى الفتح . وكتاب الديوان العزيز
واوردت المعنى البليغ في اللفظ الوجيز . ووشحت ووشعت وشعبت
واشبعث . واطلت واطنبت . وصبت واصبت . واعجزت واعجبت .
واطريت واطريت . وابعدت وابدعت ورصعت وصرعت . وطابقت
وجانست . ووافقت وانست وبيئت فضل عصر الامام الناصر على
الاعصار السابقة بالابصار الصادقة . وان هذا الفتح اخبره الله
لزمانه ومكن منه مكانه . وسلط عليه بسلطانه . وحسنه لنا
بإحسانه . فقد عبرت القرون الماضية على حسرته . وظفر وهو
واشباعه بمسرته . وما حصل لنا الا ببركة ايامه وحركة اعتزاه .
ونكرت من هذا كل مارق وشاق . ونور الافاق . وان هذه الفتوح
تفوح بارج نشره . وتحيا بحيا برة . فما ايمن ايامنا بايامه .
وما سعد اماننا باتهامه . وكتبت الى كل ذي طرف بمعنى طريف .
ولفظ فصيح حصيف . وسهرت تلك الليالي حتى نظمت اللآلي .
وحليت المعالي . وقرحت المعادي . وفرحت الدوالي . وسارت
شواربي الى المشرق والمغرب معربة عن هذا الفتح المعرب عن النصر
المذهب . وبشرت المسجد الحرام بخلاص المسجد الاقصى وتلوت :
(شرع لكم من الدين ما وصى) (الشورى ٤٢) وهنأت الحجر
الاسود بالصخرة البيضاء . ومنزل الوحي بمحل الاسراء . ومقر
سيد المرسلين وخاتم النبيين بمقر الرسل والانبياء . ومقام ابراهيم
بموضع قدم محمد المصطفى صلى الله عليه وعليهم اجمعين . وادام
اهل الاسلام بشرف بيئته مستمتعين . وتسامع الناس بهذا النصر
الكريم . والفتح العظيم فوفدوا لزيارته من كل فج عميق . وسلكوا
اليه في كل طريق . واحرموا من البيت المقدس الى البيت العتيق .
وتنزهوا من ازهار كراماته في الروض الانيق .

ذكر ماجرى عليه حال الفرنج في خروجهم من القدس

وشرع الافرنج في بيع الامتعة واستخراج ذخائرهم المودعة .
وباعوا بالمجان في سوق الهوان . وتقاعد الناس بهم فابتاعوها

بارخص الاثمان . وباعوا بأقل من دينار كل مايساوى اكثر من عشرة . وجدوا في ضم ما وجدوا من امور لهم منقشره . وكندسوا كنائسهم . واخذوا من نفائسهم . ونقلوا منها الذهبيات والفضيات . من الاواني والقناديل والحريريات والمنهيات . من السطور والمناديل . ونقضوا من الكنائس الكنائس . واستخرجوا من الخزائن الدفائن . وجمع البطرك الكبير كل ما كان على القبر من صفائح التبر ومصوغات المسجد ومصنوعات اللجين . وجمع ما كان في قمامة من الجذسين والنسجين . فقلت للسسلطان بهذه اموال واغره . واحوال ظاهرة . تبلغ مائتي الف دينار . والامان على اموالهم لا اموال الكنائس والانيار . فلا تتركها في ايدي هؤلاء الفجار . فقال اذا تأولنا عليهم نسبونا الى القدر وهم جاهلون بسر هذا الامر فنحن نجريهم على ظاهر الامان ولا نتركهم يرمون اهل الايمان بذلك الايمان بل يتحدثون بما افضناه من الاحسان . فتركوا ما ثقل وحملوا ما ع . وخف ونفضوا من تراب تراثهم وقمامة قمامتهم الكف وانذل معظمهم الى صور . وكثفوا بالنيجور . وبقي منهم زهاء خمسة عشر الفا امتنعوا من مشروع الحق فاخضعوا بمشروط الرق . فأما الرجال وكانوا في تقدير سبعة الاف فانهم افوا ذلا لم يكونوا به بالاف . فاقتسمتهم ايدي السبي ايدي سبا . وتفرق الغانمون بجمعهم في الوهاد والربا . واحصيت النساء والصبيان ثمانية الاف نسمة . عانت بيننا مقسمة * واصبحت بيكانها وجوه الدولة مبدسة . فكم محجوبة هتكت . ومالكة ملكت . وعزباء نكت . وعزيزة منحت . وبخيلة تسمحت . وبخيلة توقحت . ومجدة مزجت . ومصونة ابتذلت . وفارغة شغلت * وعقيلة امتهنت . وجميلة امتحنت . وعذراء افترعت . وشماء فرعت . ولياه رشفت . وظمياء فرشت . وريضة أصبحت . ورضية أصبحت . فكم تسرى منهن سري . وتجراً عليهن جري . وقضى وطره عزب . وذفى نهمه سسقب * وفثأ سورته شغب . وكم غانية استخلصت . وغالية استرخصت . ووالية اعتزلت . وعالية استنزلت . ووحشية صيدت . وعرشية قيدت . ولما تقدس القدس من رجس الفرنج اهل الرجز .

وخلع لباس الذل ولبس خلع العز . أبى النصارى بعد اداء القطيعة ان يخرجوا . وتضرعوا في ان يسكنوا ولايزعجوا . وبذلوا خدما وخدموا ببذل . وقابلوا كل مالزموا به بالتزام وقبول . واعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون . وشحت افواههم بما شجاهم فزاد شجاهم وهم فاغرون . وبخلوا في الذمة . وخرجوا الى العصمة . وشغلوا بالخدمة . واستعملوا في المهنة . وعدوا المنحة في تلك المحنة .

ذكر ماظهره السلطان في القدس من الحسنات ومحاه من السيئات

ولما تسلم السلطان القدس امر باظهار الحراب . وحتم به امر الایجاب . وكان الداوية قد بذوا في وجهه جدارا وتركوه للغة هريا . وقيل كانوا اتخذوه مستراحا عدوانا وبغيا . وكانوا قد بذوا من غربي القبة دارا وسبعة . وكنيسة رفيعة . فاعز برفع ذلك الحجاب . وكشف النقاب . عن عروس الحراب . وهدم ماقدامه من الابنية . وتنظيف ماحوله من الافنية . بحيث يجتمع الناس في الجمعة . في العرصة المتسعة . ونصب المنبر واظهر الحراب المطهر . ونقض ماحدثوه بين السواري . وفرشوا تلك البسيطة بالبسط الرفيعة عوض الحصر والبواري . وعلقت القناديل . وتلى التنزيل . وحق الحق وبطلت الابطال . وتولى الفرقان وعزل الانجيل . وصفت السجادات . وصفت العبادات . واقامت الصلوات . واديمت الدعوات . وتجلت البركات . وانجلت الكربات . وانجابت الغيابات . وانتابت الهدايات . وتليت الايات . واعليت الرايات . ونطق الاذان وخرس الناقوس . وحضر المؤذنون وغاب القسوس . وزال العيوس والبوس . وطابت الانقاس والنفوس . واقبلت السعود وادبرت النحوس . وعاد الايمان الغريب منه الى موطنه . وطلب الفضل من معبده . وورد القراء وقرىء

الاوراد . واجتمع الزهاد والعباد والابدال والواتاد . وعبد الواحد .
ووجد العابد . وتوافد الراكع والساجد . والشاشع والواجد .
والزاهي والزاهد . والحاكم والشاهد . والجاهد والمجاهد . والقائم
والقاعد . والمتجهد الساهد . والزائر والوافد . وصدح المنبر .
وصدع المذكر . وانبعث المعشر . وذكر البعث والمحشر . واملى
الحفاظ . واسلى الوعاظ . وتذاكر العلماء وتناظر الفقهاء . وتحدث
الرواة . وروى المحدثون . وتحذف الهداة وهدى المتحذرون .
واخلص الداعوان ودعا المخلصون . واخذ بالعزيمة المترخصون .
ولخص المفسرون . وفسر المخلصون . وانتدى الفضلاء وانتدب
الخطباء . وكثر المترشدون للخطابة . المترشدين بالاصابة .
المعروفون بالفصاحة . الموصوفون بالحصافة فما فيهم الا من خطب
الرتبة . ورتب الخطبة . وانشأ معني شائقا . ووشى لفظا رائقا .
وسوى كلاما بالموضع لائقا . وروى مبتكرا من البلاغة فائقا .
وفيه من عرض علي خطبته . وطلب مني نصيبته . وتمنى ان ترجع
فضيلته . وتنجح وسيلته . وتسبق منيته فيها امنيته . وكلهم طال
الى الالتئام بها عذقه . وسال من الالتئام عليها عرقه . ومامنهم الا
من يتأهب ويتقرب . ويتوسل ويتقرب . وفيهم من يتعرض
ويتضرع . ويتشوف ويتشفع . وكل قد لبس وقاره ووقر لباسه .
وضرب في اخماسه اسداسه . ورفع لهذه الرياسة راسه . والسلطان
لايعين . ولايبين . ولايخص . ولاينص . ومنهم من يقول ليتني
خطبت في الجمعة الاولى . فلما بخل يوم الجمعة رابع شعبان .
اصبح الناس يسألون في تعيين الخطيب السلطان . وامتلا
الجامع . واحتفلت المجامع . وتوجست الابصار والمسامع .
وقاضت لركة القلوب المدامع . وراعت لحلية تلك الحالة وبهاء تلك
البهجة الروائع . وشاعت من سر السرور بلبس حبر الحبور
الشوائع . وغصت بالسابقين اليها المواضع . وتوسعت العيون .
وتقسمت الظنون . وقال الناس هذا يوم كريم . وفضل عيم .
وموسم عظيم . هذا يوم تجاب فيه الدعوات . وتصاب البركات .
وتسال العبرات . وتقال العثرات . ويتيقظ الغافلون . ويتعظ
العاملون . وطوبى لمن عاش . حتى حضر هذا اليوم الذي فيه

انتعش الاسلام وارتاش • وما افضل هذه الطائفة الحاضرة •
والعصبة الطاهرة • والامة الظاهرة • وما اكرم هذه النصرة
الناصرية • والاسرة الامامية • والدعوة العباسية • والمملكة
الايوبية • والدولة الصلاحية • وهل في بلاد الاسلام اشرف من هذه
الجماعة • التي شرفها الله تعالى بالتوفيق لهذه الطاعة • وتكلموا
فيمن يخطب • ولمن يكون المنصب • وتفاوضوا في التفويض •
وتحدثوا بالتصريح والتعريض • والاعلام تعلى • والمنبر يكسى
ويجلى • والاصوات ترتفع • والجماعات تجتمع • والافواج
ترتحم • والامواج تلتطم • وللعارفين من الضجيج • ما في عرفات
للحجيج • حتى حان الزوال • وزال الاعتدال • وحيعل
الداعي (١) • واعجل الساعى • فنصب السلطان الخطيب
بنصه • وابان عن اختياره بعد فحسه • واوعز الى القاضي محيي
الدين ابي المعالي محمد بن زكي الدين على القرشي بان يرقى ذلك
المرقى • وترك جباه الباقيين بتقديمه عرقى • فأعزته من عندي اهبة
سوداء من تشريف الخلافة • حتى تكتمل له شرف الافاضة
والاضافة • فرقى العود • ولقى السعود • واهتزت اعطاف المنبر •
واعزت اطراف المعشر • وخطب وانصدوا • ونطق وسكتوا • وافصح
واغرب • وابدع واغرب • وابدع واغرب • واعجز واعجب •
واوجز واسهب • ووعز في خطيبته • وخطب بموعظتيه • وابان عن
فضل البيت المقدس وتقديسه • والمسجد الاقصى من اول تأسيسه •
وطهيره بعد تنجيسه • واخراس ناقوسه واخراج قسيسه • ودعا
للخليفة والسلطان • وختم بقوله تعالى • ان الله يامر بالعدل
والاحسان • (النحل ٩٠) ونزل وصلى في المحراب • وافتتح ببسم
الله من أم الكتاب • فائتم بتلك الامة • وثم نزول الرحمة • وكمل
وصول النعمة • ولما قضيت الصلاة انتشر الناس • واشهر
الايناس • وانعقد الاجتماع واطرد القياس • وكان قد نصب للوعظ
تجاه القبلة سرير • ليفرعه كبير • فجلس عليه زين الدين ابو الحسن
علي بن نجا • فذكر من خاف ومن رجا • ومن سعد ومن شقي • ومن
هلك ومن نجا • وخوف بالحجة ذوي الحجا • وجلا بذور عظاته من
ظلمات الشبهات مادجا • واتى بكل عظه للراقيين موقظة • وللظالمين

محفظة . ولا ولياء الله مرققة ولا عداء الله مغلظة . وضع المتباكون . وعج المتشاكون . ورقت القلوب . وخفت الكروب . وتصاعدت النعرات . وتحدرت العبرات . وقاب المذنبون . واناب المتحوبون . وصاح القوابون . وناح الاوابون * وجرت حالات جلت . وجلوات حلت . ودعوات علت * وضراعات قبلت . وفرص من الولاية الالهية انتهزت . وحصص من العناية الربانية احرزت . وصلى السلطان في قبة الصخرة والصفوف على سعة الصحن بها متصله . والامسة الى الله بدوام نصره مبتهلة . والوجوه الموجهة الى القبلة عليه مقبلة . والايدى الى الله مرفوعة . والدعوات له مسموعة . ثم رتب في المسجد الاقصى خطيبا استمرت خطبته واستقرت نصيبته .

وصف الصخرة المعظمة عمرها الله

واما الصخرة فقد كان الفرنج قد بنوا عليها كنيسة ومذبحا . ولم يتركوا فيها للايدي المتبركة ولللعين المدركة ملمسا ولا مطمحا . وقد زينوها بالصور والتمائيل . وعينوا بها مواضع الرهبان ومحط الانجيل . وكملوا بها اسباب التعظيم والتبجيل . وافردوا فيها لموضع القدم قبة صغيرة منبهة . باعمدة الرخام منصبة . وقالوا محل قدم المسيح . وهو مقام القديس والتسبيح . وكانت فيها صور الانعام . مثبتة في الرخام . ورأيت في تلك التصاوير . اشياء الخنازير . والصخرة المقصونة المزوره بما عليها من الابنية مستوره .

وبتلك الكنيسة المعمورة مغمورة * فامر السلطان بكشف نقابها . ورفع حجابها . وحسر لثامها . وقشر رخامها . وكسر رجامها ونقض بنائها . وقض غطائها . وابرزها للزائرين . وأظهرها للناظرين . ونزع لبوسها . وزفاف عروسها . وأخرج درها من الصدف . وأطلع بدرها من السدف . وهدم سجنها وفك رهنها .

واراة حسننها . واضاءة يمنها . وابداء وجهها الصبيح . وجلاء
شرفها الصريح . وردھا الى الحالة الحالية .

واشرقت القناديل من فوقها نورا على نور . وعملت عليها حظيرة من
شبابيك حديد والاعتناء بها الى الان كل يوم في مزيد . ورتب
السلطان في قبة الصخرة اماما من احسن القراءة تلاوة . وازينهم
طلاوة . وانداهم صوتا . واسماهم في الديانة صيتا . واعرفهم
بالقراءات السبع بل العشر . واطيبهم في العرف والذشر . واغناه
واقناه . واولاه لما ولاه . ووقف عليه دارا وارضا وديتانا . واسدى
اليه معروفا دارا واحسانا . وحمل اليها والى محراب المسجد
الاقصى مصاحف وختامات . وريعات معظمات . ولا تزال بين ايدي
الزائرين على كراسيها مرفوعة . وعلى اسرتها موضوعة . ورتب
لهذه القبة خاصة وللبيت المقدس عامة . قومه تشمل مصالحها
ضامه . فما ترتب الا العارفون العاكفون القائمون بالعبادة
الواقفون . فما ابهج ليلها وقد حضرت الجموع . وزهرت
الشموع . وبان الخشوع . وبان الخضوع . ودرت من المتقين
الدموع . واستعرت من العارفين الضلوع . فهناك كل ولي يعبد ربه
ويأمل بره . وكل اشعث اغبر لايوبه له لو اقسام على الله لابره .
وهناك كل من يحيي الليل ويقومه . ويسمو بالحق ويسومه .
وهناك من يختم القرآن ويرتله . ويطرد الشيطان ويبطله . ومن
عرفته لمعرفته الاسرار . ومن الفقه لتفهجه الاوراد والاذكار .
وما اسعد نهارها . حين تستقبل الملائكة زوارها . وتلحف الشمس
انوارها انوارها . وتحمل القلوب اليها اسرارها . وتضع الجناة
عندها اوزارها . وتستهدي صبيحة كل يوم منها اسفارها .
وما اظهر من تولى اظهارها . واطهر من باشر اطهارها . وكان
الفرنج قد قطعوا من الصخرة قطعا وحملوا منها الى قسطنطينية .
ونقلوا منها الى صقلية . وقيل باعوا بوزنها نهبيا . واتخذوا ذلك
مكسبا . ولما ظهرت ظهرت مواضعها . وقطعها القلوب لما بانت
مقاطعها . فهي الان مبرزة للعيون بحزها . باقية على الايام بعزها .

مصونة للاسلام في خدرها وحرزها . وهذا كله تم بعد انفصال السلطان . والشروع في العمران * وامر بترخيم محراب الاقصى وان يبالغ فيه ويستقصى . وتنافس ملوك بني ايوب فيما يؤثر بها من الآثار الحسنة . وفيما يجمع لهم ود القلوب وشكر الاسنة . فما منهم الا من اجمل واحسن . وفعل ما امكن . وجلى وبين وحلى وزين . واشفق وانفسق . واغنى واقتى . واعتنى وابتنى . ووفى واوفى . واصفى واخفى . واتى الملك العادل سيف الدين ابو بكر . بكل صنع بكر . موجب لكل شكر . وكل فعل جميل ورفد جزيل . ومن جلى ومنع جليل . ومكرمة حميدة . ومحمدة كريمة . وفضيلة بها ترجع . ووسيلة بها نجح . واتى الملك المظفر تقي الدين عمر . بكل ماعم به العرف وغمر . ونهى وامر . وبني وعمر . ومن جملة افعاله المشكورة * ومكرماته المشهورة * انه حضر يوما في قبة الصخرة . مع جماعة من السراة الاسرة . ومعه من ماء الورد احمال . ولاجل الصدقة والرغد مال . فانتهاز فرصة هذه الفضيلة التي ابتكرها بالافتراض . وتولى بيده كذس تلك الساحات والعراس . ثم غسلها بالماء مرارا حتى تطهرت . ثم اتبع الماء بماء الورد صبا حتى تعطرت . وكذلك طهر حيطانها . وغسل جدرانها . ثم اتى بمجامر الطيب فتبخرت . وتوضعت وتعرفت وفغمت مناشق اهل الهدى * وارغمت اناف العدى * ومازال مع قوته * في تطهير البقعة المباركة طول يومه * حتى تيقنت طهارتها * وبينت عمارتها * وراقب نضارتها * ووقفت عليها الاستحسان نظارتها * ثم فرق ذلك المال فيها على ذوي الاستحقاق * واقتخر بأن فاق الكرام بالانفاق * وجاء الملك الافضل نور الدين علي . بكل نور جلي * وكرم ملي * واحسان سني * وانعام هني وعرف زكي وعرف زكي * وعطاء مبتدع * وانطلق بحمده الالسن * وبسط بها الصنيعة وفرش فيها البسط الرفيعة * وهدي واهدى * واعاد بعد ما ابدي * وانار واسدى * وافاض الندى * وقض الجدا * ونقض الاكياس * حتى خلنا به الانفاض والافلاس * وسيأتي ذكر ما اعتمده من بناء اسوار القدس وحفر خنادقه * واعجز بما اعجب من سوابق معروفه

ولواحدة • مالم يشق احد فيه غبارة • ولاملك سابق فيه مضماره •
واما الملك العزيز عثمان • فانه اتى بالاحسان الذي استظهر به
الايمان • وذلك انه لما عاد الى مصر • وقد شاهد الفتوح والنصر •
ترك خزانة سلاحه بالقدس كلها • ولم ير بعد حصولها به نزلها •
وكانت احمالا باموال • واثقالا كجبال • ونخائر وافية • وعددا
واقية ودروعا سوابغ • ونصولا دوامغ • وخوذا وتسرائك •
ورماحات ونيازك • وقتنا وقتنايل • وصواقل وذوابل • وجروخا
وقسيا • ويمانيا وهنديا • يزنيا • وربينيا ومشرفيا • وزيارات •
ونفطاط وقطاعات • وعد الذقوب • وجميع ادوات الحروب •
فاستظهرت بها المدينة • وتوثقت بها عراها المتينة • وكان من جملة
ما شرط على الفرنج ان يتركوا لنا خيلهم وعدتهم • ويخرجوا قبل ان
يستوفي الباكون في اداء القطيعة مدتهم • فتوفرت بذلك عدد البلد •
واستغني بذلك عما يصل من المدد •

ذكر محراب داود عليه السلام • وغيره من المشاهد
الكرام وتبطل الكنائس • وانشاء المدارس

واما محراب داود عليه السلام خارج المسجد الاقصى فانه في حصن
عند باب المدينة منيع وموضع عال رفيع • وهو الحصن الذي يقيم به
الوالي • فاعتنى السلطان باحواله الحوالي ورتب له اماما •
ومؤننين وقواما • وهو بمثابة الصالحين • ومزار الفسائين
والرائحين • فاحياه وجده • ونهج لقاصديه جده • وامر بعمارة
جميع المساجد • وصون المشاهد وانجاح المقاصد • واصفاء الموارد
للقاصد والوارد • وكان موضع هذه القلعة دار داود وسليمان عليهما
السلام • وكان ينتابهما فيها الانام • وكان الملك العادل نازلا في
كنيسة صهيون • واجناده على بابها مخيمون • وفاوض السلطان
جلساؤه من العلماء الابرار والاتقياء الاخيار في مدرسة للفقهاء
الشافعية • ورباط للصالحاء الصوفية • فعين للمدرسة الكنيسة

المعروفة بصند حنة عند باب اسباط . وعين دار البطرك وهي بقرب كنيسة قمامة للرباط . ووقف عليهما وقفا . واسدى بذلك الى الطائفتين معروفا . وارتاد ايضا مدارس للطوائف . ليضيفها الى ما ولاه من العوارف . وامر باغلاق ابواب كنيسة قمامة . وحرم على النصارى زيارتها ولا الالمامة . وتفاوض الناس عنده فيها .

فمنهم من اشار بهدم مبانيها . وتعفية اثارها . وتعمية نهج مزارها . وإزالة تماثيلها . وإزاحة أباطيلها . واطفاء قناديلها . واعفاء اناجيلها . وانهاب تساويلها . واكثاب اقاويلها . وقالوا اذا هدمت مبانيها . وألحق بأسافلها أعاليها . ونبشت المقبرة وعفيت . وأخمدت نيرانها وأطفيت . ومحيت رسومها ونفيت . وحرثت أرضها . ودمر طولها وعرضها . انقطعت عنها امداد الزوار . وانصمت عن قصدها مواد اطماع اهل النار . ومهما استمرت العمارة . استمرت الزيارة . وقال أكثر الناس لافانئة في هدمها ولا هدمها . ولا يؤذن بصدد ابواب الزيارة عن الكفرة وسبها . فان متعبهم موضع الصليب والقبر لاما يشاهد من البناء . ولا يقطع عنها قصد اجناس النصرانية ولونسفت أرضها في السماء . ولما فتح أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه القدس في صدر الاسلام أقرهم على هذا المكان . ولم يأمرهم بهدم البنيان .

ومما كتبه الى النيدوان العزيز مجده الله للإشارة بفتح القدس مع الرسول ضياء الدين الشهر زوري من رسالة :

قد سبقت الدشائر بما من الله به من الفتح العظيم . والنصر العميم . والعرف الجسيم . والفضل الوسيم . واليوم الاغر الاعز الكريم . والشرف الذي نخره الله لهذا العصر ليفضله . على الاعصار . وأراد تأخير فخاره الى هذه الايام ليكون بها تاريخ الفخار . فقد أعجز الملوك عن اقتضاء نصرته . واقتضاض عذرتة . وخص من اجراء على يده بسمو قدره ونمو قدرته . وأعاد به القدس الى قدسه . وأظهره وطهره من رجس الكفر ورجسه . وقد رجع

الاسلام الغريب منه إلى داره . وخرج قمر الهدى به من سراره .
ونهب ظلم الضلالة بأنواره . وعادت الأرض المقدسة الى ماكانت
موصوفة به من التقديس . وأمنت المخاوف فيها وبها فصارت صباح
السرى ومناخ التعريس . وقد أقصي عن المسجد الأقصى الاقصيون
من الله الابدون . وتوافد اليه المصطفون الاقربون . والملائكة
المقربون . وخرس الناقوس بزل المسبحين . وخرج المفسدون
ببخول المصلحين . وقال الحراب لاهله مرحبا وأهلا . وشمل
جماعة المسلمين من اقامة الجمعة والجماعة ماجمع للاسلام فيه
شملا . ورفعت الاعلام العباسية على منبره فأخذت من بره أوق
نصيب . وثلت بالسنة عذبة : « نصر من الله وفتح قريب » .
(الصف ١٣) وغسلت الصخرة المباركة بدموع المتقين من نكس
المشركين . وبعد أهل الاحد من قريبا بقرب الموحنين . فذكر بها ما
كاد يذسى من عهد المعراج النبوي . وقامت بذلاتها براهين الاعجاز
المحمدي . وصافحت الايدي منها موضع القدم . وتجدد لها من
البهجة والرسالة ما كان لها في القدم . فهو ثاني المسجدين . بل
ثالث الحرمين . فليهن البيت الحرام خلاص أخيه البيت المقدس من
الاسر . واسفار صبح الاسلام بعد طول اعتكار ليل الكفر . وتطهير
مواقف الانبياء صلوات الله عليهم من أناس الارجاس . وتضوع
أرج الرجاء في أرجائه بعد اليأس . فالحمد لله الذي أبدل الياش
بالايناس . ونزع عنه بافاضة خلع الرحمة عليه لباس اليأس .
وجعل عصر مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه على الاعصر
مفضلا . وكمل بهذا الفتح الشريف شرف زمانه فأصبح فخر الدين
والدنيا به مكلا . ويسر ببركات أيامه فتح البلاد الساحلية
بأسرها . وعجل هلاك هذه الطائفة الطاغية من الفرنج بقتلها
وأسرها . ولقد حل الكفر عروة عروة . وهذ ذروة ذروة . وعادت
حباله رثا . وعقوده انكاثا . ومسأكته اجداثا . وصار حديثا بعد
أن شوهه أهل الزمة احداثا . فالرتاج مستفتح . والرجاء
مستج . والبلاد مستخلصة . والقيم الغوالي منها بسموم العوالي
مسترخصة . والدعائل مفتضة . والمعائل منفضة . ومناهل المنى

بمياء النجاح مرفضه . ونجوم الرجوم على شياطين الكفر بسيوف
أهل الايمان منقضه . والثغور مبدسه . والامور منتظمة .
والحصون متسلمة . والخصوم مذنة مستسلمة . وأرض الكفر
ينقصها الاسلام كل يوم من أطرافها . بل يستولى على اوساطها
وأكتافها ويعيد إلى الطاعة كرها مذهب خلافها . ولقد أينع زرعها
وشمرها من رؤوس المشركين وهذا أوان حصانها وقطافها . والنعمة
بحمد الله عظيمة . والموهبة وأن خصت هذا الاقليم فهي في جميع
أقاليم المسلمين عميمة . فلو شرح ما لهذا الفتح من جلالة العظمة
وبلاله المكرمة لكبا قلم البليغ في مضمار البيان ولم يبلغ مدى : « قل
لو كان البحر منادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
ولو جئنا بمثله مندا » (الكهف: ١٠٩) والقاضي ضياء الدين القاسم
الشهر زوري قد توجه لهذه النعمة واصفا . وعندما يأمر به من إنهاء
البشرى بها واقفا . وأولى من وصف العرف من كان بأوصافه
عارفا . وأحق من شرح الحق والحقيقة من تفسي شرح المستدور
مصادر شرحه . ويفتح على الاسلام أبواب الهناء بتأنها ماتسنى
من فتحه . ويحدث وهو الضياء بإسفار صبحه .

عاد الحديث الى ما جرى بعد فتح القدس

واقام السلطان على القدس حتي تسلم ما بقربها من حصون .
واستباح كل ما للكفر بها من مصون . ورجل ولده الملك الافضل قبله
الى عكا عائدا . وعن حوزتها بياسة وجوده نائدا . ثم تبعه الملك
المظفر فرحل . وسار الى عكا . وبها نزل . ثم عمد السلطان الى ما
جمعه ففرقه . وأخرجه في ذوي الاستحقاق وأنفقه . وفرضه
بعوارفه . وفرضه في مصارفه . قسد خلة المعيل . وأسهم منه ابن
السييل . وحمل به عن الغارم . وأحيى به سنن المكارم . ووضعه
في أهله . وأحله في محله . وصرفه في حله . وقدم التوسعة على ذوي
الإضافة . والانفاق في أهل الفاقة . وأجنى الاجناد منه مقاطف .

وجعل للمجاهدين منه وظائف . وإيقاء بافائنه ذخرا للأخرة . وكسبا للمحامد الفاخرة . فاكثروا غزله على بذله . واستكثروا ما فضه بفضله . فقال كيف أمنع الحق مستحقه . وهذا الذي أنفقه هو الذي أبقيه . وإذا قبله مني المستحق فالمنة له علي فيه . فإنه يخلصني من الامانة ويطلقني من وثاقها . فإن الذي في يدي وبيمة أحفظها لذوي استحقاقها . فما عاد الوغد إلا يوفر ودثر . والافاضة في نظم من حمده ونثر . وحاز كل ذي فضيلة منه فضلا . وتقياً كل فئة ظلا . وكثر المسائلون بالفضائل . والقائلون بالوسائل . والقاصدون بالقصائد . والوافدون بالفوائد . والواردون بالفوائد . والسابقون بالشوافع والشافعون بالسوايق . والسالكون للطرائق . والمالكون للحقائق . فما ترى الا قارنا بالالسان الفصيح . وراويا للكتاب الصحيح . ومتكلميا في مسألة . ومتفحصا عن مشكلة وموردا لحديث نبوي . وذاكرا لحكم مذهبي . وسائلا عن لفظ لغوي . ومعنى نهوي أو مقرضا بقرض . أو معرضا بتصريح أو مصرحا بتعريض أو جالبا لمنحه . أو طالبا لمنحه . أو مستضعفا بفاقه . أو مستسعفا بإفاقه . أو ناشدا بذبيحة . أو مسعفا بتقريب وتفريد . وما فيهم الا من أحظي بسهم . أو أرضي بقسم . وأصيب وأجيب . وأجيز بتقرير وتقريب ، فقليل له لو نخرت هذا المال للمال . لشفيت به مايقع من الاعتلال . وكفيت بالحقيقة ما يسنع من الاختلال . فقال أملني قوي من الله الكافل بنجح الآمال . وجمع الاسراء المطلقين . وكانوا الوفا من المسلمين . فكساهم وأساهم . ووأساهم . وأذهب أساهم . فانطلق كل منهم إلى وطنه ووطره . ناجيا من ضرره . ووضره ومكث السلطان عليه مقيما . للنظر في مصالحه مستديما . فقليل ما قعدوك عن صوره . فأنهض اليها عسكري المنصور . وانت تنخلها يوم وصولك . وتحظى منها بمرادك وسؤالك ، فأنو السير . ولخو الخير . وأحصر الخبر . وأحظر التأخير . وفي تجويل النهضة . تحصيلها في القبض . وفي بدار الآلام بدارها . يشرى أهلة الفتوح المقمرة بإيدارها . فأسر بالعسكر وأسرع . واقطع عن الكفر تلك الاعمال وأقطع . وأكثر من كان يستحثه . وعلى النهوض يبعثه . الأمير علي أبو أحمد المعروف

بالمشطوب . وكان من اكابر الامراء الكافين للخطوب . الكافين في الحروب . وكانت معه صيدا وبيروت . وهما يقرب صور وقد أشفق ان فتحها يفوت . فرأى الحظ في الحضر . وحرض على الفرض . ولم يفكر في قوتها بانتقال رجال الساحل إليها . وأنه يشق في هذا الوقت النزول عليها . وكان المركيس عند اشتغالنا بالقدس باحكام صور مشغولا . وعلى الاستهتار بتحصينها مشغولا . وقد استجد قدامها من البحر الي البحر خندقا . وجعل الطريق إليها مضيقا . واحكم اسباب الاحكام . وأخذ بالحزم في الاهتمام .

ذكر رحيل السلطان عن القدس على قصد حصار صور

ورحل السلطان عن القدس يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان . وقد عنا لامره كل ناس وندان وودعه ولده عزيز مصر في اول منزله . وسايه لكرامية فراقه مقدار مرحلة . ثم اوصاه وشيعة واستصحب اخاه الملك العادل معه . مستظفرا بأخائه . ومستبشرا بالآله . مستبصرأ بآرائه . مستنصرا بمضائه مستغنيا بغنائيه . وموفيا بوفائيه . وهو بعقده يعقد وبطه يحل . وبشده يشدد وبحلوله يحل . والعساكر بالفضاء فائضة . وللخطوب الريضة رائضة . والى استنهاض النصر لانصارها ناهضة . ومن هراها انها في دماء الدماء من اهل الكفر خائضة . فوصل الى عكا في اول شهر رمضان فقيم بظاهاها ظاهرا بخيمه . باهرا بتأخيريه وتقديمه . قاهرا بشباه المبير . زاهرا بسناه المنير . جاهرا بسره . ظاهرا في بحره . وأقام أياما يتفكر ويتدبر . ويستشير ويستخير . والمشطوب يستعجله . ولا يمهله . ويحرض بالبعث . ويصذر من المكث . ويقول الفرصة تدرك بالحث . وتفوت باللبث . فسار لنوائه مليا . ولجيش النصر معيا . ولرأيه مقلدا . وبالله عز وجل

متأيذا . فوصل الى صور تساع شهر رمضان يوم الجمعة .
بالجحافل المحتقلة والجموع المجتمعة . فنزل بعيدا من سورها .
سعيدا في ترتيب امورها . مضروبة قبابه . مجنوبة عرابه . محجوبة
بالبنود والجنود أرضه وسماؤه . مذكورة راياته منصورة أراؤه .
خافقة على الاعداء عذابات عذابه . دافقة في ثرى النجس في الانحاء
ثرات صوب صوابه . قد كست خيامه عري العراء . وفشت أشعة
بيضه وسمره الفضة بالفضاء . واحتوت مضاربه المضيئة بالائه
وأرائه على مضارب المضاء . وباحت استباحه حمى المشركين
للموحدين بهر السراء . فمكت أياما حتى تواصل المد . وتكامل
العد . واستحضر آلات الحصار . واستكثر من المجانيق الصغار
والكبار . ثم تقدم اليها وخيم عليها الثاني والعشرين من الشهر يوم
الخميس . في خميس يسير في الوشيح كالاسد في الخيس . ونزلت
الذوازل المركسة من نزوله ونزاله بالمركيس . فسوقع في
الدردييس . والعذاب البيئس . فكانما نفخ في صور صور . فحشر
أهل جهنم وملأوا السور . واتصلت زيارة الزيارات للجروح
بالجروح . وتوافت مناجاة المجانيق بالخدوش والشدوخ . وارسلت
الحجارات حاضرة جاجزه . والسنة أهل الرجس والرجز بالقهشاء
راجزه . وكانت صور على السوء مستوية . وعلى كل من خرج من
القدس وبلاد الساحل محتوية . فضجوا وارتجوا . وعاجوا
وعجوا . ولجأوا ولجوا . ونصبوا على كل نيق منجنيقا . وشدوا من
كل جانب ركنا وثيقا . وشدوا في الجبال . ومدوا في الحبال . ورموا
من الشرافات الشرافات . بالشرور والافات . وسلب الحجار
حجائها . وامت الامة وجاءها وجاها . فكم من رؤوس اطارت .
ونفوس ابارت . وبرخسفت . وبدر كسفت . وبهر نزلت . وطود
نسفت . فصول السلطان الى قربها له خيمة صغيرة . وانفض ينات
الحنايا بالنايا عليها مقبرة . وصف الجفاتي . فصلف اتيها
الاتي . وعارض بحرهما بعرض بحره . ورد كيد الكفر من المنجنيق
بما نصبه من المنجنيق في نحره . فاحبط اعمالهم باعماله . واهبط
رجالهم برجاله . وقابل الابراج بالاابراج . وحاول بالردى علاج
العلاج . ووالاها حجارات وصخورا . حتى جعلت سور صور

سورا . وجد في امرها . واجساد في حصرها . ووصل اليه في تلك
الايام . من قوي به ظهر الاسلام . ولله الملك الظاهر غياث الدين
غازي . وهو الذي جل في سماحته وحماسته عن الدوازن والموازي .
فقدم مبارك القدم . متدارك النعم . عالي الهمم . غالي القيم . ومعه
عسكر مجر لجب جلبه من حلب . قد استصحب البيض والسمر
والبيض واليلب . فظهر من الملك الظاهر ما ملك به قبول القلوب
واغرى سيفه بسفك دم الكفر الطلول المطلوب ، ورأى نصب خيمته
وراء خيمة ابيه المنصوبة ، وجد في استرجاع مدينة الاسلام
المقصوبة ، وقدم بين يديه كل حجار راجح ، وكل نقاب
ناجح ، لصم الصفاح مصافح ، وكل جاندار جان بر الردى
للكفار . وكل زراق رزق الجسارة على اهل النار بالنار ، وكل
منجنيقي من جناته تقتبس ذبالة البسالة ، وكل جرخي رخي البال
بالهدى لاصماء اهل الضلالة ، وكل رام رام النجم في الافق
فراماه ، وكل معام هم بالخطب النازل فتحاماه ، وكل مقدم قينه
دام ، وكل ضرغام صريمه في رغام - وكل قمقام ضارب
بجسمصام ، وكل حام شارب بكاس حمام ، وكل زمر
مشيح ، لنمار الكفر مبيح ، ولروح الجد مريح ، ولنماء المزاح
مزيج ، وكل فاتك لحبل الوريد باتك ، ولستر الحياة هاتك ، وادم
العدة سافك ، وكل شجاع الى الموت داع ، والى المجد
ساع ، وللإسلام راع ، وللأشرار ناع ، وكل فارس للفوارس
فارس ، وللذوابل في النصور غارس ، وفي اليوم العايس غير
ناج ، وكل راجل لقهر العدو راج ، وبسر اليأس مناج ، ومن شر
الناس يشجاعته ناج ، وببأغت المذنون لمن يلاقيه شاج ، وكل عتال
عات ، ونجار ونشار ونحات ، وحداد وقين وكل زائر للعنى بحين .
فاجتمعوا وزحفوا . وجفوا على القوم ورجفوا وأصموا وصمموا .
وأودقوا نارا واضرموا . وأطاروا من اعشاش الأقواس الى أوكار
الاحداق افراخا . واستصرخوا الاقدار لأقدارهم فعبتهم حين
أحببتهم اصراخا . وغلظوا على الرقاب الفلاظ بالرفاق . وأولوا
الشقاء لأولى الشقاق . وتساعدوا وتناصروا وتناولوا وماتقاصروا
ومافيهم الا من أبان عن جد . وأبان بجد . والآن الشريد . وأعان

السيد . وأفلح ففلق الحديد بالحديد . أوجد الحديد ومد المنيد
وهو مرتجة أبوابها . مرتجة أربابها . مفتحة جوانبها . ومرتصة
عصائبها . مشحونة أبراجها مسجونة أعلاجه محصورة كلابها .
محسورة ذئابها محشورة ثعالبها محشوبة كنانها . والمركس بها
متجه . وأبليس عليه متحكم . وقد سقط في يده . وسخط لبلده .
وارتبط بجلده واختلط بكمه . وغلت مسراجل غلوائه وعدت غوائل
عدوانه . وطاش وجاش وأوخش الأوباش والأوخاش (٢) .
وتوشح بالشر وتوحش . وترشح للردى وتحرش . واشتعل بجمره .
وبعل بأمره وضرى بضره . وجال بوجهه في مكر مكره . وكرفي وكره
وعشا عشه . وثبت على لجأه . ونبت في أجأه . وتعرس وتسر .
وتربص وتصير . والسلطان مصيب حكمه . صائب سهمه . ماض
عزمه . قاض حزمه بارحمه . ساطع سنى ايناسه . قد اتسقت
اسبابه . واتسعت رحابه . واجتمع احتجاب . قارتخ على نابه
وهول قبابه كل مبارز بار . وكل ضارب ضار . وكل حجار جار .
وكل رامح ورام . وكل حامل سلاح وحام . وكل سائف حائف . وكل
عاصف قاصف وكل أكل للحرب شارب . وكل طالع بالضرب غارب .
وكل هاجم هائج . وكل راجم رائج . وكل معتقل مقلد . وكل مجرب
مجرد . وكل ذكر مذكور . وكل غضنفر مشكور . وكل ليث ملاث .
وكل غيث غياث . وكل سفاك لدم الكفر سفاح . وكل جراد اسيف
الفتك جراح وكل مكتم في درعه . مكتم في نغمة . ملتم بزغفه . ملثم
بحرغه . مقنع بلامه . ملقع بقتامه . سايح في بحر الموت بسابحة .
سامع في الصباح صوت صائحه . فجمع اليه أمراءه . واستحضر
عظماء ملكه وكبراءه . وقالوا هذا بلد حصين . ومكانه من الأرض
مكين . في البحر ثلاثة أرباعه . وفي السماء ارتفاع بقاعه . وطريقه
الذي يسلك من البر اليه . قد احاط به البحر من جانبيه . وقد قطعوا
بخندق في عرضه . وعمقوا ونزلوا في أرضه . وكان من احكام
الحزم . واتمام العزم . تكميل الآلات وتتميمها . وتحصيل
المتجنيفات وتقيمها . وتركيب الأبراج والدبابات وتاليها . وتقريب
الجفاتي وتصنيفها . وتسوية مناصب المجانيق وتسقيفها . وتنحية
أنفال العسكر وتخفيفها . وتنحية نخب الرجال

وتصريفها ، وتسنية الأسياح ، وتهئية الأخشاب ، واستحضار كل مايراد للحصار ، واستتغار كل من يرام من الأنصار ، فإذا حضرت هذه الأشياء والأشياء ، وتيسرت وتوفرت الأصول والاتباع ، رحب النزع في الحصر والمضايقة وطال الباع ، وإذا حالت الأحوال وضاعت الأوضاع ، واختل واعتل النزال والنزاع ، وأمر السلطان بإزاحة العلل ، وإزالة الخلل ، وشغل الصنائع بالعمل . ونقل الأمل الى طريق الأجل . وتقدم بقطع أشجار الغياض . وحمل مايتلك النواحي من الانقاض ، فاجتمع هناك كل آلة وآلة ، ونذاب وذبالة ، وقضيب ومقضب ، ومجرب ومحرب ، وسم وشهم وشهب وهم وأحمال ، وأثقال . ونظمت الستائر من القضيبي ، وصفت من سور سور وبالمكان القريب ، وكنت من ورائها الكماة ، واستترت بالجفاتي قدامها الرماة ، واشتغل كل صانع بصنعه ، وكل جامع بجمعه ، وكل دافع مانع بمنعه ودفعه ، فمن جان بمنجنيق ، ودان الى نيق ، وداب بدبابية ، وذاب بذبابية ، ونازع في حنيه ، وناز بمنيه ، وقاذف بشراره ، وحاذف بحجاره ، وهائك من ستاره ، وفاتك بجساره ، وجاذب في حبال ، وجالب لوبال ، ومرو في قلع ومسور لمقلع ، ومدير بايجاف ومدمر بايجاف . ولم تنزل المنجنقيات ترمي ، والحجارات تدمر وتدمي ، والدبابيات تطير من أوكارها عقبان الجسوخ ، وأطباق البرج تبني وتفطلي بالسلوخ ، حتى امتد الزمان ، واشتد الممران ، وضاق العصر واعتاق النصر ، وكان العسكر قد الف تيسر الفتح ، وترسع النجح . فصعب عليه حين صعب ، وتبع هواه لما تعب ، ولم يالف الناس الا أرواء ظمأهم بنهله . والحصول على اكساب سهله ، وفتح مايقصدونه من البلاد بغير مهله ، فلمما توقف هذا الفتح توقفوا ، وملوا وضجروا وتأففوا والسلطان مع ذلك يزداد في حبه وجده ، وفي شدة شدة ، وفي جده جده ، يثبتهم بحته ويحثهم على الثبات ، ويقويهم بجوده ويوجههم القوات ، ويقول ان الله أمر بالمصابرة . ولا مصابرة الا بالمثابرة . فاصبروا تفلحوا وصابروا تفتحوا .

ذكر ماتم على الاسطول

وكان السلطان قد نفذ من صور ، واحضر اليها من عكا ماكان
بها من مراكب الاسطول المنصور ، فوصلت منها عشر شوان ، على
العدى جوان وللدى لهم جوان ، فعمرها بالرجال ، وجهازها للقتال
واتصلت بها مراكب لنا من بيروت وجبيل ، فاستشعر المركيس
واشباعه منها الوليل ، وعمروا لهم مراكب ، ورفعوا بها
مناكب ، وسفنا بالساحل عندنا مربوطة ، وبخطنا مضبوطة
محوطة ، ودامت تذب عقاريها ، وتذب سواريه ، وتجري سواريه
وتسري جواريه ، وتطير للقنص بزاتها ، وتغير للفرس
عزاتها ، وتكسر بكواسرها ، وتدور بدوائرها ، وتلاطم الامواح
بامواجها ، وتزاحم الاثباح باثباحها ، وترفع شرع الهداة
بشراعا ، وتقلع عرش الفواه بالقلاعها ، وتتقض على شياطين
الكفر شهبها ، وترفض بشايب الذعر سحبا ، فكانها الاساود
والسود ، وركبتها الاسود ، من كل افعوان يحمله
افعوان ، وشجاع امتطته شجعان ، وغراب يشتت العدى
ناعق ، وسحاب بوميض الهدى بارق ، فيالها من اغربة دارت
بعقبان . واجنحة طارت بظلمان . ورواس سوار ، وغواز
بغوار ، وقد ملئت برماة الحديق وحماة الحلق ، وزراقى النار
وطراقى النار ، والخطافين بالخطاطيف . والقاذفين بالقاذيف
والكاثنين بالكلايب . والسالين بالاساليب والصارين بالصاريب
والراجمين بالرجام ، والمعلمين على الاعلام فانشدت مراثى الفرنج
وازاحت سفنها عن النهج وقرنصت بزة البيزانة . وتقلصت جناة
الجذوة ، وكثرت ادواء الداوية . وكثرت اسواء الاسبتارية . وزابت
الام الالمانية . وعانت اسقام الافرنسية . وصارت مراكبهم في المينا
لاتبين ، وشدتهم بشد شوانينا تكاد تلتين . وقد ربطوا عندهم السفن
فلو خرجت كانت جبالا تسفن . وانس اصحابنا بعلو
الامر ، وخلوا البحر . وامنوا من الخوف ، وامنوا على الطوف . ودام

تطوافهم، واستقام ايجافهم . واغثروا بالسلامة، وسروا بالاستقامة .
وياقت لنا شوان خمس . لها بزوال الوحشة اذس، وربطت بقرب
مينا صور راصدة ، ولاخذ ما يخرج من شوانها قاصدة ، والياجى
مدلهمة والدواهي ملتمة، وعيون الزهر راقدة، وعيون الكفر
ساهنة ، وللمكايد مصايد، وللعواصي عوائد، وللغوائل طوائل .
وللمسائل دلائل ، وللمقايير مقايير، ولاولئك المراد مراد ، فحفظ
اصحابنا الى السحر الحرس ، وسهروا الى أن شارفوا الغلس
وكل منهم لما استأنس نعس، وغاص في النوم وما تنفس، فما انتبهوا
الا وسفن الفرنج بهم محدقة ونيرانهم محرقة . فولجوا في البحر
والتجوا . وتطافروا (٤) الى الماء لينجوا وعدت العداة واخذت تلك
الشواني الشناة واسروا منها عدة، ولقي الباقون شدة، فباغتم
السلطان بسبب هذه النكية، وفرح الكفار بتلك الضربة، وكانت تلك
اولى حادثة كرت، وكارثة حدثت، ونائبة رابت، ورأية نابت، فضاقت
القلوب، وضافت الكرب، وحصلت تجربة الغارين . واتصلت حركة
القارين . واستيقظ الناعس، واستودش الاذس . وهب الراقد، ووب
الراك ، وذاب الجامد . وشب الخامد، وهاح الزائر، وماسج الزاخر،
وتحرك الساكن، وتورك الراكن، وعقل من غفل، ونهن من نهل، وتيقظ
من غفا ، وتحفظ من هفا، وتقبض من انبسط، وتقيد من نشط، وهم
من عف، والم من كف، ورجفت الافاق بالمرجفين، وطالت السنة
المعنفين، فعنهم من يؤنب ويذنب، ومنهم من يقول ويطنب . والعاقل
ينجنب . ويقيم العذر لمن يذنب، ويقول هذه من الله موعظة، ولية لنا
موقظة .

واشار الناس بانفاذ الشواني البواقي، وقطعوا بان هذه القطع
لا تكفي لملاقة في يلاقي ، فجهزوها نهارا وصيروا سرها
جهازا . واما
بتسييرها الى بيروت . ورجوا ان تسبق وتفوت . وركب العسكر في
الساحل يباريها . وهي بالمقرب تجارية في البحر وهو في البر
يجاريها . فابصر ملاحوها شواني الفرنج لبارزتها ببرزة .
وللاجهاز وراءها مجهزة . وكانوا رجالا من بحرية مصر مجمعه .

واصبحت قلوبهم بما جرى على انظارهم مروعه . فتواقعوا الى
الماء . وخافوا على دمائهم في الدأماء (٥) . وخرجوا الى البر على
وجوههم . وخافوا مكرهم في مكروهمهم . وفروا وفاروا . وطاروا
وثأروا . ولم يلفت احد منهم لبتا . ولم يزنهم دعاؤهم الى التجمع
الا تشتيتا . فظهر بهذه الثوبة الواقعة . والنبوة الرائعة . ان نواب
مصر لم يجر منهم بالاسطول احتفال . ولم يرتب فيه على ما يراد
رجال . وانما حشدوا اليها مجمعة مجهولة غير عارفة ولا معروفة .
ومستضعفة غير آلفة ولا مألوفة . فلا جرم لما شاهدوا الروع
ارتاعوا . ولما الزموا بالطاعة ما استطاعوا . وكان في جملة شوانينا
قطعة يتولاها رئيس جبيل . وفيها بحرية من ذوي التجربة والتجربي
والتجربة ما لها حين ولا ميل . فطال بأسلحة الدفاع . وطار بأجنحة
الشراع . وفاز بالسبق وفات . وهيهات ان يدرك هيهات . فنجأ
النجباء . وأب بهم الالباء . فبقيت المراكب الباقية . وقد اخلاها
حماتها الواثية . فرفعناها الى البر . ورأينا الصحة منها في
الكسر . وفرغنا من شغل المراكب في البحر . وهذا والمنجنقيات
ترميمهم . والمفوقات الموفقات تعميهم وتصميمهم . والقتال
قائم . والنزال دائم . والصخور تفلق . والصدور تقلق . والاحجار
تقلقل . والاسوار تحللل . والاطوار تضعضع . والابراج القيام
تسجد وتركع . والاصلاذ تقدح . والاجلاد تقسرح . والالواح
تصدع . والارواح بين اكفاء الكفاح مقسومة . والقروح بها قوارح
القوارع موسومة . والصنايا واترة موترة . والمنايا مأثورة
مؤثرة . وظعائن الضغائن تحدي بصليل البواتر . وصهيل
الضوامر . وحقوق الحقود تقتضي بالسنة الاسنة . وعنت الاعنة من
الغريم الكافر . والابواج شاخبة كالعيون البواكي . والابشار
دامية من الزنوبركات والناوكات النواكي . وهناك العقل معزول
بالتهور . والرأي مشغول عن التدبر . والعلم والحلم خالطهما
الجهل والسفاه والجرحى يبتدىء ببسم الله . والمنجنقي يختم بلا
اله الا الله . والزراق بالنار يطيب القاروره . ويحسرق
الساطورة . والسباق الى المضمار يساور السور ويباشر
الباشورة .

ذكر خروج الفرنج للقتال

ولما عثر الفرنج على تلك العشرة . ظنوا فينا الفتور لاجل تلك الفترة . وقالوا مراكيهم انحل تركيبها . وكتائبهم اختل ترتيبها . وستجرى بها عنا الندامة التي يحدثها تجريبها . وهم الآن على صوت لهم مخيف . وفوت بهم مطيف . فلا معنى لتقاعنا عنهم . ولا وجه لتباعنا منهم . فلوخرجنا صدمناهم . واقدما عليهم وهزمناهم . وخرجوا يوما قبل العصر . في عدة كالليل خارجة عن الحصر . قد التأموا واستلاموا وانضمروا والتظموا وتقدموا . واقدما للطوارق حاملين . وللجمالات مطرقين . وعلى الفرق مجتمعين . والجماعات مفرقين . وبالرهق جانين . وبالجد مرهقين . والعقود حالين . ومن القمود سالين . وللمناصل منتصبين . وللطوائل مقتضين . والسيوف مجربين . والسيول مجرين . وبالزغف ملتثمين . وفي الحتف مقتحمين . وبالقنطاريات طائرين . وبالزيارات زائرين . من كل مغوار وار . ومحضار ضار . وفجار جار . وجبار بار . وعدو عنود . وكند كنود . وباي ذي دوي . وباروني غوي . ومن كل مصمم اذا وتر . مصم اذا اوتر . مصم اذا نعر . مصر اذا نعر . هائج اذا استعر . مائج اذا نخر . متممر اذا زار . متذمر اذا زجر . فتناوبوا وتواثبوا . وتجاولوا وتجاوبوا . وبنوا من متارس المنجنقات . وجنوا من مفارس الجنويات . وبنوا امرهم على ان الناس ناسون غارون . وان اهل البأس في خيمهم هاجعون قارون . فتلقاهم منا كل ضارب للهام . ضار بالصمام . وجار الى الاقدام . ملب للصوت . محب للموت . مشتهر باغناء . مشته للقاء . مستهتر بالبلاء . ماض بالدواخي . متقاض بالقواضب القواضي . وكل ابيض بالبيض ضراب والليبيض رضاض . واغلب المغلب قضقاض والى الحرب نهاض . وكل معتقل رماحه . معتقد مرجه . معتقد مزاحه . مهتز لطرب الشهانة . معتز بأرب

السعانة . متمن للمنون . متجن على الحنون . مضم نار الحديد في
ماء الوريد . مغرم في تفريق العدى بجمع الحديد . مفرغ ماء الطباء
على نار النجيع . مبلغ تلبية الهدى الى الصريخ السريع . قد تلتهم
باللام . وتلفع باللاثام . وتقعق بالزرد . وتدرع بالجلد . وتجوشن
بالصبر . وتخشن بالزير . وصال بالقضب . وجال بالهضب . وطال
بالهندي على الفرنجي . وخاض من دم الشرك في البحر اللجي . فلم
يسمع الا اتين الحنية . لحنين المنية . ورنين الاوتار . من كنين
الاوتار . وهفيف السهام . لذيف اللهام . وصليل بنات
القمود . من غليل ابناء الحقود . وهمهمة الابطال . وغمغمة
الاقبال . وزثير الضرغام . وزفير الضرام . وقـرع الطـبـا
بالطبـا . ووقع الشبا على الشبا . وضجة الحديد من
الحديد . وعجة الشيد . وجعجة رضى الصرب . وقعقة اداة
الطعن . والضرب . وجرجرة الفحول . وزمجرة النحول . وهديل
حمام الحمام . وهدير قـروم الايام . ووعوة ذئاب
الوغي . ومعمعة التهاب اللظى . ودعدة صاع المصاع . وجلجلة
سباع القراع . وصاصلة الزير . ولولة الزمر . وحيلة دعاء
النصر . وهيضلة رعاة الكفر . ورفرفة المريشات
الراشقة . وهسهسة الطعنات الفاهقة . وهزهزة اعطاف
المران . وزهزهة اصوات الشجعان . ونعير الفالبيين . وصخب
الساليين . ولجب الجالبيين . وزحير الطالبيين . ونهيت (٦)
الاسود . وقصيف الرعود . وهمة الاركان . وبههمة
المرعان . وقهقهة الاقران . وقرقرة كوم البكاء . وهرصرة بزاة
الغزاة . وكشيش صلاص الضلال . ونشيش مـراجـل
الرجال . وهزيز ريح الياس . وهزيم رعد المراس . وارنان
المعاجس . وارزام القاعاس . وهيعة الصارخ . وصيحة
النافخ . وزعقة المستفز . ونعقة المستنزع . وشعشة
الخرسان . وزهزمة النيزان . وهينمة الاجل . وجمجمة الزجل
وتكبير المؤمنين . وتهليل المؤمنين . وصرير ابواب الجنان
للشهداء . وصرير انياب الجنان للاعداء . والدعاء الى
اللقاء . والنداء الى الارباب . وارتفعت الاصوات . واشتبهت

الاحياء والاموات . ووقع اصحابنا فيهم وقوع النار في
الخطب . واروهم في مرايا البيض وجوه العطب . ولوا
مدبرين . بعد ماتولوا مدبرين وجنونا تشلهم . وجدونا
تفلهم . ولتوتنا ترضهم . وليوتنا تفضهم . وعادوا الى
البلد . عادمي الجلد . وفيهم ندوب وعليهم نواب . وايدي الردى
بهم لواعب ومنهم لواغب . وبخل الليل . وعمهم الويل . واسرنا
منهم مقدمين . ثبوا على الموت مقدمين ، ومن اسر فخر قومصر
عظيم . بل شيطان رجيم ، فترك في قيد اسار ، ليكشف عن حاله
بالنهار . وكان الملك الظاهر غازي . لم يحضر فيما تقدم من
الغازي . فرأى ان يحقق اسمه بقتله . فحضر عنقه بحسد
نصله . وكان للمركيس شبيها وفي الفرنج وجيها . فظنوا انه هو
للشبه . وبات اهل الكفر بالعمى والعمه . ثم عرف ان المركيس في
نفسه لم ينكأ ولم ينكب . ولما عطب اشياعه لم يعطب . وندم على
ماقدم . ومن تقدم على غرة تندم .

ذكر ما دبروه من الرأي ورأوه من التدبير

ولما امتنع البلد . وارتدع الجلد . وارتج العدو وليج . فحضر
العسكر وضج . واجتمع امراء . يحبون الافلات . ولا يكرهون
الفوات . وقالوا مطاوله ما نقصر عنه تتعب . ومزاولة ما لايزول
تصعب . ومحاولة الممتنع محال . ومطال غريم هذا الفتش
مطال . وما يتسع لنا في هذه الحلية الضيقة مجال . وهذا السلطان
جلد على المصابرة . مجد في المكابرة . لا يكثر بالكارت . ولا يدخل
سمعه حديث الحادث . ولا يبالي بمن بلى ، ولا يفكر فيمن ولي أو
ولى ، ولا راحة له الا في التعب ، ولا يعلم له نصيب سلامة الا من
النصب ، وكل ما جرى الى اليوم منا ومن القوم لم يرعه ولم
يردعه ، وقد قيل انا لم تستطع شيئا ، فدعه ، فكيف السبيل الى

استعطفاه ، وما التسدير في استسعاغه . ويسم ننتوسل
ونتوصل . واذا عرفناه ان الداء يعضل . والخطب يشكل لعله
يحتوي الاقامة ويرجل . فاطلع على ما اسروه ، ومر به ما
امروه ، وهمه ما به هموا . ولله ما به الموا . فراسلهم بالهيبات
وواصلهم بالصلوات . ورغبهم فيما عند الله من الزلفى ووعدهم بكل
ما على املهم اوفى . وقال لهم كيف نخلي هذا المكان . وما استفرغنا
في شغله الامكان . وما استنفدنا في مضايقته الوسع ، ولا احسنا
بعد في محاصرته الصنع ، ولا زحف اليه الجمع . ولا حفز منه
المنع ، ولا احايانا من مكر اهله مكروه . ولا ورد الصبر منه يشفاه
شفاهه مشفوه . وكيف تجري بنا الخيل عنه قبل التجريب ، وهذا
الارب ما يخطر بخاطر الارب ، وما عذرنا الى الله والى المسلمين
اذا تركناه ، وكيف نقول فائقنا هذا القنص وما ادركناه . والفرصة
اذا فاتت لا تدرك ، والبغية اذا واقتت فحقها تملك ، ونواظر الناس
الى ما سيكون منا في صور صور ، وهذه الظلمة المدلهمة لا يجلوها
الا نور . ومن لا يتعب لا يسترح ، ومن لا يحترق من الوجد لا
يقترح . وان تجدوا تجدوا . وان تردوا عن المنهل العدى
تردوا . وان تصبروا تصيبوا . فارجعوا الى الله وانيبوا . وهذا
الراجل متواصل . والفرض به حاصل . ونحن نقسمه على المجانيق
ونوبها . ونلزم كلا منهم ملازمة البقعة التي هو بها . وهذا البرج
قد ارتفع . والوسع قد اتسع . وقد امتلأت بالرجال طبقاته . وتوات
منها في الكفر شقاته . والنصر قد ان ان تطيب ذشقاته . والمركيس
ابعد الله قد قرب ان تخونه ثقاته . وراينا طول الارواح . لا التناول
الى الرواح . وفي التثيت على المقام . التوثب على المرام . ثم اخرج
المال وصبه من اكياسه . وفرقه على ناسه . واذفقه في اهل باسه .
وواصل البذل وهجر العذل . وملا الايدي بالغنى . وروح للرجاء
نجح المنى . وامر فامتثل وقال فقيـل . ونادى فسمع . وحشر
فجمع . وعانت عادة الحصار . واسعدت سعادة الانصار .

ذكر فتح حصن هونين

وورد الخبر عن هونين انها هانت . وبنا امرها وبانت . وان طريق فتحها بانت . وانها عنت فان الطاف الله اعانت . وانها بذلت ما هانت . ولم تبق للكفر على ما كانت وان شذتها لانت . وكان السلطان قد وكل بها بعض امرائه . وامده بمئدي جنده وعطائه . فلبث الى هذه الغاية . يصيبها بسهام النكاية . حتى طلب اهلها الامان على الوفاء بما يشترطون . ويشطون منها ولا يشطلون ، قاول ما قالوا امهلونا حتى نعلم ما يكون من صور . ونكتشف هذه الامور ، فان اخذتموها اخذتم هذه . وشقنا امر السلطان بنفاته . وان خليتموها فياهوان هونين . ونحن نجعل على هذا عنة من الاصحاب مرهونين ، فتدب السلطان بدر النين للبردم الياروقي وهو من اكابر عظمائه ، واكارم امرائه ، وامره باستتزالهم واستزالهم ، والامان لانسائهم ورجالهم ، فمضى ورغبهم في الامن والسلامة ، وخوفهم عقبي الحسرة والندامة ، وقال لهم انتم بين حصنين هما تبنين وبانياس ، وماذا تصنعون اذا خاب رجائكم وبان الياس ، واذا ايتم التسليم عدتم سلامتكم ، واقتمتم قيامتكم . واستباحكم السلطان واستباحكم . وكرهكم واباكم . وهل بالقتل حباكم . وفل شبابكم . فما زال يرغب ويرهب حتى رغبوا ورهبوا . واخذوا الامان على ان يذهبوا . ووصل الخبر الى السلطان وهو على محاصرة صور مقيم . ولقائلة اهلها مستقيم . والى ما عند الله من نصره مستقيم . وتسلمت هونين بما فيها من عنة ونخيرة . وقوة وميرة . والات وادوات كثيرة . وتسلمها بيرم اخو صاحب بانياس . واستشعر الفرنج منها الياس . وكانت قد بقيت من الحصون التي تعذر فتحها . وبرح بالقلوب برحها من عمل صيدا: قلعة امي الحسن . وشقيف أرنون . ومن عمل طبرية والغفور: صفد . وكوكب . وهما من احكم الحصون وقد وكل بهما اميرين . من خواصه كبيرين . وقد ضيقا على من بهما من العلوج . ومنعا من

البدول والخروج . واقام السلطان على صور محاصرا . وللبين
الحنيف ناصرا . وليد الشرك بمطاولته قاصرا . يقاتلها بكل سلاح .
ويقابلها بكل كفاح . حتى كانت تستكين . وشديتها تلين واييتها
تلين وسريها يبين . وكان قد دخل كانون . وظهر من سر الشتاء
المكتون . ووقض البرد الايدي عن الانيساط . واعدم الهمم دواعي
الذشاط . وعادت العزائم المتوهجة تبرد . والصرائم المتأججة
تخمد . والنخوات المتحركة تجمد . والحميات المتبقظة تترقد .
والضرام المحتدم يخبو . والحسام المخنم ينبو . والطباع تتكهر .
والسباع تتأوه . ومناوية القتال تختل . ومعاقبة النزال تحل .
فلحاهم السلطان على ملاح . وعرفهم ان في الصبر الفلاح . وامرهم
بالمقام والاستقامة على الامر . وانه لاظفر الا مع الصبر . وان
الظلم تتجلي عند تجلي الفجر . وكان في الامراء جماعة منتجبون
منتخون . آبت امانتهم في حمية الدين ان تخون مقيمون على الكريهة
ولاكرهة منهم للمقام . ويحبون ان تقام وظيفة الانتقام ويؤثرون
بانفسهم في طاعة الله وموافقة السلطان . وعصيان الشيطان في
مفارقة المكان . فاذا ارجف بالرحيل رجفوا . وسخفوا رأي المشير
به وضعفوا . واضطربوا واضطرموا وتنموا وتلوموا . وقالوا كيف
نترك ماحويناه . ونهوج ماسويناه . وننشر كفرنا طرويناه ونهجر
خيرا ذويناه . ونداوي توحيدا شفينا . ونشفي اشراكا ادويناه .
وماللراحة اليوم طالب . الا وهو غدا بالتعب مطلوب . ومن امسى
وهو الآن غالب . يوشك اذا ولى ان يصبح وهو مغلوب . وهذه
صورة صور قد تشوهت . وموارد قوتها شففت . واذا تخلينا عنها
وخليناها ترففت واستفرفت . واذا حلمنا عنها سففت . وهبت من
غشية خشيتها وتبتهت . وتارك المصابرة مصاب . والاخذ بالمثابرة
مثاب . فمنهم الامير طعان بن غازي مااطمان يوما في الفوز
ولاسكن . وعز الدين جريك النوري كم جرد على اعناق المشركين
سيفه الذي به تمكن . وهما همامان مقدمان مقدمان . من عابتهما
الوثبات على ثبات العداة يرومان الثبات ولايريمان . وجماعة اخر
بهما يتشبهون . وبالكريهة لايتكروهون . واما الباقون فانهم احبوا
البقاء . وايغضوا اللقاء . واتقوا الالتقاء . وابوا الا الاء . وقالوا قد

لغبنا . وما بلغنا . وجرحنا ، ومارجنا . فلورحنا استرحنا . ثم
عجنا ورجعنا . ومانحن ياول واضح للاصر . راجع عن الحصر .
معترف للعقل . مستعف من الثقل . عامل بمحض الحزم . عالم بوقت
العزم . هذا وقد علم ماعرا من ضروب الكروب . وثلم مابرى من
غروب الحروب . ويقدر ماهدم من ميانى البلد هدم أكثر منه ميانى
الجلد . فقال السلطان بل نجد في القتال اياما . ونقدم بأسا واقداما .
ونزحف بجميع رجالنا . ونصدقهم في نزالنا . ونقاتلهم من جميع
النواحي . فان تعذر لاح العذر للاحي . واصبح العسكر وقد
استعد . وامتد قبالة البلد من البصر الى البحر والنصر استمد .
وركب الامراء باجنادهم ووقفوا . واثمر لهم ورق الحديد الاخضر
فقطفوا . وتناوبوا في الزحف . وتعاقبوا على الحذف . وكلما ترجلت
طائفة قاتلت ثم رجعت . وجاءت الطائفة الاخرى فصدقت وقرعت .
وصارعت وصرعت . فلم ير اشد من ذلك اليوم . في وقم القوم .
واجترأ اصحابنا . وراض جماعهم اصحابنا . وضاضت خيلنا في
البحر خلف منهنزمهم . واقدم من احجم منا لاحجام مقدميهم .
فحينئذ طارت للحين من السهام زنايبرها . واسمرت الحرب بضرام
الضراب مساعيرها . وامتلات السمعير بقتلاهم وقالت هل من
مزيد . وفتحت الجنة لمن باع نفسه بها فقالت هل من شهيد .
وانقضى ذلك اليوم وقد كلت الاسلحة . وملت الاجنحة . وانهاضت
قوادم الانهاض . وانفضت الجموع من اقواء القوى والانقاض .
وبات الناس على ضجر وضجاج . ولجب ولجاج . فلو عاونا البلد
بمثل ذلك اليوم اياما . لنلنا من فتحة مراما لكنهم اصبحوا على سأم
والما بابداء الم . وقالوا: قلت كثيرتنا . فلو اقبلت عثرتنا لانجبرت
كسرتنا . وفيما الجريح والطليل . وحتى متى لاندستريح . وقد توات
الامطار فلامطار . وعلينا هذا الحصار صار . وكانت الجراحات
كثيرة . والاحتياجات بها مثيرة . ومنع البرد من العمل . وامتنع سد
الخلّة وتسديد الخلل . ومازالوا يراسلون السلطان ويشيرون
بالرحيل . ويقولون لا تتعب على تحصيل المستحيل . ولا تنهب الايام
في ابرام المستحيل . ودعنا نستجد دعه . ونسترد قوى عند لطف الله
مودعه . ونشتغل بفتح الايسر وهو اكثر . ونؤخر التشاغل بما لعله

يتعسر . وكان السلطان في تلك المنة . انفق اموالا كثيرة على تلك
الالة والعة . وما يمكن نقلها . ولا يمكن من نقلها ثقلها . ولو ابقاها
لقوي بها الكفر . واشتغل بسببها الفكر . فرأى نقضها . وفك
بعضها . واحرق منها ما تعذر حملها . وشقت بعد التجمع شملها .
وحمل بعضها الى صيدا وبعضها الى عكا . وجرت اعاجيب ما تكاد
تحكى . وسر ذلك الرحيل قوما وساء قوما فاضحك وايبكى . وتأخر
السلطان وتباعد عن قسرب صدور الى المنزلة الاولى ويد ايده على
جميع الاحوال طولي . فشرع العسكر في الانصراف . وتزود للانفكاه
والانكفاف . واخذ الجمع في الافتراق . وانتشر في الافاق . ونهب
من نهب على مواءة في المعاودة . ومسارعة في الرجوع الى
المساعدة . وودع الملك المظفر تقى الدين من هناك . وواعد بعود
عوده الاشراك . وسار على طريق هونين الى دمشق مغنا . وسارت
معه عساكر الموصل وسنجار وبيار بكر ، وكل طير منهم اشتاق الى
وكره . وما عرفوا ان هذه الراحة القليلة تعقبهم تعباً كثيراً . وان هذا
الهدوء الذي مالوا اليه يصير لحثيث حركتهم مثيرا . وبقي السلطان
يتكلف على ماتركه . ويتأسف على الافتح الذي مالدركه . والذين
اشاروا بهذا الرأي يسهلون الصعب . ويهونون الخطب . ويقولون
نمضي ونعود . وتساعدنا السعود . وتتجددنا الجنود . وتتجدد
الجدود . ويورق العود . وتصدق الوعود . واذا اقبل الربيع . اقبل
الجميع . وطلب الزمان . وولى الضمان . وامكن الاسعاد وساعد
الامكان . وما زالوا بنا حتى رحلنا . وعلى الرأي الرائب منهم
احلنا . ولو اقمنا لقمنا . وقمنا العدو ووقمنا . لكن الله قدر وقدره
محتوم . وسر غيبه المكتوب في اللوح المحفوظ مكتوم . واراد ولا مرد
لمراده . وقضى ولا محيد لما قضاه في عيانه . وان تبقى صدور في تلك
الحالة للكفر وكرا . وللمكر مكرا . وللشرك شركا . ولنار جهنم
دركا . وقمنا عن صور الارتحال . لخر شوال . غرة كانون الثاني
وعم البرد في القاصي والبادي . وتوجمت السماء من حوامل
السحاب . وتوجلت الارض من سوائل المذاب . والنكب الرياح
عواصف عواصف . قواصف قواصف . والسحب الدلاح (٧)
حوامل حوامل رواعد رواعف . والبرد قارس . والماء جامد جامس .

والشتاء شتات بقات . وما مع مقامه وثباته مقام وثبات . وسرنا
عبانيد في لبابيد . وبين جليد وجلاميد . على الناقورة وطريقها .
والاثقال قد ازحمت في مضيقها . والاحمال تتواقع . والاجمال
تتقاطع . والسيل تنسد . والسابلة ترتد . وسلكت الخيل الجبل .
وقطع المسكر طريقه الى المخيم ووصل . وتأخر الثقل . الى ان
تخلص . وتقدم من سبق وتملص . ووصلنا الى عكا في ثلاث
مراحل . وقد غطى بحر عسكرنا الساحل . وخيم السلطان على باب
البلد بجانب التل . نامى الفضل . دائم الفكر في تدبير الامر وتدمير
الكفر . واثقا من الله بانجاز النصر

ذكر الحادثة التي تمت على محمود أخي جاولي حتى استشهد هو وأصحابه

ويوم رحيلنا من صور نعي محمود أخو جاولي . وكان من جملة
الامراء اعف ولي ولي . وعاش مجاهدا زاهدا وعيشه زهيد . وقضى
صابرا مصابرا وهو سعيد شهيد . وسبب ذلك ان السلطان لعلمه
بديانته وأمانته . وبأسه وبسالته . وبقلته ونهضته وحزامته . وكله
بحصن كوكب الذي على الفور . وكانت فيها جمرة الاسبتارية
القريبة الجور البعيدة الفور . وقد تمنعوا بشدتهم . واشتدوا
بمنعتهم . وهو حصن لايرام . وركن لايضام . ومقل لايسامى
ولايسام . وذروة لا تفرع . ومروة لا تفرع . وعقيلة لا تفرع . وبكر
لا تخطب . وقلعة لا تطلب . ولما ملك الساحل . وهلك الباطل . ونظمت
الحصون في سلك الحصول . وظفر الاسلام بالفتح المأمون
والمأمول . وافتتحت طبرية وأعمالها . وتملكت أغوار تلك البلاد
وجبالها . تمنعت قلعتا صفد بالداوية . وكوكب بالاسبتارية . وتعذر
فتحهما . وتعسر منجهما . وقف أمرهما . وأعدى البلاد ضرهما .
فرتب على صفد جماعة يعرفون بالناصرية . من اهل الايبة والنخوة
والحمية . ومقدمهم مسعود الصلتي اصلت سعادته منه سيفا

إصليتا . لا يلفت عن لقاء العدو لیتا . ورتب على كوكب هذا محموديا . وكان بهما أمر الحفظ محموديا . وذلك بعد الكسرة . وصحة النصر . فأحاطا بالحصنين واحتاطا . وظهرت كفاية كليهما بما تعاطى . وكان الحفظ مستمرا . والاحتياط مستقرا . حتى أذس محمود بضعب أهل الحصن . وظن أنهم في غاية الوهن . وسكن إلى سكونهم . وأغمضت عينه لتوهم إغماض عيونهم . واسترسل فيما حزب . واستسهل ما صعب . وأخل بالحزم . وخلا من العزم . واحتقر عدوه . وحسب من العجز هدوه . وكان مقامه بحصن قريب من كوكب يقال له عفر بلا . وقد أقام به جاما جامعا فيه ماءمر وحلا . وكان ذا نين متين . ومكان من الذسك مكين . وهويسهر أكثر ليله متهجبا . وقد جعل منزله مسجدا . وأصحابه من حوله . يحفظونه بقوة الله وحوله . فلما كان لآخر ليلة من شوال . وهي ليلة ذات أهوال . مظلمة مدلهمة كافرة مكفهرة . ليلاء قتماء . ياردة مقشعرة . أنوارها بائثة . وأنوارها جاشئة . وهزيع جنبها نجوجي . وهزيم ودقها لحي . وسحبها سحم . وأقطارها نهم . وصبيرها صيب . وصنبرها مثير . لا يفرق فيها السماء من الأرض . ظلمات بعضها فوق بعض . خر أهل كوكب وقت السحر . والناس رقود والحراس هجود . والجنود جمود . والانفاس خمود . والهمم ركود . والسيوف اسرار . أضمرتها القمود . والعدم قد لنا منه الوجود . فما أحس محمود المحمود . وأصحابه الهمود الا بالفرنج وقد سلخوا اليهم . ويركوا عليهم . فقصروا عن الامتناع . ولم يقدروا على الدفاع . فجاءتهم السعانة . وفجأتهم الشهانة . وبقي الأمير حتى استشهد محصورا . وكان أمر الله قدرا مقدورا . ونقلوا إلى القلعة ما وجدوه من سلاح ومتاع . وخيل وكراع . فلما عرف السلطان ما أصابهم . اهتسب عند الله مصابهم . وأحمد إلى الجنة مأبهم . فندب إلى كوكب صارم الدين قايماز النجمي الصارم المخدم . والحازم المقدم والعضب البتار . والندب المغوار . والأسد الاسد . والأحمى الاحمد . في خمسمائة فارس من ذوي النجدة . والبأس والشدة . فسد الطريق بمضايقتها عنها . ومنع من الدخول إليها والخروج منها . ولم يزل

عليها مقيما . ولحصرها مستتبعا . إلى أن يسر الله فتحها . وسهل
للأعمال فيها نجاحها . وسنذكر ذلك في موضعه . وكيف أشرق صبح
النصر من مطلعته .

ذكر ما جرى بعد نزول السلطان على عكا بعد عوده من
صدد

استأنن الملك الظاهر والده في العود إلى حلب فأنن له وودعه . بعدما
أمره بكل ما يجب تقديمه من الاستعداد فامتثلته واتبعه . وودع الملك
العادل وأوجه إلى مصر . مستقبلا الظفر والنصر . وأقام الملك
الأفضل بعكا مستقلا بالأراء . ومستهدا بالآلاء . مستتبعا بتدبير
أسباب الهدى . مستعدا لتدمير أحزاب العدى . وأقمنا بالمخيم
لخدمة السلطان ملازمين . ولإقامة شرائطها مداومين . وكل يطلب
أننا في الانصراف . ويستقيم على نهج الانحراف . حتى خف من
عنينا من الجند . وثقل علينا عبء البرد وتناوحت الهوج . وتراوحت
الثلوج . ورجت الدروج . ونجست النفوج . وارتجز عجاج
الودق . (٨) وارتجس نجاح البرق . وجفت الصرغف . وطفح
الأوطف . وتقطعت الخيام وتقلعت الأوتاد . وتجللت بإبراد الجليد
من البرد الأكام والوهاد . ومال بل وقع عمود السرادق . ودام
تواصل البوارح والبوارق . وبخل السلطان إلى المدينة . وسكن بها
في كنف السكينة . مستقيما على المحجة المستقيمة . مقيما للحجة
المتينة . وشرع في إعداد العدد . واستعداد المدد . وأبرام معاقد الحل
والعقد . وأحكام قواعد الدين والمجد . وأحياء سنة السماح
والفضل . وأعلاء سناء الاحسان والعدل . وأفاندة الكرام وأكرام
الوفود . وأعادة ما بدأ به من الفاضلة الجود . وإجازة الراجين .
وأجارة اللاجين . وأسعاف العافين . وأبعاد العائين . وإنشاء أهل
العلم . وأغناء ذوي العدم . وإنجاح المقاصد . وإنجاز المواعد .

ذكر رسل وردوا في هذا التاريخ

وكانت رسل أفاق من الروم، وبخراسان، والعراق . عاكفين على بابه .
قاطفين جني جنبابه . واقفين لرفع حجابيه . مستسعين لنعمائه .
مستعطفين لأبائه . متعرضين لشوابه . متضرعين في خطابه .
وكلهم يهنئه بما أقره الله بفضيلته . وخصه بنجح وسيلته .

وأقره عليه وقد عجز عنه الملوك . وهدهد الى سبيله وقد تعذر
بهم اليه السلوك . وهو فتح القدس الذي درج على حسرته القرون
الاولى . وتفاصرت عنه أيديهم المتطاولة وتمكنت منه يده الطولي .
فما منهم إلا من يعترف بيمينه ويعترف من يمه . ويقر بحكم النزول له
وينزل على حكمه . ويخطب الصداقة في الصدق . ويحقق المظاهرة
لاظهار الحق . ويتقرب بالوفاء والوفاق . ويتباعد عن الشقاء
والشقاق . ومن جعلتهم رسول صاحب الري قتلغ اينانج بن
بهلوان . ورسول قزل ارسلان المستولي على ممالكهم هذان
واذريجان، واران . وهو عز الدين الطالبلي الطالب للعز . الراغب في
الفوز . فما من يوم يمضي . وشهر ينقضي . الا ويصل منهم رسول .
ويتصل به رسول . وتتجلى غمة . وتتجلى نعمة . وتتجه بشري
وتستبشر وجوه . ويكف مكر ويكفي مكروه . ونظر في احوال عكا
فرتبها . وفي امورها فهدبها . وفي مضارها فأنهبها . وفي منافعها
فقربها . وولى عز الدين جرديك بها واليا . وأعاد عطلها بفضل ولده
الملك الافضل حاليا . حاليا . ووقف بها وقوفا . واجنى المستحقين
منها قطوفا . وأسدى معروفا . وأعطى ألوفاً . وأرغم من الاعداء
أنرفاً . وكانت فتوحه لهم حتوفا . ووقف نصف دار الاسبتار رباطا
للمتصوفة . وللاوقنين من اهل الطريقة والمعرفة . ونصفها مدرسة
للمتفقه . وللطلبة المتعفة المتتزمة . فجمع بين العلم والعمل .
والنجاح والامل . وكتب الرزق لهم إلى كتاب الاجل . واتخذ لطلب
مرضاة الله دار الاسقف بيمارستان المرضي . وأتى بكل ما يحبه الله

وبه يرضي . فلم يبق سنة الا خلبها . ولأمنة الا قلبها . ولا أجرا
الا أجراه . ولا هدى الا أهده . ولا أمرا الا أمره . ولا دارا الا
أدره . ولا فريضة الا أداها . ولا فضيلة الا اتاها . ولا فرصة
صواب الا انتهزها . ولا حصة ثواب الا أحرزها . ولا رمم فواضل الا
أذشرها وذررها . ولا أمم فضائل الا حشنها وحشرها . وماترك
قارئنا الا قرأه . ولا راويا الا أشبعه وأرواه . ولا حافظ حبيث الا
حفظه من الحدثن . ولا محدسن صنعة الا اصطنعه بالأحسان .
ولا ناظم مدائح . الا نظم له المنائح . ولا موافيا بقريش إلا وفى
قروضه . وأعجز عن القيام بحمل حمده نهوضه . وتقدم إلى الوالي
بالتربد في الأعمال . وتفقد الأحوال . وسد الخلة وتسييد الاختلال
وتعليل السقم وتسقيم المعتل . وتحليل العقد وتعقيد المنحل .
فاستقرت بولايته الولاية . واستمرت لرعيته الرعاية . ودرت أفاريق
الأفاق . وبارت أسواق الأرزاق .

ذكر وصول أخي تاج الدين أبي بكر حامد من
دار الخلافة للرسالة في العتب على أحداث ثقلت .
وأحاديث ثقلت . ووشايات أثرت وأرثت . وسعايات في
السلطان عثت . في الأحوال . وشعثت . وذلك في سؤال .
ونحن على حصار صور ونزاع ونزال .
ذكر السبب في ذلك .

لما تم الفتح الأكبر . وخص وعم النجع الاظهر . وقطع نابـر
المشركين . وحط اقبال المسلمين أوزار إندبار الكفر بحطين . أمرني
السلطان بإنشاء كتب البشائر إلى الافاق . وتقييم البشرى به إلى
العراق . فقلت هذا فتح كريم . ومنح من الله عظيم . وملك عقيم .
وسمو وسيم . فلا يجب أن يكون مبشر دار الخلافة . بما أنزله الله
لنا من الرحمة والرافة . الا من هو عندنا أجل وأجلى . وأعلم

وأعلى . وأجمع لفنون الفضائل . وأعرف بأبناء الرسائل . فلا يوجه
بهذه الكرامة الا الكريم الوجيه . ولا ينبه لهذه المقامة الا القويم
النبيه . ولا يرفع العظيم الا بالعظيم الرفيع . فان الشريف يتضع
شرفه بمقارنته للوضيع . فقال هذه نصرة مبتكرة بسكرة . وموهبة
ميسرة بدرة وندرت . فنحن نعمل بها بشيرا . ونؤخر للاجلال كما
ذكرت سفيرا . وكان في الخدمة شاب بغدادي من الاجناد . قد هاجر
للاسترقاد . وتوجه بعد وصوله . ونبه بعد خموله . فسأل في
الإشارة الى بغداد . وزعم انه ينادي باليهما الاغناذ . وشفع له جماعة
من الاكابر حتى خص بأشرف البشائر . فقلت هذا لا يحصل له
وقع . ولا يصل اليه نفع . والواجب ان يسير في هذا الخطير خطير .
وفي هذه النصرة الكبرى كبير . فان الرسول من ينذب للفتهم
والترفيع . ويرتب في الامر العظيم للتمظيم . ثم سار المندوب .
وشغلت عن ارسال سواء الفتوح والحروب . ولما فتح البيت المقدس
أرسل ببشارته نجاب . ونفذ بها كتاب . ووصل البشير الجندي .
فلم تجلبه على كفاؤ الجلالة من الهدى الهدي . وحقروه . وما
وقروه . فانه كان عندهم بعين فنظروه بتلك العين وحبوه بما يليق به
من الرقة والعين . ونقم على السلطان ارسال مثله . وانه لم يعصب
المنصب في تلك الرسالة باهله . وتسمح المندوب بكلام اخذ عليه .
وبدرت منه احاديث نسبت اليه . وقال في سكره . وحالة ذكره . ما
يعرض عن ذكره . فضيل وموه . وتكرر وتكره . وظن ان لكلامه
أصلا . ولقطعه منا وصلا . وانتهت الى العرض الاشرف مقالاته .
وعلمت جهالاته . وتجنني على السلطان بارساله . وطرق الى هداه
ما أنكره من مقال المذكور وضلاله . ووجد الاعداء حينئذ الى
السعاية طريقا . وطلبوا لشمل استسعاده بالخدمة تفريقا .
واختلفوا اضاليل . ولفقوا اباطيل . وقالوا هذا يزعم انه يقبل
الدولة . ويقلب الصولة . وانه ينعت بالملك الناصر نعت الامام
الناصر . ويدل بما له من قوة والعساكر . فاشفق الديوان العزيز
على السلطان من هذه . وبرز الامر المطاع بارسال اخي وانفائه .
وقالوا هذا تاج الدين اخو العماد . يكفل لنا في كشف سر الامر
بالمراد فان اخاه هناك . مطلع على الاسرار . وهو منتظم في سلك

الاولياء الابرار . وعول عليه الديوان العزيز في السفارة . ورد معه جواب البشارة . وكتبت له تذكرة بموجبات مقاصد العتب . ومكدرات موارد القرب . والمخاطبة فيها وان كانت حسنة خشنه . والمعاتبة مع شدتها للعواطف الامامية لئنه . ونشر العتاب في طي العتاب . وروح الارضاء في شخص الاغضاب . وبرد الموهبة في برد المهابة يرد ظن الخطأ الى يقين الاصابة .

وشرف من الديوان الاخ ، فسار وهو يبذل وقسطه اصحب خيلا ، واسحب من التشريف والانعام نيلا ، والصف من نور الالهية العباسية نهارا وليلا ، فوصل السير بالسرى وقطع الوهاد والنرا وجاء الى دمشق بشارة رائقة وبشارة رائحة واشارة رائدة وشعار مهيب . وشرع مصيب . وهيبة روعة امامية ، وهيأة عصمة عمامية وفرند نبوي لاينبو ، وزند وري لايكبو ، ولسان في الصرامة جري ، وجنان بالشهامة حري . وبلاغة بابلاغ . مالميس بلاغ . وفئة وافية وصيغة بصياغة كل غريبة قول ، ورغبة طول . وكافة كافية وسني نور وقار يستعير منه سنير . وثبات خلق يتخلق به ثبير ، وكان قد عاد المندوب ناديا عابيا . جاحدا للنعمة شاكيا . ذاكرا أنه عدم الحفاظ . ووجد الاحفاظ . واكثر الكلام فما حرك شمام . وقال اخو العماد قد وصل بكل عتب ممض . وخطب ممض . وغضب ممض . والفظ فظ . وحض على غير حظ . ومعه الملامات المؤلمات . والظلمات المظلمات . فقلت له : اسكت واصمت ، وبمالك من وسم الوسم مت ، ولا تتدخل هذا الباب واخرج ، وليس هذا بعشك فاندج-وقلت للسلطان سمعا وطاعة لامر الديوان فان اظهار سر العتب لك من غاية الاحسان ، فقال : نعم ماقلت ، وقد طلعت بارسال اخيك وطلت وما اسعدني اذا شرفت بالعتاب . واسعفت بالخطاب ، والملوك يذفعه التأنيب . ويزعه التهنيب . على أننا لم نأت الا بكل ماوقى الهدى . واضعف العدى . وكف الكفر . وأنى الدين . ومازلنا في طاعة أمير المؤمنين مجنين . أما فتحنا مصر وقد باضت بها دعوة الدعي وفرخت . أما استأنفنا بها تاريخ الدولة العباسية بعد ان كانت سنين بسواها ارضت ، أما استخلصت اليمن

والدعي بها داع ، وللهدى فيها ناع . وللضلال منها راع ، أما
أرحمت من رق الشرك الساحل . أما أرحمت عن حق الملك
الباطل ، أما فتحت البيت المقدس والحققة بالبيت الحرام ، وألحقته
رداء الاكرام ، وأعدت الى الوطن منه غريب الاسلام . أما رعت الغرب
بغرب عزمي . ووزعت الشرق بشرع حكمي ، وماتعيت الا
بالعبودية للدار العزيزة . وهذه الفطرة متمكة مني في الفريزة .
فأهلا وسهلا بالرسول . وبالسول وحيا ومرحبا بالاقبال
والقبول . وماتى الا بالحب والحبور . ولا مزار الامور . ولا ظهار
سر السرور . والبارق يشام اذا رعد ، والصادق يرام اذا
وعد ، وما سرنا بالواصل وأوصلنا بالمسرة ، وأبرنا بالجد واجدنا
بالبرية . وسمعت منه كل ما هدى سمعي . وأبدى لمعي . وجمع
شملي . وشمل بالعز جمعي ، ولما قرب اخي واصبحت لقدمه
انتخى قامر السلطان الامراء على مراتبهم باستقباله ، وتقدم
لجلالة قدمه بأجلاله ، ثم ركب وتلقاه بنفسه ، وخصه من تقريبة
بأنسه ، ولم يزل حتى اراه مواضع الحصار ، ومضار
الكفار ، ومواطن اقدام ذوي الاقدام . ومواطن بسالة اهل
الاسلام . ثم نزل وانزله بالقرب وعقد له بالعباء حبسي
الحب ، وسفر وجهه لوجهة السفير . وأحل محل التوفير
والتوفير ، وتبلغ له صبح التبجيل . وتأمل منه نجح التأميل . ثم
حضر عنده . وقد اخلي مجلسه لي وله وحده ؛ وأدى الامانة في
مشافهته ، وجهه مقاصده في مواجهته وأحضر التذكرة وقد جمعت
المعرفة والتذكرة ، فقراتها عليه بفصولها وفصولها . وألزمته حكمي
عمومها وخصوصها . ووقفته على ظواهرها ونصوصها . وكانت
في الكتب غلظة عنت من الكاتب غلظة وضلت سقطه ، وجلبت
سخطه ، وقال ان الامام أجل ان يأمر بهذه الالفاظ اللفاظ .
والاسجاع الغلاظ فقد أمكن ابداع هذه المعاني في أرق منها لفظا
وارفق وأوفى منها فضلا وارفق . ومعان الله ان يهبط
عملي ، ويهبط أمني . وامتعض وارتمض . ثم اعرض عما عرض
ورجع الى الاستعطاف . وانتجع يارق الاستسعاف . وقال اما
ماتحله الاعداء وعدا به المتحلون . وتتدفق به المنقولون وتسوق

المبطلون • فما عرف مني الا الاعتراف بالعارفة • وماهزرت منذ
اعتززت اعطاف العز الا لما يعزني من العاطفة ، وان شرقي بالنعمة
السالفة ، يوجب أنفي من هذه الأنفة ، وأما النعت الذي انكر ونبه
على موضع الخطاء فيه وذكر • فهذا من عهد الامام المستضيء
رضوان الله عليه وجرى لتحقيقه مني على الاسنة . ومتي عد سيئة
ماعد من الحسنه ، والان كل ما يشرهني به امير المؤمنين من السمة
فانه اسمي الذي هو اسمي واشرف . واطرا واطرف وارفع
واعرف . ومازانه ذلك العتب الاخلاص ولاء ، وخصوص اعتزاز
واعتزاء . ثم قال كل ما اعتمد من نصرة الدين وقهر اعداء امير
المؤمنين وإنما طلبت به وجه الله ورضاه وما تعبت به سواء . فاني
افترض الطاعة الامامية للدين لا للنبياء ، وما اتقوى فيها الا
بالتقوى . وما في عزمي الا استكمال الفتح لامير المؤمنين وقطع
دابر المنافقين والمشركين . وانا عانت عواطفه عطفت علي في الحسن
العوائد وقطفت الفوائد ، وصفت الموارد ، ووفت المقاصد ، وبعد
الاباعد ، وبعد الحاسد الحاشد ، وهجر هجر الساعي ، واجرى
اجر الداعي . وعلم جهل الواشي ، وعذر زعر الخاشي . وجرب غش
الغاشي . وخرب عش العشي . وذوت هموم ذوي الهمم ، وأوليت
كرامة اولي الكرم ، وما زال السلطان مدة مقام اخي عنده ، يوري
في اعظامه زنده ، ويامر بإكرامه جنده ، فكنت اشفق من تكبر ذات
البين يعود الانس والوصلة والى الوحشة والبين ، وان جماعة من
الاكابر اجتمعوا بالسلطان وقالوا له قد نسب حقه الى البطلان .
ورميت بالبهتان ولصت طاعتك بعين العصيان . فكيف خفت
وماعفت • وافقت وما انفقت . ورغت وما غرت .
وصبرت وما سبرت • واغضيت لما اغضبت • واعتبت لما عوتبت •
وراقبت وما راقبت

فقال تذلي للديوان العزيز تعزز به ابن . وتوسلي إلى مرضاته
توصل بالله فيه استعين . فتواضعي ترفع ، وتخشعي
تورع ، وحبل حيي متين ، ومكان قربي مكين . ومما قلت له
واوضحت له سبله ، انا كنا بطاعة امير المؤمنين نطول ونصول

ونزاول بها الملوك وعنها لانزول ، وهذه فضيلتنا التي رجحت .
ووسيلتنا التي نجحت وكتابها مسعودين . وعليها محسودين . وقد
شملت بها ببركاتنا . وكملت حسناتها . وصفت مشارع
يمنها ، وضفت مدارع حسننها ، فلا تلتفت الى من يلفتك ، ولا تثبت
لمن لا يثبتك ، واعرض عن تعرض لمذهب الخلاف ، ولنوره اجتلي
واجتني ، ثم ندب مع أخي من سار في خدمته لزيارة القدس ، وأمر
بأن يقف به على مواقف الطهر التي ظهرت من أهل الرجز
والرجس ، ثم ودعه وأودعه من شفاهه كل مائي النفس وبأخ في
أبداء التضرع والتذرع وأظهار التخشي والتخشع ، وأنشأت عنه الى
الديوان كتابا معه وبهذه ضمنيتها كل ماحلا وجلا جنة وجهه ، وكل
ما يبطل سوق المتدققين ويعطل نفاق المتسوقين . ويهجن خلق
المختلفين . ويزيل تلفيق الساعين . ويزيح سعاية الملافقين . ويتعرف
الى العوارف الغر بالشكر ، ويستعطف العساوطف الغر
بالعذر ، ويجتهد في استغراغ المجهود للاستغفار ، وينفض عن وجه
البشر ما عليه من الغبار ، وظهرت بعد ذلك بالقبول آثار الرضا
ومضى ما مضى وقضى من اعزاز الديوان قدر السلطان بما قضى .

وفي هذه السنة استشهد الأمير شمس الدين بن المقدّم بالموقف في
عرفة لأبناعه رسما ماعرفه ، فذهب غلطا وعطب فرطاً. وذلك أن أمير
الحاح طاشتكين أنكر عليه ضرب الطبل فامتنع ، فندب اليه من به
بأصحابه أوقع ، فتمت من هذه الفتنة فترة ونمت نقره ، ولما نسي
الخبر الى السلطان لم يبد منه سوى الازعان وقال لاشك أن
طاشتكين طاش ، وقصد بعد الأيناس الأيماش ، وعد الديوان
العزیز هنا من ندوب طاشتكين حتى عزله واعتقله بجرأته بعد
سنتين .

نسخة كتاب جامع للفتح القدسي الأيمن انشأتها الى سيف الاسلام اخي السلطان باليمن ،

صدرت هذه المكتبة الى المجلس السامي ضاعف الله
علامه ، وظاهر الآله وضافر نعمائه ، وأظفر بساننجه
رجاءه ، وأضعف حسابه وأعز أوليائه وأذل أعدائه ولا زالت أيامه
بالإيمان مسفرة ، ولياليه بالحاسن مقمرة ، ومكارمه بالحامد
منثرة ، وعهود موابيه بشكر النعم محكمة ، ومعاهد معانيه بقهر
النقم مقمرة ، وبالة على البشرى بالفتح الأكبر ، والنجح
الأزهر ، والنصر الأشهر ، والعصر الأبهى ، والفضل الأكثر .
والافضال الأوفر ، واليوم الأنور ، واليمن الأنضر ، والفجر
الأسفر ، والفخر الأظهر والجد الأشم الأشمخ ، والمجد الأبلج
الأبلغ (٩) ، والعز الأسمق الأسمى . والنور الأتم الأنمى .
والظفر الأجل الأجل . والوطر الأهل الأهل ، والشرف الأسم
الأسنى . والعزم الأغنى الأغنى ، والسعد الأجد الأجدى . والصيت
الأبدى الأبدى ، وهو الفتح الذي تفوح بمحابه مهاب الفتوح . وتبوح
بسر روحه وملكه سرائر الملائكة والروح . وتسروح وتفدو غواصي
النعم وروائحها الى روض الهدى المروح . وتلوح تباشير بشرائه وفي
لوح النهر لكل مؤمن يتلقاها بسالوجه السافر والصدر
المشروح ، وتتوح ناعية الكفر في كل ناحية ولكل نادبة للأسى على
قتيلها واسيرها ندوب في القلب المقروح ، وهو فتح بيت الله المقدس
الذي غلق نيفا وتسعين سنة مع الكفر رهنة ، وطال في أسره سجنه
واستحكم وهنه ، وقوى نكره وضعف ركبه ، وزاد حزنه وزال
حسنه ، واجدبت من الهدى أرضه ، وأخلف مزنه ، وواصله خروفة
وفارقه امنه ، واشتغل خاطر الاسلام بأسببه وساء ظنه ، وذكر فيه
الواحد الأحد ، الذي تعالي عن الولد ، وإن المسيح ابنه وأربع فيه
التثليث فعز صليبه وصلبه ، وأفرد عنه التوحيد فكاد يهيئ مقتله ودرج
الملوك الأقدمون على تمنى استنقائه فأبى الشيطان غير استيلائه
باسفار صبح امرنا وأشراق مطالع نفاقه ، ونخر الله هذه الفضيلة

لنا ولهذا العصر . وأنزل على نصلنا نص النصر . وأطلع الليل
عزمتنا فجر الفخر ، ووقفنا لوصول اسباب الاسلام وقطع دابر
الكفر ، وذلك انا استفتحنا سنة ثلاث وثمانين بقمع اهل
التثليل ، واصرخنا الاسلام بالجد المنجد والعزم المغيث ، وخرجنا
من دمشق في المحرم ، في العزم المصمم . والرعب المجهر الى الكفر
واللباس المقدم . وكنا اشفقنا على طريق الحج . من قصد الفرنج
فشغلناهم عن القصد بقصدهم . وتصدينا لجهانهم بردهم عن
المراد وصددهم . واقمنا بظاهر بصرى مخيمين على سمت الكرك ،
وقدما الطلائع الى المناهل ونظمنا سلك امداهم في ذلك
المسلك ، حتى وصل الحاج سالما . وذل الكفر عن قصده
راغما ، ولما فرغ القلب من شغله وفاز كل بجمع شمله بأهله ، سرنا
الى الكرك في الامراء والمفرجين الخواص . وشفعنا للجهاد في سبيل
الله الفاتحة بالاخلاص ، وقد كنا استدعينا العساكر والجموع
للجهاد من جميع الجهات . وترقبنا توافيهم للميقات ، وأمرونا ولدنا
الملك الافضل ان يقيم برأس الماء ، ويكون في خدمته جميع الامراء ،
وسرنا الى الكرك والشوبك فاخربنا عماراتها ، وأحرقنا
غلاتها ، وقطعنا ثمراتها ، وأزعجنا ساكنيها ، وأخفنا
أمينها ، وأجلينا عنها فلا حياء . واقمنا النوائج عليها في
نواحيها ، ووصل اليها ونحن بالقريتين المسكر المستدعى من النيار
المصرية ، فلويت به قلوب الامة المحمدية ، واجتمع بالخيم الافضل
برأس الماء من وصل من العساكر الشامية والفراتية ، والجزرية
والموصلية والنيار بسكرية ، فاستهز ولدنا هناك فرصة
الامكان ، وانهض الى الكفر سرية سرية من اهل الايمان ، فساروا
سارين . واغاروا غارين ، واخذوا ونهيو . وسبوا وسلبوا فلم
يشعروا الا وجموع الكفر قد سدت عليهم الطريق ، واخذت دون
خروجهم الى السعة المضيق ، فثبتوا ثبوت الجبال للرياح
العواصف ، وشرعوا الى عرائين الكفر اسنة الرماح
القواصف ، وكان مقدم عسكري مظفر الدين بن زين الدين ومعه
مملوكنا قايماز النجمي صارم الدين ، فلقيا بصديريهما صدور
العوامل ، وحملنا في عسكرينا على الفارس والراجل ، وحصل

الفرنج منهم في دائرة الردى ، وخذل الضلال ونصر الهدى وكثر من
الفرنج القتل والأسرى ، وعاد المسلمون بالدمرة العظمى والميرة
الكبرى ، واتصلت بنا ونحن في بلاد الكرك البشري ، وشكرنا الله
على نصرته الاولى وقلنا هذه مقدمة الاخرى ، ولما قضينا الوطر من
تلك البلاد ، ووفينا باحراق اقوات اهل النار بالنار حرق
الجهاد . فاجتمعنا بأصحابنا القادمين من مصر وتناشرت لدينا
دلائل الظهور وتظاهرت امارات النصر . عننا الى الشام . وقد
تكاملت به جموع الاسلام . وزخر بحر الفضاء بأمواج
الاعلام . وطفا على اتباع لجه حباب الخيام وقد فض الفضاء ختام
الفتام وعلق بالقلق من ذلك الفيلق غرام الرغام . فكمينا بعشرا
(١٠) شهرا . وقد اعينا بشهر بنات الغمود سرها
جها . وخطبنا من الله الكريم فتح بكر جعلنا بذل المهج لها
مها . وقد سمع الفرنج بجمعنا فجمعوا . ونادوا في بلادهم
فاسمعوا . واجتمعوا على صفورية من صفر . وحشروا في تلك
الاشهر من جمعهم في المحشر جموع سقر . وأخرجوا صليب
الصلبوت . وقاد اهل الجبروت . فتهافت الى شعلة ناره
فراشهم . وتوال الى ظلة ضلاله خشا شهم . وقاموا وقيامه رعيهم
قائمة . وسوايح جريهم في بحر العجاج عائمة . وطلائعهم سارية
وسراياهم طالع . ومقدمات رعيهم منا السائرة لجنوبهم وقلوبهم
مقضة خالعة . فلما تكامل منا الجمع . وأخذ بعجاجة وعجيجه على
الافاق البحر والسمع . عرضنا عساكرنا في يوم يذكر بيوم
العرض . ويتلو مشاهده لتتزل الملائكة (ولله جود السموات
والارض) (الفتح ٤٧) في رايات خافقة كقلوب الاعداء . عالية
كهمم الاولياء . وسرنا في جموع ضاق بها واسع الفضاء . وسار في
كتائبها نازل القضاء . وسحب نيل الارض بثمار نفعها . على
السماء . وقطعنا الاربن . وتأييد الله مواهل . وقدره باقدارنا
على الاعداء كافل . فما المننا بطيرية حتى فتحناها
بالسيف . وبخلناها بخول المغير لا بخول الضيف . وتسلمنا
المينة . ونازلنا قلعتها البكر الحصينة . وذلك يوم الخميس الثالث
والعشرين من شهر ربيع الآخر والخميس يؤم الخميس . وأسد

الوغي قد اتخذت من وشيجه العريس . هذا والملك العادل عنا غائب . ومعه أيضا بمصر كتائب . وتوفيق الله له مصاحب . وكنا عزمنا قبل قصد طبرية . ان تلاقى الفرنج على صفورية . في مركزهم ومجتمعهم . وثلايسهم في مخيمهم . فحين نزلنا من الثغر بالاقحوانة (١١) . وتمسكنا من الله بالاستنجاد والاستعانة . ركبنا قبل قصد طبرية الى الفرنج في مجتمعهم . واشرفنا عليهم في موضعهم . فما برحوا من مكانهم . ولا تحركوا برجالهم ولا فرسانهم . وارتدنا في صحراء لويية موضعا للمصاف واسعا . وفضاء لمازق الجمعين جامعا . وبتنا هناك باطال الابطال ميمنة وميسرة . ووجئنا بتأييد الله اسباب الظهور وميسرة . وجئنا في خواصنا والجنادرية . ونزلنا في العدة المجردة على طبرية . واخذ النصابون ساعة النزول في النقب . فصرع قائم سورها للجنب . وبخل الناس اليها ليلا للنهب وكانت ليلة مدلهمة معتمه . وارجاء المدينة مظلمة . فاشعلوا وأوقدوا . وبخلوا الدور وتفقدوا مالم يفقدوا وكانت بها حواصل من زفت وكتان علق بها النار . فاحترقت تلك المساكن والبيار . وتحصن اهلها بقلعتها . وتمنعوا بمنعها . فاصبحنا على حصرها . وسلكنا جدد الجدد في امرها . فجاءت رسل الامراء . ان الفرنج قد تحركت . وانزعجت لكون عقيلتهم من طبرية تملكت . وادركهم الندم كيف تركت وما ابركت . وانها قد عبت جنوبها . وشبت وقوبها . ولبت نداء جموعها . وصبت عليها ماء دروعها . وغاضت في غدران سوابقها السابرية . وفاضت ببحار سوابقها الاعوجية . وان جمرهم قد استعر . وان بحرهم قد زخر . وانهم قد اتسوا في عديمهم وعيينهم . وحدهم وحسينهم . وخيلهم ورجلهم . وطلهم ووابلهم . وفارسهم وراجلهم . واحزاب ضلالهم وابطال باطلهم . وانهم حين عرفوا استيلائنا على طبرية . وسبقنا بفضيلة فتحها البرية . غاروا على العقيلة السبيه . واشعلت نضواتهم نار الحمية . وساقوا الى معترك الردى وملتقى المنية . ولما عرفنا قربهم . قصلنا حربهم . وزحفنا اليهم . واشرفنا عليهم . والجب

الساري كالجيل الراسي . وقد افاض الحديد من قلبه على الحجر
القاسي . ولعت بوارق ييارقه . وراعت طوارق طوارفه . وبرقت
قوانس قوامه . وارتعت فرائص فرافعه . وامكنت فرائس
فوارسه . وباح الحديد على عوابسه بوساوسه . وماجت بحار
سلاحيه . واشتعلت نيران قواضيه . وشدت الاجادل دون حوار
صوارمه . وسنت بعرض افواجه فجاج مخارمه ، وقرنت الالفات
بلاماته . وظهر من حشره يوم الحشر بعلاماته . فاغتتما الفرصة في
اللقاء . وهجنا الى الهيجاء . واسرعت الاعنة . واشرعت
الاسنة . ونقع النقع . (١٢) اوام الجو . واجاب الصدى دوي
الدو . وجال الجاليش . وطار السهم المريش . وعصفت رياح
السوايق . واستعبرت عيون البوارق ، ولقيناها في عرمم
عارم . ومجر جارم . وعوامل جوارم . وصواهل
صلادم . وضراغم ضوار . وجوارح جوار . واسود قد اعتقلت
اساود . وجياد قد حملت اجاود . وسوايح قد اقلت
بحورا . وصقور قد ركبت صقورا . واقفناهم نهار يوم الجمعة
وساكهم لا يتحرك . وبازلهم لا يبرك . وصفهم لا ينفض
وجدارهم لا ينقض . وبنيانهم مرصوص . وطائرهم عن الطيران
محصوص . حتى نخل الليل . وقر في الوادي تلك السيل . ويات
الفريقان على تعبيتهما . واجابة داعي الموت بتلييتهما . واصبحنا
يوم السبت واهل الاحد على حالهم ولم يريموا موضع
قتالهم . ومازالت الحملات تتناوب . والاسلات (١٣) تتواش
وتتناوب . والسواعد يقرع الظبي سواع . والرواعف في زرع الطلي
رواع . والمنايا تنن . والبيض تصافح البيض صفاحها . والذكور
لنتاج الحرب العوان بالفتح البكر عند اللقاء لقاها . والذوايل في
اشاجع الشجعان ذواب . والصوارم لجوامع النيران
شواب . وضماثر الفمود قد باحت باسارها . ونواظر الجفون قد
تخلت عن غرارها . ولما احسوا بأسنا . وامبرار امراسنا
والهجير يتلظى وقد قد عليهم بناره . والاوام يتوقد ولايتوقى
احراقهم ياواره . سالوا الى طلب الماء . واخذوا طريق البحيرة
للارتواء . فآخذنا عدامهم ووقفنا امامهم . وحللناهم عن

المورد . والجساناهم الى الرى بالرد . فاعتصموا بتسل
حطين . وصرنا بهم محيطين . وتحكمت فيهم قواضي
القواضب . ونشبت من التشاب بهم نيوب التواشب . وكان جمعهم
جمرا وقد وقد . قصب عليهم السيف نهرا فخميد . وفضوا
بالفضاء . وفرشوا بالعراء . وعب بأماء الدماء . وغصت الفجاج
بالقتلى والاسراء . واسر الملك واخوه . والابسرذس الكركي
ومؤازروه . ووجوه الكفر ومقدموه . ومقدم الداوية
واعوانه . وصاحب جليل واعيانه . وهذفري بن هذفري وابن
صاحب اسكندرونة وصاحب مرقية . ولم يفلت الا ابن بارزان
والقومص (١٤) . وتم لهما من الورطة المخلص وكان كلاهما
ملهما عند اللقاء بالقتال . وعند الفرار بالاحتتيال . فاما القومص
فانه لما مر بطرابلس ادركه الموت في برجه المشيد . ونقله القدر المييد
الى عذابه المؤيد . وذل ذلك اليوم أهل الجبروت . وحيز صليب
الصلبوت . وبار وباد اولياء الطاغوت . وهلك عبدة الناسوت
واللاهوت . وملك عليهم القدر كتاب الاجل الموقوت . وقدمنا
الابرذس وضربنا رقبته وفاء بالذر . وعجلنا به الى النار مأوى أهل
القدر . وألحقنا به الداوية والاستبرارية . وادرنا عليهم صبرا
كؤوس المنية . وروينا ظماء الظبي من نجيعهم . وقربنا سيد الفلا
من صريعهم . وعنا الى طبرية فتسلمنا قلعتها . وحلنا عقبتها
وفرعنا ذروتها . واغترعنا عذرتها . ثم سرنا الى عكا ففتحناها
بالامان . واعلنا بها شعار الايمان . واستقرينا بعدها البلاد
الساخية من جليل وحد طرابلس الى الباروم غير مرور فانها
امتعت بسورها . ولم يبق في كاس الكفر غير سورها . وانها
وجبت قسمة في ايام اشتغالنا بفتح اخواتها . وكثفت من عدد
المحاصرة آلاتها . وكنا لما فتحنا عسقلان بدانا بالنزول على القدس
وذلك يوم الجمعة ثالث عشر رجب * فـرجفـ

بها قلب الكفر ووجب . وظن اهلها انهم يعتصمون . وانهم من
بأسنا يسلمون . فنصبنا عليهم منجنيقات هبت احجار السور
بسورة احجارها . واذن ركوعها بسجود الابراج في اجبارها .

ووقت الصخور بأصراخ الصخرة . وعثرت تلك القلل لأقالة مادام بها من العترة . وكشف النقب وثقب الاسوار . ورمت الجنادل جوانب ذلك الجبار . وعلم الكفار لن عقبي الدار . وايقنوا بالقتل والاسار . فخرج مقدموهم متذللين بالانعان . مبتهلين في طلب الامان . فأبينا كل الاباء . الا سفك الدماء من الرجال وسبي الذراري والنساء . فذوقوا بقتل الاسراء . وأخرب العمران وهدم البناء . فامناهم على قطيعة موازية لاثمانهم لو اسروا او سبوا . فامنوا . من ان يسلبوا وهم على الحقيقة قد سلبوا . ومن وثق منهم بالقطيعة خرج بحكم العتق . ومن عجز عن ادائه دخل تحت الرق . وعاد الاسلام باسلام البيت المقدس الى تقديسه ورجع بنيانه من التقوى الى تأسيسه . وزال ناموس ناقوسه وبطل بنص النصر قياس قسيسه . وفتح باب الرحمة لاهلها . وبخلت حبة الصخرة لفضلها . وباشرت الحياة بها مواضع سجونها . وصافحت ايدي الاولياء اثار القدم النبوية بتجديد عهدنا . وشوهد مقام المعراج وموطئ براقه . ورئي نور الاسراء ومطلع اشراقه . وبنا المسجد الاقصى للراكم والساجد . وامتلأ ذلك الفضاء بالاتقياء الامايد . وطنت اوطانه بقراءة القرآن ورواية الحديث وذكر الدروس . وجلبت هدى الهدي من الصخرة المقدسة جلوة العروس . وزارها شهر رمضان مضيفا لها نهار صومها بالتسييح وليل فطرها بالترايح . وشفى الله بسقيا هذا الفتق ماكان بهم القلوب لاجلها من تبار التباريح . فالبيت الحرام مساو للبيت المقدس . مفدى منا كلاهما من المهج والاذفس بالانفس . وانه من المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال والرجال . ويضيق عن وصف شرفها في حلبة البيان المجال . وهو للحرمين ثالث ولا تثليث في حرم توحيد . فتجدد جد الاسلام بتجديده . ولما فرغ البال من تدييره . وقضينا حق تقديسه وتطهيره . صرنا الى صور . ونازلناها بعمسكنا المنصور . وفي صور سؤر الكفر وبقيته . وقد تحصن بسورها ومنعته شرمته . وهي مدينة حصينة . متوسطة في البحر كأنها سفينة . وقد نصبنا عليها المنجنيقات فتكات فيها . ورمت من اعاليها وهدمت من مبانيها . ولم يبق في جعبة الكفر سوى نشايبها . وان جمحت علينا

فتصرة الله وعوائد تأييده لنا تؤنن بأصحابها . وانا تسلمناها
تسلمنا بأن الله كل بك للفرنج باق . ومالهم من عذاب الله الواقع
بهم واق . ثم رأينا ان حصار صور يطول . وان مسألة بيكار
(١٥) العسكر فيها تعول وان فتحها لايفوت . وله وقته الموعود
ووعده الموقوت . وكان العسكر قد ضجر ومل وأعيا وكل . وقد دخل
الشتاء . ويرد الهواء . وجاءت السماء وتواترت الانواء . وتواصلت
الانداء . ولايد من استتفاف جمع العساكر في ايام الربيع .
واستعداد النصر الذي يضم لاستجداد الفتح شمل الجميع . ورحلنا
عنها بعد ان رتبنا حولها . في الثغور المجاورة لها . من يديم شن
الغارات عليها . ويواظب على النهوض اليها . وفسحنا لاجنائنا في
الاستراحة مدة شهرين الى النيروز . فان في تلك الايام تتوفر
العزائم على المبارزة والبروز . وقد جرت المواجهة على المعاونة .
والمعاينة للمعاينة . والمعاهدة للمساعدة . فليس في الفرنج من
يقاثل الان على الخيل . والنهار عليهم في اظلام الليل . والعز
مقلص الظل عنهم والذل صافي النيل . وقد حذب حذبهم من حربنا
مثير للحرب والويل . وقد اشتمل الفتح على البلاد المعينة . والمعاقل
البيينة . وهي طبرية . عكا . الزيب . معلبا . اسكندرونة .
تبنين . هونين . الناصرة . الطور . صفورية . الفولة . جينين .
زرعين . دبورية . عفريل . بيسان . حيفا . صرند . صيدا . قلعة
امي الحسن . جبل جليل . بيروت . جبيل . مجدل يابا . مجدل
حباب . الداروم . غزة . عسقلان . تل الصافية . التل الاحمر .
الاطرون . بيت جبريل . جبل الخليل . بيت لحم . لد . الرملة .
قبيتا . القدس . صوبا . هرمس . السلع . عfra . الشقيف . ولم
نذكر ماتخلها من القرى والضياح والابرار الحصينة الجارية
مجري الحصون والقلاع . ولكل واحدة من البلاد التي ذكرناها
اعمال وقرى ومزارع . واماكن ومواضع . وقد جاس المسلمون
خلالها . واسترعوا ثمارها وغلالها . وقد كنا عند قصصنا البلاد .
وعرضنا للجهاد الاجناد . كاتبتنا اخانا الملك العادل سيف الدين ان
يخزل بالعساكر المصرية من ذلك الجانب . وينتظر كتابنا بنصر هذه
الكتائب . فلما يشر بكسر الفرنج وفتح طبرية وعكا . والظفر الذي

اضحك الاولياء وازعج الاعداء وابكى . وتلا عليه (قد افلح المؤمنون)
(المؤمنون ١) وقد (افلح من تزكى) (الاعلى ١٤) كان وصل
الى السواد في سوانه وبياضه . وبحار جيشه وبراضة . وورد من
مورد النصر الى حياضه . فجاش بجيوشه . وجاز العريش
بعريشه . وزار دار الداروم بدمورها . واجفلت قدامه البلاد في كل
من اعتمد عليه بامورها . ووصل الى يافا ففتحها عنوه . ونال
العسكر منها بالنهب والسبأ حظوه . ثم حضر مجدل يابسا
وحصرها . وطلبت منه الامان فانظرها . وكتبنا اليه بالاقامة في ذلك
الجانب . ماضي العزائم قاضي القواضب . وان يستفتح من البلاد
مايتعجل فتحه . ويقدم من الرجاء مايتيسر نجحه . الى ان نفتح ما في
جانبتنا من البلاد . وننتسلمه . وننتهز فرصة الامكان فيما نحن بصيده
ونفتنمه . وقد كنا انهضنا الى كل بلد من الناصرة وصفورية .
وحيفا وقيسارية قسرا وتسلمت البواقي سلما . ورأى من كان فيها
سلامته غنما . ورضي بالغرم رغما . وتسلمنا نحن تبينين وبيروت
بالامان . بعد ان قاتلنا اهلها قتالا شديدا الجاهم الى الاذعان .
فاما صيدا فان صاحبها اذن الى التسليم . بعد ان بات منا بليلة
السليم . واما جبيل فقد سلمها صاحبها وخلص من الاسر . ورأى
خلاصه فيما تعجله من الضر . وحينئذ سرنا واجتمعنا بالملك
العادل على عسقلان . وهان لنا كل ما استصعب منها وبان . وظهر
لنا منها وجه الفتح وبان . واصبنا فوائدها لمارمينها بمصائب .
واصبنا مقاتل الاسوار بسهام قسيها . وعاقبناها بحيالها
وعصيتها . واقتلنا بخزائم الكرة اذف الطاعة من عصيتها . وصافحنا
ببيض الصفائح يد الرضا من ايها . وباشرت سهام المجانيق
بسواكها ثايا الشرافات فهتمتها . ونهضت احجار الرماه الى
احجار البناء فهتمتها وهدمتها . وغنى فيها معول النقاب . ولما ايقن
اهلها بالعلب . لاذوا بالضراعة والطلب . وخرجوا مسلمين
مستسلمين . وانقادوا مستكينين مذعنين . واسلم البلد واسلم
وجدد اذف الكفر وارغم . وعاد منه الايمان الغريب الى وطنه . وقر
منه الاسلام القريب في مسكته . وعند ذلك تسلمنا غزة . واعنا اليها
العزة . واتينا على الرملة ولد والنطرون . وفتحنا بيت جبريل وجبل

الخليل وجميع تلك المعاقل والحصون . ثم ختمنا فتوحات هذه السنة
بفتح الارض المقدسة . والحمد لله على نعمه المفرجة للكروب
والطافه المنفوسة . وقد جعلنا هذه البشارة القدسية . بما هناء الله
من الموهبة السنیه . وسناه من المنحة الهنية . لملوكنا حسام الدين
سنقر الخلاطي وامرنا ان يسير فيها من اصحابه . من يقوم فيها
بحق منابه . والمجلس السامی يشيع ميامنها ببلاد اليمن . ويجلو
عروسها البكر في حسناتها الحالي وحليها الحسن . ويشكر نعمة الله
التي خصنا بها وعمت الامة . ويديم شكرها فان دوام الشكر يديم
النعمة . لا زال المجلس مشكور الشئمة على الهمة . منصور
العزيمه . ان شاء الله .

وبخلت سنة اربع وثمانين وخمسمائة

والسلطان مقيم بعكا وربيح الربيع رضيع . ووشي الروض
وشيع . وصنيع القدر نصيع . وشمل الظفر جميع . وفضاء الروض
وشيع . ومراد المراد مريع . ونسيم الاسحار لاسرار الازهار
منيع . واربج الجو العليل في شفاء غليل الجوي شفيح . والدهر قد
ثمل وافاق . والزهر قد شمل الافاق . وللمحاب مهاب . وفي الشعاب
اعشاب . وخدود الشقائق محمره . وثغور الاقاصي مفتحة . وعيون
النرجس مصفرة . وشفاء المنابع مخضرة . واحداق الصداق
الناصرة ناظره . ووجنات الجنات الزاهية زاهرة . وعذبات المنايا
متموجه . وحافات المناهل متديجة . وجباه الفدران متقضنه .
وجفون النوار متدوسنة . والافنان مسورقة والورق متفنه . وخد
الخبري مورد . وحد العراد مجرد . وعرف البهار قد تارج . ووجه
الجلنار قد تضرج . وعذار البنفسج قد يقل . وعذر الزمان قد قبل .
وشارب النبت قد طر . وهارب البرد قد فر . وسر الصيف قد سرى
وسر . وطبي الطيب قد حقل ودر . وتقاضى السلطان غريم عزمه

بين الدين . وان ان يصحر ليث بأسه الخادر من العرين . فأبرز مضاربه . وجهر كئابه . وضرب سرادقه . وعرض فيالقه . ونشر بيارقه . وحشر رواعده وبوارقه . وانفق خزائنه . وانفد دفائنه . وبذل في صون الدين ليناره . واشعل في حفظ ماء الهدى على العدى ناره . وسار على سمع حصن كوكب . وعن قصده ماتكذب . ونزلنا عليه في العشر الاوسط من المحرم . واماننا الا من له بقتال العدى فيه لهج المحب المغرم . ولعزمه وهيج اللهب المضرم . ووجدنا كوكب في سمائها كأنها الكوكب . وظن الفرنج انها لا تنكأ ولا تنكب . وهي من المصاعيب التي لا تبرك ولا تركب . فأحطنا بالحصن وخيمنا حوله . واستمددنا قوة الله وحوله . ونحفظ اليه الرجال . وتناوب عليه القتال . وركب اليه السلطان ورازه . واستصعب احتيازه . ورأى ان مقاتلته تطول . وان مسألته تعول . وان محاولته في مطاولته . ومصابه في مصابرتة . واضاقته في مضايقته . وان مآلي هذه الحال اقتضى تعذر افتضاخ عذرتة . ولا مطمع الآن في فرع ذروته . ولا قرع مروته . وكان في خواصه . واهل استخلاصه . لم تتجمع عساكره . ولم تتموج زواخره . فاقام هناك بالتدابير مستغلا وللأشغال مدبرا . وبلاستظهار متأيدا . ويتأييد الله مستظهدا . حتى رتب على قلعة صفد خمسمائة فارس . من كل محرب للحرب ممارس . وسلمهم الى طغرل الجاندار . لمرابطها بالليل والنهار . ووكل بكوكب قايماز النجمي في خمسمائة مقاتل . من كل ناصر للحق وللباطل خاذل . وكان سعد الدين كمشبه الاسدي بقلعة الكرك موكلا . وبخطها مكفلا .

ذكر حال الكرك من اول الفتح

وقد مضى ذكر وقوع ابرئذس الكرك في الشرك . بمعترك يومه في المعترك . واقتتاح الفتح بحتفه . وبسط كثف الانتقام عليه بقبحه وكفه . وانه اخذ رأسه . وقطعت أنفاسه وقلعت اساسه . وكانت

زوجته ابنة فليب صاحب الكرك بالقدس مقيمة . ولحفظ معاقبتها
مستقيمة . وحصل ولدها هذفري بن هذفري في قبض الاسار وقيد
الخسار . وغمه الانتكساف والانتكسار . فلما يسر الله فتح البيت
القدس . واصبح الاسلام عالي اليد والكفر راغم المعطس . خرجت
صاحبة الكرك متعرضة للخضوع . متضرعة بالخشوع . وبرزت
مستكنة مستكنة . متعطفة مراحم السلطان مستلينة . رافعة
عقيرتها بالابتهاال . شافعة في فك ولدها من الاعتقال . معفرة خدا
من شأنه التصبر . مسفرة عن وجه من عادته التضدر . حاسرة
خسرى . باسرة لحزنها بأسرى . واللة تزدشد ولدها . والهة بخل
الرعب خلدتها . مطلقة ميسورها . مستطلقة مأسورها . ثانية عطف
العطف لواحدتها . رائنة بعين الذل في خلاص ساعدها . سائلة في
قلنة كبدها . جائلة بجذوة كمدتها . باسطة يدها . نائرة خرزات
دموعها . عائرة بحزازات ولوعها . خافضة جناح استعطافها .
ناهضة في نجاح استسعاها . راجزة بذوحها . عاجزة عن بوحها .
وخرجت معها زوجة ابنتها ابنة الملك . كأنها من بنات الفلك . بانبا
صبح وجهها اليق (١٦) في ليل شعرها الحلك . مشرقة من
اوجها . مشفقة على زوجها . محترقة على فداء الحليل . مقترحة به
شفاء الغليل . خادرة قد اصفرت من مطالعها واصحرت . حادرة
عبرة في مدامها طمرت (١٧) . ناهدة متنهدة . واجدة متواجدة .
معززة متذللة . مهتزة متململة . باكية متلهفة . شاكية متأسفة .
مستدعية مستعنية . عاطية مستعطية . ساكية عبراتها . راكبة
عثراتها . خامشة وجناتها . خادشة بشراتها . وحضرت الملكة في
زوجها الملك خاطبة واقرمها التذب نادبة . قد اذعنت وغنت لفاك
عانيها . وطلبت بطلها الذي هو عامر دار عزها وبانيها . فاكرم
السلطان وقادتهن . ووفر افادتهن . وقرب ارادتهن . وقرر
زيادتهن . ووهب لهن ولاتباعهن واشياعهن ما كان يلزمهن ويلزمهم
من مال القطيعة . ووصلهن بصلالة الرقيعة . وخصهن بمالاق بكرمه
من حسن الصنيعة . ووثقهن بنجح الذريعة . وأما الملكة فانه مكن
محلها . وجمع بالملك شملها . وتقرر مع صاحبة الكرك اطلاق ابنتها
على تسليم قلعتي الشوبك والكرك . وبخولهما في معاقلنا وخروج

اصحابهما منهما في الدرك . فاستحضر ابنها هذفري من دمشق اليها وأقر برؤيته عينيها . وسار معهم من الامراء الامناء من يتسلم منهم تلك المعادل . ويحوز من تلك العقيلة العاقلة تلك العقائل ، فمضت اليها مع ولما . حسنة الظن بأهل بلنما . فلما وصلت قاطعوها . ودافعوها عن حصونها ومائعوها . واخلفوا ظنهما وخالفوها . حيث ما ألفوها كما ألفوها . وجنحوا وجمحوا . واجترأوا عليها واجترحوا . وعصوها وأقصوها . وعدوا عليها الذنوب واحصوها . وأفحشوا لها في خطأ الخطاب . وأوحشوها بالتحشي عن صوب الصواب . وسبعوها وسبوها . وإلى موافقة الاسلام نسبوها . وكلما لا ينتهم خاشنوها . وكلما قاربتهم بايذوها فوجدت نبوة نوابها . وعدمت إصحاب أصحابها . وذكرتهم بدقوقها . وحذرتهم من عقوبتها . ولأطفتهم فلفظوا . واسترضتتهم فاحفظوا واسترعتهم العهد فما حفظوا . ونبهتهم لأمرها فما استتيقظوا . وانفصلت عنهم خائبة مخفقة . هائبة مشفقة . تخشى من رد ولما إلى السجن . وعونها من الاصحاء إلى البجن ، ومضت إلى الحصن الآخر . فصارت منه على صدفة الخاسر ، فأنها لما الت بالشوبك التت من شوب كدرها وأملت نفعها فعانت بضرتها . ولقيت من نوابها نوائب . وفي موارد المراد منها اقذاء وشوائب . فأبت بالامل الخائب والعمل العائب . والخوف الصادق والرجاء الكاذب . فلما رجعت قبل السلطان عذرها . وازال ذعرها . وأعلمها بان ولما محفوظ . وبالعناية ملحوظ . وبالعناية به محفوظ . وهو في حصن السلامة إلى ان تتسلم الحصون . وإذا بذل مصونها بذلنا لك منه الحصون . فسكنت إلى الوعد . وسكنت بعكا في ظل الرفد والرفد . ثم انتقلت قبل خروجنا من عكا - إلى صور - واستودعت السلطان ابنها الماسور . وأمد السلطان سعد الدين كمشبه في حصار الكرك والشوبك بامراء يساعده في الحفظ واليزك . فأقام على كل قلعة من يكفي لحاصرتها . وفي بمصايرتها . ويلبث في مقابلتها . ولا يبعث بمقاتلتها . فأنها تبقى على قوتها مالم تقو (١٨) من قوتها . وتدوم على طغيانها مالم يذل عز طاعوتها . فلما رتب

السلطان هذه المراتب . ورب هذه المراتب . أقام حتى وثق
باستمرارها وتحقق حق استقرارها .

ذكر مدينته في عمارة عكا

اختلفت الآراء في أمر عكا فأنها كانت مدينة متخرقة . وبيوتها
متفرقة . وسورها غير معمور . ومعظمها بلا سور . ورأوا أن في
إبقائها خطرا . وأن في إخلائها ضررا فمن أصحابنا من أشار
بخرابها وحفظ الحصون . وبناء قلعة القيمون . ومنهم من قال إذا
صينت عكا ملك البحر . وهلك الكفر . وكانت على البلاد الساحلية
أقلا . وكانت بها بلاد الكفر غفلا . فمن قائل بإبقاء برج الداوية
لحفظ مينائها . ومن قائل نخصرها من أبنائها . ومن قائل نجد
سورها . ونحكم أمورها . ونبقيها بحالها . ونعمرها بكما لها . على
أن أسوار هذه البلاد سيوفها التي هي عند الفتوح مفاتيح إقفالها .
وأجالوا الفكر فيمن يجلي غوائلها . ويحلي عواطلها . ويتوحد
بتدبيرها . ويتفرد بتعميرها . ويجتهد في تسويرها .

ذكر وصول بهاء الدين قراقوش لتولي عمارة عكا

فقال السلطان: ما أرى لكفاية الأمر المهم . وكف الضطرب الملم . غير
الشهم الماضي السهم . المخيء الفهم . الهمام الحرب . النقيب
المجرب . المهذب اللودعي . المرجب الالهي . الراجح الرأي .
الناجح السعي . الكافي الكافل بتذليل الجوامع . وتعديل الجوانح .
وهو الثبت الذي لا يتزلزل . والطود الذي لا يتحلحل . بهاء الدين
قراقوش الذي يكفل جاشه بما لا تكفل به الجيوش . وهو الذي أدار
السور على مصر والقاهرة وفات وفاق الفحول بأثار مساعية
الظاهرة . فنامره أن يستتيب هناك من يستكفيه لتمام تلك العمارة .

ونؤمره لهذا الامر فهو جدير بالامر والامارة . وكوتب بالحضور .
لتولي الامور . وعمارة السور . فوصل متكفلا بالشغل . متحملا
للثقل مذشرح الصدر بالعمل . مذسح السر والامل . مبتهجا بالامر .
ملتجها بالشكر . وقد استصحب معه كل ما يفتقر اليه من اسباب
العمارة والاتها وادواتها . وانقارها وابقارها . ورجالها وعمالها
وعمارها . ومهندسيها ومؤسسيها . وحجارتها ومعماريها .
والاسارى والصناع . والنحات والقطاع والمال الكثير للذقة والذهب
الابريز والرقعة . ومثل بالخدمة السلطانية على كوكب . وحضر
الدوكب وشرف باسني الخلع واعطى الملبس والمركب وفوض اليه
وقلده . واسعفه من عنده واسعده . وقوى جانبه . واعذب مشاربه
واوضح مذاهبه . وانجح مآربه . واجد جده . وكثر منده . ووفر
عنده وعنده . وخصه بعطاياه . واستخلصه لوصاياه . فتوجه الى
عكا وشغله متوجه . وعزمه متببه وسره مقترفه . وفكره في رياض
الهدى متنزّه . وامره ماض وحكمه قاض . والله عنه راض . وقام
بما اقيم له . ونهض بالمعب وحمله . ومشى بكفايته عمله . وشرع
في التعمير والتسوير . وتسوية الامور بهسن التدبير . وسياتي
شرح ما جرى بعد ذلك في مكانه . وما ظهر من حسن ايتسه
واحسانه .

ذكر وصول رسول سلطان الروم قليج أرسلان وغيره
من الرسل .

لما شاع خبر السلطان باستيلائه على البلاد . واستعلائه في
الجهاد . وتارجت الارزاء بعرف عرقه . وأرخت السير بمحاسن
وصفه . غنت الامصار لمصره . وأعتت الاملاك لملكه . وانقابت
الامراء القادة لامره . وعانت مهاب المحاب تفوح بما له من الفتوح .
وشروح ايرانه واصناره تحل في صدر الزمان المشروح فتهيبه
بالضراعة كل عظيم . وتأهب له بالطاعة كل اقليم . ورهبه ملوك
الاطراف . وتعلق باستزادة الشرف منه اهل الاشراف . فكاتبوه

مستسعين . وخاطبوه مستعطفين . وراسلوه بالتحايا . وواصلوه بالهدايا . ورغبوا في امتراء خلف الامتزاز . والاتشاح والاتحاف بحلف الاتشاح . وخطبوا الوصلة . وطلبوا الصلة . وكل يطلب لبلده منه امانا . وليده وقدمه من تمكينه وتأييده امكانا ومكانا . ويتوصل ويتوسل . ويتلطف ويتطفل . ويرسل ويسترسل . ويترجى مواهبه . ويتخذى عواقبه . ويديم التردد للتودد . والقصد لبلوغ المقصد . فما يعود رسوله الا بسوله . ولا يقبل عليه منه الا بقبوله . ومن جملة الملوك المتقربين بالوفا . المتسبيين الى حصول الاتحاد . سلطان الروم قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان . فسانه بنذل الاذعان . وسأل الاحسان . وادى في المودة الامانة . وابدى للرغبة الاستكانة . واستنهض في سفارته السفير الالب . وندب النذب . وأنفذ اكبر امرائه . وأعظم سفرائه . وهو اختيار الدين حسن بن غفراس . وكان في دولته مقدما . وفي مملكته محكما . وعند اهل ولايته معظما . وقد استعلى عليه واستولى . واستبد بالتأبير عليه كانه بملكه اولى . ولا تصرف له في ملك ولا مال الا بتصريفه . ولا تعرف له عن حادث وحال الا بتعريفه . فوصل هذا الكبير بنفسه لتمهيد القواعد . وتشديد المقاصد . وتجديد العهود . وتأكيد العقود . وقدم مكرما وأكرم قادما . وخدم حاضرا وحضر خادما . وقبل البساط وبسط وجه القبول . وتمثل له الشرف فتشرف بالمدلول . وحيا تحية المماليك للملوك . وحفظ الادب ولم يتكبر فيه عن النهج السلوك . فتلقاه السلطان بالبر والترحيب . والبر والتقريب . وأعزه بنزوله في نراه . وأعز بنزله وقراه . ووسع عليه من الانعام بما ضاق عنه أمله . وواصله من الجميل بما راقته تفاصيله وجمله . وشفع رسالته بالاصفاء . ورفع مقالته عن الالفاء . وسمع ما جاء به وأجابه . وأبعد بانناء مآربه مارابه . وشافهه بشفائه . وأرواه بروائه . وأولاه لولائه . وعرفه بالتعريف الى الائه . ونصبت له خيمة مسرده . شهادات الاقبال الناصري لها مصدقة . ورجوه الكرامات بها محدقة . وسحب المبرات لها مفدقة . فأقام أياما بياضين مقيمه . ومحاسن من احسان الشيم السلطانية مشيحه . فلما استقام أمره استقل . واستدكر له بارق البر من سماء السماح

واستهل . ومارام حتى نال مارام . ووثق لاحكام المواثيق الاحكام .
ووصل في تلك المدة أيضا الصلاح قتلغ آبه . وهو اقاتبك قطب الدين
سكمان بن محمد بن قرا ارسلان وافيا موافيا . باحسان الخطبة
وخطبة الاحسان . راغبا في تميم الوصلة . وتعميم الصلة . اخذا
لصاحبه ملك نيار بكر عهدا محكما . وعقدا من الميثاق مبرما .
وقد احضر قضاة بلاده شهوبا . واقتضى لصاحبهم بحضورهم
عهدا . وكان قد خطب لصاحبه ابنة الملك العادل . ومث بكثرة
الشوافع والوسائل . وكان خادما على آسد فانها من فتوح
السلطان . ووهبها لآبيه نور الدين بن قرا ارسلان . فاشفق من
استرجاعها بالحق بعد وفاة والده . ورأى الامن عليها وعلى جميع
بلايه من اكبر مقاصده . ورغب في المصاهرة للمظاهرة . وان يقتح
بها باب المزاورة للموازرة . فآواه الملك العادل الى ظل هذه
الدواشجة . وثبت بعقد المزاوجة حكم الممازجة . فتم آمنه . وعم
يمنه . وزاد قربه . وزال رعيه . وجلس السلطان . وحضر عنده
الامائل والاعيان . ووكلي وكان وكيل آخيه الغائب . في انشاء العقد
مع وكيل الزوج الراغب . فلما تم العقد باركانه . اعتضد ملك نيار
بكر بمكانه . وسار صاحبه بالसार مصحوبا . وعاد نيله بالفخار
مصحوبا . وقال له: قد وجدت الحزن فلا تحزن . واشتد ركتك فآلى
سواء لا تركزن . ومان كبير او أمير الا وقد وصل منه اكبر امرائه .
لينتظم بعهد السلطان في زمرة أوليائه .

ذكر رحيل السلطان صوب دمشق

واقمنا على كوكب الى آخر صفر . ننتظر منها بمن كفر الظفر . ثم
رأينا انه يطول حصرها . ولايقوت أمرها . وان الفتح يعطى . وان
كان السهم لا يخطىء . فأمر الأمراء الموكلين بها وبغيرها من
الحصون . بالمقام عليها وابتثال سرها المصون . ورحل السلطان
نحو دمشق طاهر الشيعة طاهر العزيمة . سامي اللواء . هامي

الانواء • نامي الانوار في مطالع المضاء • وبخل اليها يوم الخميس
سادس شهر ربيع الاول • بالصدر الارحب والباع الاطول • وتلقاه
اهل البلد بوجوه لاقباله متהלلة • والسنة يساءلدهاء له مبتهله • وعيون
لانواره مجتليه • وقلوب بولائه ممتليه • واسماع لامره مستتمعه •
وايد إلى الله في نصره مرتفعة • وصدور بايامه منشرحة • وأمال في
انعامه مذفسة • وذفوس على طاعة الله في طاعته مجبولة •
واعمال في رضا الله لمراضيه مبرورة مقبولة • وبخل المدينة • وأدخل
اليها السكينة • فوجنت الروح بسلماتها • وعانت الروح الى
جثمانها • وقرت به عيون أعيانها • واقرت له بحسنها واحسانها •
وابتدا بالجلوس في دار العدل • وبحضرة القضاة والعلماء من اهل
الفضل • واسترفع قصص المتظلمين • واستمع غصص المتألمين •
وكشف الظلامات المظلمة • وفصل الحكومات المستحكمة • وقرأ كل
قصة • وقرأها بكل حصة • وحقق الحقوق • ورتق الفتوق • وأقام
للشرع السوق • وأتم لرجال الرجاء بعده الوثوق • وحل بانصافه
كل مشكلة • وطب ياسعافه كل معضلة • واصصت سباء السماح •
واصعب جماع التجاح • وأعدى المستعدي • وأروى الصدي •
وحيا الهي وأروى الردي • ومجد المجدي • ومهد الحق حتى قيل
هو المهدي • فما انقضى ذلك اليوم • وانقض اولئك القوم • الا عن
مظلوم أجير بالحق • ومعلوم أجري من الرزق • وعالم أعين • وظالم
أهين • وهاد زين • وعاد شين • ومختل سدد • ومنحل عقد ومعتل
شدي • ومعتز كفي • وما حل جيد • وأمل زيد • وركن حق شدد
وشيد • وخدن باطل أبير وأبيد • وراح أنتى فوزه • ولاح أسني
عزه • وجلس يوما لآخر للاكابر والامائل • والاكارم والافاضل •
فاضاء النائي وفاضت الايادي • وغدق الندي وصدق الهدى • وكر
الكرم • وفر العدم • وحفل البر ودر الحفل • وشمل النظام وانتظم
الشمل • وصان العلماء باليدل • واعان بأفضاله أعيان اهل
الفضل • وفاز بالحمد وحاز الثناء • وأجاز الشعراء وأكرم
الكرماء • وروح الرجاء • وأولى النعماء • ونعم الاولياء • وتقاضاه
عزمه بالحركة لاستفاضة البركة • واستضافه المملكة الى المملكة •
فلم تستقر به نار • ولم يدر به قرار • ولم يثبت في جفنيه غرار • ولم

بيت الاويين جنبيه لحب لقاء العدى اهل النار نار . وكان الصفي
ابن القايض قد استجد للسلطان على بعض أبراج القلعة دارا .
وانهب في نضارتها نهباً ونضارا . وهي متطاولة بين البروج مطلة
على المروج ، مشرفة على موازاة الشرفين ، كاشفة غطاء النظر عن
الغوطتين . صحيحة البناء ، فسيحة الفناء . بهية البهو . شهية
الزهور . مجبة لاهل الجدد ذكرى اللهو . فرشها بماء الورد .
وفرشها بالورد . وبسط بسطها وعلق ستورها . واعلى نورها .
وحبر حيوها . وسرى سرورها . وسنى انواع نمارقها . واسمى
انوار مشارقها . وتوصل الى حضور السلطان بها وجلوسه .
ونهيت تباشير بشره بقطوب الزمان وعبوسه . واحضره كل مقرظ
بقريض . وكل مؤمل بتصريح وتعريض . وكل ناشد ضالة رجائه
بنشيد . وكل قاصد جلالة ارجائه بقصيد . وكل مفرد مغرب . وكل
مطر مطرب . وظن ان السلطان تروقه تلك الحلية والصاله . وتلك
الجلوة والجلالة . وتلك البقعة المؤسسة . وتلك الرقعة المقدسة .
وذلك المشرف العالي . وذلك المشرف الحالي . وانتظر نظره
استحسانه لاحسانه . وتوقع تمكينه لموقع مكانه . فما اعاره لحظا .
ولا لحة بطرف استطراف . ولا منحه حرف استعطاف . بل اعرض
بنظرة عن تلك النضارة . واغضى عن تلك الغضارة . وغض عن تلك
الغضاضة . واشتغل عن تلك الرياض بالرياضة . فالعائل من
لايتخذ من دار الدوائر موقلا . ولا يجد في منازل النوازل منزلا . ولا
يركن الى فناء الفناء لييب . ولا يسكن في غار الغرور اريب . وكيف
يبني العمران والعمر الى الهدم . والغم في الدنيا الدنيئة عين الغم .
وقال السعيد من يبني دار الآخرة . وينجو من امواج الدنيا
الزاهرة .

ثم صرف في تلك الايام الصفي عن ديوانه . وابقاه في شغل الخزانة
على مكانه . وسمعته يقول في بعض محافله . وقد اجرى له حديث
من يفرح بمنزله ؛ كان من ذنوب الصفي عندي انه بنى لي تلك
البنية . فدل على انه لم يوافق منه الامنية . وقال مايعمل بالدار من
يتوقع المنية . وماخلقنا الا للعبادة . والسعي للسعادة . ومايخطر

لنا في هذه الدار خلود بالخلد . وما لنا والمقام في البلاد والبلد .
وما جئنا لنقيم . وما نروم (الا) ان لانريم . وما تاحرنا الا
للسكون . وما سهلنا الا للعود الى الحزون . فما يجنى ثمر الراحة
الا من مغرس التعب . وما يجنى نصيب المغم الا من مغرم النصب .
فأين الاين . الذي تقر به العين . وما يحصل السكون في المسكن .
ولا يكمل الوطن في الوطن . لاسيما والدين يطالبنا بدينه . والكفر
يستقرب منا حين حينه . والبلاد سائبه . وللبلاء هائبه . فلا تفروح
الفتروح الا بهبوينا . ولا ينزل النصر الا بركوبنا . وغدا للحمز
مقما . والعزم مصمما . ووصل الخبر بوصول عسكر الشرق
بالغرب الماضي ، والحد القاضي . والجمع الوافر الواقد . والجمر
اللافح الواقد . وان عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي قد اقبل
بقبيله . ووصل برعيله . وقدم بجده . واقدم بحده . وانه حل بحلب ثم
سار عنها مسارعا . وجاء معه الجيش للنجدة والجدة جامعا .
فأرهم العزم السلطاني خبر وصوله . وحل بالشد للرحيل عقد
حلوه . وكان القاضي الاجل الفاضل ذو الجلالة والفضل . والنهاية
والنبل . متأخرا في بيته بدمشق لشكاة اقام في غيرها . واستقام
مزاجه الكريم منها وهو في ترقب زوال اثرها . والسلطان بنجس
سعيه متبرك . وينصح رأيه متمسك . ويطوله عالم ويقوله عامل .
وبعبارته قائل . ولا شارته قائل . فأراد السلطان ان يقدم بلقائه
الاجتماع . وبرأيه الانتفاع . ويستشير بنوره . ويستشير في
اموره . ويفاوضه في تفويضاته . ويقلده في تقليداته . ويثبرك بميامنه
ويقيم ببركاته . فانه طالما اجتلى سني السعادة من مطالعه .
واجتلى جني الارادة من صنائعه . واقتتح الاقاليم بمفاتيح اقالمه .
وجاءه بالوجهة في بينه وبنياه باسعافه واسعاده . وكان قد خرج
الى جوسق الشرف الغربي الاعلى . ليتفرغ هناك للعبادة ويتخلى .
فاصبح السلطان بكرة يوم الثلاثاء حادي عشر ربيع الاول على
الرحيل . فقصده لابرام ما وجد في مملكته من الامر السحيل . واقام
عنده في الجوسق الى الظهر . مستظفرا به على الدهر . حتى كشف
مهمات مهماته ورشف شفاه مشافهاته . وانتجى معه في الاراء
والاراب . وانتجع لربه من رايه صوب الصواب . وارتجع سر الغيب

ممن عنده علم من الكتاب . ثم استودعه الله وودعه . ودعا له الاجل
الفاضل وشيعة . وبات تلك الليلة مخيما بالعرانة . محتما بالسعانة
راجح السيادة . ناجح الارانة . ثم سلك في جبل ييوس الى عين
الجر الى الدلهمية . على البقاع . وهو مطيع امر الخالق ومتبعه
والخلق تابع امره المطاع . واتى بعلبك المحروسة . وخيم بمرج
عدوسه . واقام حتى امر امرها . وادبرها . وقسم لها من عدله .
وعدل بها من قسمه . وحكم فيها بفضله . وافضل عليها بحكمه .
وكشف الظلم والمظالم . وصرف المكارة . وصرف المكارم . ورفع من
المعالي المعالم . واجرى رسوم الاجر والمراسم . وامر الرعاة برعاية
امر الرعية . وحكم على القضاة بالحكم في كل قضية بالجهة
الشرعية المرعية . ثم رحل على سمت اللبوة . معصوم النبوة .
مصون الكتيبة من الكبة والكبوة . ثم اوجه الى الزراعة وزرع الظفر
قد توجه . وشرع النصر الصافي الشرعة من الكدر قد تنزه . وقد
كحل عتير العسكر طرف الجوامره (١٩) وقد آن لعين الشمس
الراقدة من الهيوة ان تعاد الهيوة وتنتبه . وزرع من الزراعة من
السمر المركوزة والبيض المهزوزة نبات الخط . وقتاد الخرط وضاق
ذلك الفضاء الواسع بحط رحال الرهط .

به ذكر وصول عماد الدين صاحب سنجار والاجتماع

ووصل الخبر بان عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي وصل جامع
من الاداني والاقاضي ، ونزل طائعا على العاصي . وخيم على قدس
(٢٠) وخيمه قد قدس ، والدين بنذوه تآدس ، والكفر بقدمومه
تعكس ، وانه ينتظر قدوم السلطان والاتفاق معه ، على قهر الشرك
ونصر الايمان ، فركبنا وابن ذكاء في اسفاره ، والصبح قد زحف
على الليل برايات انواره ، والفجر قد فجر انهاره نهاره ، وسرنا
بصدق النزاع ، وقصد الاجتماع ، فلقيناه قد ركب مستقبلا ، وقرب
مقبلا ، ولما راه السلطان حياه ، ولقيه بالكرامة واكرم ملقاه ، ونزلا

فتعانق اثم ركبا وتوافقا وتساوقا ، وخيمنا بقرب مخيمه ، وجئنا وحططنا هناك رجالنا ، وخلطنا برجاله رجالنا ، وتساعد الجندان ، وسعد الجندان. وجد السعدان ، وانتظم الجمعان ، واجتمع النظامان واتحدت الكم ، واتأت الهم ، وسأل السلطان ان يوازره ويزوره ، ويحضره بحضوره حبوره ، فساق معه الى سرادقه وارتفع في صدره . ورفع من قدره . وصار العسكران مختطفين . وجلسا منيسطين . ووقف الامراء والعظماء سماطين كالسماطين . وقرأ القراء واورد الشعراء . وتجانب بينهم اطراف الطرف والاداب الفضلاء والعلماء . وكان مع عماد الدين شاعره السنجاري ابن الهائم . ومن عادته ايراد المذائح في مثل تلك المواسم . فأنشد منها . ونشد منها ثم بسط السماط . وسقط البساط . ومدت الموائد . وعادت العوائد ونضد الخوان . وكونت الالوان . ولونت الالوان . وصفت الجفان . واحضر الطهاة من كل حاجة وباجه . وخروف وبجاجة . وحلوحات (٢١) وحامز وحامض . وتفه (٢٢) وقابض . ومطبوخ ومشوي . ومصنوع ومقلي . مطاط مذاق مذه ومحضه . وطالت الايدي في بسطه وقبضه . فلما رفع من نايه القرى . وفرغ بأيايه الذرى . قدم ماعده للهدايا . والتصف السنايا . من الجياد المقرية . والثياب المنهبة . والعهد المعجبة . والاسلحة المذرية . وكل مايروق ويروع . ويضئ ويضوع . ثم انفض الثاني عن ندي منفض . وسدي لبكر الشكر مفتض . وعين السلطان يوما لحضور عماد الدين عنده . وانه يستضيف فيه خواصه وامرائه وجنده . فوسع سرادقه . ووشع نمارقة . وضرب بيت الخشب له لحسب بيته . واسميت الحسنى بحسن سمته وسمته . واحتفل بحفله . واجل لاجله . وارجت ارجاء النادى بالتد . وراق مد النواظر النواظر في ذلك الرواق الممتد . وبسط على البسط ماحضر من الياسمين والورد . وفاح الذشر . ولاح اليشر ، وفرش الثرى . وشرف البرى . ورفع الحجاب . وشرعت القباب . وتوجهت الاسباب . وتزهت الالباب . وتضوعت نوافح النوافج . ووضحت مناهج المباهج . ووضعت المطارح واليسانس . والاسرة والوسائد . وجاء عماد الدين في خواصه وامرائه وصحبه . فتلقاه

السلطان بريحه . وقرب له السرير وسر يقربه . واجلسه الى جنبه .
وحباه بحبه . واقبل عليه بوجهه وقلبه . وجلس من جرى بالجلوس
رسمه . وسما في الرؤوس اسمه . ووقد الامراء والحجاب .
والعظماء والاصحاب . على مراتبهم في مواقفهم . ودب الاعتزاز في
معاطفهم . وكان النادى مهيبا . والندى مجيبا . والنرا رحيبا .
والقرى قريبا . والظل معدوبا . والفضل موروبا . والحقل حافلا .
والشمل شاملا . والبساط مقبلا . والنشاط مقبلا . والمرئي عاليا .
والسموع مطريا . والمجموع مغريا . والمنظر والمخير جليلا جميلا .
والمطلع والمطلب منيرا منيلا . والمكان عليا . والزمان
جليا . والربيع في انتهائه . والصنيع في اشتغائه . والمصيف في
ابتدائه . والمضيف في انتدائه والنعيم في نضوته . والاريب في
اربه . والطروب في طربه . والضرب من الخلق الحسن في
ضربه . وكانت ايام المشمش وقد وصلت من دمشق
احمالها . وحلت في تلك الحالة حالها . واقدم الجند
قدومها . وطلعت في ابراج الاطباق نجومها . كأنها كرات من التبر
مصوغة . أو باورس مصبوغة . صفر كأنها ثمار الرايات الناصرية
حلاوذوقا . واحل شوقا . ولو نظم جوهره لكان طوقا . وهو احلى
من السكر . واعبق من العبير . واحسن هياة من النارج
الاحمر . والليمون المركب المدور . وقد زفت عروسه في الثوب
المعصفر . والخمار المزعفر . كأنما خرط من الصندل . وخلط
بالمندل . وجمد من الثلج والعتسل . فهو الذي يضرب بضربه مثل
الثل . ويقتضب من قضبه لقب القبل . ونظر منه ما نضر . وما
حظر ما حضر . ورثي هناك لقطوفه قطاف . ولطوافيره
طواف . ولعقوبه مصارف . ولنقوبه صيارف . فكانها وجوه
العشاق اكتست اصفرارا . أو جمرات تشتعل نارا وتبدي
شرارا . وقد اعاد لجينها صواغ القدرة الالهية نضارا . بل هي
احداق الحداث . وقلوب اليوارق . ووجنات الجنات صبغها بلونه
البرق . وصفقها من خوفه الرعد ودورها بوقه الودق . لابل اصفرت
من مهابة الجنات الجناه . وانتظمت من جواهر الحيا
الحياة . واضطربت لهاها شوقا الى فتح اللهاة . ثم صرفت

والتراثك . والبواتر البواتك . والدلاص الموضوعه . والنصال
المسئونه . ومن المستعملات المصرية الذهبيه والحريرية . والملمص
والديقي . والمصمت والمغربي والعراقي . ومن نسج تونة
وتتيس . كل ثمين ونفيس . وما شاكله من انواع الطيب . على
النمط والترتيب . ثم انصرف وعرف حمده متضوع . وعرف جده
متدوع . وشدو شكره وعطف فخره مترنم مترنح . وامره متحبر
متريح . ووبه متسرح مترجح . ودعاؤه صالح . وثأؤه
صالح . واسانه داع . وجنانه واع . وعهده راع . وسعده
ساع . وتصاحب هو والسلطان في الركوب والجلوس . والتناجي
بما في النفوس . والتدبير فيما يقدم ويؤخر . ويقرب ويقرر . ويورد
ويصدر . وتكررت المشاورة في الموضوع الذي يبتدا بقصده . ويوفي
العزم فيها الجهاد حق جهده . واتفقوا على عرقا وعرقها
وعقرها . والنزول بعقرها . وانها انا ملكت ملكت
طرابلس . واسفر عن صبح فتحها الفلاس . واقام العسكرياما
على قدس . وبقيس النصر قد تأنس . واستاء الظفر قد
توجس . واتى العرب . واتي الارب . واجتمعت الجيوش
وجاشت الجموع . وأن الليل العزم المدلج من صبح النجح
الطلوع . ونبتعت الفيوض من النعيم وقاض الينبوع . واينعت ثمار
المبار وطابت الينوع . ثم رحلنا اول شهر ربيع الاخر الى البقيعة
تحت حصن الاكراد وخيمنا على الربا والوهاد . وصوبنا الى
الجهاد هوادي الجياد . وانينا قطاف الطاف الله لاجتاء
الاجناد . وكانت الاعشاب بالشعاب واصية . والشواثب من
المشارب قاصية . والقضب للقرب في طاعة الله عاصية . وطار
الربع . وثار العجم والعرب . وخاف الكفر . وطاف الذعر . وقال
نفر الشرك نفر . ولانستقر . وتشاوروا وتشاوروا . وحاوروا
وتحاوروا . كانهم في قبور حصونهم اموات . لا ترتفع لهم من
الوهل والوله اصوات . واجمعنا على دخول بلد الساحل على
التجريد للتجريب . وجوس خلال البعيد والقريب . ثم تجرد العسكر
عن الاثقال . وتجرأ على اخذ اهبة القتال . وسار السلطان ومعه
عماد الدين زنكي . وسيقه بصقاله يضحك ويدم الكفر

يبيكي . ومظفر الدين كوكبوري . وهو الذي حين يوارى صارمه
المشهور في نجيع العدى لزند المظفر يوري . وصحبه من فرسان
العرب كل فارس معرب . ومن شجعان الاكراد كل فاتك
محرب . ومن فتاك الاتراك كل قسور قاسر . ومن صيد الصنايد كل
كسروي كاسر . وكل كمي كميش . واكديش على اكديش . وقارح
على قارح . وخضم على سابح . وجري جار جارح . وبهمة
وبطل . وجبل على جبل . وفحل على فحل . وذمر نكل وورد على ورد
ومرد على جرد . وحلس وحلبس . وياشر بالموت معيس . واهيس
اليس . واحمي احمس . وغشمشم همام . وايهم مقدم . وباسل
ذي پاس . وعاسل عاس . ورثبال على رثبال . ومشتمل على
شكال . وبجر على بجر . وصققر على صققر . وركبوا
سلاهيهم . وجنوا جنائيهم . وجروا على الساحل سيولا . وجروا
بالذوايل نيولا . وطار ابليس طرابلس بخرواني الخوف . ودام
الجوى في رعب اهلها بدم الجوف . وما سار الا من خوف في
نهضته . ونهض بخفته . واحس حصن الاكراد بالاكهار . وصفت
على صافيتا بوارق البوار . وقطع عرق عرقا وعقرت . وتعمرت
العريمة وتعمرت . ومزعت تلك الاعمال ومزقت . وارهقت
وازهقت . ونفرت انفارها . وبقرت ابقارها . وملئت بالدوائر
نيارها . وسيقت مواشيها . وحشيت بالتيران اوساطها
وحواشيها . ونزل السلطان على حصن يحمور فما قدروا
يحمونه . وايتدل مصونه واستخرج مكثونه . وفتح
ومتحه . ومساه بالدمار وصبحه . واقام في تلك الديار عشرة ايام
يجوسها ويدوسها . وقد حيزت له نفاثسها ونفوسها . ثم رحل
بمغنمه . وقفل الى مخيمه . وعاد العسكر مسرورا
منصورا . محبورا موفورا . قد اطلع من تلك البلاد على
العورات . واضطلع بالفنائم في تلك الغارات . ونكا منها في الاعمار
والعمارات . وانقضى شهر ربيع الآخر وذلك المرح يموج بالعساكر
موج البحر الزاخر . وقد وصل قاضي جبلة يحث على
قصدها . ويحضر على انجاز وعنها . ويحضر على اعذاب
وردها . ويحقق ان الظفر في هذه السنة يبتئى من عندها . ويقول

ان الاشتغال بطرابلس مع احترازها واحتراسها . وكثرة
ناسها . وتدرعها بلباس ياسها . واستعدادها للحصار . وتجنبها
عن الاصحار . يذهب الزمان . ويفوت الامكان . وهذه جيلة وما
وراءها من المعاقل . قنيسة للحابل . وفرصة للمتناول . ولهنة
للاكل . ونغبة للناهل . وامنية للعاقل . لم يقترح عذرة امنها
ذعر . ولم يفتأ سورة نفعها ضر . ولم يقرع باب يسرها عسر . فان
سلكنا سبيلها . ملكنا سلسيلها . وان جزنا ساحتها . حزنا
راحتها . وان استقنا ملكها ملكنا قيادها . وان اعتدنا حواءها
حوينا عتادها . وان افتتحنا بها فتحناها والمسلمون بجيلة
مجبولون على التسليم . مؤملون ان يتبدل شقاؤهم منكم بالنعيم .
ففرغناه بصحة نصحه . ورفغناه بحجة نجهه . واصفى السلطان
الى قوله . واصفى له ورد طوله . واقبل عليه وقبله . واجزل له
العطاء واكمله . وكان قد وصل له مقدمو جبل بهرا . فوفر لهم
رواتبهم واجرى . وخلق عليهم وشرفهم . واسعدهم بالمواهب
واسعفهم . فندبوا الى اتباعهم . وكتبوا الى اشياعهم . واجمع
السلطان على دخول الساحل بتلك العساكر الجحافل . ورحل يوم
الجمعة رابع جمادى الاول . حافل الجحفل سامي القسطل . ماضي
المنصل . فسرنا في اجام مؤتشفه . واکام معشبه وحزن
وسهول . وشغاب وتلول . ومعالم ومجاهل . ورواب
وهواجل . ومغايض ومغايض . وارتفاع وانخفاض . حتى خرجنا
الى ساحة الساحل . ونزلنا بها ومبارك مبارنا مواحي رسوم تلك
النواحي المواحل . ومعنا احمال واوساق . واذقال
واسواق . وازواد وامداد وعدد واعداد . والخيل عرمرم . والاسيل
عرم . والمجر لجب . والغيل اشب . والاسد في عريس من الاسل
العراص . والقوارس الصلاد في غدران من السوايح الدلاص . وقد
نشأ العجاج كمعجاج التشااص . فأنحلت بحلولنا معاقد
المعاقل . واعتلت باستيلاء فحولنا عقائد العقائل . وحلت لخطبه
سيوفنا كرائم الحوالي والعواطل . ونحسن في استباحة
واستباء . واصطلام واصطلاء . وارتباد وارتباء . وقتك
باعداء . وسفك لدماء . وبتك لرقاب ذوي الفجور ، وهتك لحجاب

ذوات الخدور ، نزال من العدو كل نيل وتدير عليه في داره دائرة كل ويل • فما نقطع الا وانيا يقيظ الكفار ، ولانحضر الانابيا نزيدهم به الدمار ، وسرنا الساحل الساحل ، في ثلاث مراحل ، حتى وصلنا الى انطربوس يوم الأحد سادس الشهر ، فاجدنا بها من البحر الى البحر ، وزحف اليها الناس ، وحفز عليها الباس ، وخاب رجاء رجالها وخب نحوها الياس ، وقابلتنا ساعة ، فلم يجد اهلها للدفاع استطاعة ، ووبخت من جوانبها وتخللت من مذهبها واصابتها نوابها ، ونابتها مصائبها وفل غريبها وجب غلالها ، وسي من اخذ من نساها وأطفالها ، واعتصم من نجا ببرجين اعتصما بالامتناع ، وهما هناك من احكم القلاع ، وفي أحدهما الداوية جمرة الكفر ، ومعهم مقدمهم الذي اطلق من الاسر ، وفي البرج الآخر المنهزمون الناجون ، والفارون اليه اللاحون ، فنزل على هذا البرج مظفر الدين بن زين الدين ، فأبدى لمن استقر فيه وجه التأمين ، وحركهم الى الخروج بالتسكين ووثقوا بأمانه ، وأمنوا بميثاقه • ومكن كل منهم لسلامته من تسلم مكانه ، فلما ظفر مظفر الدين بالبرج هدمه وهدم ، وحل من احكامه ما الكفر شده ، وركب الذقب على ركنه العالي ، ونكبة في ذلك اليوم بما تنكبت عنه نواكب الليالي ، وخرب الى اساسه سورة ، ورمي الى البحر صخوره ، وامتنع برج الداوية بنائها الدوي • واتبع مريدتهم في التمرد هوى طاغوتهم الغوي ، وأقام العسكر حتى نقض اسوار انطربوس وقوضها . ورضنا بها الى أن عفينا ريضها . ولما امتنع البرج تركناه ، وما كانت فيه فرصة لو ادركناه ، وكيف كنا نشتغل بفتح برج عن البلاد ، وللفرص أوقات هي لها بالمرصاد ، ومن يسلك الجدد الاحب لا يعرج على بنيات الطرق ، ولا يستغني مدليج الليل بالدراري عن الفلق ، ورحلنا عنها رابع عشر الشهر ، شاهرين على الأعداء سيوف القهر ، ونزلنا على مرقية وقد دخلت من اهلها وتخلت • وتشتعت عمارتها واختلت ، وكان جوازنا الى جبلة على الساحل تحت حصن المرقب ، وهو معقل للاستبارة عالي المنكب ، سامي المرقى والمرقب ، ضيق المذهب عسر المطلب ، فلم

يكن بد من عبور ذلك المضيق ، وسلوك تلك الطريق ، وقد صفت الفرنج في البحر المراكب ، وسدوا المذاهب ، وردوا الراجل والراكب ، وفوقوا الجرخ للجرح ، وسددوا الزنبورك للقرح والطرح ، فحسر العبور ، وكثر العثور ، وامتنع الجواز ، ووجب الاحتراز ، وأعوز الظهور وظهر الأعواز ، وذلك ان صاحب صقلية ، رام ان يكشف عن الفرنج البلية ، فجهز اسطولا بجهازه مستطيلا ، وحمله من عدد القتال وعدد الرجال عبئا ثقيلا ، واتفق وصوله في تلك الايام في ستين قطعة ، تحسب كل واحدة منها قلعة أو تلة ، من كل شيني من شأنه شن الغارة ومن عادته العابية تشعيت العمارة ، مع طاغية يقال له المرغريط * قد عرف منه التوريط ، من أرجس الطواغيت ، وانجس العفاريت فوصل الى طرابلس بطوله واسطوله ، وصوله وصوله ، فما أحلى ولا أمر * ولا نفع ولا ضرر ، ولا استقل ولا استقر ، ولا نقض ولا أمر بل صار على الفرنج وبالا ، وحدث لهم بما يسومهم من مؤونته امحالا ، وماخفف عنهم بل زانهم على الثقل اثقالا ، ووجد الكفر في اوان توانيه فلم ينتفع ولم يرتفع شان شوانيه ، وصار الى صور ثم رجع الى طرابلس وتردد في البحر وتلدد وابلس ، وتفرقت جماعته ، وتجنبنت شجاعته ، واضطرب في البحر اشهرها ، ولا يظهر له رأي ولا يرى له مظهرا ، فتقطعت اقطاعه * وتتابعت في الفرار اتباعه ، حتى عاد في عدة يسيرة ، وشدة عسيرة ، وكان هذا الطاغية قد حضر يوم عبورنا تحت المرقب بمراكبه ، مصفوفة في البحر من جوانبه ، قد ضيق الطريق ، ولم يطرق المضيق ، فأمر السلطان بحمل الجفاتي الى هناك وتصفيقها ، والستائر وتأليفها ، والتعراس وترصيفها ، واقعد من ورائها على مقابلة سفن القوم وازائنها ، الكماة النخية * والرماة الجرخية ، حتى تباعدت تلك السفن ، ودب اليها الوهن ، وتمت عليها المحن ، وأنحت الاحن ، ورحل العسكر فعبير آمنا وأمن عابرا ، وسار ظاهرا وظهر سائرا ، وجزنا على مدينة يقال لها بلباس ، وقد أجفل عنها الناس ، ونزلنا في ارضها ، وخيمنا في طولها وعرضها ، وأنسنا بنهرها وزهرها في الارواء والرواء ، وحبسنا على نواضر رياضها

نواظر الارتضاء ، وبتنا ونفحات الثاني مريضة ، وجنبات الوادي مريضة ، والنسيم العليل ليليل ، والعزم الصحيح دليل ، ورسم العدو محيل ، ولقدح الفوز من تأييد الله لنا مجيل ، واصبحنا على الرحيل مبكرين ، (فساء صباح المنزيرين) ، (الصافات ١٧٧)
وسرنا وسرنا في سرور ، وسفرنا في سرفور وجمعنا في اجتماع ، ووجدنا في ارتفاع ، ونهجننا في اتساع ، وركتنا في امتناع ، وعارضنا نهر عريض عميق ، مافيه طريق ، وهو مطرد من الجبل الى البحر ، فازبحم العسكر عند ذلك النهر ، وتواقعت الاحمال والاثقال عند العبور ، وليس عليه الا قنطرة واحدة فتصادموا على ذلك الجسر ، وسار السلطان من فوق على سفح الجبل وعبر ، واستتبع من عسكره بعد الزمر والزمر ، ونزل عشية الخميس على بلده . وعانت الاثقال في تخلصها من الشدة الشدة ، وتكامل نزولها حين انتصف الليل ، ووصل الى القرار السيل ، وهذه بلدة كاسمها بلدة على شاطئ هذا النهر ، وساحل البحر ، حصينة البناء ، مصونة الفناء قد حصنها الاسبتار ، وحسنها الاستظهار وقطعوا عنها سبلوك الطرق ، بتعميق ذلك النهر المخترق ، والفيها بلدة خاوية على العروش . حاوية للوحوش . خالية من الانس والانس ، (وكان لم تغن بالامس) (يونس ٢٤) ، وقد انزعج اهلها ، وتششت شملها ، وتخوف امزوها وعدم السكون ساكنوها .

ذكر فتح جبلة

واشرفنا على جبلة يوم الجمعة ثامن عشر الشهر ، وقد اشتهر موسم النصر ، واشدت على الكفر رهق القهر ، وكان قاضي جبلة قد تقدم في السابغة وسبق في المقدمة ، وأقدم على قصدها بالعزيمة المصممة ، فلما بصر مسلمو البلد بما وضع في الجد من الجند وسنح من الظفر المتضافر المدد ، خرجوا مستسلمين مسلمين مستمسكين

بعز الاسلام معتصمين ، وعلت على السور الرايات الناصرية المنصورة ، والتهجت بحمد الله الاسن الشاكرة وابتهجت القلوب المحبورة ، وتحصن الكفرة من الحين ، ولجأوا في التحين الى الحصين ، فمن لاذ بالحصن الذي على المينا ، قال انه بحصانته ومنعته يحمينا ، وعاذ معظمهم الأكثر بحصن البلد وهو المعقل الأكبر ، وتوسط لهم قاضي جبلة في أخذ الأمان بعد قبض الرهائن ، على ان يعيدوا من استرهنوه ، في انطاكية من اهله ، ويجمعوا شملهم بشمله ويسلموا الينا كل مالهم من سلاح وعده ، وخيل ونخيرة وغلة ، وتسلمنا الحصنين يوم الخميس ، وعادوا مأهولين من الاسلام بالانس ، وكرمت بالكرام جبلة جبلة ، وذفت عنها بالفتة المقبلة ، الفتة الشقية المختلة ، وسعد أهلها بعد الشقاء وتعوضوا من الشنة بالرخاء ، وافضى اليأس بهم الى الرجاء ، وفاؤوا الى الوفاء ، وانتقل أهل الجبل الى جبلة طائعين بعد العصيان ، مصافحين بالمصافاة بالايمان ايما أهل الايمان ، وكان حصن بكسراثيل قد تسلم من قبل ، واتصل بفتحه الحبل ، فرتب فيه من حكم على ذلك الجانب وأهله وكانوا لقاضي جبلة مذنعين بايمانه مؤمنين ولدعائه ملين ، ولبقائه محبين . ونجوا من العار والتبار ، وضيم الكفار ، وتناجوا بالاستبصار والاستغفار والاستنصار ، وأضت تلك الولاية لاحسانها والية ، وتلك الناحية على سكانها حانية ، وتلك المدينة لأهل النين دانية ، وتلك الجنة العذبة الجني لورد دم الجنة من شوك القنا جانية ، وتلك البنية لمعالم المعالي في هدم اساس الاساءة بانية ، وتلك الهضبة راسية ، والتربة كاسية والرتبة سامية ، والربوة رابية والذروة عالية ، والحالة حالية ، واقام السلطان بها اياما حتى ازال شعثها . وأزاع خبيثها ، ورأب صدعها ورب ربعها ، وشاد ركنها ، وشد حصنها ، حتى ازال كفرها ، وجبر كسرهما ، وجد بها جذبها ، وحض بها خصبها ، وبالعدل عمرها ، وبالفضل غمرها ، وبالرعاية ملأها

وللرعية كلاها ، وبجل قاضي جبلة وشرفه • وحبس عليه ملكا نفيسا ووقفة ، وصرفه في املاك آبائه ، وحكمه في ولاية حكمه وقضائه .

ذكر فتح اللاذقية

ورجل ثالث عشري الشهر يوم الاربعاء مذكور اللواء ، منصور الاولياء • مشكور المضاد ، عالي القدر قادر العلاء ، ناجح الاراب راجح الآراء ، وسار برعب الى العدو يقدمه • وعزم على الفوز يصممه ، وأمر لامرار الأحكام يحكمه ، وجد على تدبير الدين يقفه ، وحد في تدمير المارمين يرهقه ، وسعانة تؤيده وتأييد من الله يسعده ، وسطوة على الكفار يرسلها ، وجذوة في أهل النار يشعلها ، وجيش للوثبات يذسطه ، وجاش بالثبات يربطه ، وهيبة تروع الخواطر ، وهياة تروق النواظر ، وبتنا تلك الليلة بالقرب من اللاذقية معرسين ، وبات الكفرة مبلسين ، قد لاذوا من حصن اللاذقية بجبل عاصم • وعروة كل قلب لهم من الرعب في يد فاصم ، والخوف عليهم مستول • والذعر فيهم مستعل • والافئدة منهم خالقة والاننية بهم متضايقة ، والمهيج في سوق الردى نافقة ، ونحن طول الليل من السوابخ في جر النيل ، ومن السوابخ في اجراء الخيل ، ومن نشاط العزم في اهتزاز ، ومن احتياط العزم في احتزاز ، ومن انتخاب الاجواء والجياد في انتقاء ، ومن انتقاد العتاق والرفاق في انتقاء ، ومن انتهاز الرياح بالهواضيب في انتهاء ، ومن اقتضاب الارواح بالقواضيب في اقتضاء ، والمقربات تسرج والسريجات تقرب ، والمقانب تكتب والكتائب تقب والصوارم تنتضى • والصرائم تفتضى ، والقوارح تضم ، والقرايح تخمر ، والضوامر تجرى • والبواتر تعرى ، والصلاد تلجم • والدلاص تستلام • والحنايا توتر • والمنايا تؤثر • والجاليشية تعمي ، والجاوشية تليبي .

حتى أصبحنا يوم الخميس والخميس مصبح . والمتجر مريح .

والفخر متوضع . والجاش فرح . والجيش مرح . وقرح العدو
مقترح . وزند الفتح مقتتح . وباب السماء لنزول ملائكة النصر
مفتتح . وأحدقنا بالقلاع وقلعنا الاحقاق . وخطنا باير السهام من
موقها أماق . وأخرجنا منهم بالارهاق الارماق . وانهضنا اليها
الحجار والنقاب والزراق . وأطرنا الذشاب الى أوكار المقل .
وأزرنهم رسل النصال بكتاب الاجل . وسمعنا من ضوضائهم زجل
الوجل . ورأيناهم تغلي من صدورهم بنار الحقود مراحل الغلل .
وأشرقوا من الشراريق قلقين متقلقين مايين تلك القلل . وجدوا في
القتال . وشدوا على الرجال . وسدوا مذاهب الاهواء بالاهوال .
وهناك في الزنبورك دورك . فانه بالجرح دورك . وقلنا للكفر اخرج
لندخل الى دورك . وأي دار فيها التوحيد بأهل الشرك شورك .
وطالما سكنت دارنا فأخرج . ودرجت اليها فادرج . ومازلنا نقاتلهم
بسوادنا بياض النهار . ونغطي سني يومنا بليل الغبار . ونرقع من
السور حجابها بالحجار . حتى فرزنا بتمكن النقاب والحجار .
وأخذت عليهم النقوب . ووقضت منهم القلوب . وبلغ النقب من
الشمال في الطول ستين ذراعا . وأربعة أذرع في العرض اتساعا .
وهي ثلاث قلاع متلاصقات . على طول القل متناسقات . كأنهن على
رأس رأس راس رخ . وذروة أشم شامخ . فسهل الله لنا فرعها .
وشرعنا نستاصل أصلها وفرعها . وناوبنا عليه القتال . وجاوبنا
بالنصال النصال . وأوضعت بنات الكتائن بطعائن الضفائن .
وأثارت من مكان الاحقاد كوامن الدفائن . وبام الرماء . ومريت
الدماء . وانتجع النجيع . ووقع ذلك الرفيع . فاستبطني السريع .
وتخطي الصريع . وأبصروا مالا عهد لهم بمثله . وعانذوا ماعانوه
من غريم الموت المطل في مطله . وفتح الحنف بابيه . وحفز الزحف
اصحابه . وكثر الشرك نايه . وصادف الكفر لدمه المطلول مصابه
ومصابه . ونقر الناس اليهم . واستطالوا عليهم وطمعوا فيهم .
والاجل يظهرهم والوجل يخفيهم . وهم من وراء أسوارهم . بدواء
في بوارهم . ووبل النبل هام . وأهل الجهد في ضراب وضرام .
وجمر الجمع في القهاب والتهام . ووقع منهم الزمع . ومنافيههم
الطمع . حتى ازحم على القل الصغار والكبار . واستشعروا منا

وزال منا الاستشعار . وكان لي مملوك صغير قد زحف . وأرهق وأرهف فقبل خده سهم . فرجع وأنا وجهه طلق لاجهم • وهو بقرحه فرح . وللفرح بالشهانة مقترح . وقد عدله الجرح • وحسنه القبح • فلما عرفوا أنهم مدركون . وأنهم يؤخذون ولا يتركون . صاحوا الامان . واستماحوا الايمان . وذلك في يوم الجمعة الخامس والعشرين من جمادى الاولى عشية . وكان فتح ذلك المعقل من الله مشيه . فانه موضع ما فيه مطعم • ولم يكن للكفر غيره مفزع • وصعد اليهم قاضي جبلة يوم السبت غدوه . وكان ذلك الفتح صلحا أشبه غزوه • وطلع السنجق المنصور . وانجلت الظلمة وتجلي النور . وأشرق الفلق وزهق النيجور . وبدا الفجر وبدا الفجور • وسرت القلوب وأقبل السرور . وسلموا القلاع بما فيها من عدة ونخيرة . وأسلحة وخيل ودواب كثيرة . وأمنوا على أنفسهم وأموالهم • وانصرفوا بنسائهم ورجالهم . وذريتهم وأطفالهم . وخفوا من أذقائهم . وبخل جماعة منهم في عقد الذمة . وتمسكوا بحبل العصمة . وانتقل الباقون الى انطاكية . وايقنوا انهم وجدوا بعد رسوم السلامة العافية العافية . ورتب السلطان جماعة من خواص مماليكه • وأخرج من القلاع أهل الكفر وأسكنها التوحيد مصونا من الاشرار وتشريكه • ثم ولى بها سنقر الخلاطي مملوكه • وقد عرف حسن سيرته وأحمد سلوكه • فتولى الرعية كافة بالرعاية والكفاية • وانتهى الى غاية في نهى أولى الفواية • وأقام جاليا للغاية • عالي الراي والراية • وركب السلطان الى البلد وطافه • وهز إلى إحسانه أعطافه • وأبنى الى عدله قطفه • ووفر الطافه • وأصفى نطافه • وأمنه بعد ماخافه • ورأيتها بلدة واسعة الافنية • جامعة الابنية • متناسبة المعاني . متناسقة المغاني . قريبة المجاني • رحيبة المواني . في كل دارستان . وفي كل قطر بنيان . وقد أبى الله أن يكون للكفرة منها جنان . أمكنتها مخزنة . وأروقتها مرخمة . وعقودها محكمة . ومعالمها معلمة . ودعائمها منظمة . ومساكنها مهندسة ومهندمة . وأماكنها ممكنة . ومحاسنها مبينة . ومراتبها معينة . وسقوفها عالية • وقطوفها دانية . وأسواقها فضية . وأفاقها مضية . ومطالعها مشرقة .

ومرابعتها موزقة . وأرجأؤها فسيحة . وأهواؤها صحيحة . لكن
العسكر شعث عمارتها . وأنهب نضارتها . وأزعج ساكنيها .
وأخرج قاطنيها . وملك دوز المشركين للموحدين . وطهرها من
رجس الكفر وأظهر الدين . ووقع من علة من الامراء الزحام على
الرخام . ونقلوا منه أحمالا الى منازلهم بالشام . فشهدوا وجوه
الاماكن . ومحووا سني المحاسن . وبظاهر اللاذقية كنيسة عظيمة .
نفيسة قديمة . بأجزاء الاجزاء مرصعة . وبألوان الرخام مجزعة .
وأجناس تضارويرها متدوعة . وأصول تماثيلها متفرعة . وهي
متوازنة الزوايا . متوازنة البنايا . قد تخيرت بها اشباح الاشياء .
وصورت فيها أمواج الامواه . وزينت الاخوان الشيطان . وعينت
لعبة الصليان . ولما دخلها الناس اخرجوا رخامها . وشدها
أعلامها . وحسروا لثامها . وكسروا اجرامها . وأهدوا الاسى لهد
اساسها . وأفاضوا عليها لباس ابلاسها . وحكموا بعد الفنى
بافلاسها . وافترقت وافترت . وخربت وتربت . ثم لما طسبت
النفوس . وتجلى عن البلد بفتح البوس . عاد الى هذه الكنيسة
بالأمان القسوس وهي متشوهة متشعثة مستمسكة بأركانها
وقواعدها متشعبة . ولقد كثر أسفى على تلك العمارات كيف زالت .
وعلى تلك الحالات الحاليات كيف حالت . ولكنما زاد سروري بأنها
عادت للاسلام مرابع . ولسروحه مراتع . ولجموعه مجامع .
ولشموسه مطالع . فلو بقيت بحليها وحالتها . بعد ما تبدلت رشدها
من ضلالتها لشاقت وراقت . وكما أفاقت فاقت . وشأت البلاد اذا
شاعت . لكنها ساءت لما أساءت . ثم أعادها الاسلام الى أحسن
حاله . وجلالها في السناء أسنى جلاله . ورغب في إعطاء الجزية سكان
البلد من التصارى والارمن . حبا للوطن وسكونا الى السكن . فأض
مأمول الجنى مأهول الجناح . وعاد بتجار البحار مملوء الرحاب .
وتبدل بالابدال الاخيار . والارباب الابرار . من بعد الكفار الفجار .
والاشرار اهل النار . وكانت شواني صقلية . قد قابلت في البحر
اللاذقية . طمعا في امتناعها . وطلبا لثيابه عنها ودفاعها . فلما
خابت خبت نارها . وبأخ أوارها . وقصدت لجعلها اخذ مركب من
يخرج من أهلها لكونهم شغلوا عن صونها ببذلها . فامتنعوا عن

الانتقال . وأمنوا بعقد الزمة على النفس والمال . وكان السلطان يوم
الرحيل من اللاذقية راكبا عند ميناها . وقد حصل من ترتيب العمارة
مناها . فطلب مقدم تلك الشواني أمانته . ليصعد ويشاهد سلطانه .
فأمنه حتى صعد . ولو أسلم ذلك الشقي لقلت سعد . ولما حضر
الكافر عفر وكفر . وتروى ساعة وتفكر . وأحضرنا الترجمان .
وأدى عنه البيان . وقال أنت سلطان عظيم وملك كريم . وملك
رحيم . وقد شاع عدك . وناح فضلك وقهر سلطانك . وظهر
احسانك . فلو مننت على هذه الطائفة الضائفة فأمنت وأفضلت
عليها وأحسنتم . ملكك قيادها . انا أعدت بلادها . وصاروا لك
عبيدا . وأطاعوك قريبا وبعيدا . وان أبيت غير الغيرة والاباء .
ودمت على أرهاق الدماء وأهراق الدماء جاء من وراء السبعة
البحار من يسد فضاء السبع الطباقي . وأفاق للتناصر على دفع هذا
الخطب نصارى الأفاق . وثار الروم لروم الثار . وخرج الفرنج
أنفارا للاستنفار . وسار ملوك ذوي الأقاليم . من سائر الممالك
والأقاليم . واتى الآتي . ولا يقاوم القدر المأتي . وهؤلاء أهون
منهم . فاتركهم وأصفيح عنهم . فقال السلطان قد أمرنا الله بتمهيد
الأرض . ونحن قائمون في طاعته بالعرض . وعلينا الاجتهاد في
الجهاد . وامثال أمره فيه بالانقياد . وهو الذي يقدرنا على فتح
البلاد . ولا تكثر الاساد بكثرة النقاد . ولو اجتمع أهل الأرض .
ذات الطول والعرض . لتوكلنا على الله في البقاء . ولم نبال بأعداد
الأعداء . فلما سمع ما فهمه من نجهه . ذهب بعد أن صلب على
وجهه . وركب بكره وكر بركبه . ولم يغن خطابه عن خطبه .

ذكر فتح حصن صهيون

ورحلنا ظهر يوم الاحد السابع والعشرين من جمادى . والهدى في
نصره بين أنصاره يتهاذى وقد تيقنا أن الفتح لا يتماذى . وأن العزم
عن الفداء بالهيج في سبيل الله لا يتفادى . وأخذنا على سمت
صهيون . وهو حصن يفوق الحصون . ويفوق العيون وطلبنا كما

يطلب الدائن المدين . ونحن للكفر مميّتون . وللإسلام محيون .
وكان الطريق اليه في أوبية وشعاب . ومناخذ صعاب . ومضايق غير
رحاب . وأوعات وأوعار . وأنجاد وأغوار . وقطعنا تلك الطرق في
يومين . ووصلنا ليلة الثلاثاء بليلة الاثنين . وخيمنا على صهيون
يوم الثلاثاء التاسع والعشرين . ورزقنا الله التأييد والتمكين . وهي
قلعة على ذروة جبل في مجتمع وأبيين . بها محيطين من جانبين .
والجانب الجبلي قد قطع بخندق عميق وسور وثيق . والقلعة ذات
أسوار خمسة كانها خمس هضاب . ممتلئة بنشاب سفاب * وأسد
غضاب . وأحاط العسكر بها يوم الأربعاء من نواحيها الأربع .
وهي ممتعة علينا بالركن الامنع . والسمو الامتع . ونقل السلطان
خيمته الى جانب الجبل بكرة اليوم . وشرع في محاصرة القوم .
وقامت أسواق الاقواس للمزود في مفالة السوم . وتوفرت سهام
السهم من المقل . وتبست بنات الكتائن من الدم القاسي حمر
الحل . وأسقطت حوامل المنجنيقات أجنة الصخور . وكشفت صدور
الكتائيات أكثة الصدور . وظهر سرا لاسراء . وكثر مراء الرماء .
وزخر باماء الدماء * وطارت الحجارات . وحجرت الطيارات .
وبارت حميا الحمام على أولئك . واستتجنت ملوكنا الملائك .
وأدامت اليهم المجانيق والجروح والقسي الرمي المتدارك . وأقام الملك
الظاهر غازي صاحب حلب منجنيين * ونهج بهما من جانب
الوادي الى ربيعي الاعاني طريقين . وكان له في فتح هذه القلعة الجد
العالي . والجد الوالي . والعزم الماضي . والحزم القاضي . والسعي
الناجح . والرأي الراجح . والياس البالغ . والسطو الدامغ . فانه
اتصل بنا قبل الوصول الى جبلة من طريق حماء . وقد استصحب
الكماة الحماء . ومعه الرجال الحلبية . والمنجنيقية والجرخية .
والجنادارية والخراسانية فأظهر على صهيون اليد البيضاء . وكسب
الذكر والثناء . وأثار في فضاء الفضائل وأضاء . ودام القتال على
المكان من جانبه . ومن جانب السلطان . والملك الظاهر في تظاهر
ملكه . وتضايف سلكه . وريعان اقباله . وغدقوان جلاله . وشباب
رهان مجاراته . وشبا برهان مباراته * وابراق عونه . واشراق
سعوده . وغرة عزته * وميعه منفته * وصدر تصدده * وشرح تأمره

وتشمه • وقد وصل في أول نشاطه • ونشوء اغتباطه • وفتاء
قوته • ورواء رويته • وارتقاء ارتفاعه • وايفاع يفاعه • وترعرع
سنه • وتعرعر ركه • وتسامي سياسته • وتراقى سعاده • واجد
لعز العزم الجد • وأعد لري الرأي العد • واستلذ في سبيل الله
نصبه • ورفع المنجنيق ونصبه • وجعل لرجاله نوباً • ولأحواله
رتباً • والقم أفواه كفاته حجراً • وأجرى في الحق من الحجارات
الجاريات من منابه نهراً • ورجم الحصن الزاني رجم المحصن •
وأحسن الى الاسلام وأساء الى الكفر • فله در الدسي المحسن •
وما زالت المجانيق من جانبه وجانبنا ترمي • والحنايا بسهام المنايا
تصمي • حتى قتلت مقاتلة الحصن • وهان بما دب فيه من
الوهن • وأصبحنا بكرة يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة • وطما
بهر المسكر بأمواله الزاخرة • وأزحم الناس في الزحف كأنهم في
الحشر بالساهره • وهاج الشباب • وماج العباب • وتسابق ذوو
الجرأة والقوة • وتلاحق ذوو الحمية والنخوة • وكان في قرنة الخندق
عند خرقة الى الواني موضع لم يكمل تعميقه • ولم يتم توثيقه •
فتطرقوا من تلك القرنة الى القنة • وتسوروا السور وتسلفوا •
ودقلعوا الى القلعة وتعلقوا • وتملكوا الذروة • وامسكوا العروة •
واستولى على أهلها الرعب • واستشرى بهم الكرب • فتعادوا الي
القلة • وتغادوا من الخوف لامن القلة • وملكت عليهم ثلاثة أسوار •
بما فيها من متاع وشوار (٢٥) • ونعم وأبقار • وصاحوا
الآمان • وبذلوا الأذعان • ونادوا مكتوناً من السلامة وتسلموا
المكان • فما آمنوا على المال والنفس • حتى قررنا عليهم مثل قطيعة
القدس • وأغلقت دونهم الأبواب • وسير إليهم النواب • وما استقر
خروجهم حتى استخرج منهم القرار • وجبي الدرهم والدينار • وعم
الكبار والصغار الصغار • وتولى ذلك شجاع الدين طغرل الجاندار •
ثم سلم حصن صهيون بجميع أعماله • وسائر مآواه من ذخائره
وأمواله • الى الامير ناصر الدين المذكور بن خمار تكين • اسد
العرين وامير المجاهدين • المقام الهمام • والمطعم • فالقى الثفر
سبانه بسبانه • وامرع به مراد مراده •

ذكر فتح الحصون المذكورة والرحيل

وتسلم يوم السبت قلعة العيد • ويوم الاحد قلعة الجماهريين •
ويوم الاثنين حصن بلاطنس وندب الى كل حصن من تسلمه •
وسلكه في سلك الفتوح ونظمه •

ذكر فتح حصني بكاس والشغر

وسار السلطان ثاني يوم فتح صهيون على سمت القرشية ، ومشية
الله جارية على موافقة ماله من المشية • ونزل على العاصي في طاعة
الله والنصر قد نزل • والكفر قد اتخذل • يوم الثلاثاء سادس
الشهر • وبحور السوابح في غدران السوابغ ماثجة على ذلك النهر •
وحكم السلطان في القهر ماض باذن الله على الدهر • وتسلم حصن
بكاس يوم الجمعة تاسع الشهر المذكور ، وشكا الشرك نكاية حد
باسنا المشكور • وحول خيمة خفيفة الى الجبل ، احصار قلعة
الشغر • وهي قلة شامخة من أعلى القل • على هضبة منقطعة •
عالية مرتفعة • ومن نواحيها واد • خاف من العمق غير باد • في
اعماق ووهاد • وقد قطعت من الجبل حتى اتصل بالوادي خندقها •
واخذ من العوادي موثقها • فما اليها طريق ولا عليها طروق •
ولا فيها للطمع علوق • ولا للسهم اليها مروق • ولا للزحف فيها
مقطع • ولا للذر نحوها مطلع • ولا للطير في مراحيها وكر • ولا للمكر
في افتتاحها مكر • ولا للوهم في توقلها مجال • ولا للفهم من تصورها
منال • ولانها بمن يحتفل بها احتفال • وما عليها للنازلين عليها
قتال ولانزال • ولا يتغير لها مع تغير الاحوال حال • وصعب شغل
الشغر • واشتغل فكر الكفر • ولم ير السلطان طريقا غير الرسمي
من المنجنيق • لعله ينال جميعها بالتفريق • وداومها بالحجارات
أياما • ولكم سدد بها مرمى ومراما • فلم تعبأ بأعيانها • فإنها

ترامت عن رمانها • وابت الا ثباتها وثبتت على ابيائها • وأعيا
اعضال دائها • واستقحال بلائها • وخام الرجاء بالارضاء عن
ارجائها • ولو لم يضجر حاميتها لضجر راميتها • وسئم سائمتها
لتساميتها • لكنه وهى جلده • وهوى خله وخار قلبه • وحار لبه •
وخاف من الاقامة • وخاب من السلامة • وارتاح الى الراحة •
وسما الى السراحة • وعاج الى الانزعاج • وعاد لداء خوقه في
الاستئمان يطلب العلاج • ودعا الى الدعة • والخروج من الضيق
الى السعة • فبينما نحن في ترو وتفكير • وتخير للرأي وتدبر •
ونقول هذا حصر يشد • وأمر يمتد • وعمل يصعب • وأمل
يتعب • ومقل لا يخل • ومعد لا يحتل • ومقص لا يدرك • ومورد
لا يملك • ومكان لا مكان لفتح • ورجاء يطول الزمان في تطلب
نجه • اذ خرج من الحصن • من يضرع في الأمان ويمتري ضرع
الامن • فشكرنا الله على تسهيل المتوعر • وتيسير المتعسر •
وتحصيل المتعذر • وتلقيح الرجاء من الياس • وتذقيح مناط حكم
الصحة عند اضطراب علة القياس • وكان ذلك ثالث عشر الشهر يوم
الثلاثاء • وسألوا في مهلة ثلاثة أيام والارضاء • ليخبروا صاحب
انطاكية ويستأذوا • ويقبلوا عنده العذر ويخرجوا من الحصن
ويسلموه فأصبحنا يوم الجمعة وصباح الجمع مسفر وجناب الشرك
مقفر والشفر شاغر • والكفر صاغروفسم القهر منا لهم فاغر •
والاسلام قد ثلم ثفر من هو له مئاغر • والحصن البكر مقترع •
والدين المتاصل بشعب النصر مقترع • وطلع العلم الى ذلك العلم
الطالع • وانتقم الهدى الضليع من الضلال الظالع • وكانما عذبات
ذلك الراية مكاول الداعين • وكانما أبراج تلك القلعة مسامع
الواعين • وعاد الحصن أهل باهل الاحسان • وصافح بأيدي الأيد
ايمان ذوي الايمان • فابتسم عن النصر ثفر الثفر • وفرغ القلب من
شغل الشفر • وسلم هو وحصن بكاس • الى غرس الدين قليج
الساقي عدوه الموت بكاس الياس • وانتقل السلطان يوم السبت الى
مخيمه والاقبال جائم في مجثمه • وسرى ولده الملك الظاهر الى قلعة
سرمانية • وأرهم فيها الفجرة الجانية • واستطلق منها البررة
العانية • وقطف مجانيها الدانية • وأخلى مغانيها الفانية • وماقطع

قرارها حتى قرر عليها قطيعه . وكلفها ماكانت له من المال
مستطعية • ولم تزل عاصية بطوعها فصارت كرها مطيعه . ثم خرج
حتى خربها عاليها • وعطل حالها • وانجلى ثاويها • وانتأى
جالها • وبقيت دمنة باثرة • ودمية عائرة . ورسمها عافيا • ورقما
خافيا • وربعا باليا • وصقعا خاليا • وعانت نارا دارسة •
مستوحشة بعد أن كانت آنسه • وكان فتحها في يوم الجمعة الثالث
والعشرين . فأخلى الله من السباع الضواري ذلك العرين ومن
نواذر أطاف الله تيسير هذه الفتوحات الخمسة المتتالية • في أيام
الجمع الخمس المتوالية • باء فيها لنصر اهل الجمعة بذل أهل
السبت أهل الأحد واصبح التوحيد على التثليث قاهر الأيد . ظاهر
اليد •

ذكر فتح حصن برزية

وسرنا الى قلعة برزية • وسرنا سار • ودر الظفر لنا دار . وهي
احصن القلاع وأفرعها • واحسن التلاع وأرفعها . واسمق
الرواسي واسماها واسم الرواسخ واسناها . وكان السلطان سبق
اليها وأشرف عليها . ثم استدعي الثقل واستحضر . وجمع بالفضاء
تحتها العسكر . وذلك رابع عشري الشهر يوم السبت . وقد تهيأت في
العدو اسباب الكبوة والكبت . ثم تجرد يوم الأحد في العدد
والعدد . ورقى الى الجبل . مع ابطاله التبل ، فرأيناها قلعة شماء
في الذرى . لا تكاد من سموها ترى . وهي على سن من الجبل عال .
مترامية في السماء ارتفاعا ، وقيل قدر علو ثلاثة فكان خمسمائة
ونيفا وسبعين ذراعا . فأحدقنا بها وبالجبل . وقطعنا عنها متصلات
السبل . ونصبنا عليها المجانيق في ذلك السفح . فلم تصافحها
صفاتها . وأبنت لنا صفحة المصفح . فقد بعد مرام مرماها .
وحارت الأوهام فيها وقلنا ماأعلاها وماأسماءها . وتجاوزت عنها
الحجارة قلها من اجازتها بها الاجازه . فما بلغت الى القلعة
قلائعها . ولاطلعت الى التلعة طلائعها . هذا والنجم يلامع بلامعها

وتقارن طواله طوالها . فكان الصخور سلم نصرورها . فإن
سورتها تنكسر دون الوصول الى سورها . ولما رأى السلطان انه
لا وصول الى نيقها بالمنجنيق . وان الاشتغال به يطيل زمان
التعويق . مال الى الزحف . ولاحف جموعه في ذلك الحف . وذلك في
السايع والعشرين من الشهر يوم الثلاثاء . فقسم الناس ثلاثة
اقسام على السواء . وجعل الذوبة الاولى لعماد الدين صاحب
سنجار . الليث الهصار . والغيث المدرار . والبحر الزخار . والسيد
الحلال (٢٦) . والملك العادل في صحابه الصباح . كفاة الكفاح
وعفاة الصفا . وذفاة الهام . بثبات الاقدام في الاقدام . وشفاة
الاوام بعة الانتقام من الاقوام . واساة ذوي الاساة باحسن
الحسام . وكساة عرى العراء اربية القتام . ورقاة ارقام اللهازم
وسقاة حوايم الصدورم . والمزاق في حومة الردى رداء الماذق .
والسباق في حلبة الهدي بهواني السوابق . من كل شارب ماء الوريد
بشفاء الشفار . وضارب هام المريد ببتار التبار . ولاسع بحمة
الحمام في الاسل العاسل عاسل . ولايس لباس لباس كالاسد
الباسر ياسل . ومعتقد للدين للربيني معتقل . ومعتد على العدو
بعادي معتقل . ومجتاب لبوس البوس على الموت العيوس مجتاز ،
ومجتب لحب المذون لرهون نفائس النفوس محتاز . فانقضوا على
الهضب . وعضوا على العضب . وبام الصفا يد هده . والصدى
يقهقه . والزاحف يتقدم ويتقهقر . والحافز يخفى ويظهر . والرجال
تتعالى . والصغار تتوالى ، والمساعد ترقى . والمصاعب تلقى .
والمضايق تولج . والبواثق تخرج . والاكام تفرع والرجام تفرع ،
وللصخور ترديد . والجلاميد تميد . ومازالت هذه الذوبة تنازل
ومتقاتل وتتاضل وتطاول . وترمي وتضي . وتصمي وتصمي . وترد
وترد . وتصد وتصيد . وتصدم وتصدم . وتقدم وتحجم . وتصعد
وتصعد . وتحمل وتجرع . وتذكرو وتتطفئ . وتبدو وتتخذلي حتى
كلت وملت وانحلت وتخلت . وكانت غلبت . لولا انها لغبت ،
وسمت . لولا انها سئمت ، والغبت هذه الذوبة خاصة ، لاهل
الحصن حاسة ، فانهم تولوا بأجمعهم القتال . ولم يقصدوا للتناوب
الاستبدال . ولما ظهرت في الذوبة النبوة ، وكاد جودها تناله

الكبوة . تقدم السلطان بنفسه في النوبة الثانية . والسطوة الدانية . والعزमे النابوية غير الوانية . وخف في الثقال من الرجال . وزحف الى الجبل بالجبال . وتضافروا فمتطايروا في الاوعار كالاوعال . وجروا كالسيول في تلك المسائل . وجروا نيول السوابغ ، على تلك الهواجل . وترقوا في نراها . وقرروا على قراها ، وتلبسوا بجوانبها ، وتوجسوا من مئاعها ، وتدرجوا في مدارجها ، وعرجوا في معارجها ، وخرجوا في مداخلها، وبخلوا في مخارجها ، وصارت الجروح تجوزهم . والجروح لاتحوزهم . والسهام تعبرهم . والاكام تسترهم . والنخوة تحميمهم . والحمية تتخيهم . وقد نشط السلطان لتسليطهم وتذشيطهم والتخضير من توريطهم وتفریطهم . فمن انقبض بسطه . ومن اعرض ضبطه . ومن اقبل اغبطه ، ومن ادبر اسخطه . ومن تقدم قرظته . ومن تقاعس احفظه ، ومن تقاعس ايقظه ، وكلما شاهدوا السلطان يشاهدهم تسلطوا . وكلما اغبطوا بما فرعه من تلك الفوارع ارتبطوا . فمنهم من تمكن من الطلوع . ومنهم من تكمن للولوع . وتقلبوا في تلك المخارم كالقلوب بين الضلوع . وعرا اهل الحصن العناء والعياء . وعمهم البلاء . وأدركهم الشقاء . فانهم مازالوا يقاتلون يومهم من غير مناوية جميعا . فمنهم من صد صديعا . ومنهم من صار صريعا . وظهر فيهم الفتور . وبدا منهم القصور . وجاءت النوبة الثالثة تالية . واقدمت امدادها متوالية متعالية . وعادت النوبة الاولى لنشاطها . وزانت في انبساطها . فبلغوا وغلبوا والتهموا والتهبوا . وتعلقوا بالسور . وتسلقوا كالذسور . وطلعت القلعة . وقلعت الطلعة . واقتضت العذرة . واقتضيت النصره . وأعان القدر فقدر الاعوان . ونجت بالفتح البكر الحرب العوان . وان اهل القلعة لما ايقنوا انهم ملكوا . طلبوا الامان حتى لا يهلكوا . فلما سمع اصحابنا بالامان صياحهم . وعرفوا للضراعة التياحهم والتياحهم . كفوا عنهم انتظارا لما يامرهم به السلطان . واشفاقا من سبي من يشمله الامان ، وكان جماعة من دهاة الخواص . عارفين بطرق الاقتناص . فاظهروا ان السلطان امن اهل القلعة . وانه يدافع عنهم في هذه الدفعة . وجمعوهم في مواضع وكنادس .

واحرزوا النفوس والنفائس . وعاد عنهم من حضرهم . على ظن ان
السلطان امنهم وحظرهم . وبقي اولئك الافراد بهم متقربين .
ولتجربتهم لاسبى متجربين . وصار ما بالقلعة ومن فيها لهم كسبا
وسبيا . ومارأوا لحق من شاركهم في السعي رعا . وحرروا
ما رتقوا به وحرروا الرفقاء . وحازوا دون الفانمين النهب
والسبأ . وملك واحد مائة وحاز الري وحلا عنه رفقة ظمئة . ولما
تسنى ذلك الافتح وتهنا . وتسهل ذلك الصعب وتهيا . عاد السلطان
الى خيامه . وعانت الايامن بأيامه وكانت صاحبة حصن برزية اخت
زوجة الابرنس صاحبة انطاكية وقد سبيت وخبئت فما زال يطلبها
حتى أظهرها وأحضرها . وكانوا بعد هتك سترها ستروها . فمن
عليها بالاعتاق من الارقاق . وحل عنها وعن زوجها قيد الوثاق .
وأحضر أيضا ابنة لهما وزوجها وعدة من أصحابهم وأنخلهم معهم
في الاطلاق . وجمع شملهم بعد المشتات . ووصل حبيلهم بعد البتات .
وشعبهم وقد تصدعوا . واشبعهم وقد تجرعوا . وحظرهم وقد
استحلوا وكثرهم وقد استقلوا ، وحرهم وقد استبيحوا . ومنعهم
وقد استميدوا . وأحياهم بعدما هلكوا ، وعصمهم بعد ما هتكوا .
وحواهم وأغناهم وقد افترقوا وافترقوا . وجبرهم ونعشهم وقد
انكسروا وعثروا . وسير معهم الى أنطاكية من أوفدهم على سنها .
فسرت باختها . واعلنت بمقتها من سر مقتها . واذاغت من مضمر
بغضها بمظهر حبها . وجاءها الفرح في غمها والفرج في كربها .
وتشكت لأخذ بلدها . وتشكرت لترك أختها ولدها ، وانعم السلطان
بهذا الحصن على عز الدين بن المقدم . الكريم المكرم والمقدام
المقدم . والعظيم المعظم . والمجد المجد . ابراهيم بن محمد . فإن
هذه القلعة لثغر اغامية الجارية . في اقطاعه متاخمة . وهي لها في
السلم مقاسمة وفي الحرب مزاحمة .

وسرت هذه البشرى وسارت ودرت هذه النعمى ودارت .
وطارت كتب البشائر . وسرحت على جناح الطائر وفيما كتبت ان
هذه البشرى بما اجده الله من الفتح العزيز . والنصر الوجيز يفتح
حصن برزية الذي برزت له الارض في قشب اثوابها . وتفتحت له

السماء لتنزل الملائكة من ابوابها . بل سافرت به عرائس الايام في
حلى ايامها . واشرفت منه اعمار الليالي في انوار محاسنها . وهنا
الحصن لا يمكن وصف ما هو عليه من الحصانة . وكان حجره في
حجر حضن الحضانة ، وقد عرف ما فتحناه من البلاد والحصون ،
وسلبنا اهل الكفر بها من السلامة والسكون ، وفتحنا كل مرتج لم
يكن فتحه مرتجي . ولم يجد من حصل في أسر الدهر به مخرجاً .
حتى اتت ايامنا ، وبنى فيه مراصنا . فجاءه عصرنا ، وفجاء امرنا .
ووصل اليها ما هو في الازل نخرينا . وكمل بهذه الفتوحات فخرنا .
وذلك انا فتحنا من حدود طرابلس الى حد انطاكية . وسبقنا بماء
الحديد الجاري في انهار دم اهل النار ، مفارس الهدى الزاكية .
وجلونا بها ثغور الثغور الضاحكة وعيون العدو الباكية . وهذه
الحصون التي فتحناها . والمعقل التي استبحناها ، لو وكلنا الله
الى اجتهدنا في فتح احدها . لتعذر ولو انجست عساكر الدنيا
بمدها . لكن الله سهل ويسر . وفتح ونصر . وانزل الظفر ، وان
حصن بزيه لم يكن عليه قتال . ولا للوهم فيه مجال . ولا منصب
عليه لنجنيق . ولا مسلك اليه لسالك طريق . وحضرنا لحصره ،
مؤكلين على الله في امره غير طامعين في فتحه . ولا راجين لنجحه ؟
فانقاد جماحه . وانخفض جناحه ، وساء صاحبه ، وكل سلاحه ،
وتوكل الرجال في ذروته توكل النجوم في الافلاك . ولنصر الله اهل
التوحيد على اهل الاشراك . وفتحناه بالسيف عنوة . وبجاء يوم المثلث
عليه يوم الثلاثاء ضحوه . فاننا لما توكلنا على الله في منازلته .
واستعنا به في مقاتلته . نظر الله الى النيات . واعان ذوي العزائم
والثبات . فتعلقوا في الجبل . وتسلقوا الى القل . وسعوا الى الاجل .
في طلب تسني الامل . فكان كما قال الله تعالى : (وما امرنا الا
واحدة كلمح بالبصر) (القمر ٥٠) حتى من الله بالظفر . واصفى
الورد والصدر من الكدر . وقد بقيت انطاكية ومالها بقاء ، ولا لها في
الاعتصام رجاء . وقد نقصنا اطرافها . واستبحنا اكفافها .
وشفينا نطافها . وعضينا من رؤوس اهلها بحدود الصوارم
قطافها . ولم يبق من معاقلها الا القصير ودريساك وبغراس . وقد
تقدم اليها الفاتحان الرعب والباس .

ذكر فتح حصن دريساك

ورحل السلطان وقد نجحت اماله . ورحجت اعماله . وحل اقباله
واقبل جلاله . وعبر عند شقيف دركوش الى شرقي العاصي . وقد
دانت له المقاصد العواصي القواصي . واقام اياما على جسر الحديد
الجساره . شديد الاستظهار بما ظهر للمؤمنين من الربح
وللمشركين من الخسارة . ثم قصنا دريساك . وجدنا بتأييد الله
في حصره الاستمساك . ووجدناه حصنا مرتفع الذرى . ممتنع
الذرا ، قد جاوز الجوزاء . وناجت ارضه السماء . وكان عش
الداوية بل عزيتمهم . وطالما اطال في التعدى ايديهم وعرائنهم .
وكانوا قد نزلوا منذ انزلناهم من ظهور الحصن بطون الحصون .
وركبو بسكنى هذا المعقل الى السكون . فلما اشرفنا عليهم اشرقوا
على المذون . ونزلنا عليه يوم الجمعة ثامن رجب . وقلب الكفر قد
وجب . ووفرت المنجنقات سهامهم من سهامها . وصويت اليهم
مدات مرايمها ومرامها . وراميناها بها ليلا ونهارا . وارسلنا اليهم
امثال قلوبهم ووجوههم احجارا . وكنا لا نذر في ارضها التي هي
في السماء من الكافرين بيارا . وتركنا ناسه بالحجارة صرعى .
واسمنا من نحورهم ووجوههم بيض النصال في حمر المرعى .
واصبحنا يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب وقد شارف الفرنج الشجا
والشجب . ووجه نجاتهم قد احتجب . وقد وقع بالنقب برج من
السور الخارج . وظهر فيه عروج للنارج ودروج للعارج . فطلبوا
على مراجعه انطاكية الامان . وان ينزلوا ويتركوا بكل ما فيه
المان ، فأجيبوا الى ذلك على قطيعه . وردوا ما كان للاسلام معهم
من وديعة . وتسلم الحصن بما فيه ثاني عشري الشهر يوم الجمعة
واصبح بهذا الفتح جماع الحصون الممتعة .

ذكر فتح حصن بغراس

وتوجهنا بكرة يوم السبت الى بغراس وقد ضايقتنا الاعداء
وضيقنا منهم وعليهم النفوس والانفاس . وهي قلعة من انطاكية
قريبة . وانها في الشدائد لدعائها مجيبة . ورايناها راسخة على
راس راس . شامخة على عاص عاس . ارضها في السماء .
وجوازها على الجوزاء . متوغلة في الشهاب ، متوقلة على
الهضاب . مذسحة في السحاب . مضربة بالضباب ، مربة على
الرباب . متعلقة بالنيرين . متساقطة الى الفرقين . محقة الى
النسرين . ولا مطمع نحوها لطامع . ولا مطلع فيها لطامع ، ولا
مطمع للامع . ولا ملمع لطامع . وهي للناوية وجار ضباعها .
وغاب سباعها ودار دوائرها . وغار مغاورها . وغيل غوائلها
ومنزل نوازله وجعبة نبالها . وهضبة رتبها ، ومنذب دنابها ،
ومدب ذبابها . وكوارة زنايبرها . ومغارة خنازيرها . ومربق
صفورها . ومرد اسورها . ومكس وحوشها . ومعرش جيوشها .
فخيما بقربها في المرج . وقد انازت من مشرعات استتنا في ظلماء
نقع خيلنا مشعلات السرج . وتقدم من العسكر جمع كثير . وجمع
غير ، وخيم بين انطاكية وبينها . واكل بها ناظر يقظته وارقد
عينها ، فاقام على سبيل اليزك . وبخل في حفظ جانبها في الدرك .
وسار يركب كل يوم ويقف تجاه انطاكية صفا . ويسومها من
الفارات عسفا وليس بينه وبينها الا النهر ، ومقابل رجسها منه
الطهر . وصعد السلطان في جريئة عسكره الى الجبل . ووقف بازاء
الحصن وقوف المشتاق على الطلل . فنصب عليه الجانيق من جميع
جهاته . وصوب لقم الحجر الى لهاته ووافق امره بالاذعان على
خلاف نهاته . وقلنا للمقيم به خذ الامان وهاته . وما زالت
الحجارات تناوبه ، وصدى الصفا بالنكاية يجاوبه . والصخور فيه
تتواقع ، والبلايا اليه تتابع . فما شعرنا الا بانفتاح باب . وألجأ
جماعة اصحابنا عليه جماحة الى اصحابه . وخرج مقدم الداوية
يستأنن في الحضور . ويسأل الامن من المحذور والصل من

المحظور . ويقول انما قنينا بفراس بفراس القنا . وبيننا على حصونها من القنطاريات أحصن البنى . والمعاقل لايحميها الا معتقلوها . والبلاد لا يحفظها الا اهلوها . وما في هذا الحصن الا مقدمان . وماننا بمقاومتكم يدان . وعاد الى اصحابه من السلطان بالامان . وتسلمت القلعة كما تسلمت اختها دريساك بالامس . وسلمها الداوية طائعين فعجبنا من انقياد اولئك الشمسس . واباحوها لنا وكانوا يفارون عليها من طلوع الشمسس . وأنار في مطلعها سني السجق المنصور . وائن المتناول فيها من تطاولنا بالقصور . وذلك في ثاني شعبان . وسر النصر فيه شار وبان . وسلم السلطان الحصنين دريساك وبفراس الى علم الدين سليمان . وكان صاحب حصن عزاز . وقد حاز الغنى به وفاز . وماكان في الامراء الا كابر من لا يدعي سواه الاعواز فالزمه بهما ليعتني بحفظهما ، وحضه من عصمتها على حفظهما ، فتسلمهما بنخاثرهما . واطلع من النفاذس على مستودعات ضماثرهما وكانت حينئذ انطاكية قد اسعر غلتها سعر الغلة . وقل ساكنوها لما كانوا فيه من الغلة . والفراة تساوى اثني عشرة دينار . والقوم قد شارفوا فيها تبارا وبوارا ، وحزرنما ما في بفراس خاصة من الغلة ، سوى ما فيها من تفضيل الاقوات والجملة . فكان تقدير اثني عشر الف غراوة . فحصل سليمان من منبع هذا الملك على غزارة عن غزارة . فقلت كآني به وقد نقل هذه الغلة الى انطاكية وباعها ، واعرض عن متاعب الاخرة وحوى من الدنيا متاعها . وانهب الغلة بنهب يقله . ويستحلي مر هذا السحت ويستحله ، ثم يستعفي من حفظ الثغر ويشير بتخريبه . ووقع لي فيه من الظن ما كان بعد سنين فكشف عنه علم تجريبه .

ذكر عقد الهنة مع انطاكية

فلما فرغ السلطان من شغل الحصون وظفر من فتوحها بالاسر المصون . عول على قصد انطاكية فإنها كانت مريضة على شفا

ورسم قوتها قد عفا . وخلق ثيابها قد اشفى . والهر قد انتقم منها واشتفى . ووجه الفلاح عن اهلها قد اختفى . فلو صدقتها وقصدها لحص (٢٧) دعائهما وحصدهما ، وكان الابرنس صاحبها قد عجل بارسال اخي زوجته . يسأل في سلم يعود ببقاء بهجته وسلامة مهجته ، وعقد الهندة على بلده وأمن على مافي يده وذلك لثمانية اشهر من تشرين الى اخر أيار . ووافق من السلطان الاختيار لكون انقضاء الهندة قبل ادراك الفلة وأوان حصاها . فلا يقدر الفرنج على تحصيلها ونقلها واعادها ولم يكن له رغبة في اتمام هذا الصلح لكمال الغبطة لنا في الحرب ووفور الربح . لكن العسكر الغريب مل الإقامة . وأبدى السامة . واراد السلم . وقيل بهذه المدة من الهندة لاتزيد انطاكية قوة ولا تستجد جده ولا يرجى لها عدة منجدة ونحن نضرب للعود اليها مع انقضاء عدتها عده . واما حصونها فقد حصلنا على غسلها . وقتلنا نحلها . واما هي فنعمل فيها بقول الله تعالى (وان جنحوا للسلم فاجنح لها) (الانفال ٦١) وشرط على صاحب انطاكية اطلاق من في الاسر من المسلمين . واستوفى رسولها على عقد الهندة اليمين . وسار رسولنا معه شمس الدولة بن منقذ للاسارى منقذا ، وللاوامر مدقنا . وعلى المقاصد مستحونا ، وسار السلطان ثالث شعبان على سمت حلب ، والاسلام قد غلب ، وفاز من الفتوح بما طلب ، واستغنى بما جمعه من السبي والغنيمة وسلب وخلب ،

ذكر وداع عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي وعساكر البلاد . وعود السلطان الى دمشق بنجح المراد

ولما رحل من بقراس وقف لعماد الدين ودعاه لوداعه ، وشيعه بكرامة كرام أشياعه ، وخصه بعد ماسير له من الخيل والخير بخلع خواصه وأتباعه ، وأناله منه حسن اصطافائه وحسنه اصطفائه ، ولم ينفصل منهم الا من وصل بصلة ، وخلعة

مجملة ، وحرمة مكملة ، ووعد جميل يرغب في العود ، وجود جزيل
مذسكب الجود ، وذلك سوى ماغنموه من كسب وكسبيوه من
غنم ، واستطلقوه من رسم واستجزلوه من قسم ، وملكوه من رق
سبي . وادركوه من حق سعي . وأجدوه من غرض . وأدوه من
مفترض . وأحيوه من حسنة النصر ، وأماتوه من سيئة
الكفر ، واستضافوه من فتح ، واستفاضوا به من نجح . وسار
السلطان في عسكره ، حامدا الله في موريه ومصدره ، وارتاح الى
العبور على ارتاح ، وامتار لها اليمن بافتقادها وامتاح ، ووصل
الى حلب وحلب احتفالها بوصوله حافل ، والملك بها للاهتزاز
بقدمه في ملايس البهاء رافل ، وبخلناها وقد خرج كل من بها
للتلقي ، مستبشرين بالاقبال المتضاعف المترقي ، وشاهدنا من
النظارة عيونا للحاسن ناظرة ، ووجسوها ناضرة ، وقلوبنا
حاضرة ، والسنن شاكرة ، وأيننا في بسطها الى الله للابتهال
بالدعاء متظاهرة ، واقتضت حركتنا الى الشهباء لساكنيتها سكون
الدهماء ، وأقام بقلعتها أياما يسيره ، وألفى ولده الملك الظاهر أسر
احسانا وأحسن سيرة . وقام به وبالعسكر مدة المقام ، واتسقت
الامور بأوامره على النظام . ولم يرحل الا وقد خص عوامنا
وخواصنا بالانعام الخاص والعام ، وأبان عن كل منقبه ، وأعان
بكل موهبة ، فما راه والدن مذل بجلب الا في أجمل حلية وأكمل
حاله ، وأجلى بهجة وأبهى جلاله ، وقد أجد لعينه ولذفسه قرة
وقرارا . وأعد لعزمه ولحزمه استتصارا واستبصارا ، ثم انفصلنا
عن حلب مذطعين الى مواصلته بالدعاء ، قاطعين طرقنا المتصلة
بدليلي الشكر والثناء ، وتنكبنا طريق المعرة ، بساوك طريق
المعرة ، وأوفيناها بالمبرة الدوفية المبرة ، وتيمن السلطان بزيارة
الشيخ الفقيه الزاهد التقي . ابي زكريا المغربي . وهو مقيم في
مسجده ، عند قبر عمر بن عبدالعزيز ومشهده ، وقصده السلطان
على فراسخ ، ولقي منه في الحلم والوقار الطود الراسخ واهتدى
بسجاياه ، واقتدى بوصاياه ، ووصلنا الى حماة . وبيتنا بها ليلة
واحدة ، ولم نر رعيتها لما شملها من الرعاية جاحدة ، فان الملك
المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب ، قد كشف عنها

بأبائته الكروب ، وملك القبول من أهلها والقلوب ، وأعاد لها بالعمارة العمرية عمرا جديدا ، ومد عليها من مهابته ومحبته ظلا مديدا ، وكانت قلعة حماة لاتعد في القلاع المدونة الحمية ، ولاتذكر مع المعازل المرعية المرضية ، وهي ذات تل متبطح ، غير مترفع ولا متسفع ، فلما تولاهما بقي الدين قطع من التل ما كان متواطيا ، وأتلح من التلعة جيذا عاليا ، وعمق خندقها في الصخر وحصنها على الدهر . وبنى فيها الدور المرخمة ، والأروقة الهندسة الهندمة ، وحصنها وأعلامها ، وحسنها وحلاها ، وزينها بكل زينة ، وأعاد حماة ذات قلعة حصينة ، فاضلة في الشام كل مدينة ، فطلع السلطان تلك الليلة الى القلعة ، وسر بما رأى لها من الحصانة والرفعة ، ووقف الملك المظفر لعمه ، وجرى في الخدمة على رسمه ، وحضرنا وأمير المدينة النبوية معنا ، والسلطان قد أجلسنا بحضرته ورفعنا ، والنادي قد جمعنا ، والشادي قد اسمعنا ، والأغاريد تطرب ، والأناشيد تعرب ، فما انفصلنا تلك الليلة الا عن علم نثر ، وشرف انتشر ، وفضل سني . وعدل احبي . ورسم نائل للسماح وأجري ، وزند سائل بالانجاح أوري ، وسني جد أعلي ، وجني جود أحلي ، وقرأ لذوي الحاجات القصص ، وأزال من الظلمات الغصص ، وأنال لذوي الخصاصات الحصص ، وأصبحنا على الرحيل ، ووصلنا العنق بالذميل (٢٨) ، وعبرنا مغنين على حمص وزينا في الوصول الى دمشق على طريق بعلبك الحرص ، وجئناها قبل شهر رمضان بأيام ، وركنا الى ما أنسنا به من مقام ، وتجمع بنا شملها ، وتهلل باستهلانا أهلها ، وقلنا نصرهم مع القوم ، ونقيم مدة الصوم ، فما لبث السلطان ولا مكث ، ولانقض عهد عزمه على الفزاة ولا نكث ، وقال لانبطل الفزوة ، ولانعطل هذه الشتوة ، وقد بقيت صافد وكوكب وأخواتها ، وبطل مضاياقتها فنيت أوقاتنا ، وقواتنا ، ففتتھ فرصة فتحها التي لا يؤمن فواتها ، وخرج من دمشق في أوائل شهر رمضان . وحد عزمه رميض . ولبارق سعده وميض ، وفضله مستفيض ، ووجده الأيام لا يابيه البيض بيض ، ولسان الدهر في ذكر سيره وتسيير ذكره

مفيض ، وجناح الكفر بجناح رجائه ورواج مناجحه
مهيض ، وحديث اقدامه القويم والحديث طويل عريض .

ذكر فتح الكرك وحصونه

ووردت البشرى بنجح الدرك ، في تسلم حصن الكرك ، وذلك ان
مدة غيبتنا في بلاد انطاكية ، لم تصدم من محاصرتها المضايقة
النائية ، وكان الملك العادل اخو السلطان مقيما بتبنين في
العساكر ، محترزا على البلاد من غائلة العدو الكافر ، مقدويا
للأمراء المرتبين على الحصون ، حافظا على الدهماء بحركته في
الامور عانة السكون ، وكان صهره سعد الدين كم شبه الاسدي
بالكرك موكلا ، وبأهله منكلا ، وقد غلق رهنه وبقي باؤه
معضلا ، وأمره مشكلا ، حتى قضيت ازواجهم ونفست
موادهم ، ويؤسوا من نجدة تأتيتهم ، وأمحت عليهم مصايفهم
ومشائيتهم ، فتوسلوا بالملك العادل ، وأبدوا له ضراعة
السائل ، وتذرعوا بدوسائل الرسائل فما زالت الرسائل
تتردد ، والاقتراحات تتجدد ، والقوم يلينون والعادل يتشدد ، حتى
دخلوا في الحكم ، وخرجوا على السلم ، وسلموا الحصن وتحصنوا
بالسلامة ، وخلصوا باقامة عندهم عند قومهم من الملامة ، وكتبت
عن السلطان في بعض البشائر ، ما ألهم بحلاوته عن أرى
(٢٩) الشائر ، وهو انا لما عينا الى دمشق رأينا ان
لأنستريح ، ولأنثني عن كسر العدو عزنا الصحيح ، فقلنا نفقتم
هذه الشتوة ، ونستكمل الحظوة ، ونواصل بالفزوة
الفزوة ، ونستخلص هذه القلاع التي شغلت منا في هذا الجانب
قلوبا وعساكر ، وأبقت لأهل البلاد في طريقها ندويا ومعاثر ، وبيمن
صدق هذه العزيمة ، والاستمرار في الجهاد على الشيمة ، وردت
البشرى بأن حصن الكرك عاد إليه بعد الجماع الاصحاب ، وخرج
منه الفرنج وبخله الاصحاب ، وهو الحصن الذي كان طاغيته يحدث
نفسه بقصد الحجاز ، وقد نصب اشراك اشراكه منه على طريق

الاجتياز ، فأنقذه عام أول كأس الحمام ، وملكنا حصنه الذي كان يعتمص به في هذا العام ، واضطر الكفر في اسلامه الى الاسلام ، وتم يحل هذا البيت امن البيت الحرام ، وقد كان هذا الحصن نذب النهر في ذلك الفج ، وعذر أهله في ترك الحج وابتسم الاسلام حيث زيد ثغرا ، وساق الى عقائله الرجال مهرا ، فالحمد لله على ما بقدر من الحسنى ، ويسر من النعمى ، حمدا يكون لما قدر ازاء ، ولما يسر جزاء والحمد لله الذي انجز صادق عداته ، في كاذب عداته .

ذكر محاصرة صفد وفتحها ، وادراك السعي فيه ونجحه

وقطعنا مضاضة الاحزان خائضين في بحار المسرات المتواصلة ، راكضين الى مضمار المبرات الحافلة . والسلاطن سائر والجنة تحت رايته مفتوحة ابوابها ، والنصرة فوق الويتة مشدودة اسبابها ، في اطلاب ابطال انا أوعاها الفجر لم يسمعها الى عشائه ، واذا طلع عليها سرحان الصباح سقط من عجاجها على عشائه . ونزلنا على صفد . والصبر قد نفذ . والنصر قد وفد ، والقدر قد رقد ، والعزم قد وفد ، وجاء الملك العادل وظاهر اخاه ، وضافره فيما توخاه ، وشد بالراي والهزم ما الزمان أرخاه ، ويعث كل ذي عزيمة على التصميم ونخاه ، وشرعنا في مراومة القلعة ، ومساومة السلعة ، وجثت المجانيق لاجتنائها وحديثها بالسنة أحداثها ، ورمتها عن قسيها بالقاسيات ، وسمت الى هضاب تلك الابراج الراسيات ، وأمطرت عليها حجارة ، ولم نعطها من العذاب الواقع بها اجازة . فما رفع بها الحصن الراسي راسا ، ولا الحجارة مسست منه ركنا ولا النقبوب باشرت أساسا ، وبامت المجانيق منصوبة قد قام دست شطرنجها ، والنقب لم يكشف نقب السور عن وجوه فرنجها ، وبمنا عليها ، الى ثامن شوال ، ونوعنا في افتتاحها الاحتيال ، حتى ان الله في الفتح

فسهل ماتصعب ، وحضر ماتغيب ، وظهر ماتحجب ، وتيسر ماتعسر ، وامكن ماتعذر ، وتأتى ماتأبى ، وأجاب نداء الاسلام ولبى ، وعلموا ان صفد ان لم تخرج من ايديهم نخلت ارجلهم في الاصفاد ، وعادوا ثعالب يروغون وكانوا كالاساد ، ونزلوا من سماء العز الى ارض الهوان ، فاذعنوا للضراعة وتضرعوا بالاذعان ، وأخرجوا اسارى المسلمين ليشفعوا لهم في طلب الامان ، وصارت صفد المسلمين صفدا ، وكانت بالمشركين هدفا ، وعادت للاسلام سدا ، بعد ان كانت للكفر ردا ومردا ، وطالما مكث فيها المشركون و (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) (البقرة ١١٦) (لقد جئتم شيئا اداء تكاد السموات يتفطرن منه وتتشقق الارض وتختر الجبال هذا) (مريم ٨٩-٩٠) ، ولقد كانت مارنا للكفر جدد، ومرفقا للشر قطع. وناظرا للعدو غص وقد شخص ، وجارحا له هيص وقد قنص ، وبدا للباطل شلت ، وقد امتدت ، وعقدة للضلالة حلت وقد اشتدت ، وتخلصت الداوية بادوائها ، وتملصت بأسوائها ، وصاروا في صور ، وأبدوا بعد استطالتهم القصور .

ذكر ما دبره الفرنج في تقوية قلعة كوكب فانعكس عليهم التدبير

لما عرف من بصور من الفرنج ان صفد لنا صفت • وانها على الفتح الذي يشفي اشفيت . قالوا لم يبق لنا الا كوكب . وان صلاح الدين عن قصدها لا يتنكب . وقد أقوت من القوة . وهي تهبي ان لم نعالجها بالنجبة المدعوة . وقد ضعف رجاؤها لضعف رجالها • وقل ظهورها لظهور اقلالها • وهذا أوان انجائها وانجائها . وهي مشرفة على العدم فدبروا في انجائها . فاذا قويناها وحمينائها بقيت عدة في العواقب . وعصمة من النوائب • فقال مقدم الاسبتار هي كوكبنا المتلاي • ومنكبنا العالي . ومعقلنا المحكم • ومعقلنا المبرم

وحصننا الحصين . ومكاننا المكين . ولنا منه الربع المريع . والمنبع
المنيع . والمحل المحلى . والمعلم المعلى . وهي قفل من البلاء على
البلاد . وموئل من الخطوب الشداد . ولعلها تثبت إلى أن توافينا
من البحر ملوكنا . وتعود الى عادة الانتظام سلوكنا . فما تبطل
جداتنا . وما تخفي نجداتنا . واجمعوا على تسيير مائتي رجل من
النخب . المعين لدفاع النوب . من كل جرخي نخسي . وكسي
أكسي . وجهم جهنمي . وسقر سقري . وعل جبلي . وبطل باطلا .
وكلب كلب . وذئب سقب . وعاسل معاسر . وياسل ياسر .
ومغوار مغو . ومتلوم متلو . ونمر متنمر . ونمر متنمر . وسبع
ضار . وشواظ من نار . وجرم من الجحيم . وحام من الحميم . من
شياطين يجذون الجنون . ويمنون المنون . ويشيئون الشؤن .
ويهدون الهدون . ويحزون الحزون . ويفوتون الفتون . ويظنون
بالله الظنون . وقالوا لهم كيف تمضون وطريق السلامة مخيف
وطارق الاسلام مطيف . والشجانيف . والشجب مضيف . فقالوا
نحن نسـيـر ونصـيـر في ضـمـm
اسرار . وعلى اجياد الاطواد أزارا . وفي اوكار المغارات اطيارا .
وفي اعماق السيول اكمارا . وعلى ظهور الريدود اوزارا . نسري ليلا
ونختفي نهارا . والليل للعاشقين ستر . ولكم ادلج من الوتر . والنهج
وان بعد فهو في قرب عزمنا فتر . ومن رام الذئفيس الخطير رمى
نفسه في الخطر . وطار الى الوطر . وغرب الى الغرر . ثم عزموا
على ما زعموا . وعملوا بما عنه عموا . وخطروا الى الخطر .
وحاولوا بما لهم من القدر مزاولة القدر . وتوقلوا في الاكم . وتوغلوا
في الاجم . وتبطنوا في الاوية . وتمكثوا في الاقنية . واحترسوا
بالكمون . واحترزوا من العين . وتحركوا على السكون . وكادوا
يصلون الى الموضع . ويحصلون على الطمع . ويدركون الطلاب .
ويهتكون الحجاب . ويعيدون الى الحصن روحه . ويأسون بعد
اليأس جروحه . فعثر بواحد منهم بعض المتصيدين فتصيده . وقاده
وقيده . واتى به الى صاحبه صارم الدين قايماز واستغفر من
الافر نجى هناك الجواز ، فاخبره بالحال . وان بالوادي مكن
الرجال . فركب اليهم في اصحابه . والتقطهم من سرر الوادي

وشعابه . وركب الشجاع مسعود في طلب اولئك الاشقياء . وانتشر
الناس في تلك الاكثاف والارحاء فما نجا منهم ناج . ولا نجح راج .
ولا عاش عاش . ولا حصل عاثر بانتعاش . فما شعرنا نحن على
صدف الحصار . والسلطان مطل من بيت الخشب على من حوله من
الانصار . حتى وصل صاحب قايماز بسالاسارى مقرنين في
الاصفاد . مقوبين في الاقياد . وكان بهم مقدمان من الاسبتار . وقد
اشفيا على التيار . فان السلطان ما كان يبقي على احد من
الاسبتارية والداوية . فاحضرا عند السلطان للمنية . فانطقهما الله
بما فيه حياتهما وناجيا بما به نجاتهما . وقالا عند دخولهما . وامام
مذولهما . ما نظن اننا بعد ما شاهنك يلحقنا سو . فعرفت ان
بقائهما مرجو . وانتظرت امر السلطان فيهما . وايقنت انه يبقيهما .
فمال الى مقالهما . وامر باعتقالهما . فان تلك الكلمة حركت منه
الكرم . وحقت منهما الدم . واستبشرنا بانعكاس ما احكمه الكفر
من التدبير . واتعاس من جردوه بالتدمير . وفتح الله علينا صدف
ثامن شوال . فشكرناه على ان مد النصر متوال . وسلمت القلعة
الى شجاع البين طغرل الجاندار فهو بها وال .

ذكر حصار كوكب وفتحها

وجئنا الى كوكب . ووجدناها في مناطق الكوكب . كانها وكر
العنقاء . ومنزل العواء . قد نزلتها كلاب عاوية . ونزعت بها نئاب
غاوية . ونزت فيها سباع ضارية . وحمتها بحميتها وابت النزول
على امنيتنا ولو بمنزل منيها . واختارت العطب على العطاء .
وامترت خاف الخلف والشقاق للشقاء . وابت غير الابهاء . وبصرت
بالامر فصبرت على الضر . واصرت على تحمل الاصر . وترامت
على التعامي بالمصائب . وتعامت عن المرامي الصوائب . وقالوا لو
بقي منا واحد لحفظ بيت الاسبتار . وخلصه الى الابد من العار .
ولا بد من عود الفرنج الى هذه الليار . فتجلد للاصطبار . ونشد
للانتظار . فقاتلوا اشد قتال . ونازلوا . احد نزال وفوقوا الجروح

المصمية . وصوبوا الصخور المريبة ورفعوا المنجنिकास الموجية .
وتواترت زيارات الزيارات الموتره . وتناوبت نواشب الزنبوركات
المطيرة . واجتروا على الاجتراح وجري سيل الجراح . ودما في
الدم . ورد الوجود الى العدم وتجرت الرجال . والتجريد للقتال .
وايتار الحنايا . وايتار المنايا . والرسي في المنجنيق . والجمع
والتفريق . والرقع والتخريق . والنقشب والتعليق . والحفر
والتعميق . والحصر والتضييق . والهدم والرد والردم . والصدم
والصدم . وكان الوقت صعبا . والغيث سكب . وتكاثر السيول .
وتكاثفت الوحول . وبامت الليم لدموعها مريقة . وبقيت الخيم في
الطين غريقة فلا لمركب مبرك ولا مربط . ولا لسالك مسلك ولا
مسقط . وكنا في شغل الشاغل من تقلع الاوتاد وتروث الاقدام .
وهي الاظناط ووقوع الخيام وكان الخيم مناخسل الانداء .
وعدمت الانوار لوجود الانواء . وفقد ماء الشرب مع سيل الماء .
والروايا ما نهضت . ولا نزعت ولا غمضت . والرواحل في الطين
باركة . وللحياة فاركة . وللعلف تاركة . والمطية مطينة وسبل السيل
مستينة . وقد كشر البرد بالبرد عن اسنان عضاضة بالزرد .
والطرق زلقة لزقه وهي مع سعتها ضيقة . وللمثق (٣٠) ثقل .
وللقلق عقل . وما ثم الامانيط بالطين . وصعب علينا بصعوبة هذا
الامر امر اولئك الشياطين . فنقل السلطان خيمته الى قرب المكان .
لتقريب وجوه الامكان . وبني له من الحجارة ماصار له
كالستارة . فحضرت بين يديه والسهام تعبرنا ولا تزعربنا .
والستائر تسترنا عنهم وعليهم تظهربنا والنقاب قد قلع وعلق .
والجرخي قد هتك الحجب وخرق . وتجرد الجند . وانجد الجند .
ونزلت الاثقال والخيم الى اسفل التل . فحدث الثقل بنقل النقل .
وطاب المقام بالغور . وسهل بالسهل . وتحولت الشدة الى اللين
وتحلت الى الطيب عقد الطين . وما زال السلطان ملازما للحصن .
وهناك ظاهرة له منه اسباب الوهن . حتى علق بعض جدرانها .
وطرق الهدم الى بنيانه . فقتلته بامانه . وانهب سكون سكانه .
فاخرجهم راغمين . واحرجهم غارمين . وتركوا الحصن بكل ما
فيه . واصبحوا بعد مقاتلته للعدو والمعاقاة معتفيه . وذلك في

منتصف ذي القعدة . وانتصفت الايام بحل تلك العقدة . ورجعت
اليالي بالسكون الى طيب الرقده . وعرضت القلعة على جماعة فلم
يقبلوها . وخلوها وابوا ان يلوها . وتخلوا عنها بهمم واهية فدوليتها
قايمار النجمي على كراهية . بعزيمة عن مهامها لاهية . وانتقل
السلطان الى الخيم بالقضاء . وحمد الله على قضاء التوفيق
وموافقة القضاء . وودعه الاجل الفاضل على عزم مصر بعد ما
استكمل لنا مقامه بصدق الكلمة وجد اعتزامه الفتح والنصر . ثم تحول
السلطان الى ارض بيسان . وازال البؤس . وزاد الاحسان .
واقام بقية الشهر في تمهيد مجد يقيم في باقي الشهر . واظهر من
الفضل ما لم يكن مستورا . واعطى الامراء والاجناد في انفصالهم
دستورا . وسار معه اخوه الملك العادل مستهل ذي الحجة واضمح
الحجة لاثنتي اليهجة . وأوجها الى القدس في طريق الفور وزارا
للبركة . وتبركا بالزور . ووصل يوم الجمعة ثامن الشهر وصلى في
قبة الصخرة وخص ذوي الخصاصة بعميم المبيرة . وعيد بها يوم
الاحد الاضحى . واضحى بعد ما ضحى ، وقد اصحب مرابه
وأضحى . وسار يوم الاثنين إلى عسقلان للنظر في مهامها ونظم
اسباب احكامها . وتديير احوالها . وترتيب رجالها . واقام اياما
يوضح الجند . ويصلح ما فسد . وينشد من الذفع ما فقد . ويخدم من
الشر ما وقد . فانما وجد شعثا له . وان الفى نشرأ ضمه . وان
صادف فتقا وثقة . وان لقي حقا حقه . وان عثر على باطل عفى
اثره ، وان يصير بأمل خصه يعرفه وأثره . ثم ودعه اخوه الملك العادل
واستقل الى مصر بعسكره ورحل السلطان على صوب عكا موافقا في
مورده ومصدره . فما عبر ببلد الا قوى عنده . وكثر عنده وواصل
بالرجال منده . وكنت انفصلت عن خدمته الى دمشق عند رحيله من
بيسان لعارض مرض سلبنى الامكان ، والحمد لله الذي وفر حصنة
الصحة وحول المحنة الى المتحة وكمل الشفاء بعد الاشقاء واهدى
عند اليأس أرج الرجاء .

وبخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة

والسلطان في عكا مقيم والامر مستقيم • والنهج قوي • وهو يبوب اسباب حفظها • ويسبب ابواب حفظها ، ويهذب مراتب مصالحها ويرتب مذاهب • مناجحها • ويعذل جوانح امورها • ويذل جوانح جمهورها ، ويقوي ما وهى • ويسري ما هوى ، ويحلي من الشان ما عطل ، ويعلي من المكان ما سفل • ويعيد نظم ما انتكث • ولم ما تشعث ، ويجيد كل مادعا إلى بعث مامات منه وبعث • ومكث بها لايريم القصر إلى ان وصل جماعة من مصر ، فأمرهم فيها بالاقامة محافظة على الحماية المستدامة • فأمر بهاء الدين قراقوش باتمام بناء السور ، واحكام احكام الامور • وولى الامير حسام الدين بشارة بعكا واليا ، ولم يزل لأثار الدولة في ايثار العدل تاليا • ثم خرج السلطان وسار على طبرية • وبخل دمشق مستهل صفر • وقد استكمل الظفر ووجه الدين به قد سفر • وعز من آمن وذل من كفر • وحزب الهدي قد انس ونفر الضلال قد نفر ، وجلس على سرير السرور • ولبس حبيب الحبور وبدا بحضور دار العدل فدر عدله للبايدي والحاضر واقام سفور بشره للمقيم والمسافر • وأفاض الفضل • ومحا المحل • وأعلى اعلام العلماء • وأحلى احلام الحلماء • وأمضى احكام الحكماء وقضى باكرام الكرماء • وأسدى المعروف وأعدى الملهوف • وأنكر المناهي ، ونهى عن المنكر وطهر حكم الشريعة وحكم بالشرع المطهر • واقام مدة الشهر • وأولياؤه جناة النصر واعداؤه غاة القهر ، وايامه مسفرة ولياليه مقمرة • ومغارس ايامه ثمار المحامد مثمرة • ومجالس اعانيه في بيار الشدائد مقمرة • والملك بزهو زاه زاهر • والدين ببهائه مياه باهر والافاق منيرة والانوار مفيقة • وللدولة حق مدال وحقيقة وللجاه وافي جده وللجود وفي عهده وللسماح سماء تهمع وللمراد مراد يمرع وللوجود بالبشر بهجة ، وللالسة في الشكر لهجة • وللشريعة شرعة

واضحة وللحق سنة لستر الباطل فاضحة • والصنائع راجحة
والذراع ناجحة .

ذكر وصول رسول دار الخلافة والخطبة لولي العهد
عده الدين ابي نصر محمد ابن الامام الناصر لدين الله
أبي العباس أحمد امير المؤمنين

بتاريخ اوائل صفر وصل رسول منزل الرسالة ، ومقر
الجلالة ، ومربع الامامة • وموضع الكرامة • ومطلع الهدى ومنبع
الندى • ومشرق نور الايمان • ومشرع فيض الاحسان • ومرجع
المرجيين • ومفزع المتجيبين ومنجي الناجين • ومنتجى المناجين
ومهيبط الوحي • ومصعد الامر والنهي • ومقصد نجاح السعي ،
ومخفض جناح الرحمة • ومقطف جني النعمة • ومجرئ نيل
المناقب • ومجري سيول المواهب • ومزار املاك السماء • ومدار
افلاك العلاء • ومحج ملوك الارض ومحجة سلوك الفرض • وموطن
التنزيل . وموطئ جبريل ، ومقام الخلافة . وموام الرافة . ومحمل
الامانة . ومحل الديانة . ومطاف الطائفين . ومعرف الواقفين .
وموقف العارفين . وقبلة المقبلين . وموئل المؤمنين . وكعبة
القاصدين . ومثابة الواغنين . ومعفر وجوه العظماء . ومكفر ذنوب
الكرماء . ومعصب السيادة القرشية . ومنصب الوراثة النبوية
والسنة الشريفة الناصرية . وبار السلام . وقبة الاسلام . فابتهج
السلطان بوصول الرسول وايقن بحصول السؤل . وسر سره . وأبر
بره . وصدر بنشر الانشراح صدره . وقدر على الاتسام بالتسامي
قدره . واحتفل بأسباب التلقي ة احتف باثواب الترقى . وسأل عن
الرسول المندوب . لاسؤل المخطوب .
ف قيل هو ضياء الدين عبد الوهاب بن سكيته . وصل بالضياء
والسكينة . والاحوال الحالية المزينة . وكان وزير الخلافة يومئذ
معز الدين بن حنينة • فعين لهذه الرسالة ابن سكيته حين عرف

اراه السنية • فتلقاء يوم بخوله الى دمشق السلطان واولاده •
وكان يوم مشهوبا حضره اعيان البلد مائل العسكر واشهاداه •
وانزله في دار الكرامة • ورتب له وظائف الاقامة • ثم جلس له في يوم
سعد صباحه • وبنت في جبهة الدهر اليهيم غرره وواضحاه • وملات
طربي الزمان والمكان اقراحه • وجاء على وفق الامال اقتراحه •
وختم باليمن والاقبال رواحه • وورد بكل ما بهج الاولياء • وازعج
الاعداء • وخاطب السلطان عن النديان العزيز بكل ما اعزه • وثنى
عطف تبايهيه وهزه • ورسا له طوبى بالوقار في ايراد الرسالة •
وجلالة في مهب المهابة انوار الجلالة • وتلفظ له بالتفضل • وتطوق
منه بالتطول • وبشر بان امير المؤمنين فوض ولاية عهده • الى ولده
عنة الدين امي نصر محمد من بعده • واخذ بذلك العهد على من
حضره من اعيان الامة • وحفظ عليهم بقوليته ما اولاهم الله به من
النعمة • واستظهر بما خص به من هذه المرتبة • وامر بذكر اسمه
ونقشه في الخطبة وعلى السكة • وعاد الاسلام به ظاهر الشوكة •
والشكة. وخطبنا لولي العهد بدمشق يوم الجمعة ثالث عشر صفر •
ولم يبق من الامراء والامائل والافاضل إلا من حضر • واحضر معه
النانير ونثر • وتولى ذلك الملك الافضل فاعطاه ابهة ملكه وبهاء
فضله • وحصل الاسلام من ري رايه على نهله وعله • ونذب
للمرسالة الى النديان العزيز ضياء الدين الشهر زوري القاسم بن
يحيى • لينشر به ما كاد يعفو من سنن الموافاة ويحيى • وسيرت
معه الهدايا • والمتحف والطرف السنيا • واسارى الفرنج
الفوارس • وعندها الكوامل النفائس • وتاج ملكهم السلايب
والصليب • والملبوس والطيب • واضفيت على رسول الامام ملايس
الاكرام • وقفل ناجح المرام • واصطحب الضيآن لاضاعة مطالع
الايمان • بسفارة سافرة عن سني الاحسان • وبشارة شائرة جني
النحل من نحل الجنان • واهتزت الاعطاف • واعتزت الاطراف •
وابتسمت ثغور الثغور لسدائها • وانتظمت امور الجمهور
لسدائها • وسرت القلوب • وسريت الكروب • وخزي الحاسد
الحاشد • وقوي الساعد المساعد • وواصل في طريقة الاغاذ • حتى
وصل الى بغداد • فتلقى الرسول بالسول • وقويل بالقبول •

وخرج اليه الموكب الشريف واضيف له الى تالذجه القليم جله
الجديد الطريف . وبخل البلد وأسارى الفرنج على هياة يوم
قراها . رايكة حصنها في طوارقها وبيارقها . وأدراعاها . وقد
نكست بذوبها واتعست اندوقها . وهيئت على هياة فتوحنا حتوقها .
ووقف على العتبة الشريفة واستقبلها وقبلها . ثم عطف به الى دار
الكرامة فنزلها . والفي الوزير ابن حديدة قد عزل . وأقام في بيته
واعتزل . وتصدر في الدست للنيابة . وسمع الخطاب والاجابة . من
له المجد الاثير الصدر الكبير مؤيد الدين صاحب ديوان الانشاء .
وقد خص بتولي الحل والعقد والاعطاء . فتتولى سماع
الرسالة وجوابها . وأولى صوبها ووالي صوابها . وسياتي في
موضعه ذكر ما انتهت اليه الحال . وجرى به القول . وكيف شغلت
العوائق وعانت الاشغال .

فصل مما كتبته في المعنى عن السلطان الى الديوان العزیز مع الرسول

قد تقدمت خدمة الخادم بما قدمه من امثال المثل . وأداه من فرض
الاعظام والاجلال . وقام به من الامر الذي قام به أمر الدين
والدنيا . وبادر اليه من استثمار طاعته التي نامت لها من نعمة الدار
العزیزة في إزكاء مغارسها السقيا . وحل حبا الصب لما حل من
حبائها . وعقد خنصر النصر لعزائمه على ما اعتقده من ولأنها .
وجمع شمل السعانة الشاملة بما جمع أمره من إسعادها . واستجد
عهد الجد المورق الموثق بما جاد ثراه من ثرات عهاها . ونهض من
الملك بتقديم ما قدمه على الملوك الناهضين . وأبرم من عقد عيوبته
الكاملة ما تقاصر عنه تطاول الناقصين الناقضين . ووثق لما وافق
المراضى الشريفة ففاز بما حاز من شرف الرضا . واقتضى بين الدين
الثابت وثبت على الوفاء في استيفائه بما قضى . وسبق الى ما سبق
به جواد صدقه في جواد قصده . واقتتح فريضة طاعته في حلاوة

عبوبيته بتلاوة فاتحة حمده . وأنهى الى نهاية النهى . وأطاع
ما أطاق فيما أمر الله به ونهى . وما وضع الكتاب من يده حتى رفع
بالدعاء يده . وسأل الله لمولانا وسيننا أمير المؤمنين وأفد النصر
ومنده . وأن يعضده بولده ولي عهده المطاع بأمر الله عة الدنيا
والدين . ويقر به عيون المسلمين . فقد فاضت البركات . وأضت
الحسنات . وأضاءت الكرامات . وراضت جماح الاماني المبررات
المبررات . وماضت جناح الكفر الفتكات المربيات . وعمت الميامن .
وتمت المحاسن . وتمت النعم الظواهر والبواطن . وضمت بسكون
الدهماء اهله المعاهد والمواطن . وصدحت المناظر . وصدقت
المفاخر . وصدعت الاوامر . وصدقت الفواقر . وصدمت قلوب أهل
التفاق من بواعث الرعب والبواعث البوادر . ونقشت صفحات
الدرهم والدينار . ونعشت عثرات الاخيار الاحرار . وفرشت مفوقات
الانواء والانوار . وعرشت اسرة المبار والمبار . ورفعت رغبات
الابرار . وسمعت دعوات الاسحار . ونزل النصر . وفضل
العصر . ووجب الشكر . وشجب الكفر . ورحب الصدر . واصحب
الدهر . وسحت سماء السماح . وصح ارواء الارواح . وتضوع
نشر الانشراح . وتوضع صباح الصلاح . وطال جناح النجاح .
وطاب جني الافراح . وعظم القدر . ونظم الامر . وحسن الذكر .
وأمن الذعر . واهتزت اعطاف الاسلام . واعتزت اطراف الشام .
وتبلجت ايا من الايام . وتروجت اماني الانام . وأرجت أرجاء
الرجال . وثبتت باسناء الاسناد رواية أمالي ري الامال . وقرت
الاعين وابتهجت بالسعد الطالع . وأقرت الالسن والتهجت بالحمد
الجامع . وقرت الأنفس وانتهجت بوسعها سنن العز الواسع .
ونابت هذه الموارد العذبة المشارب الصافية المشارع في نفع الاوام
(٣١) ونقع الانام مناب المنابع . وأرخت السير وسيرت
التواريخ . وخلقت ملطقات البشائر ليوجب تفخيمها وتضخيمها
التضميخ . وأشرق المغرب من يشر البشري . وانارت مصر من
حسن هذه الحسنى . ويسمت بسمه الشرف منابر الاقاصي
والاداني . موافقة لمنبر المسجد الأقصى . وتطرزت الفتوحات
الفاضل عصرها . الشامل نصرها بهذا المذهب المذهب . وفاحت في

مهاب المحاب نفحات هذا الزمن الأظهر الأطيب . وعاد الزمان الى
اعتداله . وعاد العدل بزمانه . وتاب النهر من عدوانه . وأب إلى
أحسانه . ورجع اللين إلى سناء سلطانه . وفجع الكفر بعبد
صلبانه . وبطش الايمان بايماناه . واستخلص من الشرك بلدانه
بلدانه . وتقاضى الربيع بقروضه . وضافت ضيوف قيوضه . وعتب
العزم على ربوضه . وحض الخط . على نهوضه . وحث الحب على
اقامة سـنن الجهاد وقـروضه . فـقـد
درت افويق الآفاق . وزرت أشعة الاشراق . واغترت نضرة
الحدائق لنظرة الاحداق . وراقت أوراق الالوية كالتواء
الأوراق . وأزهرت البيض والسمر كازهار الرياض . وأنف غرار
الجفون في الاغماد من الاغماض . وتيقظت الاقدار للاقدار على
ايقظ عيون البيض لاجراء دم الشرك المطلول . وتنزل البركات في
انتجاع المراق من تجيع المارقين لا تزال نص النصر على النصل
المسلول . وقد لن ان ترعى الدشاشات منهم على رعي
الحشيش . ويطير الى اوكار المقل طير السهم المريش . وترتع
ثعالب العوامل في عشب الكلى . ويطن ذباب المناصل في لوح
الطللى . وترن رقاق المرهفات في الرقاب رنين الخطب على
الاعواد . وتذوب قلوب علوج الكفر من نار الرعب ذوب الثلوج على
رؤوس الاطواد . وتحمل اشجار القنا بثمر الهمام . ويجيش
الفضاء المعشب بزهر الجيش اللهمام . ويقطف ورد الموت
الأحمر . من ورق الحديد الأخضر . ويوقف حد الهندي الأبيض
على قصر بني الأصفر . ويجري في ورد الوريد جـداول
البواثر . وترمي من الحصون العانيات الى حصون العدا جنادل
الحوافر . وتكفل بما وعد الله من الظفر الظاهر والظهور المضافر
ضوا من الضواهر . وتلقى عقبان رايات الفتح والكسر من عقبان
الجو بالفتح الكواسر . ويعبق ثوب الدارع من ردغ الثواب بسهك
المانى . وتعلق في ملتقى التقى الفات السهمري . بلامات
السابري . ويظهر الحق بخذلان الباطل . ويحل بأيدي الأيد ما بقي
مع الفرنج من معازل المعازل . ويفرق بحر المجر الجرار ما تخلف

من ساحات الساحل . فلم يبق به من المدن المتبعة الا صـور
وطرابلس . ومعالم الكفر بهما في هذه السنة المحسنة بعون الله
تدرس . واما انطاكية فانها بالعرء منبوتة . وعند الاتجاه اليها
ماخونة . على انها بوقم قومها عام اول موقونة . وحدود العزائم
اليها عند انقضاء هذنتها مشحونة . فانها قد نقصت من
اطرافها . وبخل عليها من اكتافها . وجذعت بفتح حصونها
عرانيتها . وضيق على أسدها وسيدانها المحصورة المحشورة فيها
عريتها . فهي نهـزه لفتـرض . وطعمسة لمقتنص . وسـلعة
لمسترخص . وبلقة لمستفحص . وقد خرج الخادم ليخـل البلاد .
ويستأنف بجهده الجهاد . ويستقبل الربيع بربيع
الاقبال . ويستتزل ملائكة النصر من سماء الرحمة لاوقات
النزال . وهو يرجو ببركة هذه الايام الزاهرة من الله ان ينجـد جند
ارضه بجند سمائه . ويوفق الخادم لتصديق امله في تطهير الارض
من انجاس اجناس المشركين بدمائهم وتحقيق رجائه . فالجحافل
حافلة . واسراب الكفر بين يديها جافلة . ومعاطف الاسلام في
لباس الباس رافله . ونصرة الله بانجاز عداوته في قمع عداوته
كافله . والحمد لله الذي وفق عبـد مولانا أمير المؤمنين في طاعته
لنصر امره . وإخلاص الولاء في سره وجهره . واقتناء كل منقبة
حقق بها فضل عصره . وابتكار كل فضيلة سار بها حسن ذكره فما
يفتح مرتجا الا بتقليدها . ولا يستنـجـح مرتجى الا بتأيدها .

ذكر خروج السلطان من دمشق لاجل شقيف اردون وما جرى له مع صاحبه

واقام السلطان شهر صفر في دمشق . وقد اطاب لناشق الامال من نشره الذشق . ثم خرج منها في ثالث شهر ربيع الاول يوم الجمعة . بالحببة المجتمعة والمهاجرة الممتنعة . متوجها الى شقيف اردون . ليقر بفتح العيون . ويصدق في استخلاصه الطنزون . واتى مرج برغوث . واقام به الى يوم السبت حادي عشر الشهر ينتظر من عساكره البعوث . ثم رحل على سمع بانياس . وقد اوقع رغبة بين اهل الكفر البأس . واتى مرج عيون وخيم منه بقرب الشقيف . وجمع على من به من آلات الحصار اسباب التخويف . وذلك يوم الجمعة سابع عشر ربيع الاول في اواسط فصل الربيع . واقام في ذلك المرح الوسيع . والروض الوشيع . واسمنا الخيل في اعشاب واصية . ورتعنا في الطاف من الله نائية غير قاسية . وكان الشقيف في يد صاحب صيدا ارناط . وقد اكمل في حفظه الاحتياط . فنزل الى خدمة السلطان لحكمه طائعا . ولامره سامعا . ولرضاء تابعا . وفي موضعه شافعا . وعلى حصنه خاشيا ولاجله خاشعا . وسأل ان يمهل ثلاثة اشهر يتمكن فيها من نقل من بصور من اهله ، واظهر انه محترز من علم المركيس بحاله فلا يسلم من جهله . وحينئذ يسلم الموضع بما فيه . وينخل في طاعة السلطان ومراضيه . ويخدمه على اقطاع يفيقه . وعن حب اهل بيته يسليه . فاكرمه وقربه . وقضى اربه . واجابه الى ما سأله . وقبل منه عزيز ما بذله بذله . وامهى (٣٥) غريب رغبه وامهله . واخذله وما خذله . وخلع عليه وشرفه . وزرقه في ناديه بنده وعرقه . واقتنع بقوله ولم يأخذ رهينه . ووجد اليه سكونا وعنده سكينه . فشرع ارناط في ازالة حصنه ، وازالة وهنه . وتوهميم مستهدمه . وتتميم مستحكمة . وتوفير غلاله . وتوفية رجاله . وتديير احواله . وتكثير امواله . ونحن في غرة من تحفظه . وفي سنة من تيقظه . وفي غفلة

من حزمه . وفي غفوة من عزمه . وكان يبتاع من سوق عسكرنا الميرة . ويكثر فيه النخيرة . وقد صدقنا كذبته . وحدثنا اربه . وانهي الى السلطان ما هو مشغول به من عمارة يجدها . ونخيرة يعدها . وثلمة يسدها . وقوة يشدها . وميرة يستعملها . وكان بالذكور سيد الظن . شديد الضن . لا يقبل ما فيه يقال . ولا يظن به عثورا يقال : فلما كثر فيه القول . وتمكن من مسالته العول . لم يرد ان يبدي له ما قيل . ولم يصديء بالتغير عليه وجه جاهه الصقيل . فأمر بالانتقال من المرج الى سطح الجبل . وتحويل الخيم اليه والثقل . وذلك ليلة الجمعة ثاني عشر جمادى الآخرة وأظهر ان المرج وخيم . والمقيم به سقيم . وأم الدهر فيه بالصحة عقيم . وكان المقصود ان الشقيف من عيانه يقرب . واخباره عنه لا تعزب . فلما علم صاحب الشقيف بقربه . شرع في ازالة ما في قلبه . وجاء الى الخدمة . واستمسك بالعصمه . وذكر انه متعزز بـذل الطاعة . وبـذل الاستطاعة . وتضرع خاضعا . وتعرض خاشعا . وذكر انه تخلف له اهل بصور . وانه كان زمان غيبته يرجو منهم الحضور . وانه يتقرب وصولهم . ويأمل عنده حصولهم . وشرع في تقرير هذا الحديث . وتمهيد عذره فيما يتوهم من عهده النكير النكث . واقام يوما وعاد الى حصنه . وقد وجد من السلطان دلائل امته . وكانت المدة قد دنا انتهاءها . وقرب انقضاؤها . فانها الى اخر هذا الشهر . ولم يجد بدا من التسليم او الغدر فعاد بعد ايام . باكتئاب واغتمام . وحضر عند السلطان فقال ما اظهر به الابتهاال . واستزاد الامهال . وذكر انه رقيق الامتنان . وعتيق الاحسان وانه العبد القن . وقد دخل عليه الوهن . وغلق به الرهن وانه يبقي امله معتقلين بصور إن خرج منه الحصن . ومن ادشأ غرسا سقاء فأبقاه . وأشكاه فأزكاه . وأسماه فانماه وقد اصطنعته ورفعته فلا تضع الرقيع . ولا تضع الصنيع . وسأل ان تكون المدة سنة . وان يتبع الحسنة في حقه حسنة . وان يرخي بطوله طوله . وان يشفي يشفاء ألمه امله . فراقه قوله . فرق له طوله . ثم ا فكر في امره . واستمر في فكره . ففادر على عزيمة

غدره . وجاهر بسر شره . بعد ان ماطله وطاوله . وزاوله على ما
حاوله . واقام اياما يريده . ويخصه من الكرامة بما يجنده . ثم
كشف له الغطاء . بعد ان اجزل له العطاء . وقال له قد قيل عنك ما
لا نظنه فيك ولا نعلمه منك . فجدد ما عنه رقي . وانه كيف يلقي
بالكفران ما من الانعام لقي . وانه لم يسعد بامهاله في الشقيف
شقي . ثم سأل في ندب من يوثق بامانته . ويؤمن الى
وثاقته . لينخل الموضع ويلمسه . ويحضر بوصف ما شاهده
ويشرحه . فرجع المندوبون بخبر ما ابصروه . وذكروا ان الحصن
قد غيروه . وانه قد استجد في سورة باب . واستمدت له من احكام
احكامه اسباب . فاستحكم به الارتياح . وعرف ان السرح قد
حوته الذئاب . فوكل به وحلف من حيث لا يعلم . وقيل لعله يحسن
فلا يحوج الى مقابحته ويسلم . ثم قيل له قد بقي يومان من المدة
المضروبة . والمهلة الموهوبه . فتقيم عنينا حتى تنتهي المدة
وتتقضي . وتسلم الحصن وتسلم وتمضي . فابدى ضرورة
وضراعه . وقال سمعا وطاعة . وكان له ملقى وملق . وفي لسانه
زالق . وما عنده من كل ما يفرق منه فرق . وقال انا انفذ الى ذواي
في التسليم . وهو قد تقدم اليهم بالوصية والتعليم . فاظهروا
عصيانهم . وقالوا يبقى مكانه . فقال قد بقي من المهلة يومان فمانا
العجلة التي يفوت بها الغرض . ويطول منها المرض . فصبر عليه
الى يوم الأحد ثامن عشر جمادى الآخرة وهو آخر مدته . وأول
شدته . وأوان انقضاء عنة عدته . وقد رتب على الشقيف يرك يمنع
الخروج والنزول . والصعود والنزول . وبضايق غريمه
المطول . قبل ان يمتد حصاره ويطول . وحمله جماعة من الامراء
ووقفوا به ازاء حصنه . فناداهم في درك امره . وفكاك
رهنه . فخرج اليه قس قاس . بأسر عن ياس . فصادته في حادثه
بلغته . ونافته في كارثه بقلته . وتحاورا في السر . وتشاورا في
الشر . وكانما امره بالتجلد . وصبره على التشدد . وعاد القس
الشقي الى الشقيف . وترك صاحبه عانيا بالعناء العنيف . فقيد
وحمل الى قلعة بانياس . ويطل الرجاء فيه وبان الياس . ثم
استحضره في سادس رجب وهدده وتوعده وبالح في تخويفه . على

ان يبلغ المراد في شقيقه . فلمسا لم يفد خطابه . ولم يجسد غنايه . سيره الى دمشق وسجنه . وألزمه شجاه وشجنه . وتحول السلطان من مخيمه الى اعلى الجبل يوم الاربعاء ثامن رجب لمحاصرة الحصن . ورتب له عدة من الامراء . وامرهم بملازمته في الصيف والشتاء . الى ان تسلمه بعد سنة بحكم السلم . وأطلق صاحبه وأجرى عليه حكم الحلم .

ذكر ما تجدد للسلطان مدة المقام بمـرج عيون من الاحوال وما كان من غزواته ونهضاته ووقعاته في حرب الفرنج والقتال

اجتمع من كان سلم من الفرنج ونجا على ملكهم الذي خلاص من الاسر ، وقالوا نحن في جمع جم خارج عن الحصر . وقد تواصلت الينا امداد البحر . فثربنا للثار ، وأعرنا من هذا العار . وجاء من كان بطرابلس وخيموا على صـور . وفارقوا بالاستطالة القصور . وجـرت بين المـركيس المقيم بهـا وبين الملك مراسلات . وحالت بين اتفاقهما حالات . فلم يمكنه من دخول البلد . ولج معه في اللد . واحتج بأنه من قبل الملوك الذين من وراء البحر . وانه منتظر لما يبرمونه من الأمر . ويصله من الأمر . ثم اتفقوا على ان يقيم بصور المـركيس . ويدوم منه لملكهم التأسيس وللكهم التأسيس . وانهم يجتمعون على حرب المسلمين وقتالهم . يتساعدون علي رم ما تشعث من احوالهم . ويتعاقدون على حل اشكالهم . ويتعاضدون في تسديد اختلالهم . ويتعاضدون بلدا اسلاميا من الساحل . ويقيمون عليه بالنوازل اقامة المنازل . والمركيس يمدهم من صور بالمدد بعد المدد . ويجمع ما يحتاجون اليه من الميرة والاسلحة والعدد . فأجمعوا على هذا الرأي . وبلغوا في الفى الي هذه الفساي . وشرعوا فيما شرعوه . وفرعوا ذروة الاصل الذي فرعوه . ووصل الخبر يوم الاثنين سابع عشر جمادى

الاولى من اليك . ان جمع الفرنج قد نهض كالليل المعتكر الى المعتكر . وانهم على قصد صيدا للحصر . وقد جسروا على عبور الجسر . فركب السلطان في الحال فيمن خسف من ثقال الرجال واقتال القتال . واطلاب الابطال . وانجاد الاجناد . واجلاد الجلاد . والباندين المهج للجهد في الجهاد . ووصل الى الملتقى والشغل قد فرغ . والسيل قد بلغ . والصنعة قد وقعت . والوقعة قد صدمت . والثورة قد انثارت . والسورة قد اسارت . فان اليزكية لما شاهدت جساها . وتعاقبت على اقباثهم وتعاضدت . وضالطتهم . وباسطتهم . وواقحتهم وواقعتهم وجاللتهم وجاللتهم وحارلتهم وحارلتهم وردتهم ورددتهم مفلولين مخذولين . وصدلتهم منهزمين مثلومين . وقسرتهم وكسرتهم واسرت سراهم . ويزت بزاتهم . وقصصت عقبانهم . وقصصت شجعانهم . وصالت صيدهم وفرست فرسانهم . ووقع في الاسر من سباعهم سبعة . وغودرت للنسور من اشلاء المارقين بالمازق شبعة . واستشهد من الممالك الخواص ابيك الاخرش . وقد كان شهما بالوقائع يتحرش . وثبتا بالروائع لا يتشوش وانيسا بالحوادث لا يتسودش . وكما كميشا بالكوارث لا ينكمش . وانفصلت الحرب قبل وصول السلطان . وكانت الدائرة على اهل الشرك والطغيان . وعاد السلطان الى خيم ضربت له بقرب اليك . وقال لعلهم يعودون الي ذلك المعتكر . فاستدرك ما فرط من استئصالهم واجتثاثهم . وقد ندم الفرنج على ما نذر من اجترائهم وانيعائهم . واقام الى يوم الاربعاء تاسع عشر الشهر . والاسلام بقوة ظهوره على الكفر قوي الظهر . وركب في ذلك اليوم . ليطلع من الجبل على القوم . ولم يكن له نية القتال . فلم يستصحب معه من يستظهر به من الرجال . وتبعه راجل كثير من غزاة البلاد بغير علمه . وظنوا ان السلطان انما ركب للقتال وعلى عزمه . وكان الفرنج قد بصروا بالراجل قطعوا فيه . ثم ظنوا ان وراءه عسكرا في الكمين يحمي . ونفذ السلطان بعض الامراء الى الغزاة الرجالة ليعودا فما قبلوا . وحمل عليهم العدو فاسروا وقتلوا . وختمت بشهادة اولئك السعداء تلك العشية . ونفنت من الله في استشهائهم

المشية . وحمل الحاضرون من الامراء والعسكرية على الفرنج حملة
أردتهم وربتهم . وصدهم عن الجراءة وصدهم . وتزاحموا على
الجسر . ففرق منهم زهاء ثمانين في النهر . وكان يوما علينا
ولنا . جنى المنا واجنى املنا . وللحرب رجال . والحرب
سجال . ولم يكن لأولئك الغرياء بقتال الفرنج دربه . واقامهم على
العدو لله قربه . فخاضوا من الدم في اللجج . واعتاضوا الجنة من
المهج . ومن لقي الله بالشهادة . وختم له بالسعادة . الامير غازي
ابن سعد الدولة مسعود بن البصارو . وكان شابا لتار الحرب
شابا . ولدين الرب رابا . ولما شاهد ما تم من الفزاة . انقض في
اصحابه على الفرنج انقضا البزاه . فدعته جنته . الى طعنة
لبتها لبته . فاحدسه عند الله والله . وكثرت عليه مواربه . واوجد
جمعنا الاسى على فقد ذلك الواحد . وساء عدم الساعد . وبقنا نشكر
مساعي ذلك المساعد . وضائق القلوب . وفاضت الكروب . والم
البوس . وأملت الذفوس . وهذه وقعة ندرت . وواقعة بدرت .
ونذير حدث وحادثه انذرت . فلم يصب الكفار من المسلمين مذ
اصيبوا غير هذه الكرة . وانا قونا بعد أن حلا لنا جني الفتوحات
مرارة هذه المرة . فايقلتنا من رقبة الفرة . وأخذ الناس
حذرهم . ونذروا وعقدوا على الانتقام نذرهم . ثم رجعوا الى الله
وقالوا بهذا وعد الله حيث قال : (فيقتلون ويقتلون) (التوبة ١١١)
وعبادهم هم الذين يتبعون امره ويمثلون . ثم قويت عزمة السلطان
على قصدهم في مخيمهم . وكبسهم في مجثمهم . وعبور الجسر
اليهم . والاحداق بهم من حواليلهم . وشاع صيت هذا العزم
وصوته . وسارع الناس الى موسمه . وخشي قوته . وتسامع اهل
البلاد . بتصميم عزيمة الجهاد . فتيأشروا وتبادروا . وتسابقوا
وتسارعوا واتوا من كل فج . وجاءوا من كل نهج . وسالوا في كل
واد . وجالوا في كل بقاع ووهاد . ووافقت مطوعة دمشق
وحوران . يجرون الى مر الموت . ويجرون المران . وتوافد من المراج
والقوطة . على الحالة المغبوبة . وقالوا هذا اوان احضار الضوامر
المربوطة . واجتمعت بمرج عيون . جموع مرجت العيون . فضافت
الفرنج من هذا الجمع . وانافت على القمع . وتعكست الى سور

صور . وعاین اولئك البور البثور . وتحرزوا وتحرسوا . وتوجلوا
وتوجسوا . فاقتضت الحال تأخير قصدهم . لیتمكن على غرتهم
حشدنا من حصدهم . وعاد العسكر الى المخیم وسار السلطان الى
تبنین . صبیحة يوم الخميس السابع والعشرين . لتفقد
احوالها . وتأمل اعمالها . وعرض رجالها . ثم سار منها الى عكا
جرینة . ورتب في عمارتها وولایتها احوالا سنیة . ووصی رجالها
بالاحتیاط والتحفظ . والاستظهار والتیقظ . واسرع عودته الى
العسكر . عظیم المفخر كريم العشر . موفق المورد
والمصدر . مقرظ المنظر والمخبر . واقام الى يوم السبت سادس
جمادی الآخرة . وبحر مخیمه یمرج بامواج العساكر الزاخرة .

ذكر ما تم من استشهاده من امراء العرب

وانتهی البنا ان الفرنج ینتشرین في الارض . وینبسطون في
موضع القبض . ولا یتحفظون في الرفع والخفض . ویتحطون
ولا یحاطون . ویتششون ولا یخششون . ویجنون ثم سار
الحیل . ویجنون على ما یصادفونه بانواع الغیل . وهم في غرة من
غارہ . وفي جسارهم تعود علیهم بخساره . وفي غفلة تجر
عقله . وفي ضله ترفع علیهم من العذاب ظله . وانهم اذا خرجوا
للاحتشاش والاحتطاب . وانتشروا لضم الاعشاب من
الشعاب . خرجت وراءهم خیل تلحظهم على بعد . وتحفظهم من
متعد . وذهب السلطان الى خیل تبنین . وامرهم بأن یصبحوا اولئك
الملاحین . فاذا خرجت الخیل الیهم تطاردوا قدامها ووصلت بها
الکمین . وذلك یشکون في صباح الاثنين ثامن الشهر
المذكور . وواعدهم على هذا السر المستور . وذهب الى عسكر عكا
لیکمن في موضع عینه . ولا یظهر مكنه . حتی یشکون من وراء
القوم . مستعدا لما ینالهم من الوقم . وسار السلطان لیلۃ الاثنين
على الموعد . مصدقا للمقصد . وصادف خیل تبنین قد اغارت واثارت
وابرت وابارت . فعبر تبنین وکمن بین صور و بینها . وعین البزکیة

وأوقف عينها . ورتب ثمانية اطلاب من الابطال . وكمن بتلك الارحاء كماة الرجال . وانتخب من كل طئالب عشرين فارسا اجوادا على الجياد . واجلاد في الجلد على الجلود . فامرهم بان يتراءوا للفرنج حتى تصل اليهم وتحمل عليهم . وهم يفرون قدامها . ولا يقرون امامها . ويجذبونها الى قرب الكمين ويوقعونها عليه . ويدافعونها اذا حصلت بين يديه . ففعلوا ما به امروا . ولما حملت عليهم الفرنج ثبتوا وصبروا . وانفسوا من ان يقال عنهم فروا . بل جالوا فيهم وكروا . واتصل القتال واشتد . واحتدم المصال واحتد . وطال زمان الحرب وامتد . وطارت جمرات الصفاح . وفارت غمرات الكفاح . وثارت غبرات البرى . ودارت عثرات الثرى . وانحلت عرى اللمم . وانحطت نرى القمم . وعدم كل قرن قراره . وكل جفن غراره . ودام نهارنا يجري بانهار الدم انهاره . وعرف من بالكمين ان الحرب قد اشتبكت وان الاسد قد اعتركت . وان البرك قد ارتبكت وابتتركت . فتواصل انجادا للانجاد . وتواصل امدادا بعد الامداد . فلما رأى العدو ان المدد يكثر والعدد يكتف . وان عساكرنا لا تتسوقى ولا تتوقف . صمم العزيمة . على الهزيمة . وعلم ان النجاة عين الغنيمة . فثنى اعطافه . وضم اطرافه . ورد احلافه . وجرت بين الفريقين مقتله . عادت ارض المعركة بها وهي مثقلة وكان قد حمل العرب على وعد العود الى الكمين . والرجوع الى اسد ذلك العرين . ولم يكن لهم بالطريق خبرة . ولا عبرت من الطوارق بهم عبره . فتطاردوا بين يدي الفرنج في واد ما له نفاذ . ولا اسالكه الى منهج ملاذ . وراهم العدو فعاد وراءهم . وسار بجمعهم ازاءهم . فلما انتهوا الى الجبل ادركوا . ولم يقدروا ان يسلكوا . فقاتلوا حتى قتلوا . واقبلوا على الله فقبلوا . وهم الامير زامل بن تبل بن مرسى بن ربيعة امير النقرة . وسري الاسره . والامير حجي بن منصور بن دغفل بن ربيعة . والامير مطرف بن رفيع بن بردويل بن مرسى بن ربيعة وآخر معهم . فهؤلاء اربعة من ربيعة بنيت لهم في جنة الخلد ربوع . وقدر لهم في رياض النعيم رتوع . وفازوا بالنعيم ونعموا بالفوز . وانتقلوا من العز

الفاني الى الباقي من العز . وكان معهم من الممالك الخواص . من ذوي الجد والاخلاص . تركي عرني النخوة . غضنفر السطوة . فلما حصل في المضيق . وايس من الطريق . نزل عن فرسه على صخرة بنحوه . ونثل بين يديه كئانته . فارعا لذروه . وقد اوتر قوسه وسند اليهم سهمه . وقبل قضاء الله وحكمه . وحن الى منيته من حنيته . واصاب منيته من اصماء العدو في المصاب بامنيتها . فوقفوا عنه بعيدا حين خافوا قربه . ومازالوا يطعنونه ويرمونته حتى ظنوا انه قضى نحبه . فاصبح . وقد نزف دمه ، وترجع على وجوهه دمه ، ولما قيل انه استشهد وطلب ليلحد ، رمق وبه رمق ، وهو في دمه غرق ، فحمل على انه من الاموات ولم يرج له فوات الوفاة ، فاحياه الله بعد ان اماته ، وجمع اعضاءه عليه وقد شارف منها شتاته ، وانشاه خلقا جديدا ، واوجده في امله مزيئا ، وهو ايبك الساقى زاده . ماجرى اجترأ على الاقدام ، واجراء الى مضمار الحمام ، فما سمع بعد ذلك هيفة الا طار اليها ولابصر للكفر ضيعة الا اغار عليها .

ذكر مسير الفرنج الى عكا والنزول عليها ورحيل السلطان قبالتهنم اليها

وصل الخبر يوم الاربعاء ثامن رجب ، ان العدو قد ركب ، واجلب بخيله ورجله ، وطار بجراد جرده . ودب دياه في رجله ، وسرحت نثابه ونجت كلابية ، وجاش عرام جيشه العرمم ، وطاش الى اهل الجنة باهل جهنم ، ونوى القرب من النواقر ، واضرم بنار السعير مساعي المساعير ، وهو على قصد عكا يجري الى المدى برأي جمعه المدامير ، وأن نفرا منهم نفر ، وسبق الى النواقر وعير ، ونزل بياسكندرونة ، واستباح طرقها المصونة ، وهناك من المؤمنين رجال يجمعون طرف الثغر ، ويضمون نشر الامر ، ويصمون نحر الكفر ، ويجبون غارب

الشر ، ويجويون جانب البحر ، ويطوفون الحراسة ، ويطلون بالمحاسة ، فلما رأوا مقدمة الفرنج واقعوها ودافعوها وعاقروها وقسارعوها ، وأهلكوا عنة وملكوا عنة ، ولما تكاثرت أعداد الاعداء ، استظهروا بالانكفاء عن الاكفاء ، وتدافعوا بعدما دافعوا ، وتراجعوا بعد ماراجعوا ، واطلع السلطان على خبرهم وعرف نفور ذفرهم ، فكتب الى العساكر الدانية بالندو ، وللعدو على العدو فتوافدوا للميعاد ، وتوافوا للاعتضاد ، وتوافروا للجهاد ، وتوافقوا في انشاء المراد بابعاد المراد ورحل الفرنج ثاني عشر رجب يوم الأحد ، وافية المند . وافرة العدد ، ونزلت على عين بصة ، ولقد شاهد دركات جهنم من شاهد تلك الرحاب المفتصة.

ووصلوا ثلهم الى الزيب . واجابوا داعية الصليب ، فاصبح السلطان يوم الاثنين على الرحيل ووصل العنق بالذميل . وكان النقل قد سار من الليل وجرى على طريق الملاحنة في الاوبية جري السيل ، وسرنا على جب يوسف الى المنية ، اخنين بالحزم تاركين للونية . وجئنا عصر يوم الثلاثاء والسلطان نازل بأرض كفر كنا ، وبتنا بها تلك الليلة وسكنا ، ثم اصبحت يوم الاربعاء خامس عشر الشهر ونزل على جبل القروية . واطلع منها على الاسرار المحجوبة ، واشرف على العدو النازل ، وبنا حزب الحق من حزب الباطل ، وكان عنة من الامراء ساروا على طريق هونين ، والفرنج مقابلين مقاتلين ، فوصلوا في هذا اليوم وقد نالوا في طريقهم من القوم ، ونزلنا في ارض صفورية بالانقال ، وتجرد الرجال منها الى المخيم السلطاني للقتال ، وكان من رأي السلطان عند رحيل الفرنج على قصد عكا ، ولم يزل رايه يذور فطنته وطيب فسطرته اذكي وأزكي ، ان يسايرهم في الطريق ، ويواقعهم عند المضيق ويقطعهم عن الوصول ، ويدفعهم عن النزول فأنهم اذا نزلوا صعب نزالهم ، واتعب قتالهم . واذا نيتوا تعذر حصصهم ، واذا ثبتوا تعسر قصدهم . واذا لصقوا ببطن الارض صاروا كالقراد ، واذا خلقوا في جو الدوطاروا كالجراد ، فعند الانتشار يمكن التقاطهم وعند الانحصار يتمكن احتياطهم . فقالوا له بل نستقيم على السنن

القويم ، ونطلبهم طلب الغريم ، وماأهون قطعهم اذا وصلنا واعجل ادبارهم اذا أقبلنا ، والطريق قياتهم وعز ، وللمقصر عن التناول فيه عذر ، فنمضي على اسهل الطرق ، ونسد فلقهم بالغياق ، وتبين لنا بالعافية ان الرأي السلطاني كان اصوب فان نزالهم عند نزولهم صار اصعب ، ونزل الفرنج على عكا من البحر الى البحر ، محتاطين بالانحصار . محيطين بها للحصر . وضرب الملك العتيق كي خيمته على تل المصلية ، وربطت مراكبهم بشاطئ البحر فكانت كالأجام المؤتشفة . وبعث السلطان ليلة وصوله الى مدينة عكا بعثا نخلها على غرة من العدو ، وتواصلت البعوث اليها التي هي على التزايد والنمو ، حتى استظهرت بقوتها . وقويت باستظهارها . فلما اجتمعت العساكر . واتصلت بالاول والآخر . كى جيشه طلبا طلبا ، وميمنة وميسرة وجناحا وقلبا ، وسار بهيأته وهيئته ، وانزل العسكر على تعبيته ، ونزل بمرج عكا على تل كيسان في ذوي اختصاصه ، وقد نصب من خيامه عليه اشراك اقتناصه ، وامنت الميمنة الى تل العياضية والميسرة الى نهر الماء العذب ، فبارت رعى الحرب وبام كر الكرب ، وطاب طعم الطعن والضرب ، وطافت كاس البأس بمدام الدم على الشرب ، ووافى للانجاد عسكر الشرق ماضي الغرب ، وصرنا محاصرين للمحاصرين مكابرين للمكابرين ، قد احطنا بالعدو وهو بالبلد محيط ، واستشطنا منه وهو مستشيط ، واحدقنا بأولئك الكفرة احاطة النار بأهلها ، ومنعنا الطرق من ورائهم في وعمرها وسهلها ، ورتبنا بالزيب والنواقر رجالا يصدونهم عن سبلها ، ودننا نصابهم بالقتال ونماسيهم ، ونراوهم ونفانيهم ، ونعاوهم ونبايهم ، ونقدم بعواينا على عوابيهم ، ونصدمهم ونصدمهم ، ويوجدهم البحر ونعدهم ، ومازالت مراكبهم تتواصل . ومناكبهم تتناول ، وأهل الجزائر من أهل الجزائر متوافرون متوافدون ، مترادفون مترادفون ، قد لفقوا وجه البحر بنقب السفن ، وجذبوا بالقلوس على ثجبه عران الرعن ، والقوا على تياره بسط البطش . وحملوا على البحر أوزار النجس . وتبالهم وتعسا . فانهم زادوا على

رجسهم رجسا ، وبقي القتال بينهم وبين اليزكية ، كل بكرة الى العشية ، الى أن وصل الملك المظفر تقي الدين عمر ، ومظفر الدين كوكبوري الاسد الفضذر ، فاستظهرنا بهما وبعسكرهما النهم ، ووصل مقدموا الرجال في الجمع الجم ، واستدارت الفرنج بعكا كالدائرة بالمركز ، وزادوا من جانبنا في التحرس والتحرز ، ومنعوا من الدخول والخروج ، ولج أولئك العلوج في ضبط طريق الولوج ، وذلك في يوم الاربعاء والخميس آخر رجب لانسلاخه ، والاسلام ينابينا باستصراخه ، وأصبح السلطان يوم الجمعة مستهل شعبان وقد استهلت راياته ، واستقلت لياته ، وعز عزمه ، وعلا حكمه ، ومامنا الا من اسرج الجرد وجررد السريجات ، وعاج بالاعوجيات . واشرف بالمشرفيات ، وبرز باعتقال الرينيات ، وريان العقليات ، وأزكى المذاكي وقرب المقربات ، وقد سن سنان لئنه ، وجن جنان قرنه ، وساف سيفه ردة الدم ، وضاف جوده مضيف العدم ، وأقبلنا والنصر مقبل ، والمظفر متهلل ، والميمنة والميسرة باليمن واليسر مقتتان ، والقلب له من التأييد والتمكين جناحان ، واتفقت الآراء واجمع الامراء على أن يكون اللقاء وقت صلاة الجمعة ، عند قبول الدعوات المرتفعة ، ومناب منابر الاسلام عن أهله في جميع بلاده ، واجماع الالسنه والقلوب في الضراعة الى الله في نصره المجاهدين من عباده ، وأحاط العسكر الاسلامي بجوانبهم ، وكدر عليهم صفو مشاريهم ، وفلل مضاء مضاريهم ، وهم في مواضعهم وأقرون . وعلى مصارعهم عاكفون ، وفي مواطنهم ثابتون وعلى مواطنهم ثابتون كالبنيان المرصوص مافيه خلل ، وكالحلقة المفرغة ماإليها منخل ، وكالصور المحيط ماعليه متسلق ، وكالجبل الأشم مافية متعلق ، فزحفنا اليهم فلم يبرحوا وقربنا منهم فلم ينزحوا وحملنا عليهم فأخذوا الضربة ولم يعطوها ، وأنخنا لهم مطايا المنايا فهان عليهم أن يمتطوها ، وبامت الصرب قائمة ، وبيمة الدم دائمة ، وكلما قتل واحد وقف آخر مقامه ، وخلف نظامه حتى نخل الليل وحجز ووعد النصر مانجز ، وحزب الحق ماعجز . فأصبحوا يوم السبت على الحرب كما امسوا . وزادوا على ماجرى امس

وأهلوا عنه وأنسوا ، فما طلعت شمس الظهيرة حتى طلعت شمس
الظهر ، وأصبحت شمس الجمهور ، واستضاف نورها مستفيض
النور ، وحمل الناس من جانب البحر شمالي عكا حملة شديدة ،
كانت لمن قدامهم من الفرنج مبيدة ، وفرشوهم على تلك
التل ، وردوا مضاربهم من قلهم بأية الفلول ، وانهزم الفرنج الى
تل المصلبة نحو القبة ، وثبتوا عند الوثبة ، وأخلوا ذلك
الجانب ، وخلوا تلك المذابح ، وقطعت خيامهم . وقطعت أطعامهم
عنها ، وانفتح لنا طريق عكا . وبخلها الرجال . وحملت إليها
الفلال ، ونقلت إليها الاحمال ، وبخل العسكر اليها
وخرج ، وانكشف ضيق حصرها وأطلع السلطان على الفرنج من
سورها ، وشرع في تدبير أمورها ، وخرج عسكر البلد للموازة على
قتال العدو المعادي ، وترك الهوانة في قصر القصر ، والهواوي
والفرنج قد رهبوا ، ولو قدروا هربوا ، ولكن اصحابنا رأوا أن
انفتاح باب البلد غنيمة ، وانهم أي وقت ارادوا كانت منهم عزيمة .
ومن العدو هزيمة وتوقفوا على الاتمام ، وتقدموا عن مقام
الاقدام ، ولو أنهم استمروا في الحرب على هياتهم وهيبتهم ، لباء
الاعداء لنجحنا بخيبتهم ، فبان الصدمة الاولى أخافت
وحافت ، ونافت بقاء القوم وعلى هلكها انافت ، ولكننا تركناهم
حتى عانت اليهم الأرماق ، وعاود فرقههم الافراق ، وأبصروا ما بين
أيديهم وما خلفهم . وأزالوا فيما بينهم بالوافقة خلفهم . وأثبتوا في
مستنقع الموت أرجلهم . ورأوا أن الوقت قد أمهلهم . وقال أمراؤنا
هؤلاء قد سهل أمرهم ، وخمد جمرهم ، وقد حص رياشهم
حصرهم ، وهم في قبضتنا أي وقت أردنا ، ولقصصهم
تجربنا ، وقالوا نصير الى الظهر ونمضي ونسقي الخيل ونعود
وحيثنذ يشتل بهم الدم ويفرغ منهم الوجود . فانصرفوا على
عد العود ، وتفرقوا في مراتعهم تفرق الذود . وبلغ العدو ريقه ،
ووجد الى الجلد طريقه وجمع بعد التفرق فريقه ، وضم عن الانتشار
راجله ، وزم راحته ونايله ، ووقفوا كالسور من وراء الجنويات
والتراس والقطاريات ، وقد صوبوا الجروح وفوقوها ، وجمعوا
العدو وعلى الرجال فرقوها ، كأنهم في الدروع أراقم ، وفي المجان

علاجهم ، وفي النهوض قشاعهم ، وفي الضراوة ضراغهم ، واختلفت
الآراء مع العلم باحتراسهم وتستترهم بتراسهم ، فمننا من يقول
نصبحهم بالزحف ، ونزورهم بالتحف ، ويترجل الأمراء فيتبعهم
الأصحاب . وتذشب من أساننا في تلك الخنازير من الذشاب الأظفار
والأنياب ، ويتصل الطعان والضراب ، فنذسفهم ولو أنهم
جبال ، ونطفئ نيرانهم فلا يقد لهم من بعدها نبال .

ومنا من يقول يدخل راجلنا الى البلد . مستعنا بالاهب متأهبا
بالعد . فاننا زحفنا اليهم . واوجفنا عليهم . خرج من في البلد من
المسكينة والراجل . ونازلناهم من امامهم ومن ورائهم بالنوازل .
فلا تطرف لهم بعدما عين . ولا يبقى للذين بعد درك الثار منهم بين .
ومنا من يقول لابل نفرج عنهم . ونبعد منهم . فما دمتا على هذه
المضايقة والمصايبة . والمحاقة والمحاصرة . والمكابدة
والمكابرة . فانهم يتيقظون وينتبهون . ويتحفظون ولا يهون
ويتحززون ويتحربون ويتوجلون ويتجمعون . فاننا ارخينا طرولهم
واوسعنا املهم . استرسلوا بعدما استسلسوا . واستقبلوا الدعة
بعدما ما استقلوا . واطمانوا فطمعوا . واذا ابطأنا تسرعوا واغثروا
مانا على غرة فأغاروا . وظهرت لهم اثار ركوبنا عنهم فظهروا
وثاروا . فحينئذ حينهم يحين ، وشينهم يشين . واذا ظهروا ظهرنا
عليهم . ومتي اصبحوا اصبحنا اليهم . وان يارزوا يارزناهم .
وانجزنا عة اماننا فيهم وناجزناهم ومنا من يقول : هؤلاء في عدد
النمل . وكثرة الرمل . وظلام الليل . وعرام السيل . فما يقمهم الا
العد الكثير . ولا يقمعهم الا الجمع الجسم الفقير . والمصلحة ان
نستدقر المساكر ونستحضر لآياتهم البادي والحاضر .
ونستجيش الحجاقل ونستثير القارس والراجل ونلقاهم
بامثالهم ونقدم عليهم مستظهرين في قتالهم * وازواجهم عن قريب
تفرغ . وامانهم في الصبر تبلغ . وامدادهم تنقطع . وانجانهم
تمتنع . وموادهم تقل . وجوادهم تضل . ولراكبهم في الشتاء
شتات . ولحيائهم وحبائهم انبتات ، فاما ان يضطروا الى
الانفصال . واما ان يؤنن فناء ارزاقهم بحلول الاجال . ويهون علينا

حربهم في تلك الحال . (وكفى الله المؤمنين القتال) . (الاحزاب ٢٥)
فهذا عسكر الاسلام . وجند مصر والشام . وفي الاقدام به خطر .
وفي المباشرة بحربه غرر . والمصلحة العامة تلحظ . ورأس المال
يحفظ . ومنا من يقول تستدعي من مصر الاساطيل . وتستدفع بحقها
الاباطيل . وتستكثر من مراكبها . وتستعدي على هذه الافاعي
بعقاربها . وتستطيل على الشنأة المستطيلة بشوانبيها . وتعدو على
عوادي الاعادي بعوانبيها . واذا وصلت وقطعت عليهم طرق البحر .
وصلت لنا اسباب النصر . وحينئذ نقاتلهم برا وبحرا . ونوسعهم
بمضايقتهم فيهما قتلا واسرا . وما زالت هذه الاراء بيننا متداولة .
وخواطرننا في تدبيرها متجاولة والحرب بيننا وبين الفرنج جارية
وزناد الهيجاء لاشغال نارها واربه . وفي كل يوم تنصافح
بالصفاح . وتكافأ بالكفاح . وتنتطق فيهم بكلام الكلوم . ونلحق
منهم الموجود بالمدوم . وللطلائع وقائع . وللسهام افواق فائقة .
وللحام اسواق نافقة . وسرايانا في كل يوم وليلة تسري وتأسر .
وتبري وتأير . وتكسب وتكسب . وتسبي وتسلب . والسلطان يباشر
ذلك كله بنفسه . وهو يداب في يومه نفسه مجتهدا في الزيادة على
احسه ناشيا عن اعوان المسلمين وانصارهم . ساهرا لهم في ليلهم .
قائما بأمرهم في نهاسهم . والعين الساهرة في سبيل الله
قريه . وتعب يوم واحد لله في اليوم الاخر نخيرة

ذكر وقعة تمت يوم الاربعاء سادس شعبان

وركب الفرنج اخر يوم الاربعاء سادس شعبان بأجمعهم . وتقدموا
من موضعهم . واشتاقوا إلى مصرعهم . وفارقوا الحزم في
تسرعهم . وخرجوا عن رجالتهم . وتجردوا بخيالتهم . وحملوا على
الواقفين من اصحابنا حملة الرجل الواحد . فتحرك الصف الثابت
السكن امامهم كالبنيان اذا تحلل من القواعد . وتراجع عنهم
المسلمون استدرجا . وملأت الارض السماء عجا وعجاجا . وزخر

بحر الحرب على أمواج امواج . فما قربوا من خيام اليزك . الا وقد
اعتكر جو المعترك وعساكرنا قد أوجفت عليهم . وزحفت
إليهم . وأردتهم بعقابهم . وردتهم على أعقابهم . ووصلت الى
رؤساهم فقطعت رؤوسا والحف بأسها ذلك الجمع يؤسا . وثنت وجه
الكفر عبوسا . وولوا مدبرين . وأدبروا مولين . والجريح بالقتيل عابر
عائر . والذمر الباسل باسم بالموت باشر . فلما جن الليل رجعت بما
جنته الخيل . وبات الناس من الجانبين على غاية من التيقظ . وهممة
متنبهة للتحفظ . وحراسة وحماية . وسياسة ورعاية . فلما
اصبحوا عادوا الى عادتهم في اللقاء . وهاجوا بعسايتهم الى
الهيحاء . هذا وابواب البلد مفتوحة . والصدور بطروق الظهر اليها
مشروحة . والفرنج قد ندموا على ماقدمو . وعدموا بصيرتهم بما
صدموا . وعادوا لايفرطون ولايتورطون . وينقبضون ولاينبسطون .

ذكر وفاة حسام الدين طمان

انتقل السلطان ليلة الاثنين حادي عشر الشهر الى تل
العياضية . ليكون به في الجهة المرضية . فان هذا التل بازاء تل
المصلبه منزلة العدو . وهو مشرف عليهم للعلو . وضربت خيام
الميمنة ممثلة الى البحر ، وخيام الميسرة الى النهر ، واتسع مجالنا
وضاقت الدائرة على الكفر . وكان الامير طمان صاحب الرقة
مریضا ولم تزل وجوه الايام الغير في سبيل الله باحمرار يبيضه
بيضاء ؛ وهو الحسام الفاضل . والهمام الباسل . والقرم البازل
والندب الحلال . والمحترق لحمية الدين . والمقترح لحماية
المسلمين . ولما وافت وفاته . وفاته رجائه ولم يرجا فواته . أسف
على عمره . وأسى على أمره . وحزن كيف لم يقتل شهيدا . ولم
يستشهد في الجهاد سعييا . وقال : قدموا حصاني حتى اشهد الحرب
واستشهد ، واجاهد الى ان اقتل واجهد ، فاني ارى موتي على
الفراش عبثا . وقد عرفتم مني شجاعة لاجبنا ، وتوفي عصر الاربعاء

ثالث عشر شعبان ، ويواه الله الجنان ، ويشره رضوان . وكان قد توفي بالقرب الامير الندب . فارس الحرب . ليلة الاثنين السابع والعشرين من رجب . حسام الدين سنقر الخلاطي النجيب المنتجب فثبت مضارب الدين باغماد الحسامين . وحلت الهموم لاجل اجل الهمامين ، فوجمت الذفوس ، وملت القلوب وقاضت لغروب فيضها الغروب .

ذكر واقعة للعرب . اربت لنا بالارب

انتهى الينا ان الفرنج . يتطرقون ويتطرقون . ويأمنون ولايتخوفون . ويخرجون للاحتشاش وينتشرون لضم الاعشاب من الاعشاش ، ويصلون الى طرقي النهر ، وهم لمن يحلق عليهم من فوقهم تحت القهر ، فانتدب جماعة من العربان ، وضراغم فارسة من الفرسان ، فاغاروا وهم غارون ، وساروا الى جمعهم وهم يتجمعهم سارون . وحالوا بينهم وبين خيامهم ، وحشروهم الى حصى حمامهم . وحملوا اليهم حين حملوا عليهم برؤسا ، وقطعوا منهم لما اتصلوا بهم رؤوسا . واحضروها عند السلطان فاجتابوا بها خلع الاحتباء ، وبعثهم على الحمية والاياء ، وذلك يوم السبت سادس عشر الشهر . وسر المسلمون واستبشروا بوقعة النهر . هذا والقتال بينهم وبين اصحابنا في عكا متصل ، وشرار الشر مشتعل ، والموت منهم منتقي وفيهم منتقل . وفي كل يوم تقوم الحرب على ساق . والارواح في مساق ، والمصاع على اتساق ، وكم قتل من حزب العدو واسر . وكم حمل ليكسر فكسر . وربما مل الحزيان ، وكل الغربان . فتوافقا على الامان . وتوافقا يتكلمان . وربما اقدموا ثم نكصوا . وغذوا ورقصوا . واذا لغبوا لعبوا . واستراحوا الى الوقوف اذا تعبوا ومن نوادر ماجري وغرائبه ، وملح ماتم وعجائبه ، ان الطائفتين في بعض الايام . ضجرتا من مباشرة الحرب على الدوام ، فقال واحد من الفرنج الى متى هذا القتال . وقد فني الرجال ، فاخرجوا صبيانكم الى صبياننا . وليكونوا في

امانكم وامانتا ، فبرز منهم صبيان . ومن اليك اخيران . فقاتلوا مليا ، والفوا نار الحرب صليا ، ثم وثب احد الصبيين المسلمين . على احد الصبيين الكافرين . وضرب به الارض . وقفز عليه وانقض . وقبضه كسييرا وجذبه اسيرا ، فاقتناه بعضهم بينارين . وعاد المسلم من ظهوره وسروره الى جنتين . والعدو من كفره وفكره الى نارين ، ومن الاتفاقات النادرة ، وامارات السعادة الظاهرة . انه افلت من بعض مراكب الفرنج حصان . له عندهم صيت وشأن . فلم يقدروا على ضبطه ، كما عجزوا عن ربطه . ومازال يعوم في البحر وهم حواليه . حتى دخل مينا البلد وتسارع اصحابنا اليه . واهدوه الى السلطان ، وعده العدو من امارات الخذلان ، ورايناه لنا من دلائل النصر والاحسان .

ذكر الواقعة الكبرى

واصبح الفرنج يوم الاربعاء العشرين من شعبان . وقد رفعوا الصليبان ، وزحفوا اسودهم في غاب المران . وطارت بهم خيولهم عقباتنا على عقبان . وجرت بالجبال منهم رياح . وجالوا دون التل كأنهم له وشاح . وخرجوا على التعيين . وشدفعوا نداء الكفر بالتلبية . وشدفعوا بالتبرية للتربية . وتقدموا معتمزين . وعزموا مصممين . وثاروا ثورة الشيطان . وفاروا فورة الطوفان ، وقدموا الراجل امام الفرسان ، وزحفوا اطلابا ، ودبوا دبيب الليل الى النهار ، وهبوا هبوب الخيل الى المضمار ، واجروا سيول السوابق الى القرار . وجروا نيول السوابق الى الفوار ، وتحركوا وهم هضاب ، وتدرخوا وهم غضاب . ومازالت ميسرتهم تكثر وتكثف . وتعطوا (٣٣) وتعطف . وتفور وتثور . وتروود وتدور . وتهجم وتهجم . وتقدم وتدوم . وقد عبي السلطان ميمنته وميسرته ، وطلب من الله نصرته . وثبت قلبه وقلبه ثابت . وحزبه في صف الحرب ثابت . ورعبه العدو كابيت . وهو يمر بالصفوف . ويأمر

بالوقوف . ويحضر علي حظ الابد . ويحث على الجلال والجلد .
ويثوب للوثوب . ويندب الى الندوب . ولما شاهد شروق بروقهم .
وخروق مروقهم . وكثافة ميسرتهم . وحشوحشود كثرتهم . انفض
رجال القلب لتقوية ميمنته على الحرب . وكان الملك المظفر تقي الدين
من الميمنة على الجناح ، في جمع يعثر بعثيره وارد الصباح ، وكلما
تقدموا تأخر يستجرهم . ويحذر مكرهم ومكرهم . فعرفوا انه لا قبل
لهم بمقابلته ، وان هذا ليس ميمات مقاتلته ، فتركوه واستقبلوا
القلب وزخر بحرهم وعب . وحملوا حملة ذوى حملة دوى منها
الدو . واسود منها وجو الجو . ووصلوا الى جموع نيار بكر
والجزيرة . وغاصوا في لجتها بغدران السوايح والسوايح الغزيرة ،
وكانت من القلب الى الجناح للطيران وجبالها على الرياح الجريان
فعرفوها بالفر . واستضعفوها لدى الكر . وأدوا بها فما ألت .
وهموا بها فما همت . واندفعت وما دفعت . وتراجعت وما رجعت .
وتعكست وما عكست . وادبرت وما تدبرت . ولكونها غير عارفة بقتال
الفرنج هابت وما هابت ولايت (٣٤) ومالبت . ورابت وماربت .
وجاؤوا الى القلب وقلوبه . وحاربوه وحربوه وخربوا حربه .
وخرقوا حجبه . وهناك استشهد كرام باعوا انفسهم بالجنة .
واسنو نحرورهم نحو الاسنة . منهم الامير مجلي بن مروان . وكان
مجليا في المروة . والظهير اخو الفقيه عيسى وكان ظاهرا الفتوة .
واخرون اعترفوا بذنوبهم فرحضوا بماء الشهانة دون حوبهم .
وصعدوا الى مضيق السلطان . طامعين في استتالة حزب الصلبان .
وكنت في جماعة من أهل الفضل قد ركبنا في ذلك اليوم . ووقفنا على
القتل نشاهد الواقعة وننتظر ما يكون من القوم . وما ظننا ان القوة
بهى (٣٥) . وان الواقعة الينا تنتهي . فلما خالطونا في المخيم .
وباسطونا في المجثم . وكنا على بغال . بغير أهية قتال . استدركتنا
امرنا . واخذنا منهم حذرنا . ورأينا العسكر موليا . والمهزم عما
تركه من خيامه ورحله متخليا . فوافقنا في الاندفاع . والهيئا
الاستضرار في المال عين الانتفاع . قوصلنا الى طبرية فيمن وصل .
ووجدنا ساكنها قد اجفل . فسقنا الى جسر الصنيرة ونزلنا على
شرقية . وكل منا زاهل عن شيعه وريه . مفكر فيما يكون من امره .

منكسر القلب لما تم على الاسلام من كسره . لا يالاف مييتا . ولا يلقى
بيتا ، ممسك بلجام فرسه . قد اذن ضيق نفسه بضيق نفسه .
ومن المنهزمين من بلغ عقبة فيق . وهو غير مفيق . ومنهم من وصل
الى دمشق غير معرج على طريق . واقمنا بموضعنا على الخوى
والخيل واقفة بلجمها والطوى . والغمض غير طارق . والفرق غير
مفارق . والقلوب مرتاعة مرتابه . والادعية الى الله مرفوعة
مستجابه . وتحدث الناس فيما بينهم بان الاسلام عاد جده . وعدا
جنده . وان الكفر حاد فله وفل حده . وان الميسرة ثبتت فثاب
اليسر . والاسمية انتصروا فأسد النصر . وكان هذا الصدى
يقوى . والصدأ يروى . والبشرى تسري . والبسرد بها
تجري . والناس بين مصدق ومكذب . وناهب في مذهب من الظن
مذهب مذهب . حتى عبر سحرا علينا خادم اسمه صالي . وقد ورد
مورد الظفر الصالي . فنأدى أين العماد . فقد جاءه من النصر
المراد . فأسرعنا إليه . واجتمعنا عليه . فقلنا ما الخبر . وكيف ضفا
الظفر (٣٦) . وصفا الكبر . وقدر السلطان وتسلط القدر . والى
اين انت سار بالنبا السار . وفي اية دار تنزل بمنزل النصر النار .
فقال : انا بشير دمشق بالنبا العظيم . والخبر الكريم . فقلنا : اهلا
بشائر البشائر وطائر الاوطار . والسائر بالسار والاخ البار
بالاخبار . والصديق الصادق . والموفق الموافق . ومرحبا بالخي
الخاص لما مر حيا فحل بالخبر الفصل فحلا . وكم ام للنجح املا
وجلا وجلا . فابنا محبوبين محبوبين . وثبنا مثابين مأجورين .
وندمنا على ماندمنا في الهزيمة . وعز علينا ترك الاخذ بالعزيمة .
ولقينا السلطان وقد فتك وقتل . وجد وجدل . وانتقم من القوم ومن
مقامه ما انتقل . وقد شل الجموع وجمع الاشلاء وادام الاجراء حتى
اجرى الدماء .

ذكر حصّة النصر بعد صحنه الكسره وكيف اءال الله الاسلام واذل الكفر بلك الكره

لما تمت الكسره . وعمت الفتره . وكرت الكره . وامرت تلك المره .
وصل جماعه من الفرنج الى خيمه السلطان وشيم من عارض
اعتراضهم شؤم شيمه الشيطان . وءالوا جوله . وءالوا دوله .
وصالوا صوله . ثم راوا عنهم انقطاع اشياهم . وعدموا اتباع
اتباعهم . فشرعوا في اندفاعهم . وهابوا الوقوف على اجتماعهم .
فانحدروا عن التل . وقد جاؤوا بقوة العز فآبوا بضعف الذل .
واستقلهم اصحابنا فركبوا اكنافهم . وحكموا في رقابهم اسياهم .
وردهم وأردوهم . وعدوا على شركائهم في الشرك فاعدوهم . وكان
في ميسرتنا عسكر سنجار والاسنيه فما زالوا ومازالوا . بل وصلوا
وصالوا وصلوا . وحملت عليهم ميمنه الفرنج فكانما مرت بالجبال
الرياح . وخاطوها فودعت أجسامها الارواح . وعاد من كان من
الميمنه الاسلاميه بالبعء . حاد المضاء ماضي البعد . مثل بقي الدين .
وقايماز النجمي والحسام بن لاجين . ومن ثبت من أبطال
المجاهدين . فكروا على ميسره الفرنج فشلوها وانهلوا من دمائها
وأعلوها . ولفوها وفلوها . ولقدوها وأقلوها . ووضعوا فيها
السيوف . وأوضعوا اليها الحتوف . وأوسعوها قتلا ذريعا .

وما بظا الوقت حتى صار مقامها ضريعا سريعا . فلم يفلت من
الاعناء إلا أعداد . ولم ينج من الاقها الا اءاد . وامست لنا الحرب
فراشا . ولارض المعركة فراشا . وتبعها اصحابنا حتى كلت
سيوفهم وكلوا . وملت لتوتهم وليوثهم وملوا . وفرس زهاء خمسه
الاف فارس من كل ممار ممارس . ومستوحش بالموت انس . ومن
اوبى في الاقدام مقدم الداويه . ولم تحمه من الحمام ناره الحاميه
لنار الحميه . وحكي عنه انه قال عرضنا في مائه الف وعشره الاف .
احلاف الحاف والاف اتلاف بلا تلاف فلما عجزوا . وبالخندق

احتجزوا . وقذف عنهم اجنادنا . وبلغ المدى فيهم جهادنا
واجتهادنا . ومن العجب ان الذين ثبتوا منا لم يبلغوا الف فردوا
مائة الف . واتاهم الله قوة بعد ضعف . وكان الواحد منا يقول قتلت
من المثلثين ثلاثين واربعين . وتركتهم بالعراء عراة مصرعين .
ولاشك ان الله انزل المسومين . وكل يتحدث بعد ذلك معا شهده .
ويعهد اليها بما عهده . وحكى بعضهم قال كنت على فرس قطوف .
ماله مئة سير ولا وقوف . وانا منهزم من فارس منجج . في بحر
الحرب ملجج . وهو على جبل يجري به جري الريح . وينادي بشعار
المسيح . وقد لز بقربي حصانه . وهز لصلبي سنانه . فما شككت
انه يشكني بلهزمه . ويفكني بمخذه . وايسر من البقاء . وانست
للشهادة واللقاء . واستعنت بالله واستعنت . وتشاهدت مما
شاهدت . ثم ابطأت على صدمته . واخطأتني خدمته . فالتفت فاذا
هو وحصانه ملقى كلاهما . وما وجدت بالقرب احدا اقول انه
ارداهما . فعرفت انه نصر الهى . وصنع رباني في مذاق الايمان
شهى . وفي افاق الاحسان بهي . فايقت ان النصر ماملكت ، الا
الملائكة نصرت . وان الظهور ماسر الا لاسرار لله ظهرت .

ذكر مكاتبة انشأتها الى بعض الاطراف بشرح ما يسره الله في هذه الواقعة من الالطاف

قد سبقت المكاتبة بشرح الاحوال وذكرها . وشكر
الطاف الله الخفية واباء سرها . ونشر مطاوي النعم باذاعة طيها
واشاعة نشرها . وذكر فيها ما الفرنج عليه من اجتماع راجلها
وفارسها . والاحتماء بخنادقها ومتارسها . وان لنا كل يوم فيهم
نكاية بالغة . وسطوة دامغة . وتغالب عوامل في دمائهم والفة .
ومضارب مناضل لرؤوسهم فداغة . ونيوبهم عواسل ماضقهم
ماضغة . وذيول نغم عليهم في تقلص ضلالهم سابغة . وايدي ايد
لصفحات البيض بنجيهم القاني صابغة . وضماثر وضواثر عن كل

شغل سوى شغل الجهاد فارغه . وهما وعزائم لا ترى عن وقم
القوم اهل الزرع زائفة . وما برح الفرنج في برج شديد . وامر غير
سديد . وظل للذل مديد . وضيق حصر في كل يوم جديد جديد . حتى
ضائق انفسهم وانفاسهم واخفق رجائهم . وظهر بأسهم ووقع
بينهم بطول المقام بأسهم . فاجمعوا امرهم على انهم يجدون في
اللقاء . ويهيجون الى الهيجاء . ويلقون الالوف بالالوف .
ويصدرون الصدوف بالصدوف . ويعرضون نحورهم ووجوههم على
الاسنة والسيوف . ويكسفون بشبه التلث ادة التوحيد .
ويكشفون الضر عنهم بالجد الجديد . والحد الحديد . وبرز ذلك
الخميس يوم الاربعاء لعشر بقين من شعبان . ورفعوا الصلبان
واشرعوا الخرصان . واتبعوا الشيطان . ورتبوا الرجال . وطلبوا
الفرسان . وحملت لهم اطلاب تضم ابطالا . وتضمن بباطلها للحق
ابطالا . وتأمل لشمها المتفرق اجتماعا . وترجوا للصليب السليب
ارتجاعا . وعصفت رياحها الهوج . واقبلت بحار سسوابحها
وسوابغها تموج . وكاد ان يثبت للشيطان قدم . ويراق للايمان دم .
فانها خرقت حجاب الصف . وفرت شمل الجمع المتدف . وزاغ
جنان الجبان وهمه وهمه . وادبر موليا وعزمه زعمه . فظن من
لايقين له ان الاسلام قد اسلم . وان نصر الله الموجود قد عدم . وان
الكفر المتأخر قد تقدم . وان الصبح المتبجل قد اظلم . وهناك عرف
اهل الثبات . وثبت اهل الصرفان . ورقصت المران على اشاجع
الشجعان . والتفت العنان بالعنان . والتقى السنان بالسنان .
وخطبت الصوارم على منابر الطلى . ورتعت اللهائم في كلا الكلي .
وفتحت اليفالق مغالق الحنف . وزحفت الفوارس الى فوارس
الزحف . وعطفت العساكر المنصورة طلابا لتلك الاطلاب . ووصلت
ضرب الاعناق بقطع الرقاب . وما زالت تشل الفرنج وتفلهم . وتحل
بعقدهم الوهن وتحلهم . وتروي ظمأ الظيا من ورد وريدهم .
وتخضب شيب البيض بدم طريدهم . حتى فرشت بعد ان سلبت
اشلاؤهم بالعراء عريا . وجرحت خيولهم وخيالاتهم فلم تستطع
اجراء ولم تطوق جريا . حتى قتلت وتلثمت بنجيعهم صدفحات
الصفاح . ووقفت اشباحهم وقفة الوداع لفراق الارواح . واعرب

حدث حادثهم عن جمجمة الجماجم الفصاح . وقتل من مقدميهم ومقدمي مقدميهم زهاء خمسة الاف . زهى الاسلام بما اتسع من عطن عطبهم . وحسن منقلبه بسوء منقلبهم . وعاش بما شاع من قتلهم . واشتغل العسكر المنصور يشغلهم . وطاب القلب المهوم بما تم من ماتم الكفر وعرس الدين . وقصم الهدى متن الضلال المتين . وهمت الروافد الفوارع بحمل هجمات الحاملين . وانجلى القبار عن كل قتيل مالعائره من مقيل . ولالقائه من مقيل، وعادت اعلام الاسلام ظاهرة . وايمان باطنة قاهرة . وهدي الهدى على النصر مزفوفه . وعيون العدا عن النظر بالعمى مكفوفة . ولم ينج ممن حمل من حمل رأسه . ولم يقدم من اولئك الرجال الا من فقد رجاءه . ووجد يأسه . وعاد الفرنج الى خيامهم وقد فجعوا بتلك الالوف واصيبوا بمن صفا في تلك الصفوف . وتراءت وجوه الفتوح لنا من خلال تلك الحدوف . وبخل الليل عليهم . ووقفت العساكر حواليتهم . وهم وان وهنوا لما اصابهم من الكسره . واخطاهم من النصره . وحل فيهم من الرزه . وسخر بهم الشيطان في موقف الهزه . وفجع كلهم بالجزه . ونقص منهم العدد الكثير . وركد من ربحهم ذلك العاصف المبير . فانهم في حشد كالدبى . وجمع اغص الوهاد والربا . وقد اخلدوا الى الارض وشدوا على حب الموت الحيا . وودوا لو وجدوا مهربا . وتفرقوا ايدي سبا . وقد عادوا وتحصنوا وتصبروا . وتخبروا المقام على الحين حين تحيروا . واوسعوا الخنادق وعمقوها . واحكموا المتارس ووثقوها . وندموا على الحركة . فانها افضت بهم الى الهلكه . وانهم ماداموا رايبسين . وعلى يد الصبر قاين . يتعذر الوصول اليهم . والدخول عليهم ، وتطول ايام الاحاطه بهم من حواليتهم . وفي تلك الجرحه التي حلا بها للشجعان طعم الطعن . وغلب فيها للجبناء وهم الوهن . وتجاى عن الثبات من محمي الدنيا جنب الجين . ارتاع عسكر الشرق من ذلك الغرب واختار المتسللون المتفللون منهم البعد على القرب . وما ثبت الا عسكر سنجار فكله محرب مجرب للامور . سيد ساد للثغور . ومجاهد الدين يردقش قد صدق نعته بالمجاهدة للدين . وجلا ظلمة الوهم بنور اليقين . وقرت عين طمان بالجنة باقدام الولد . وماذا

يقال في شبل ذلك الاسد . وانما الغرياء هابوا . وكانوا قد ضجروا
من الحضور فغايوا . والفرنج الان في ذل وخسر . وفي عسر بغير
يسر . وفي حصر بغير حصر . والمرجو من الله سبحانه ان يقدر على
قطع دابرهم . واهلاك سائرهم عن اخرهم . وتحريك هم المؤمنين
في تسكين سائرهم . وتخريب عمرهم وعامرهم . وانزال دوائهم
السوء بمنازل دوائهم . وما دام البحر يمدهم . والبر لا يصدهم .
قبلاء البلاد بهم دائم . ومرض القلوب بادوائهم واسوائهم ملازم .
وتدبيرها الان في التدمير على هذه الجموع . وسوقهم الى مصارعهم
في ورطة الوقوع . فآين حمية المسلمين . ونخوة اهل الدين . وغيره
اهل اليقين . وما يقضي عجبنا من تضافر المشرك على شركه .
وتظاهرة في اتساع مسلكه واتساق سلوكه . وقعود المسلمين
وتقاعدهم وتعاضلهم في تعاضدهم . وانحلال عقود تعاقدهم . فلا
ملبي فيهم لمناد . ولا موري منهم في اجابة داع لزنداد . فانظروا الى
الفرنج اي مورد وردوا . واي حشد حشدوا . واية شالة نشدوا .
واية نجدة انجدوا . واية اموال غرموها وانفقوها . وجدات جمعوها
وتوزعوها فيما بينهم وفرقوها . ولم يبق ملك في بلادهم وجزائرهم .
ولا عظيم ولا كبير من عظمائهم واكابرهم . الا جارى جاره في
مضمار الانجاد . وبارى نظيره في الجد والاجهاد . واستقلوا في
صون ملتهم بذل المهج والارواح . وامدوا اجناسهم الانجاس بانواع
السلاح مع اكفاء الكفاح . وما فعلوا ما فعلوا . ولا بذلوا ما بذلوا .
الا لجرد الحمية لمتعبيهم . والنخوة لمعتقدهم . وليس احد من
الفرنجية يستشعر ان الساحل اذا ملك . ورفع فيه حجاب عزهم
وهتك . يخرج بلد من يده . او تمتد يد الى بلده . والمسلمون بخلاف
ذلك قد وهنوا وفشلوا . وغفلوا وكسلوا . ولزموا الحيرة . وعدموا
الغيرة . ولو اذنتي والعياذ بالله للاسلام عنان . او خباسني ونبا
سنان . لما وجد في شرق البلاد وغربها . وبعد الافاق وقربها . من
لدين الله يغار . ومن لتصرة الحق على الباطل يختار . وهذا وان
رفض التواني . واستثناء اولي الحمية من الاقاصي والاداني . على
انا بحمد الله لتصره راجون . وله باخلاص السر وسر الاخلاص
مناجون . والمشركون باذن الله هالكون . والمؤمنون آمنون ناجون .

ذكر ما عرض للعسكر بعد ذلك من العذر فصد عن قصد المباكرة لناجزة اهل الكفر

وعاد السلطان الى مضاربه وقد عانت مضاربه الى عادة المضاء .
وزانت مشاربه من مائة الصفاء . وامر بمواراة الشهداء . ومن
جملتهم الفقيه ابو علي بن رواحه . وكان غزير الفضل قد اكمل
الرجاحة والسجاجة . وهو شاعر مفلح . وفقيه محقق . من ولد عبد
الله بن رواحة الصحابي الانصاري في الشهادة والشعر معرق .
فطرفه الاعلى يوم موته مع جعفر الطيار . وطرفه الاقرب يوم عكا في
لقاء الكفار . ومنهم اسماعيل الصوفي الارموي المكبس . وكان
سنيديا عفيفا عاريا من العار لا يتكذب بالشبه ولا يتلبس . ومنهم
شيخ من الحاشية في بيت الطشت . وغلالم في الخزانة امين على
البيت وآخرون صودقوا عند القتل فجاءتهم السماعة . وفجأتهم
الشهادة . وهؤلاء سوى من وقع في الواقعة . ونهب قبل الرجعة .
واجمع السلطان وذوو الآراء انه يصبح القوم . ويباكر في طلب
ارواحهم السوم . وقال هؤلاء قد اضعفنا قوتهم . واعجزنا قدرتهم .
وفئانا سورتهم . واخمدنا فورتهم . وقتلنا مقاتلتهم . وادوينا
داويتهم . فان تركناهم بلغوا الريق . وبلغوا في الاحتراز
والاحتراس الطريق . فنحن نوافيهم غدا . ونوفيهم ردى . ونكيلهم
بصاع المصاع . ونذرهم بباع السباع . ونقيهم بذراع اليراع .
ونوسعهم قرى القراع . ونذيقهم حر الحرب . ونسقيهم في طعم
الطعن شرب الضرب . ونعين من عيونهم للسهام سهامها . وننخذ
لارواح النصال من اجسامهم اجساما . ونفرقهم بماء فرند
الهندوانيات . ونحرقهم بنار زند اليمانيات . ونوجد من عديمهم
النصر . ونطيب من نتفهم بالذشر . ونقطع دابرهم . ونلحق بأولهم
آخرهم . فلما اتفقت الآراء على امضاء هذا العزم . واجراء هذا
الحكم . تفقدوا العسكر فانا هو قد غاب . لما ناب من الامر وراب .
وذلك ان غلمان العسكرية وصحابها . واوياش الجمع واوشابها .
ظنوا تلك الفورة هزيمة . فنهبوا الاثقال والاحمال وعدوها غنيمة .

وانهزم من انهزم من الجند . وثبت من ثبت من اهل الجد . فمن عاد الى رحله وجهه منهوبا مسلوبا . وكان ظنه انه فرغ من لقاء خطب فلقى خطوبا قمضوا وراء الغلمان . ويلوا يسوء بين السونان . واصبحنا واذا العسكر غائب . والعازم عازب . والقاصم قاص . والطائع عاص . والجمع متفرق . والشايت قلق . والامن فرق . والغني معدم . والجريء متندم . فهذا خلف ما نهب من ماله ناهب . وهذا لمن طلب الطريق باثقاله طالب . فتفتر ذلك العزم وتأخر ذلك الحكم . وانتعش الفرنج في تلك المدة . وانتشلوا من تلك الشدة . واستطالوا بعد الاقصار . وفرغوا شغل الحصار . وجاءتهم في البحر مراكب اخلفت من عدم . وبنيت ما هدم فكمل بالمد . ما نقص من العدد . ولولا ان الله تعالى قدر بقاءهم لكنا عاودنا صباح تلك الليلة لقاءهم . فان الفرصة أمسكت . والحصنة تعينت . والجو خال . والضو عال . والحال جميلة والجمال حال . ففضى الله بما قضى . وعرانا المضض بما مضى . وبقيت هناك تلك الجيف منتنة منبئة مبتته . وتلك الجثث محينة مجتثة . تعرفنا ان نشورها من حواصل الذسور . وان قدرها بطون الضباع والنمور . فشكونا نتن رائحتها . وشكرنا يمن جائحتها . فجعل السلطان حملها على العجل الى النهر . ليشرب من صيدها اهل الكفر ، فصل الى الماء اكثر من خمسة الاف جثة . بعثت الى النار قبل يوم البيعة ، فما عبر بها الا من اعتبر واستشفى من اقبل بمن ادبر . وسلم الله من اسلم وكف ورد بالردى من كفر .

ذكر ما اعتمده السلطان في استرجاع ما نهب من
الذقل واستدراك ما حذب من الخلل

تقدم الامر الى المقدمين والامراء . بعد النداء واعلام الجهلاء ، باحصاء كل ما نهب . واحضار كل ما سلب . وانه من لم يرد ما اخذه اخذ بالردى . واعتدى عليه بمثلما اعتدى . فاحضر كل ما

عنده وبذل في الكشف جهده . وجمعوا ما تفرق منه في الخيام في خيمة السلطان . وضاعت عن كثرته سعة ذلك المكان . وجلس السلطان يوم الجمعة لسبع يقين من شعبان . فكل من عرف من ماله شيئاً اخذه بعد احلافه . وحلا في مذاق الشكر قطاف الطافة . وسعى في معاناة ذوي الاخلاق الصعبة على سهولة اخلاقه . وشفى العلل والغلل بالنهل والعلل من اشفاقة . وقمش ذلك القماش . وحصل من ذلك الويل الرشاش . وصبح بعد العري والعشار الارتياش والانتعاش . وكتب الى الولاة بالامصار والتواحي . والاقطار والضواحي . بحث البحث وجد الكشف . واستخلص كل ما يوجد ويؤخذ بالرفق والعنف . وتراجع الناس . وتتابع الايناس . وعادت مضارب العزائم الى مضائها . وقضاة القواضب الى اقتضاها . وغار الانف وانف الغيران . وتسلب العزم وعزم السلطان . وثار الحق وحق الثائر . وطار العلق وعلق الطائر . وطلبت الطلي نكاح بنات الخلل الذكور . واشراب للشرب نبات الاسل الى ماء النحور . وحمي ذوو الحمية للثقافي . وقالوا حتى متى التراخي بالتفاضي

ذكر مجلس عقد وراي عليه اعتمد وصواب افدقد وقد

فقد

وحضرا اكابر الامراء عند السلطان . يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبان فقال باعلموا أن هذا عدو الله وعدونا قد اجلب بخيله ورجله . واناخ بكل كل . وقد برز بالكفر كله الى الاسلام كله . وجمع حشده وحشد جمعه . واستنفذ وسعه . وإن لم نعاجل الان فريقه . والبحر قد منع طريقه . أعضل دأؤه . وتعذر غدا لقاؤه . فانه إذا سكن البحر . واستسهل ركوبه السفر . تضاعفت أعداد الاعداء . فظهر الاعدام من الاعداء . وخرج الداء عن قبول الدواء ونحن ما وراءنا نجدة ننتظرها . ولا قوة نستحضرها . وما يلي بهذا المعشر إلا معشرنا . وما بازاء عسكر الكفر إلا عسكرنا .

وما في المسلمين من ينجنا . وما في بلاد الاسلام من يعننا .
وعساكرنا حاضره . وعزائمنا للتواني حاضرة . وعيون أسننتنا إلى
الفك بالعدا ناظره . وما يعوزنا إلا حضور اخينا الملك العادل سيف
الدين . ولا بقاء للنفاد إذا أصحر منه ليث العرين . فالرأي كل
الرأي في المناجزة . قبل وقوفهم على محاج الحاجة . ثم قال ليشر
كل منكم براه . ولا يقدم على قول ورأيه من ورأيه . فتجاذبوا حبل
الاضطراب . واختلفوا في الآراء بحسب اختلاف الآراء . وركب كل
منهم هواه . وأعلن بما نواه . ومنهم من قال هذا ثالث عشر تشرين
الثاني لا الأول . وقد دفعنا إلى الخطب الاعضل والتعب الاطول .
والنائب الاعصى والناب الاعصل . وما نزلنا عن الخيل منذ خمسين
يوماً . وما طعمنا في هذه الليالي يوماً . ولا سمنا لطارق طيف
غمضا . ولا شمنا الا لبارق سيف ومضا . ولكم قذفتنا المنايا وقد
دخلنا لهواتها . وكأن أبا الطيب عنانا بقوله . « وكأنما خلقوا على
صهواتها » . وقد كلت الضوامر . وقلت البواتر . وملت العساكر .
وهذا الشتاء قد اقبل . والعدو قد استقل . والشر قد استفحل . وما
يتاتي قلعه الا لمن يتاتي . وبالصبر يدرك الأريب ما يتمنى . وهم
بالمصابرة مصابون . ونحن على المثابرة مثابون . وهؤلاء لا يتمكن
منهم إلا بالجمع الجم . والسيل لا يغلبه غير الخضم . والصواب أن
نصابرهم . هذه الشتوه . ونستجد لنا ولخيلنا القوة . ونتأخر عن
هذه المنزلة . لتحصيل هذه المصلحة المؤملة . ونوكل بهم مناوبة من
يمنعهم من الخروج . وإذا انقضى البرد نرجع إلى معالجة هؤلاء
العلاج . ونعيد السريجات إلى سلها والسلاهب إلى السروج .
والصواب الأخذ بالاحتياط . وتقديم الكتب والرسائل إلى الاطراف
والاوساط . ومكاتبة دار السلام . واعلام الامام عليه افضل
السلام بما دفع إليه الاسلام بالشام . فان المسلمين لا شك ينجدون .
ويقومون بالنصر . ولا يقدعون . ولا يترك استتغار التركمان .
وترغيبهم بالبر والاحسان . واستدعائهم بالعطايا . والتشريفات
السنايا . وينفذ إلى بلاد الشام القاصية والدانية . في تحريك الهمم
والعزائم الوانية . إلى ان تمتلئ بالجموع ساح الساحل . وتغلى
بنار الحميات بها مراجل الراجل . فحينئذ ينتهي أمد المصابر .

ونصمم على المكابرة مع المكابرة . ونبايهم ونفاتحهم قبل انفتاح
البحر . ونغايهم ونراوحهم على اقتراح القهر . وننسفهم ولو أنهم
جبال . وننذفهم ولو أنهم بحار . ونعدمهم حتى لايطرق جفن بلد
منهم خيال . ولايلم بجفن طارق لهم غرار . ومازلنا في مشاورة
ومحاورة . ومجاذبة ومجاوبة ومناظرة ومساورة . حتى تنخل الرأي
وتمخض . وخالوا أنه تبين الصواب وتمخض . ومالوا إلى الدعة .
والخروج من الضيق إلى السعة . ومن نزال الحرب . إلى المنزل
الرحب . ومن المعتكز المعتكر . إلى المبرك المبتكر . فلم تعجبنى هذه
الحالة . ولم توافقتي هذه المقالة . وقلت لعمري أتيتهم بمصلحة .
ولكنها غير مترجمة . فان الفرنج إلى الآن لم يتمكنوا من الحصار .
ولم يصدقوا بجميع الاسوار . فإذا رحلنا وتنحينا عنهم أرخبنا
خناقهم . وأطلنا إلى مرادهم اعناقهم . وياب عكا من جانب البحر
مفتوح . والمقيم بها منا بكاس تفقدنا إياه مغبور مصبوح . والطريق
إليها سابلة . والتخائر إليها في كل يوم داخله . والفرنح عن قطع
الطريق عاجزه . وعزائنا على مصابحتها ومماساتها لها دون
قصدها محاجزه . فإن تأخرنا تقدموا . وإن هونا احكموا . وإن
نقضنا أبرموا . وإن قعدنا قاموا . وإن بعنا حاموا . ومتى رماهم
تحفظوا . ومتى نمنا عنهم تيقظوا . وما دمنا نشغلهم فأنهم لحصر
البلد لايتفرغون . وإلى أمد الأمل لايبلفون . فقالوا هذا أمرهين .
وما ذكرناه صواب متعين . ووجه الصلاح فيه بين . وما مقصودنا
إلا أن ينتشروا ويخرجوا من مضاريهم ويصحروا . فإذا أنسوا
بالرجاء لم يياسوا من الارجاء . أرخبنا لهم حبل الانظار . حتى
استمروا على الانتشار . وحينئذ نصبهم على غرة . ونعاجلهم كرة
بعد كرة . وننقض عليهم انقضاض البزاة على البفاث . ونصدمهم
بالباعث الباغث لهم عن الانبعاث . وكان السلطان متركها لما أبدوه
من الرأي الملتاث . لولا ما عرض لمزاجه من الالتياث .

ذكر الرحيل إلى الخروبة . عند خيم الاثقال المضروبة .

كان السلطان مع ما ألم به من الألم . غير مبد وجه المأل
والسأم . وهو في كل يوم يركب وعلى العسكر يطوف . ويقف
مستطيلا على العدو ويطول منه الوقوف . ويعود وقت الظهر . وعليه
أثر الضر من الصبر . فليم على فعله . وخصه الطيب بعذله .
فانتقل الى الثقل ليلة الثلاثاء رابع شهر رمضان ، وخلق المنزل
الاول وأخلى العسكر
المكان . وتقدم إلى من بعكا باغلاق الباب . وسلوك نهج الاحتراس
والاجتناب . وجرى الامر على ما كنت قلته . وتحقق من الخلل ما
خلته . فإن المركيس رحل وشغل الجانب الذي كان خاليا . ورخص
عنده ما كان من سوم خوفا غاليا . وشرع الفرنج في حفر خندق على
معسكرهم حوالي عكا من البحر إلى البحر . وأخرجوا ما كان في
مراكبهم من آلات الحصر . وفي كل يوم تأتينا اليزكية بخبرهم . وبما
ظهر من اثرهم . والجدي تعميق الخندق وتتميم محتفـرهم .
والعسكر هاجم . كأنه واجم والظن فيه راجم . وشر الكفر ناجم .
وما فينا لعود الامر عاجم، وقلت يوما للسلطان يركب العسكر إليهم .
ويركض عليهم . ففعله ينال ظفرا . ويقتضي من كسر العدو وطرا .
فقال ما يعمل العسكر شيئا إلا إذا كنت معه راكبا . ولعمله شاهدا
مراقبا . ولقد صدق في مقاله . فانه كان اعرف برجاله . فإنهم كانوا
يبدلون معه المهج . ويخوضون من بحر الحرب اللجج . ويوسعون
لهزم العدو المازق اللجج . وكان من قضاء الله أنا أغفلناهم .
وأهملناهم بل أهملناهم . حتى عمقوا الحفور . ووثقوا من ترابها
السور . وملأوه بالستائر . ومنعوه من الطير الطائر وبذوه
وأسسوه . وستروه وترسوه . ورتبوا عليه رجالا . ولم يتركوا
لواغل مجالا . وتركوا فيه ابوابا وفروجا . ليظهروا منها إذا أرادوا
خروجا . ولما فرغوا من هذا الامر اشتغلوا بالحصر . ونحن نقول

- ٦٠٣ -

لامبالاة بهم ولا أكثراث . وما أسهل إذا عزمنا عليهم لاصولهم
الاجتثاث . وبسبول سيوفنا نفسل تلك الأخبثات . وأي وقت
قصصناهم وجنناهم وجأناهم . ونكأنا قرحهم ونكبناهم . وما
قوارسهم لنا إلا فرائس . وما خنادقهم لهم إلا رموس دوارس . وما
حفروا إلا قبورهم . وما دبروا إلا ثبورهم ومتى قصصناهم كذبت
ظنونهم منونهم . وامتلات بأشلائهم خنادقهم . وأظلمت عليهم
بغربنا مشارقهم . وبيتتهم بوائقهم وتبت علائقهم .

ذكر رأي رائب عن النظر في الغاي غائب أسفر عن
داء دائب وأبان عن غرارة بغرائب .

وقع لبعض الاكابر فتى عليه خنصره . ووكل باتمامه سمعه
وبصره .

لما تمت على الفرنج تلك المقتلة وعمت فيهم الهلكة . وضمت
أشلاءهم المعركة . وشوهت على الربا حجب نحرهم المهتكة .
وخمدوا وخملوا . وأهلكهم الله بما عملوا . وقع لبعض الاكابر انه
لم يبق للقوم انتعاش من تلك المعائر . وانهم قد عمدوا القرار .
وعزموا الفرار . ولو قدروا على النجاة لخلصوا . ولو فتحنا طريقهم
ما تصبروا ولا تربصوا . وقال السلطان: ارحلوا عنهم حتى تروا ما
يكون منهم . فانهم يرهبون ويهربون . ويبعدون إلى صور ومن
بعدها من عكا لا يقربون . فمال قوم إلى مقاله . وتخلوا مثل
خياله . وأشار بقطع طريق البلد . والصدر عن ورد الرصد . والجد
في تعمية الجدد . وان يفتح لهم ما سد من الطريق . ولا يعوقهم فانهم
كلاب تعوي من التعويق . ولما بلونا رايه . وتلونا آيه ، أخلف ظنه .
وبدا وهنه . وما زاد الفرنج الانبأتا ولم نعرف لشملمهم على ما توهمه
شتاتا . وكنا نتحدث بذلك الرأي القائل . ونقول ما أعجب قبلونا
لقول هذا القائل .

ذكر ما جرى بعد ذلك من الحوادث . وتجدد للعزائم من
البواعث .

أقام السلطان بالمخيم لاصلاح مزاجه . وايضاح منهاجه .
ومداراة آله . ومداواة سقمه . فوهب الله له العافية . وكمل له
عصمته الكافية . ومنته الشافية . ونعمته الوافية . وأبدى له الطافه
الخافية . وقوي قلبه على المقام . بنية الانتقام . وصرف الاجناد
الغرباء ليرجعوا في الربيع . ويستريحوا في مراتبهم لوقت الرجوع .
واقام في مماليكه وخواصه . ورجال حلقته المنصورة من ذوي
استخلاصه . ورتب بالذوبة على الفرنج يزكا ضمنه دركا . وأدار
بهلاك المقوم منه فلكا . وكان في مماليكه كل مقدم مقدم . وكل همام
همام . وكل ليث ذي لوثة . وكل حدث محسن له حسن أحدوته .
وكل ضيفم ضاغم . وكل أسد عرين ليس الاعرنين قرنه براغم .
وكل ريبال ذي بال . وكل بطل من ولاية الهيجاء غير بطل . وكل
مغير للنصر مريخ . وكل مسيء إلى العدو لكأس الحمام مسيخ .
وكل تركي للرما غير تارك . وللأصماء غير فارك . قوسه في ظفر
الهدى مؤثر على الوتر . وسهمه من مقل العدا طائر إلى الوكر .
وسيفه في رداء الردي حال بدم الكفر . وكل حميدي في الروع حميد .
وبالحرب عميد وكل هكاري على القرن عكار . وفي الوغى كرار .
وللقنا جرار . وكل زرزاري بالأسد زار . وللبسالة كاس ومن الغار
عار . وكل مهراشي في القتال ماهر . وللرجال قاهر . وعلى الأبطال
ظاهر . وكل كمي كميض واكنديش . فما خلا يوم من وقعه . وما
صار من بارزهم إلا إلى صرعه . وما عاد من نجا من زنايير
سهامهم إلا لبأسعه . وما حصلت شفاء شقارهم من طاولهم
إلا على لطمه . وما تبقى على لتوتهم ليت . ولصوتهم في النزال كل
صباح ومساء حيت . وبلي الفرنج منهم بالمبير والمبيد . واعتاق بهم
مراد العدو والمريد . وما زال هذا نأبهم في الركوب . ومباكرتهم
ومراحتهم إلى مواقف الكروب . فكم أقروا منا أعينا بأيديهم .
وثبتوا عدل النصر بتعنيهم . وصدوا شر الشرك بتصنيهم . وحركوا

ما سكن وهذا من عزائم الهداة بتهنيهم . وفي يوم الاثنين ثالث شهر رمضان أخذ أصحابنا بعكا مركبا للفرنج إلى صور مقلعا . واجتلبنا به من سني النصر مطلقا . وكان المركب محذويا على ثلاثين رجلا وامرأة واحدة ورزمة من الحرير وجاءت خطوة حلوة . وغنيمة صفوة . ونشوة أعقبت صفوة . وصحيحة استصحبت صفوة . وقوة من وهن العدو . ومحبة فكت رهن السلو . فقد كان انكسر نشاطهم وانقبض انبساطهم . وانخفض اغتباطهم . وفترت عزمتهم . وقصرت همتهم . وخمدت فورتهم . وركبت ثورتهم . فلما عثروا بالمركب انتعشوا وانتفشوا . وتنفعوا وتنعشوا . ودب الروح . وشب المروح . وتحرك الساكن . وتذكر الضامن . وصاروا يخرجون ويخرجون . ويقتلون ويخرجون . ويمسسون على القتال ويصبحون . ويكافحون ويبافعون . ويقارعون ويواقعون . والعسكر في المنزلة هاجم . وجم جمعه واجسم . واليزكية زكية . والعيون زكية . والنوب راتبة . والعة المعنية المعينة في كل يوم راكبة .

ذكر وصول ملك الألمان

ونمي الخبر بوصول ملك الألمان إلى القسطنطينية في عدد هم دثر . ونظم من خيله ورجله ونثر . وهو على قصد العبور إلى بلاد الاسلام . وقطع بلد الروم والأرمن إلى الشام . وانه في ثلاثمائة ألف مقاتل . من كل سالب باسل . وطالب باطل . وجهم جهنمي . وأشقر سقري . وأنمش أفعواني . وصل صليبي صلائي . وأرقش حذئي . ومستقر سعيري . ومحرب لظوي . ومغوار ناري . وضار بالقرن ضار . وجار للدرع جار . وكل ذئب عاسل . ناب بعاسل . وأزرق لابيض مشتمل . وأصهب لا سمر معذل . وكل جحيمي جاحم . وجمري فاحم . وحرابي بحري . وبار بري . وقاطع في طريق الوصول . وراجل بقصد الحلول . وناز إلى النزال . وصال بنار الصيال . ومشمر على الموت متمرن . ومتحين إلى المنون متحين . وفيهم ستون ألف فارس مدرع مقتع . ماله سوى السوء

من مفتح . وأنه مع الالمانى ملوك وكثود . وكل شيطان لربه كدود .
وكتب صاحب قلعة الروم مقدم الارمن . وهو في قلعته على الفرات
ومن اهل الزمة في المأمن . يبيدي تنصحا واشفاقا . وتضوقا على
البلاد واحتراقا . ويقطع بان الواصلين في كثرة . وان الناهضين
الى طريقهم في عثره . وابرق في كتابه وارعد . وابدع بخطابه
وابعد . ولاشك انه الى جذسه النجس مائل . وبملاءة اهل ملته
قائل . ولما وصل هذا النبأ وقيل انه عظيم . وورد هذا الخبر وخيل
أنه اليم . كاد الناس يضطربون . على أنهم يصدقون ويكذبون .
ومن طرف كل حبل من الراي يجذبون . وقلنا ان وضع هذا الخطر .
وصح هنا الخبر . فالسلمون يقومون لنا ولايقعدون . ويفضون لله
ولايرضون انهم لايعضدون . على أن الله ناهرنا . وموازنا
ومظاهرنا . وحققتنا باظهار القوة لمن استودش التأنيس . وبثنا
بالارسال الى بلاد الروم عيوننا وجواسيس . ونبدنا رسل
الاستتصار . وبعثنا كتب الاستتفار الى جميع الامصار والاقطار .
وقلنا ما هذه المرة الامرة ولايسفيها الا كل مرء ابي . وما هذه
الكرة مثل كره . ولايحضرها الا كل كميث كمي .

ذكر رسالة دار الخلافة

وعول السلطان على القاضي بهاء الدين بن شداد يوسف بن رافع
ابن تميم . ليكون كتابه الى الديوان العزيز مع رسول كريم . وقال له
ما احتاج اوصي . وانت تستوفي القول وتستقصي . وجعل له الى كل
الذي طرف في طريقه رسالة . وأودعه اليه مقاله . فسار من عتقنا في
شهر رمضان مقنا . يبذ خيل العزم بذنا . ويجذب السير جذنا .
ووصل الى حلب والقاضي ضياء الدين القاسم بن يحيى بن عبد الله
الشهرزوري رسول السلطان ببغداد قد عاد . وذكر انه قد بلغ
المراد . وأنه استجدى واستجاد . واستفاد واستقزاد . وأنه استكمل
للعبة الاستتجار وللعبة الاستتجاد . فما هذا الرسول الرائع .
وربما تعرضت لتلك الحوائج الجوائح . واذا اختلفت الحديث حدث

الاختلاف . ومتى الف غير ما القى الغي الاختلاف . فما هذا العجل . ومم الوجل . فصدقه الملك الظاهر غازي صاحب حلب . عن كل ما ايان عنه واعرب . وكتب الى والده . يذكر مقاصده . وقال انا لا اقدر على صد من للخدمة تصدى . ولا رد من بثوب الرسالة تردى . وانت تمضي الى السلطان . بما اوضحته من البرهان . وهو يحكم ويحكم . ويعقد ويبرم . ويقول فتسمع . ويأمر فتتبع . ولعلك تعود سريعا . وتجد شمل ما الفته جميعا . فوصل ضياء الدين الشهر زوري وهو مفتاظ . وسجايه السجاح غلاظ . وتغير علي . ونسب انفاذ القاضي بهاء الدين الي . فانه كان مخاللي ومضالطي . ومجالسي ومباسطي . فازلت عنه كل ظن . واعتذرت اليه بكل فن . فما بسط عذر . ولا قبض ذعر . فاني على اسبابي ببغداد خائف . ودون رضا كل سائر اليها واقف . واسترضيته فما رضي . ومضيت اليه مرارا قبل ان يمضي . ثم اجتمع بالسلطان وندمه على ما قدمه . واعلمه بما علمه . وقال له الشغل قد فرغ . والمقصود قد بلغ . والسؤال قد اجيب . والسؤل قد اصيب . والمخطوب بزمامه نحوك مخطوم . وكل ملك سواك لاجلك من رضاع رضاهم مقطوم . فكن للامام يكن لك . واقبل امره ليقبلك . واجتمع بالسلطان دوني . واتفق بجماعة شاركوه واغردوني . وقرروا معه سرا امرا . وحذروه ان يصير جهرا . ولو كنت معهم لعرفتهم ان الامر الذي ابرموه غير مبرم . وان الراي الذي احكموا . غير محكم . ومازلت اؤكد الامر حتى يؤمن انتفاضة . وتعرض دون الراي حتى لا يمكن اعتراضه . وأيقن ان الامر ما فيه خلاف . وان الوعد ماله اخلاف . فما فعل الرسول يتلبث ولا امهل يتمكث . بل جعل على المجاز لا الحقيقة مجازه . وزعم فيما دبر نجاحه ونجازه . وسلك فيما تقرر نهج العجب . واسرع العوبة على النجب . فلما انفصل عن السلطان . بما وصله من الاحسان . جمع السلطان الامراء على المشورة . ووقفهم على المعنى والصورة . وقال لهم قد وعدت الخليفة على لسان الشهر زوري بشهر زور . واستدعيت عسكره المنصور . وربما قدم الينا الحضور . فيكمل لنا النصر والحبور . فقالوا هذا راي رائب . وشاؤ شائب . وأمر عنه الصواب ناء . وكيف تعد

الامام بما لا يقرن بوفاء . وكيف ينجز هذا الوعد . وينجح هذا القصد . ودونه ايحاش من هو في طاعتك . فكنت تبذل ما يدخل في استطاعتك . اما صاحب الموصل طلبها فمنع . وصاحب اربل عنها دفع . ومملوك بها لمن يجاوره خائف . وكل ايواني لحدما وحققها خائف . وما من هؤلاء الا من بذل عنها اموالا واحوالا . والتزم من الجند والنقود انجادا خفافا وحمولا ثقالا . فاذا عرف انك اخرجتها لمن له الامر . نخل عليهم الضر . وملك مالك الامر امركم . وابدوا في انقطاعهم عنك عذرهم . وانقطع الواصل . وارتفع الحاصل . وما جاءنا من المذكورين فارس واحد . ولا ساعد على ما نحن فيه بعدها مساعد . اما هذا بكتمر في خلاط . قد جمع الاخلاط . وجهر بالعداوة . واقام على الغيابة والغباوة . فقال السلطان الخليفة ملك الخليفة . وهو مالك الحق والحقيقة . فان وصل الينا اعطيناه هذه البلاد فكيف شهر زورو . وسيحدث الله بعد الامور الامور . ولما وصل ضياء الدين الشهر زوري الى بغداد . صادف بها القاضي بهاء الدين بن شداد ، فلم يسفر امر سفارته عن سداد ، وقيل له جواب ما انتيت فيه مع ضياء الدين نسيره ، وننديه فيما نتخيره ، وشرف بهاء الدين وأعيد ، وزين ضياء الدين وزيد ، وذكر ماجرى فتم الاعتداد وتم الاحماء وسيأتي ذكر ما آلت اليه نوبته حين كانت اوبته .

ذكر وصول الملك العادل سيف الدين أخي السلطان
والاستظهار بمجموعه والاجتماع بظهوره لنصرة
الايمن .

ووصل الملك العادل سيف الدين من مصر منتصف شوال . في جيش وال . وجمع حال . وشوكة رائعة . وشكة رادعة . وشارة سارة . وبهيمه من البأس داره . وعدة منتخبة . وعدة منتقاه مهذبه . من كل اجل على مرقب . واجود على جواد مقرب . وصاف

عتيق على صافن عتيق . وطود ونيق على نيق (٣٧) . وصقر على
سوزليق (٣٨) . وبحر على سابح . وجذع على قارج . ومن كل
رئبال على تنقل (٣٩) . وأغر محجب على أغر محجل . ومن كل
أبيض ضرب بالبيض ضراب . وكل أسمر باسل بالاسمر سلاب .
وكل أروع يحمل يراعا ، وكل شجاع يعقل شجاعا . وكل أحمى
أحمس . وكل أغرى أغرس . ومن كل أسد خادر . وقصور قاسر .
وضيم ضاغم . وقمقام واقم . وليث به لوئه . وحدث له في الشهامة
أحدوئه . واحضر معه من سوندان مصر كل ذمر كانه العبي عابس .
وكل مغامر الموت مفامس . وكل غريب حلكوك . وكل سرحان
صعلوك . وكل ضرغام غريفي . ومقدام ريقي . وكل خارح اثار .
وكل مارج من نار . وكل أسود سالخ . وكل رأس في الشر راسخ .
وجاؤوا بالغبسة القبطية . والترسة اللمطية . والصلال القفطية .
والالال الذوبية . والحراپ الحربية والصعاد الصعينية . والصوارم
المنزوية . والصرائم المشبويه . والاسنة المسذونة . والصوابغ
الموضونه . والسراحين السارحة . والثعابين الجارحة . والتعاسيح
المزدرية . والشياطين المتوقفة . والزانات واليزنيات . والهنديات
واليمنيات . وكان يوم وصول العادل مشهونا . لم يترك في كل ما
يراد من القوة مجهونا . وأقبل في روع ظاهر . وضوع باهر . وبشر
نائع . ونشر ضائع . وحبور تام . وسرور عام . وهزة وطرب .
وعزة وأرب . وقلنا سيف الدين المنتضى . وناصر الاسلام المرتضى .
وغيث الانام المرتضى . وسلطان جيوش المسلمين المجتبى . لقد
نص النصر . وكف الكفر . وسلم الاسلام . ونام الانام . وأمن
الايمان . وتسلط السلطان . وحليت الاحوال . وفرغ البال . وبلغت
الامال . ونيل رجاء الرجال . وأزيل إبطاء الابطال . وورث زناد
الاجناد . ورويت ظلماء الصعاد . فما بعد اليوم . الا بعد القوم .
وأدرك ما استقام من النهج . وهلاك من اقام من الفرنج . ونزل
الملك العادل في مخيمه . وقدم اليمن بمقدمه . وتقدم السلطان إلى
راجل دمشق والبلاد فحضر . وضايق الفرنج به وحصر . ولم يخل
العدو في كل حين من حين . وفي كل وقت من مقت . وفي كل شأن من
شين . وفي كل بقعة من وقعة . وفي كل صقع من صدقة . وفي كل ليلة

من بلية . وفي كل سحرة من كبسة بالذكاية فيهم عليه . والمالك العادل
يركب في كل يوم ويبللي . ومن جهده في القتال لا يخلي . والفرنج على
البلاء صابرون . وللعناء والعناء مكابرون . لا يبرزون ولا يبارزون .
ولا يجاوزون خنادقهم وهم فيها محتاجزون .

ذكر فصل إلى الديوان العزيز واشتمل على مجاري الاحوال .

قد تقدمت المطالعة بمنازلة العدو المنازل بالنوازل . ومجاوله أهل
الغواية بالفوائل . ومقاتلة طواغيت الكفر الواصلة في البحر بعبد
أموأجه إلى الساحل . وقد نزلوا على عكا المحروسة . برأياتهم
المذكوسة وأرائهم المعكوسة . وحشودهم المجموعة وجموعهم
المحشوبة . وظلال الضلال المدبوبة . وأقدام الأقدام المصدوبة
المسدوبة . وقد مضت ثلاثة أشهر شهر بها التثليث على التوحيد
سلاحه . وبسط الكفر جناحه . وحصل الشرك على قروحه وعدم
اقتراحه . وقتل من الفرنج وعدم في الوقعات التي روعت . والروعات
التي وقعت . أكثر من عشرين ألف مقاتل . من فارس وراجل ورامح
ونابل . فما أثر ذلك في نقصهم . ولا أرت إلا نار حرصهم . وما قل
حد حديثهم الحادث . ولا قلل عدد كثيرهم الكارث . ولا غضوا عيون
أطماعهم . ولا فضوا خنوم اجتماعهم . ولابدوا وجوههم عن
مواجهة الردى . ولا قطعوا أملهم عن الوصول إلى المدى . ولو قطعوا
بالمدى . وهم لمواضعهم ملازمون . وفي مصارعهم جاثمون . وعلى
الموت صابرون . وإلى الحمام سائرون . وبالخنادق من البوائق
محتومين . وبالطوارق معتصمون . وعندهم انهم للبلد محاصرون .
وهم على الحقيقة وإن كانوا لكثرتهم غير محصورين محصورون .
وإن جنبنا لهم المنصورون . وللعساكر السلامية فيهم كل يوم ذكاية
شديده . وفتكة مبيدة . ووقعة ناكية . وجمرة ناكية . وصدمة
صادقة . وخدمة رادعة (٤٠) . ولما امتنع الدخول عليهم . وتعذر

الوصول إليهم . جمع راجل الابلاد . وحشد إلى حشودهم ذوو الاستعداد . حتى نقاتل الراجل بالراجل والفراس بالفارس . ونفترق بقمع جمعهم بكر الفتح العانس . وقد وصل الاخ العادل وفقه الله للمراضي الشريفة . بالجموع الكثيرة الكثيفة . ولعل الله أن يجعل حدف هؤلاء الفرنج فتحا لابواب الفتح . ويعجل اليالي آمال المسلمين بطلوع صبح النجح . وليس هذا العدو بواحد فينجس فيه التدبير . ويأتي عليه التدمير . وإنما هو كل من وراء البحر . وجميع من في بيار الكفر . فانه لم يبق لهم مدينة ولا بلدة ولا جزيرة . ولاخطة صغيرة ولا كبيرة . الا جهزت مراكبها . وأنهضت كتائبها . وتحرك ساكنها . وبرز كامنها . ونفضت خزائنها . وانفضت معانها . وحملت نخائرها . وبذلت اخايرها . وثار ثائرها . وطار طائرها . وثقلت كتائبها . واستخرجت دفائن نفاسها . وخرح بصلبانها أساقفها . ويطاركها . وغصت بالافواج فجاجها ومسالكاها . وتصلبت للصليب السليب . وتفضت للمصاب للعصيب . ونادوا في نواحيهم بأن البلاء لهم بلائهم . وأن أخوانهم بالقدس أيارهم الاسلام وابائهم . وانه من خرج من بيته مهاجرا . وبحرب الاسلام مجاهرا . ولتعبه مستردا . ولجئه في النخوة لنيته مستجدا . فقد وهبت له نذوبه . ونهبت عنه عيوبه . ومن عجز عن السفر . سفر بعده وثروته من قدر . وبذل البدر لمن بدره . فجاؤا لابسين للحديد بعد أن كانوا لابسين للحداد . وتواصلت منهم الامداد بالامداد . وتوالت انجاد الانجاد . فهم على التقص يزيدون . وعلى الأبد يبيدون . وبالمهج يهودون . وعن اللجاج في حوض اللج لايعودون . وهؤلاء الواصلون في البحر القاطعون أثباجه . المكثرون أمواجه . فأما ملوكهم الواصلون في البر فقد تواترت أخبارهم . بأن خلت منهم بيارهم . ورمتهم إلي أغراضهم البعيدة أوتارهم . وبهم يستفحل الشر . ويعضل الامر . ويصول الكفر ويجول . ويتناول الشرك ولكنه لايطول . فان لبين الله من خليفته ناصرا لايسلمه . ورازقا لايحرمه . وما تمسك بجبل طاعته إلا من فاز قبحه . وحاز السناء محبه . وأسفر صبحه . ووفر نجحة . وبدا علوه . وباد عدوه . والخادم بقوة رجائه في العوارف

الامامية . والعواطف النبوية . وشدة استظهاره بالنصرة الظاهرة
الناصرية . الى أن يفرق الجمع . ويجمع للفريقين القميين .
ويعيد البر بحرا من دماء وافدي البر والبحر . ويقطع بقطع بابهم
داب الكفر .

ذكر وصول الاسطول المنصور من مصر يوم الثلاثاء
سادس عشر ذي القعدة في المراكب المستعدة المستبينة
بالأس والشدّة وكانت عدته خمسين شيئا .

كان السلطان منذ وصل الفرنج الى عكا قد كتب إلى مصر .
بتجهيز الاسطول وتجهيزه حياله . وتزجيه أمور رجاله . وتكثير
عده . وتوفير عده . وإصلاح شؤون شؤنيه . واسناء رواسي
سواريه . فتولى حسام الدين لؤلؤ الشيخ أمره ؛ وشرح لآيراه
وإصداره صدره . وأنفق من ماله . ما جمع به شمل رجاله . وهذا
لؤلؤ قد اشتهرت في الكفر فتكاته وشكرت في العدو نكاياته ، وقد تفرّد
بغزوات لم يشاركه فيها أحد . ولم يكن فيها على الاسلام لغيره يد .
ما سلك نهجا الامك . ولا طلب غاية الا أدرك . وهو ميمون النقيب .
مشكور الضريبة . وهو الذي رد الفرنج عن بحر الحجاز . ووقف
لهم على الطريق المجاز . ولم يترك منهم عينا تطرف . ولم يبق لهم
دليلا يعرف . وغزواته مشهورة . وفتكاته مذكورة . وأمواله
مبذولة . وأكياسه لعقد الانفاق في سبيل الله محلوله ، فتولى
الاسطول . وجمع به الطول والطول . ووصل به والفرنح من
شوانيه على وجه البحر عقارب تدب ولوا سب سوابل ما تقيب وما
تغب . وسفن حمالة ومقاتلة . وبطس للازواد والميرناقلة .
قصدمتها مراكبنا بمناكبها . وملات معاطنها بمعاطبها . واستطال
الاسطول المنصور على أساطيلها . وجاء حقه بازهاق أباطيلها .
وظلعت في سماء البحر كواكب مراكبنا نجوما . وقذفت لشياطين
الكفر رجوما . واقبلت سواريه بالرواسي . مبرمة الامراس محكمة

المراسي . وقطعت اللجة بأشباه أمواجها . وسدت فجاجها بأفواجها . ونكست أعلام الاعلاج عن اثباجها . ووافت أساوبها السود بالأسود . وسدت عقبانها الأفاق بأجنحة الرايات والبزود . وطارت بقوادم المجانيف وخروافها . وزارت بجوارح المقاتيف وعوافها . فجاءت فجأة وسفن العدو كالجبال تمر مر السحاب . وتطوي اللجة كلبي السجل للكتاب . قصبتها وصدعتها . وربتها وردعتها . فكانما نعت غريبتها ببين أحبة الكفر أعابها . واناخت ظعائن الضغائن على شواني . شوانيتها . وعانت قوامص الفرنج فيها قنائص جوارح جواربها . فأول ما ظفر الاسطول المنصور . بشيني للفرنح عظيم الشأن . عاد طاغ بأهل الطغيان والعدوان فقتل مقاتلته . وتبع ما يليه . فوقعت بطشته الكبرى ببطسه كبيرة . تشتمل على ميرة لهم ونخيرة . وأمتعة كثيرة . وتفرقت سفن الفرنج أيدي سبا . وأصلد زندهم وكبا . وعادوا محصورين محصورين قد دفعت مراكبهم التي دافعت عن مياركهم . وايقنوا أنهم تورطوا في مهالكهم . وسيرت بوصول الاسطول كتب إلى الاقطار . وبشر المسلمين بما حصل به من الاستظهار .

ذكر فصول اذشأتها فيها

منها فصل:

ولما رأينا أمانهم في البحر متضاعفة . وجموعهم متكاثفة . استدعينا الاسطول المصري المنصور فجاءها فجأة . وامتد اسطرا على طرس البحر أعيت متأملها قراءة . وأقبلت جواربه جوارح من قنائصها القوامص . وصدمت شوانيه شواني الشنأة فعادت مراكبهم وهي نواكص . وطارت غريباننا ببين أحبة الكفر أعداء الاسلام ناعبة . وأطرت على طرائد الفرنج فطربتها غالبية لا

لاعبة . وظفرت أول يوم الورود يسفن للعدو معمرة . وألهبت في الماء على أهل النار كل نار للنكال مسعرة . وانقطعت طرق الفرنج البحرية فاستطالت بها أساطيلنا فنهب وجاءت . وعملت ما شئت . وتبعتهم مرارا وبالفنائم قامت . وأعشت أعين الرائيين كلما تراءت . فضاقت بها العدة ذرعا . ولم تجد من بعدها مطمعا ولا مرعى .

فصل من كتاب

صدر الكتاب بورود الاسطول المصري بالسطو الشديد والبأس القوي . فارتاع الكفر من وصوله وصوله الرائع . وذلل جمع الكفر لعزه الجامع . وجاء بكل شيني شاني . لشائن الدين واجيء مفاجع للعدو بالهلاك مفاجيء . مفرق لمراكب الشرك المجتمعة . مضيق شاهج مضارها المتسعة . فطحن مناكب مراكبها . ووسع معاطن معاطبها . واستولى منها حالة ورويه على عدة للملاقاة مستعدة . ولامداد اعانتها ممن وراءها مستمنة . وقتل من فيها من الرجال . وغنم ما وجد فيها من العدد والاموال .

فصل من مكاتبة أخرى:

وصل الاسطول المنصور في كل شيني شاني للشرك شائن . زائد لبيعة الاسلام زائن . زائر بكل أسد زائر . سائر بكل مقدم إلى مقام الاقدام سائر . وكانت الفرنج قد جهزت مراكبها . وأرهقت غروبها وسنمت غواربها . وملاؤها برجال أينبها على قوائم القواضب قواضب . وأرجلها على الثبات في روابي متون سدنها روابض . وهم على انتظار الاسطول ليطاولوه . ويلقوه وبالمداقة ويجاولوه . فلما وصل وصال . وراع أمره وهال . وجلا عليهم

الاجال والالجال . بقوا المراسي والخيال . وانهزموا بسفهم وأذنت قوتهم بوهنهم . واستولى على عدة منها بالعدد والرجال والنخائر والاحمال مملوءة وسلبهم كل ما أعدوه فيها من قوت وقوة .

والفصول كثيرة وإنما ذكرت منها ما وصف صورة الحال على جليتها . وأعرب عن حقها وحقيقتها .

ذكر ما اعتمده السلطان من تقوية البلد ونقل الرجال والنخائر والعدد .

ولما اشتد البرد وتوالت الفيوث . وتبحرت السهول . والوعوث . وحالت الاحوال ولاحت على خلاف المراد الاحوال . وتعذر الخروج إلى تلك المروج . وامتنع على السالك قصد أولئك العلوج . وزال حكم النزال . واستقال من استقل بالقتال . شرع السلطان فيما هو أذفع وأجدى وأنجع وأنجى . وأرجع بالاحتياط والحزم وأرجى . وهو تقوية عكا بالميرة والنخيرة . والاسلحة الكثيرة . والرجال الحماة . والابطال الكماة . فنقل اليها في المراكب جماعة من الامراء الامثلاء باجنادهم . فدخلوا اليها بعدهم وأزوانهم . واستظهر البلد أيضا برجال الاسطول ورؤسائه وقواده . فما دخل أحد فيه الا بزيادة في زانه . وكانوا زهاء عشرة آلاف بحري بحري . على الجري إلى الموت جري . فامتلا البلد بكل منتخب منتخ . مرخص مهجته الغالية للاسلام مصرخ . وانتفع بهم في جذب المنجنقات . والرسي في العرادات . والحذف بالنفطاط . والاحراق بالزراقات . والزرق بالحرقات . والقاء القوارير . واذكاء المساعير وتطريح النار . وتطوير الاحجار . ومواصلة القطاعات . والزيارة بالزيارات . وتوتير الجروح والزنبوركات . وتطهير النواكات . النواكي من مقاتل العدو الى الوكات . ومناشبة الفرنج في كل وقت بالاخذ والوقت . والجد في الجد والجد . وطروقههم ليلا على سبيل التلصص .

وسوقهم على وجه التصيد والتقصص . وكبسوا ليلة سوق الخمارات والسواهر . وسبوا عدة من المستحسنات الفواجر واستتصروا بذلك واستبشروا . واجتروا منه على ما أجروا . وكذلك من عندنا يدخل اليهم الرجال متسرقين . ويأتونهم من كل جانب مجتمعين ومتفرقين . فمن قدر على حصان أخذه وأخرجه . ومن تعذر عليه إخراجه عقره وبعجه . ومنهم من يهجم على الرجل في خيمته ويهربه بمد مليته . ويسلبه سكوته بسكينه . ويجعله أن لم ينجذب معه من حينه على يقينه . فيقونه بخطام القهر . ويجذبه بخدام الأسر . ووقع القوم من هذا في بلاء مبل . وعناء عن حب الحياة مسل . فقد كثر اليهم الاجتياز ومنهم الاحتياز . وشق عليهم الاحتراس والاحتراز . وتحيل الناس في اغتيالهم بكل طريق . وازداد فرقههم من كل فريق . وأعدت الحال من الليل إلى النهار . والمكابرة والجهار . حتى كان رجالنا يخفون بالحديث في أجراف الانهار . فإذا صادفوا فارسا ورد الماء فاجأوه بالقتل أو الاسار .

ذكر حال نساء الفرنج

وصلت في مركب ثلاثمائة امرأة افرنجية مستحسنه . متحلية بشبابها وحسنها متزينة . قد اجتمعن من الجزائر . وانتدبن واغتربن لاسعاف الغرباء . وتأهين لاسعاد الاشقياء . وتراقبن على الارفاق والارقاد . وتلهبن على السفاح والسفاد . من كل زانية نازية . زاهية هازية . عاطية متعاطية . خاضية خاطية (٤١) . متغنية متغنجة . متبرزة متبرجه . نارية متلهبه . متدقشة متخضبة . تاذقه . فاتقه . راقعة خارقة . مارقة راقمة . قاسرة سارقة . فارجة فاجرة . فاتنة فاترة . مشتهاة متشبهة . ملهاة متلهية . متفنة متفتية . ناشية مندشيه . متشوقة متسوقة . مقترحة محترقة . متحبة متعشقه . حمراء مرجاء . نجلاء كحلاء . عجزاء هيفاء . غناء لفاء . زرقاء ورقاء . متخرقة خرقاء . تسحب غفارتها .

وتسمر بنضارتها نظارتها . وتشتى كانها غصن . وتتجلى كانها حصن . وتميس كانها قضيب . وتزيف على لبتها صليب . وهي بائعة شكرها بشكرها . باغية كسرهما في سكرها . فوصلن وقد سبلن أنفسهن . وقدمن للتبذل أصونهن وأذفسهن . وذكرن أنهن قصصن بخروجهن . تسبيل فروجهن . وأنهن لا يمتنعن من العزبان . ورأين أنهن لا يتقرين بأفضل من هذا القريان . وتفرين بما ضربنه من الخيم والقياب . وانضمت اليهن أتربهن من الحسان الشواب . وفتحن أبواب الملاذ . وسبلن ما بين الافخاذ . وبعن بالاياحة . ورحن إلى الراحة . وأزحن علة السماحة . ونفقن سوق الفسوق . ولفقن رتوق الفتوق . وتلجرن بينابيع الفجور . وتلجرن بنزو الفحول منهن على الحجور . وعرضن الامتاع بالمتاع . ودعون الوقاح إلى الوقاح . وركبن الصدور على الاعجاز . وسمحن بالسلعة لذوي الاعواز . وبعن على تقريب خلاخلهن من الاقراط . ورمن فرشهن على بساط النشاط . وتهدفن للسهام . وتلحان للحرام . وتعرضن للطعان . وتضرعن للاخدان . ومبدن الرواق . وحلن حين عقن النطاق . وهرن مضارب للاوقاد . واستدعين النصول منهن إلى الاغصان . وسوين أراضيهن للفراس . واستنهضن الحراب إلى التراس . واستدفنن المحارث إلى الحرث . ومكن المناقير من البحث . وأذن للرؤوس في دخول الدهايز . وجرين تحت راكبيهن على ضرب المهاميز . وقربن الاشطان من الركايا . وفنقن النبال في أعجاس الضايا . وقطعن التذك . وطبعن السكك . وضممن الاطيار في أوكار الاوراق . وجمعن قرون كباش التطاح في الشباك . ورفعن الحجر عن المصون . وترفعن عن سقر المكنون . ولفقن الساق بالساق . وشفين غليل العشاق . وكثرن الضباب في الوجار . وأطلعن الاشرار على الاسرار . وطرقن الاقلام إلى الادوية . والسيول إلى الاوبية . والجداول إلى الغدران . والمناصل إلى الاجفان . والسباتك إلى البواقي . والزناير إلى المناطق . والاحطاب إلى التناير . وذوي الاجرام إلى المطامير . والصيارف إلى النناير . والاعناق إلى البطون . والاقذاء إلى العيون . وتشاجرن على الاشجار .

وتساقطن على الثمار . وزعم أن هذه قرية ما وفوقها قرية .
لاسيما فيمن اجتمعت عنده غربة وعزبه . وسقين الخمر . وطلبين
بعين الوزر الاجر . وتسامع اهل عسكرنا بهذه القضية . وعجبوا
كيف تعبدوا بترك النخوة والحمية . وأبق من الممالك الاغبياء
والمدابير الجهلاء . جماعة جذ بهم الهوى . واتبعوا من غوى .
فمنهم من رضي للذة بالذلة . ومنهم من ندم على الزلة فتحيل في
الذلة . فان يد من لا يرتد لاتمتد . وأمر الهارب اليهم لاتهامه يشتد .
وباب الهوى عليه يستد . وما عند الفرنج على العزباء إذا أمكنت
منها الاعزب حرج . وما ازكاها عند القسوس إذا كان للعزبان
المضيقين من فرجها فرج . ووصلت أيضا في البحر . امرأة كبيرة
القدر . وافرة الوفر . وهي في بلدنا مالكة الامر . وفي جملتها
خمسمائة فارس بخيولهم واتباعهم . وغلماهم واشياهم . وهي
كافلة بكل ما يحتاجون اليه من المؤونة . زائدة بما تنفقه فيهم على
المعونة . وهم يركبون بركياتها . ويحملون بحملاتها . ويثبون
لوثياتها . وتثبت ثباتها لثباتها .

وفي الفرنج نساء فوارس . لهن دروع وقوانس . وكن في زي الرجال .
ويبرزن في حومة القتال . ويعملن عمل ارباب الحجا وهن ربات
الرجال . وكل هذا يعتقنه عبادة . ويخلن أنهن يعقن به سعادة .
ويجعلنه لهن عادة . فسبحان الذي اضلهن . وعن نهج النهى
ازلهن . وفي يوم الوقعة قلعت منهن ذسوة . لهن بالفرسان أسوة .
وفيهن مع لينهن قسوة . وليست لهن سوى السوايخ كسوة . فما
عرفن حتى سلين وعرين . ومنهن عدة استيين واشترين . وأما
العجائز . فقد امتلات بهن المراكز . وهن يشدن تارة ويرخين .
ويحرضن وينخين . ويقلن أن الصليب لا يرضى الا بالاباء . وانه
لابقاء له إلا بالقناء . وأن قبر معبودهم تحت استيلاء الاعداء
فانظر الى الاتفاق في الضلال بين الرجال منهم والنساء . فهن
للغيرة على الملة ملن الغيرة . وللنجاة من الحيرة ناجين الحيرة .
ولعدم الجلد عن طلب الثار تجلن . ولما ضامهن من الامر تبلهن
وتبلن

ذكر ما أهده عز الدين مسعود

ابن مودود بن زكي بن أفسنقر صاحب الموصل
من النفط الأبيض والرماح والقراس

ولما عرف صاحب الموصل ما شرع فيه السلطان من تكثير العنة .
وتقوية النجدة . بكل ما يمكنه من أسباب البأس والشدّة . سير من
أحمال النفط الأبيض مع عزة وجونه ما وجده . ومن التراس
والرماح من كل جذس أحكمه وأقومه وأجوده . وشاع الاعتداد .
وناع الاحماد . وبذل ذلك على اتشاج الوداد . والامتزاج والاتحاد .

وكتبنا في شكره

وصل السلاح . وتم للاسلام من قروح الكفر الاقتراح .
واستجيدت التراس والرماح وفارقت للقائها أجسام الاعداء
الارواح واتصل بالنفط الواصل إلى أهل النار الاحتراق . وطفئت
وضربت منهم النور والاعناق . وقد هذا بما أهده النصر إلى
الهندي . والردي إلى العدا . وأجود الأكارم وأكرم الاجاود من جاد
بما أجدي . وأهدى ما هدى . وعاد من المكرمة بما بدا . لاأخلى الله
المجالس من يد يتخذها . وإياد يسيرها وينفذها . ومحمدة
يستخلصها لنفسه ويستقلها . وحمية للدين يقيم بها حماة الشرك
ويقنها . ونخوة للاسلام تمهي حدود الهمم النابية وتشحنها . وما
طلب من العنة ما طلب إلا للحاجة الحاقة . والضرورة الشاقة . فان
الحروب المتطاولة الممد . أتت على جميع العدد . فالسمر متعطمة .
والبيض متثلثة . ووجوه المصافح بلثام النجيع متثلثة . وعيون
النصال عن حواجب القسي إلى مقل الاقران رامقة مارقة . وحمام
الحمام في مريشات السهام يكتب المكبت من حنايا المنايا السائقة

- ٦٠٢٠ -

سابقة . وقد أغنى المصال النصال . والنضال النبال . والرماح
الافواق . واللقاء العتاق . والمصاع المناصل . والقراع الذوابل .
والصيال الصواهل . وعمل الجهاد الدائم العوامل . فلا ضامر الا
وهو وإن كان غالبا لاغب . ولا صارم الا وهو في دم العدو الفائنض
ناضب . ولا جارح الا وهو مجروح . ولا قارح الا وهو مقروح .
ولا جامع الا وهو مصعب . ولا يارح الا وهو مقطب . فباية عنة من
هذه العدة انجد . غار الحمد وأنجد . وتأسس الشكر لانعامه
وتتمد . ومن العجب أن العدة تفتى ولا تفتى العدة . وتتمو على
الحصاد وكأنها النباتات . ويتسارع الى أمدادها الموت والهلاك
ويخلفها في إبدالها الحياة . فان البحر يمدهم . والكفر إلى الردى
يردهم . وكلما اخلاقتهم الايام فان الليالي تجدهم . وما جمعهم
القدر إلا ليفرقهم . وما حمل أهل النار في الماء الا ليفرقهم في دمانهم
وبنار البواتر يحرقهم .

ذكر عماد الدين صاحب سنجار وما عزم عليه من تجهيز ولده

ورد الخبر بأن عماد الدين قد جهز عسكره . وقدم عليه قطب الدين
ولده وسيره . فقال السلطان هذه أيام الشتاء . ولا ينتصف فيها من
الاعداء . ونحن محتاجون الى العسكر في الربيع . واستتناهض
الجموع الى شمل النصر الجميع . فكتب بتأخيرهم . والتمهل في
تسييرهم . فتأثر قلب عماد الدين برد ولده . ورجوعه بعد المسير من
بلده .

فكتب اليه السلطان من مكاتبة

كان لما انتهى اليه صدق اهتمام المجلس بامرهم . والتقدم بتجهيز
العسكر الى نجدته بكل ما يعود بسرور سره واذشراح صدره .

وعرف مسير قطب الدين ايام الله له مضاعفة العلاء . وأقر بانواره
عيون الاولياء . وظن انه لم يقدم حركته المقرونة بالحسنات . ولم
يقرب من غير الفرات . أشفق عليه من التعب . ليكون عسكره
مستريحاً عند الطلب . فإن الحاجة اليه في الربيع ادعى . ومصلحة
الاسلام في ذلك الاوان أولى أن تُراعى . ولو عرف أن الركاب
المطفي قد بنا . لبشرته السعادة بنجع المنى . ولاستقبله بالذفوس
والارواح . وذلقت القلوب بالقبول العبق بذشر الاشرار . وان
اشتعل القلب بما فاتته من حظ من الاستسعاد بوفوده . فقد بشر
أمله بنضارة عود نجهه عند عوده ونجاز وعوده .

وفي آخر هذه السنة ندب الرسل الى الاقطار والامصار .
للاستنفار والاستنصار . وبث الكتب وكتب بالبر . وحث الرسل
وأرسل بالحث . وبعث المرعين لاستبطاء البعث . وانهض للتبليغ
كل بليغ . وجرع كأس التدبير في حسن السفارة كل مشيع مسيخ .
وسرح عنان النجاب الى سيف الاسلام باليمن . وشرح في الكتاب
اليه ما جرى من حوادث الزمن . ووصفت له جلية الحال . وما نحن
عليه من دوام القتال . وطلبت منه الاعانة بالمال . واستعين
واستنجد . واستلين واسترفد . وحض على حفظه من انجساد
الاسلام . وان يكشف بسني طلوعه من الاظلام . وأرشد الى نهج
السماح . وتسيير كل ما يقدر عليه من العدد والسلاح . وتجريد
الجرد العتاق . وتوفير الحمول التي تخرجها في سبيل الله يد
الانفاق . وكوتب قزل ارسلان بهمنان . بما بنا منه عزمه ودان .
وحكم على كل ملك بحجة الايمان . وهدى إلى محجة الاحسان .

ذكر وصول رسول سلطان العجم ركن الدنيا والدين
طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه
بالالتجاء الى ظل السلطان وارتجاء ماله من فضل
الاحسان.

ورد من عند طغرل سلطان العجم . أمير من خواصه هو ايلدكز
أمير العلم . فحضر له من الخيم الخاصة سرادق . وفرت في
الضيافة له المنافع والمرافق . ومضمون رسالته أنه خائفة من امرائه
ومماليكه العامة والخاصة . وخصته في سفراته ونكباته الخاصة .
وأن عمه أخا أبيه من أمه قد استولى على ممالكه . وضيق عليه سعة
مسالكه . والجهاد الى هذا الالتجاء . وهو بقوة من هذا الجانب
قوي الرجاء . وقد وصل الى حد مملكتك بقرب اربل . واراد الوصول
الى الموصل . لكنه نزل في بيوت عز الدين حسن بن يعقوب بن
قفجاق . ينتظر منكم الاصراخ والاشفاق . وعز الدين حسن من خدم
دولتكم . والمستمكنين بعصمتكم . والمستوثقين بذمتكم . وانا عنده
مقيم . وعلى سنن الامل مستقيم . فان استقدمتني اليك قدمت . وان
أمرت أمراء أطراف ولايتك بمشايعتي وجدت من النصر ما عدمت .
وانا الآن هزيل عامك . ونزول إنعامك . ووصل معه كتاب بخطه . قد
بث حزنه فيه بشرحه وبسطه . وأبدى الاستكانة . واستدعى
الاعانة . وأردف رسولا برسول . وكرر سؤالا فيما التمسه من
سول . فاعتذر السلطان بما هو فيه من شغل الجهاد الشاغل . وأنه
لامطمع مادام العدو ملازما لنا في مفارقة الساحل . فكتب إلى زين
الدين يوسف صاحب اربل وإلى حسن بن قفجاق وإلى نائبه بشهر
زور بالتوفر على خدمته . والارتياح لمصلحته وإشاعة معونته . ثم
ندب كبيرا للسفارة بينه وبين مظفر الدين قزل ارسلان وهو جمال
الدين أبو الفتح اسماعيل بن محمد بن عبدكونه نسيبي . ليكون
القيام بهذا الامر من نصيبي . وسعى في المصالحة والمصالحة .
والمصافاة على صافقة المودة والمصافاة وحفظ حرمة تضرعه
وتذرعه . وسياتي ذكر ما آل اليه الامر في موضعه .

وتوفي الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري بمنزل الخروبة سحرة يوم الثلاثاء تاسع ذي القعدة سنة خمس وثمانين وخمسمائة . واقد كان من الاعيان . ومن مقربي السلطان . ومن اهل الجد في نصرة الايمان . فنقله الله الى الجنان . وحمل من يومه الى القدس فدفن به . وكانت في هذه السنة وفاة الفقيه الكبير شرف الدين ابي سعد عبد الله بن محمد بن ابي عصرون بدمشق يوم الثلاثاء حادي عشر شهر رمضان . وهو شيخ المذهب الذي لم يخلفه مثله . ودفن معه فضله . وكان مولده في اوائل سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة . وكانت وفاة الامير عز الدين موسك بن جكوك بكركة يوم الجمعة النصف من شعبان منها وكان من الابرار الاخيار . والعظماء الكبار .

وبخلت سنة ست وثمانين والسلطان مقيم بعسكره بمنزلة الخروبة . وكل من الملك العادل والملك الأفضل والملك المظفر في خيمته المضروبة . وعكا محصورة . وجموع الفرنج الى حصارها محشورة . وعلى تعذرها عليهم محسورة . وخرجت هذه السنة والحصار مستمر . والسلطان في ملازمة القتال مستقر . وحيا النصر في الاحيان مستقر . وقد تسنت للاسلام مباحج . ووضعت للسعاية مناهج . وبنات للقتال مداخل ومخارج . وانقطعت بين الوشيح وأرخام الارواح وشائج . واشتقت لتباريح الاشواق الى لقاء الاعداء لواجع . وتالفت في الاقدام مقدمات ونتائج . ولناجح المنى منا في مدى الرجاء مدارج . ولخطباء الظبا في منابر الطلي معارج . وللجهاد جهات . وللعزمات ازمات . واتفقت حسنات وحسنت اتصالات . وكانت لنا مسرات هي لاعنائنا مساءات . ووقعت عجائب . واعجبت وقائع . وابدعت غرائب . وأغربت بدائع . واجتمعت كتائب . ونابت نوائب . وصفت تارة وكدرت مشارب . وساعدت الاقدار . وتباعدت الاكدار . وهلك من الفرنج المحاصرين في الوقائع عند لايقع عليه الحصر . ولكم أسفر صبح أصحبه فيه جراح المظفر وسفر النصر . وسيرد حيث كل حادث بمفرده . ويجدد ذكر كل متجدد بمجرده .

ذكر وقعة الرمل

كان السلطان يركب احيانا للصيد . بعد ان يحذر على ما يظهر للعدو من الكيد . وهو لا يبعد من الخيم . ولا يقرب من مسائل النيم . وركب يوما في صفر على عادته فتصيد . وطاب له قرب القنص فأبعد . واليزكية على الرمل وساحل البحر من الميسرة . على الحالة المحتاطة المستظهرة . فخرج الفرنج وقت العصر في عدد لا يدخل في الحصر . وتسامع اصحابنا بهم فزحفوا اليهم . وحملوا عليهم وطردوهم إلى خيامهم . وأخذوا عليهم من خلفهم وأمامهم . وما زالت بينهم حملة وحملة . وشلة وشلة . وسلة وسلة . وركضة وركضة . ونفضة ونفضة . ومشقة ومشقة . ورشقة ورشقة . وجذبة وجذبة . وضربة وضربة . وشدة وشدة . وربة وربة . وضمة وضمة . ولة ولة . واصحابنا ظاهرون . وبالمراد ظافرون . ولهم في كل دفعة من العدو قلائع . وللفرنج في كل كرة على الرمل مصارع . حتى فني الذشاب وبقي الانتشاب . وشاع نداء الاصحاب باستدعاء الذشاب . والفرنج لا يعجزهم الا الرماء . ولا يهتكهم إلا الاصماء . ولا يذفرهم الا رنة الاوتار . ولا ينذرهم الا انة القسي بالدمار والبوار . فلما اذسوا بخلو الجعاب . تجاسروا على الذوم من تلك الشعاب . وحملوا حملة واحدة ردوا بها اصحابنا الى النهر . وكانت تعيث بهم يد القهر . فثبت من العادلية في وجوه القوم صف مرصوص البنيان . واشرعوا الى نحو تلك الذئاب ثعالب الخرصان . واستشهد جماعة من الشجعان استحلوا طعنام الطعان . وشاقهم جني الجنان . وذلك انهم لما ردوا الفرنج قلعوا فرسانا . وصرعوا اقارنا . فنزلوا بعد فرسهم . لسلب ليسهم . فمرت بهم الحملة في الاوية . وأعجلتهم عن الركبة والوثبة . واطلم الليل فافترق من معاركها الجمعان . واجتمع في مراكزها الفريقان . وكثر التأسف على من فقد . وكان الحاجب ايد غمش المجدي ممن استشهد . وزاد التلهف على فوات الفرصة . وكيف اغفل ذلك القنص عن تلك القنصة . فان العدو صار عرضة للصرعة في تلك

العريضة . ومن نواذر هذه الوقعة . وطرائف هذه الدفعة . ان مملوكا للسلطان يقال له سرا سنقر . وهو يتناول في كل معترك ولا يقصر . عثر به جواده . وثبت على الجراة فؤاده . ورجله عثاره . وأسلمه أنصاره . فقبض من أسره شعره ليجذبه . وسل أخضر سسيفه ليضربه . فضرب يد قابض شعره قسيبه . واشتد سرا سنقر يعدو ناجيا وللخلاص راجيا . وهم يعدون وراءه ليمسكوه ويهلكوه . وفاتهم يعون الله فلم يدركوه . وهذا قدفته المذنون من لهاتها بعد ازدرانه . وانتضاه الحمام لمضاء غراره بعد اغمائه .

ذكر فتح شقيف أرنون

وفي يوم الاحد خامس عشر ربيع الاول تسلم بالامان شقيف أرنون . واستمر الحصار عليه منذ نزولنا في السنة الماضية بمرج عيون . وصاحبة أرناط صاحب صيدا في دمشق لاجله معتقل . وباب خلاصة دون فتح شقيفه مقفل . وذلك أن الشقي في الشقيف فني زانه . وعز اجتهاده . ومرد عليه في الحفظ مراده . وخانه في الصبر ارتياؤه وارتياده . فسلمه على أن يسلم صاحبه . وتخلص في النجاة مذهب . وخرج هو ومن معه وترك الشقيف بما فيه . وتركه للاسلام بما يحويه . واخرج عن صاحب صيدا وصار الى صور . ولبس من التشريف والتسريح حبير الحبور .

ذكر حال عكا وبخول العوامين اليها ووصول الكتب على أجنحة الطير منها

كان السلطان اغتتم هيجان البحر . وحضور مراكب الاسطول من مصر . فما زال يقوى عكا بتسيير الغلات والاقوات والقوات اليها في المراكب . وقد ملاها بالانخائر والاسلحة والكمات المساعير والحنة المحارب . فلما سكن البحر . وأمن غائلته الكفر . عانت مراكب

الفرنج الى مراسيها . وبيت عقاربها واقاعيا وشنت مراقبتها في
موانئها . وانقطع عنا خبر البلد . وامتنع عليه دخول المدد والعدد .
فانتدب العوام للسباحة . وحملتهم السباحة لهم بالرغائب على
وضع المنهج في ميزان السماحة . وعلموا انهم اذا سبحوا ربحوا .
واذا سلموا فراحوا فرحوا . حتى صاروا يحملون نفقات الاجناد
على اوساطهم ويخاطرون بانفسهم مع احتياطهم . ويحملون كتبها
وطيورها . ويعودون يكتب وطيور . ونكتب اليهم ويكتبون الينا على
أجنحة الحمام بالترجمة المصطلح عليها سر الامور . ويودع المكتوب
والمكتوب ما نطلعهم عليه من الخفي المستور . وكان في العسكر من
اتخذ حماما تطوف على خيمته وتنتزل في منزلته . وعمل لها برجاً من
خشب . وهرابي من قصب . ويدرجها على الطيران من البعد .
ويوردها لشبعها وريها احب الحب واعذب الورد . وكنا نقول ماهذا
الولع بما لاينفع . والوله بما لاينجع . حتى جاءت نوبة عكا
فنفعت . وشفت الغلل ونفعت . واثت بالكتب شارحة سارحة .
ووفت بمفاتيح الغيب بالبشرى مفاتحه . فصرنا نحبو صاحب
الطيور بالاطراء . ونخصه بالمدح والثناء . ونامر به بالاستكثار .
ونطلبها منه مع الليل والنهار . حتى قل وجودها عنده لكثرة
الارسال . وكنا نعرف بها جليلة الاحوال . ونعلم ان الله علمه ذلك
البر . والهمه ذلك السر . فانه اطلع على مايدفع اهل الاسلام .
فحمى حمى هداهم بهداية الحمام . فاتها امينة على الاسرار ضمنية
بالاسفار . قمينة بكرامة الاحرار . مصونة من بين الاطيار . جريئة
على الاخطار . بريئة من الاعذار . معدونة من الانحار . مودونة مع
الاخيار . وحمام البلد الينا مع العوام محمولة . وعقود الاكياس
عليهم محمولة . والضرورة تحمل على تحمل الضرر . والفرارة تبعث
على الانبعاث الى الفرر . والفقر يدعو الى ركوب الخطر . وفيهم
من سلم مرارا من القوم . فاجترأت نفسه وأنس بالعموم . ولقد عطب
عوامون . بالامانة قوامون . فما ارتدع الباقون . وما قالوا انهم لما
لقي رفقاؤهم لاقون

ذكر ما دبره السلطان عند اندسار الشتاء وانكسار البرد في الانتهاء

ولما انحسر الشتاء وانكسر . وانتش الربيع وانتشر . أمر
السلطان عساكره بالعود فتوافت أعداد أجوادهم توالي أعداد
الجود . فكان أول من وصل الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن
محمد بن شيركوه صاحب حمص والرحبة . وهو بأكمل العدة
وأحسن الاهبة . وسابق الدين عثمان صاحب شيزر . وهو الذي
ببسالته يقسر الليث القصور . وعز الدين ابراهيم بن المقدم المقام .
الهمام بن الهمام . والكريم بن الكرام . والاسد الصرغام والسيد
المقام . ووفد معهم جموع من الاجناد والاعيان . وحشود من
العرب والتركمان . ففاض بهم الفضاء . واكتسى برياشهم العراء .
وكثر الجند . وانتشرت البنود . وحلقت عقبان الاولوية . وتلاحقت
ذؤبان الاولوية . ولعت بوارق اليبارق . وارتفعت عواثق البوائق .
وحملت بواشق السوابق . وثبتت وثائق العلائق . ونبتت شقائق
العقائق . ونظرت احداق الحداثق . ويسرت طرائق الطوارق .
واعجبت ازهار الرايات وانتهت غايات الفايات . ونزلت بدسن
الصنيع نصوص النصول . ودارت بيد الربيع فصوص الفصول .
وعلت الاعلام . وحلت الاحلام . ومضت المواضي ومضت .
واقضت القواضب القواضي وقضت . وعريت البيض من الحلى .
وغربت السمر بالكلى . واشتاقت لدان اللدان الى العناق . وتاقت
شفاه الشفار الى لثم الاعناق وتحدث في المجارة باجراء العتاق .
وطالت رقاب الرقاق الى غلاظ الرقاب . واعجم عن جمجمة
الجماجم اعراب العراب ، وحمي عزم البطل . ومحي رسم الملل .
وعاد الجد الى جدته . والحد الى حدته . وخرج البرد من عدته .
وفاز النصر بعفته . وجليت بنت الغمد في زي الهند وري الفسند .
وقطف ورد الورد للشد الى الورد . وقال الناس إلام ننتظر . وعلام
نصبر ولم لانشغل وكيف لانشغل . وحتام القعود . ومم الركود .
ولماذا الرقود . وقد نظرت السعود . ونضر العود . وصدقت من

اصحابنا الوعود . فرحل السلطان وتقدم . وعزم علي طلب العدو
وصمم . ونزل على تل كيسان يوم الاربعاء ثامن عشر ربيع الاول .
في الفصل الاعل والفضل الاكمل . وتداني العسكران . وتعالى
العشيران . وتقارب القرنان . وتحارب الحزبان . وترتب العسكر
الاسلامي في نزوله ميمنة وميسرة وقلبا . وفي ركوبه على تريب
منازلهم طلبا طلبا . فكان الملك المظفر تقي الدين في آخر الميمنة
الميمونة . والملك العادل في آخر الميسرة الميسرة المنصورة المصونة ،
والملك الافضل في اول ميمنة القلب واخوه الملك الظاهر في اول
ميسرته على الجنب ، والكثائب مكتبة ، والمقانب مقنبة ، والسماء
بالنقع الثائر منقبة ، والارض بوقع الحافر منقبة ، والعساكر
مترادفة مترافة . متتابعة متواربة ، متسابقة متلاحقة ، متناسبة
متناسقة . متوالية متوافية ، متجارية متبارية ، منقضة كالبرزاه ،
منفضة الى العداة ، داعية الى الانتصار ، غابية على الكفار .

ذكر وصول رسول دار الخلافة

مع ضياء الدين الشهر زوري في جواب رسالته

ووصل يوم الاثنين سادس عشر شهر ربيع الاول رسول دار
الخلافة ، بالنجدة والعارفة والرحمة والرافة ، وهو الشريف فخر
الدين نقيب مشهد باب التين بمسينة السلام . فتلقياه السلطان
بالاحترام والاكرام ، واحتفل لوصوله . واستقبله لقبوله ، وتلقاه
الامراء على الترتيب ، فممنهم من تقدم نحوه الى البعيد ومنهم من
وقف له بالقرب . ثم اخوة السلطان وأولاده واحدا بعد واحد .
وماجدا بعد ماجد . وبادئا بعد عائد . ثم ركب السلطان اليه عند
القرب من سراقه . وأثناء اليه بتعانقه ، ثم سار معه قليلا (٤٧)
وأصحابه من خواصه وامرائه قبيلا . حتى نزلوا به في بار كاه له
مضروب ، وخصه بصنوف من اللطاف وضروب ، ووصل معه
حملان من النفط الطيار . وحملان من القنا الضطي الخطار ،

وتوقيع بعشرين ألف دينار . تقترض على الديوان العزيز من
التجار ، وخمسة من الزرافين النفاطين المتقنين صناعة الاحراق
بالنار . قاعدت السلطان بكل ما احضره . واخلص الدعاء للديوان
العزيز وشكره . غير انه ابدى رد التوقيع مع الصنيع ، وقال كل ما
معي من نعمة امير المؤمنين وعارفته ، ولقد نعشني ما شملني من
عاطفته ، ولعل الله يوفقني للقيام بالفرض ، ويغنيني عن الالتزام
بالقرض ، واركب الرسول مرارا معه واره مبارك النزال . ومعارك
القتال . ومصارع الرجال . ومجامع الابطال . ومطالع اللقاء .
ومواضع الهبياء . ومصالت الاقدام . ومنابت الاقدام . ومواقف
الصفوف . ومصاف الوقوف . واماكن البعوث . ومكان اللبوث .
وتل الفضول . وبقية التلول . حتى يشهد بما يشاهد . ويبين له
المجتهد والمجاهد . واره ما لم يره لياثر اثره . ويخبر بجملمته
ويجمل خبره . واقام الرسول طويلا . واقام له السلطان من طوله
دليلا . ووفر له عطاء جزيلا . وعرفا جميلا . حتى استانن في العود
فعاد . واستصحب الشكر والاحماد .

ذكر مقاتلة الفرنج عكا بالابراج والاعجاز بها والازعاج

وكان الفرنج منذ نزلوا للحصار . شرعوا في عمل الابراج الكبار ،
وركبوها من الاخشاب الطوال . والعمد الثقال . وبنوها وقدموها ،
ونصبوها واحكموها . وسقفوها طباقا . وسمروها بالحديد .
وجعلوا لها منه اطواقا ، ووثقوها شدا وشدوها وثاقا . ولبسوها
بالسلوخ ، وملأوها بالجروخ . وزحفوا بها الى السور وكشفوا
بالرمي منها بعض مسقوف الدور . وتسبعاعدوا
على طم الخنادق ، وتفتيح الطرائق ، ووصل من المنيعة عوام ، يخبر
بان التلف بها حوام . وان البلاد قد اشرف . والخطر قد اسرف .
والابراج علت . والاسوار خلت والبلاء قد عم . والخندق قد طم .

وأنتم إن تم هذا عراكم العار . وأظلم على الدنيا والدين بلبه
النهار فاحتمي السلطان واحتد وشد واشتد وكرب وركب وكان
يحسب هذا فجاء كما حسب . وزحف الى الفرنج ليشغلهم عن
الزحف . ويصرفهم عن الفتح بالحتف . وذلك في العشرين من ربيع
الاول يوم الجمعة . بالجحافل المجتمعة . والغماغم المرتفعة .
والصوارم الملتمة . والصلادم الممتعة . والاسنة المشرعة . والاعنة
المسرعة . والحواشم المنتجة من النجيع . والبيارق المخفقة كازهار
الربيع ، واتفق في هذا اليوم وصول عماد الدين . صاحب دار محمود
ابن بهرام الارتقي . بالجمع الوافر الموفي والعسكر النخي النقي ،
وسار الى القتال على حاله . يخيله ورجاله . وضايقهم السلطان
مضايقة عظيمة . ولم تزل جادة الجد في مقاومتهم مستقيمة . حتى
دخل الليل . ولغبت الخيل . فقوى تلك الليلة اليزك . والزمهم في
الحفظ الدرك . ورجع الى مخيمه مساهدا ساهرا ، مجاهدا بالبكور
نخوهم مجاهرا . فلما اصبح يوم السبت صبحهم بالحرب .
وسبجهم على بحر الكر والكرب . ورجل الرجال اليهم . وانزل
النوازل عليهم . وامتزج بياض النهار بسواد النقع . واتسع خرق
الواقعة على الرقع . وانقضى اليوم . وقد انقضى القوم . وتفرق
الجمعان وقت العشاء . عن قتيل غريق في الدماء . أو جريح على
بقية الذماء . ويات الناس في السلاح شاكين . وبنار المذاكي
ذاكين . ولما تم منهم وعليهم حاكين . ورجع السلطان الى خيمة
ضربت له على تل العياضيه . وقد الزمته البسالة الطبيعية ، بالرتوع
في رياض الاخلاق الرياضية . واصبح يوم الاحد راجعا الى قتال
أهل الاحد . واستن من الجد على انهج الجند . وامر بانتقال السوق
الى قربه ليقرب من العسكر ، وأيده الله بالنصر الاظهر . والظهور
الانصر . واقام كذلك وهو في كل يوم يغدو وينازل . ويعد ويقاقل . ثم
نقل يوم الاربعاء الخامس والعشرين الاثقال الى المخيم لئلا يغيب
حاضر . ولا يصاب عن الورد صادر . وليكون غلمان العسكر للحرب
مباشرين . ولعشر الكفر بإدارة كؤوس الردى عليهم معاشرين .
فانتدب منهم الى الحرب كل مجترىء للوقائع مجترح . وكل محترق

على نار الهيجاء للهياج مقترح . وكل وقاح بالحراب وقاع . وكل
صرار بارداء الكفرة نفاع . وكل غلام له من هيجان الحمية لغام .
وكل أسد غدا الى

الشد له في حومة المأزق زئير ويفام . وكل متلاف للغيرة غير
متلاف . وكل جاف عن سوى السوء متجاف . واخذوا من بيت
السلح السيوف والتراس . وطلبوا بقصد العدو الاقتناص
والافتراس . وابلوا بلاء حسنا . ووضحوا بالنكاية في العدو سننا .
ووصل في صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين . عوام من البلد
يخبر بقوة المشركين الماصرين . وان البلد ضويق . وان العدو
المخدول يحيق به كيه وان حوقق . فتقدم السلطان ليشغل العدو عن
قتال البلد بقتاله . ويكفه بنزاه عن نزاه . وجدد الكتب الى
الامصار . بالاستدفار والاستنصار . فاول من وصل ولده الملك
الظاهر صاحب حلب . وقد جمع وجلب . وتقدم عسكره يوم الجمعة
وتفرد بوصوله . وحظي من نظر والده بسوله . وذلك يوم الجمعة
السابع والعشرين ثم عاد الى معسكره . وجاء يوم السبت في حسن
منظره واحسان اثره . في منظرناضر . ورونق حاضره . وجمع
كثيف . وحشد لفيق . وبهجة رائعة وروعة مبهجة . وهياة معجزة
وهيبة للعدو مزعجة . وصوله بائلة . ودولة صائلة . ورقاق وذوايل .
وعناق وصواهل . وعوايس وعواسل . وشعوب وقبائل . وقدم في
هذا اليوم مظفر الدين بن علي كوجك وهو صاحب حران جريئة .
وقد استأنف للجهاد عزيمة جديئة . ثم عاد الى عسكره ليقدم به .
ويحضر بجنده وتركمانه وعربيه

ذكر وقوع النار في أبراج الفرنج الثلاثة واحتراقها
وتلاف كل ما كان و من كان في طباقه .

ولما كان بعد الظهر من هذا اليوم وهو السبت الثامن والعشرون
تتابعت بظهور دلائل النصر وتناصر اسباب الظهور المبشرون .

فنظرنا والنار من احد الابراج في السماء بشعلها متسامية . وفي الجو بشارها مترامية . وما يدري ما سبب هذا الصريق . وكيف تيسر هذا التوفيق واحدت النار بالبرج فانما هو كشجرة من نار . وقلوب المشركين لاستعارها في استعار . ووجوه المؤمنين لانوارها في استبشار . ثم رأينا البرج الثاني وهو يحترق . والنار في اثائه تحترق . ثم نظرنا الى البرج الثالث فانما هو يشتعل . وبأسنة النيران يبتهل فما برحنا حتى سقطت ثلاثتها ، وبلغت اليها من صدماتها وخدماتها استغاثتها . وركب السلطان ونحن معه ونزلنا نكتب بشارت النار . ونسير بطاقتها على أجنحة الاطيار والعجب ان الابراج كانت متباعدة غير متدانية . وقد أبعدا الفرنج لمسافات متناهية ، فكل واحد منها على جانب من البلد قد كشفه ، وخسف اسواره وكسفه ، فاحترقت على تباينها في وقت واحد . وقدر من الله وارد ، فلم يكن ذلك الاسرا الهيا . ولطفا ربانيا . وفرجا بعد الشدة . وثلجا لصدور المؤمنين بتلك الوقعة ، وكان سبب حريقها ان رجلا يعرف بعلي بن عريف النعاسين بدمشق كان قد استأذن السلطان في دخول عكا للجهاد ، واقام فيها باذلا للاجتهاد ، وغري بعمل قدور النفط وتركيب عقاقيره ؛ وتعيين كل نوع وتعيير مقاييره ، وتغيير معاييره ، والناس يضحكون منه . ويفضون عنه . ويدولون هذا يخضع ماله فيما لايعنيه . وما هذا الهوس الذي وقع فيه . وهو يعد لذلك العمل الآلات ، ويجد في تلك الادوات ، ويكثر القدور . ويرتب الامور . فلما قدمت الى البلد تلك الابراج ، وحصل من الامتزاج الامتزاج . قوتلت بكل فن ، واننى اليها من النفط كل قدر وبن . ورميت بكل قارورة محرقة . وكل نفاطة مرهقة . وبالح في صنعته الزراق فلم يتم في شيء منها احتراق . ووقع الياس . واستسلم الناس . فمضى ابن العريف . بل ابن العريف . الى بهاء الدين قراقوش الامير . وقال قد رأينا ما اعترض من التدبير . وما عرض من التقدير . فافسح لي في رمي هذه القدور . فلعل الله يأتي منها بشفاء الصدور . فانن له على كره . وقال ما ارى لاحراق هذه البروج على يده من وجه . فان الصانع قد ابلسوا والزرايين العارفين بالصناعة يسواه فلما وجد الاذن وزن القدور وعيرها

ورمى بواحدة منها الى احد الابراج في المنجنيق وعبرها واعتبرها
ثم لما استوت رمايته وصحت في الاصابة برايته . رمى بقدر نفط
لانا فيها . وهو يصيبها على اعالي البرج ويسقيها ، والفرنج
يعجبون من البلب ولا يدرون بما وراءه من الشعل ، ثم قذف بقدر
ناريه ، متشعبة بكل بلية فوقعت في الطاقة الوسطى ورمى اخرى
فوقعت في السفلى . فاشتعل البرج من طرفيه الابنى والاعلى ،
وتعذر على من فيه من الفرنج الخلاص وكانوا سبعين . فاحترقوا
اجمعين . وبخل اليه ايضا جماعة لاستنقاذ ما فيه فاحترقوا
بدرعهم وسيوفهم . وتقلب الجحيم عليهم غيظا لاستبطاء حذوهم .
وتحول ابن العريف الى مقابلة البرج الثاني . ولم يلحقه في احراقه
التواني ، وانتقل الى الثالث فأحرقه . وما كان ذلك بصنعة منه بل
لان الله وفقه . وما زالت تحترق الثلاثة وتتقاذفها حتى عاد جمرها
رمادا ، وبياض نارها واحمرارها في السماء على الارض سوادا .
واحترقت المجانيق والستائر التي كانت بقربها . (وبهت الذي كفر)
(البقرة ٢٥٨) واسف على نصيبه في نصيبها . وخذ الكفار بذلك
الضرام ، وسلوا عما كانوا فيه من غرام . وحبطت اعمالهم . وخابت
امالهم . وركدوا بعد حريقهم ، وركدوا الى خزيهم ، وضلوا في
سعيهم . وتورطوا في بغيهم . وسقط في ايديهم يسقوط ايدهم
وحريق مكرهم بهم ، وكيدوا بكيدهم ، وخرج رجالنا من البلد فنظفوا
الخندق وسدوا الثغر ، واظهروا بظهور القدر القدر ، وجاؤوا الى
مواضع الابراج واماكنها واستخرجوا الحديد من مكانها .
ونهبوا الرماد عن الزريعات التي انسكبت ، وكشفوا عن الستائر
التي تهتك . فاخذوا ما وجدوا وحصلوا على ما نشدوا وأترب من
ترب من تراث ذلك التراب . وعمرت قلوب المسلمين بذلك الضراب .
وبردت من حر تلك النار . وشفي اوامها بذلك الاوار . والحمد لله
الذي جعل تلك النار لاوليائه بالبرد والسلام ابراهيمية . وعلى
اعدائه بالحر والضرام جحيمية *

ذكر فصول أنشأتها من كتب البشائر بالنار

صدرت مبشرة بما أجده الله من الجد . وأنجزه من الوعد . وأجزله من الرفد . وأعد به حال الظما البرج من الورد . وذلك ماظهر يوم السبت ثامن عشر شهر ربيع الاول من الاتفاق الحسن . والنصر الذي يقصر عن وصفة ذوو اللسن . وهوان اصحابنا بعكا رموا بقدر النفط عند العدو المحصور . وأحرقوا جميع مآلهم من المنخور . واحتترقت ثلاثة أبراج كانوا قدموها . وديابات قريوها . ومنجنيقيات نصبوها . ولهم منذ تسعة اشهر يجمعون هذه الآلات . ويستسهلون عليها الفرامات . حتى اقدموا أبراجا اعلى من أبراج السور بضعف سمكها وقريوها ناكية في الثغر المحروس بفتكها . وشحنوا بالرجال المقاتلة طباقها . واطلوا على مناكب البلد اعناقها . فاشفق الاسلام من نكاياتها . واظلت الافاق من غياياتها . وكشفت من البلد جانبا وجيت من سور غاربا . فاقدر الله على احراق ما عمل في تلك المدة المنيعة في ساعة ، وأمسى العدو بقلوب وافئدة مرتابة مرتاعة . وما فصح أسن النيران . على تلك الأعواد خاطبه . وما بسط ايديها على من كان فيها من الرجال للارواح ناهبة سالبة

فصل

هذه المكاتبة مبشرة بالنظر الذي ورت زناؤه . والنصر الذي قرب ميعانه . وذلك ان اصحابنا بثغر عكا استظهروا وظهروا . وهبوا فانتصروا . ورموا من البلد أبراج الفرنج المنصوبة عليه بقدر النفط . وانزلوها من سماء الرفة الى ارض الحط . واطالوا بها أسن النار المنصرمة . ودبت من الابراج المقربة الى الدبابات المقدمه . وعلم العدو ان كرتة خاسرة وان يده عن نيل المنى قاصرة .

فصل

هذه مبشرة بالظفر الهني . والنجع السنني والنور الالامع من النار . والنصر الواري الزناد الطائر الشرار . وهو ظهور اصحابنا بعكا يوم السبت ثامن عشري وبيع الاول . وقد خصهم الله بالنجح الافضل الاكمل وقد كان العدو قدم ابراجه وسلك في المضايقة منهاجه . ولزم في الزحف الدائم لجاجه . فاستظهر الاصحاب عليهم وقت الظهر . ورموهم بقدر النقط المحرقة من الثفر . فطالت السنة النيران تدعو على اهلها باليوار . وتبدي في تضرعها تضرعها الينا للاعتار . وشاهد اهل النار ما اعد لهم في سقر . وتلونا قول الله سبحانه فيهم: كذلك نجزي من كفر (٤٣)

(فصل الى الديوان العزيز)

ولما كان ظهر يوم السبت ظهر اهل الجمعة على اهل الاحد ورمى اصحاب المحصورين المنصورون عند العدو وابراجهم بقدر النقط من البلد فضطبت السنة النيران على تلك الاعواد . بل على تلك الاطواد . والحقها رداء الردى والحقها بالوهاد . وفرشت رمانها لما تم اولئك المراد . فكانت تلك النار على الكفر خراما . وعلى الاسلام يرنا وسلاما . واحترقت الابراج الثلاثة على معتقدي التثليث . وديت النار الى الديابات والمنجنيقات بصدمه المنجنيقات . وديت النار الى الديابات . بصدمه التآثير وحدمة التأثير . وما طول ألسن النار . وافصحها بالدعاء على اهلها بالتبار . وقد ايت الى الاسلام بتضرعها وتضرعها وجه الاستبشار . وما احسنها وهي ترمي شرر كالقمر . ويكسو سنني لهبها وجوه المؤمنين بشر النصر . وما قطعها لايبر المشركين وقد خصت باحراق تلك الآلات عن البلد اجنحة العصر . ويسم بعد عيوس اليوس باسم الله ثفر الثفر . وقد بقت هذه الفجعة فجأة من

حوتة تلك البروج . وبخل الى طيقاتها قوم لاطفاء النار فتعذر عليهم الخروج . وهلك فيها اكثر من ثلاثمائة دارع . وخرج من اهل البلد لما حق الفرج كل مسابق . الى الغنيمة مسارع . وكسبوا من الدروع والمناصل والسيوف . كل ما وجدوه خلل رماد تلك الحتوف . وكان القوم قد اعتصموا بالابراج وثوقا بوثاقها . واشتدوا بشدتها فيما علق بهم من علاقتها . ووصلوا بها اجنتهم . ونخروا فيها اسلحتهم فاخذت ظنونهم . وسخت عيونهم . وخسر هنالك المبطلون . فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون .

فصل من كتاب الى اليمن في وصف الابراج واحراقها

استغفد الفرنج اموالهم في عدا اعدوها . وآلات اجدوها . واحكموا ابراجا شامخات ومجانيق شائخات . وزاد غرامهم بالفراعات . واستقلوا على عمل الابراج كثرة الخسارات . ومكثوا مدة على لجاجهم . يطرقون بين يدي ابراجهم . ويمهدون الارض لتسوية مهاجم . فلما قدموها بعد لاي . واحكموا باحكامها كل تدبير وراي . واشرفوا منها على سور البلد بامور ذات اسواء . وجاؤوا بالآلات وادوات ادواء . واشفى البلد من بلائها واشفق . ووجل كل قلب وفرق . واحتجنا لمزاولة هذا الخطب الجليل . ومداواة الامر العليل الى ان نشغلهم بحصرنا اياهم عن التفرغ للحصر . وتضرعنا الى الله في انزال ملائكة النصر . فكان من لطف الله ما لم يكن في الحساب . واتى الله المجرمين بالعذاب . والهلم اصحابنا مانا ووا به المرض . وادركوا به الغرض . وظهرهم ظهر يوم السبت الذي خصهم فيه بالظهور . واقدروهم على رمي تلك الابراج بانفط في القدر . وظهر من سر منع الله ما كان في المقدور . فتسلطت النار على عمل اهل النار . وتصاعدت زفرات غيظها بانفاس الشرار . ولبع نور النصر الساطع من خلال ظلمة ذلك الدخان . وكان كما قال الله تبارك وتعالى (يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تقتصران) (الرحمن ٣٥) وعادت تلك الاكم وهانا . وذلك الجمر رمانا .

وتحلحلت تلك الجبال وتحلل تركيبها . واصبق بالتراب ترتبها .
وتتكس منها حليبيها . وكانت ثلاثة ابراج شاهقة فلعبت في ملاعبها
النيران فانما هي زاهقة . وتثقلت نجوم الشعل في تلك البروج . وعجز
شياطينها برجعات شهبها عن الخروج . وتسلط الحضيض على
يفاعها . وياد النارعون فيها بادراعا . واضحك الله ثغر الثغر بما
اطابه من ارج الفرج . واخمد باشتعال ذلك الوهج ما اكرب قلوب
المؤمنين من الوهج . وصان مهج اهل التوحيد بما ارداه لاهل
التثليث من المهج .

(فصل)

تقدم الاشركون بالابراج الى البلد فقربوا من اسواره . والصقوا
منها جدراناً بجداره . واشرف الثغر على الخطر العظيم من جواره .
فاظهر الله ما كان خفياً من سر أقداره . واحرق عمل اهل النار
بناره . وكان اصحابنا عاينوا ما بهمهم وهمهم . وخصهم من
الخطب وعمهم . نصبوا مجانيق بازاء الابراج . وصدعوها بها صدع
الزجاج . ورموها منها بقدر الذنط فاشتعلت رؤوسها وشابت
وشبت . ومشت النار في اطرافها واعطافها ودبت . وارسل الله في
تلك الساعة بعذابها ريحا بها هبت . فامست اجنحتها قد حصت
واستمتها قد جبت . وسقط في ايبيها ووجبت جنوبها وكبت على
وجوها في النار وكبت . فما افصح السنة النيران وقد نادت
بنصرنا والفت منها قلوبنا بما الفت من نفع غليلها واحبت . والحمد
له على الطافه التي ما غابت ولا اغبت .

وقصدنا بذكر هذه الفصول ذكر الاحوال التي جرت بحققها
وحقيققتها . وحليتها وجليتها . فانه يشتمل كل فصل على تمام ما
اغفل في غيره . ومقصودنا استيعاب كل حادث يذكره

ذكر تاريخ وصول الاكابر في هذه السنة

وفي الثلاثاء ثاني عشر ربيع الاخر . قدم عماد الدين زنكي بن مودود ابن زنكي بمن استنهضه من العساكر . وكان اول من استقبله حين ظهرت راياته . من العسكر كتابه وقضاته . ثم لقيه الملك الظفر تقي الدين بقل كيسان . ولقيه بعده الملك الظافر خضرو المعز اسحق ولدا السلطان . فنزل لهما ونزلا له . وتعمدا اعظامه واجلاله . ثم تلقاه الملك الافضل ادنى من ذلك فتعانقا على فرسيهما اعفاء له من النزول . وتلاقيا بالاقبال والقبول . ثم وصل اليه السلطان بالوجه الضاحك والطف المتدارك . واعتنقا على ظهر . واتفقا على بشر ونشر . وكان الملك العادل تأخر فلحق . واظهر من ارج سجاياه ما يذشره عبق ويحبه علق . وسار مع السلطان باطلايه وابطاله . وحماته ورجاله . حتى وقف قبالة العدو بصافوه . ووقف عليهم طول الرعب وبطول وقوفه ثم ربه السلطان الى خيمته على رسم الضيافة . وترفرت الطافه عليه بالاطافه . ووقف ساعة مع الملك العادل حتى بخل السلطان سرادقه وجلس . وحضر الملك العادل بعماد الدين ويسط لفرشه ثوبا اطلس . واكرمه السلطان باجلاسه الى جنبه على الطراحة . واتسه ببشر السماحة والسجاجة . ووقف الامراء والخواص والاولياء صفيين . واتشد الشعراء من المدح والذسيب صنفين . ثم احضرت المائنة فعماد نحوها الحضور . وعقد الحبا لهم الحبور . ثم رفع الخوان وارتفع الاخوان . وحسن الخير والعيان . وخلا المكان وحلا الامكان . فامر السلطان له باحضار عشرة من العتاق العراب . وخمس عشرة رزمة من كرائم الثياب . ثم نهض وهو بعبء الشكر تاهض . واوجه العذر عارض . ونزل في خيمته وقد ضربت على التهر بعد المضارب العادلية . وملا تلك المروج بعساكره المالية . ثم وصل من بعده ابن اخيه معز الدين سنجر شاه ابن غازي بن مودود صاحب الجزيرة . بعساكره الكثيفة الكثيرة . وذلك يوم الاربعاء سابع جمادى الاولى . بالأيدي الاطول واليد الطولي . فالتقاء السلطان واخوه واولاده على قاعدة عمه . وأجراه

في الضيافة والكرامة والنزول بالضيعة السلطانية على حكمه . لكنه لم يقصر في القساعة عن رسمه . ونزل بخيمته في فناء السرايق العمادي . وقد استكثر من العسكر الجهاني . فكان ذلك المرج بحر امواجه الخيم والمضارب . او سماء كواكبها ما اشرعته من صنعائها الكتائب . او غيل أسانه في لجام القا الفوارس . او غير من السوابغ حبابه القرائك والقوانس . او سحب بروقته الصوارم الرقاق . او وهاد اكامها الصواهل العتاق . ثم وصل الملك السعيد علاء الدين خرم شاه ابن صاحب الموصل عز الدين مسعود بن مودود . وهو كواله مسعود مودود . وفي شهامته وصرامته مشكور محمود . وذلك تاسع جمادى الاول يوم الجمعة بالحاسن المتنوعة . والمفاخر الاصيلية المتفرقة . والصنائع المبدعة والبدائع المصنعة . وجيشه للقوة ضابط . وجاشه على الحمية رابط . وبأسه ليد الايدباسط وجنانه على الكفر ساخط . وهو شاب اول ما بقل خطه . وابتهج بكماله رهطه ، وكان ابوه قد عزم على الوصول بنفسه . وانهاب وحشة الخطب الملم بانسه . ثم رأى المصلحة في الاقامة وتقييم ولد المشكور المشهور الشهامة . فانهض العسكر المجر معه ثم اتبعه بمن حشده وجمعه . فورد ورود السحاب الكثور (٤٤) . ونور المطالع بسنى السنور (٤٥) واطلع بطلوعه على معنى اليأس المصور . واحتفل السلطان بقدومه احتفاله بقدوم عمه . وحافظ من الكرامة على توفير سهمه . وانزله في سرادقه و اضافه . وأهدى خيله والطافه . وامر بانزاله في الميمنة بين ولديه الملكين الافضل والظاهر . وضاق ذلك البر الواسع ببحر المساكر . ولم يبق في اهل السلطان الا من اقتدى به في الاحتفال بقدوم هؤلاء . واعتماد ما قام به البرهان على المصالحة في الولاء . والمسايرة الي الضيافة والاهداء . والاعانة الي المكارمة بعد الابداء .

فصل من كتاب الى صاحب الموصل في شكره على تسيير ولده

الحمد لله الذي نصر الدين بأهله وعجل بأنصاره جمع شمله .
ووفق اسد عرين الملك ان يحمي حوزة الاسلام بشبله . وللمجلس في
طوله اليد الطولى . والمنة الثانية التي اربت على الاولى . حيث حث
همته العليا . وحض لحظ بينه عزمته الماضية المضية . وشرف بولده
علاء الدين من تقلد بوروبه اوق منه . وتعمل من وقوده اقوى منه .
واوق جنه . فلقد ورد الى الساحل بحرا . وطلع في ليل القساطر
بدرا . واصفر لمرقبي صباح النصر فجرا . وجلا وجوه المؤمنين
ببشاه بشرى . وملا صدر الاسلام آمنا . وقلب الكفر ذعرا . ثم
وصل زين الدين ويوسف بن زين الدين علي كوجك صاحب إربل يوم
الاربعاء في العشر الاخر من جمادى الاول . ذو السماح المؤمل و
المجد المؤمل . بجيش كالسحاب للسيل . فدوت اخلاف النصر
بحقول ذلك الحقل . وورد بكل ورد هني . وجدسني . وقدم بكل
مقام . وزار خيس الجيش بكل ضرغام . وزار بكل اهتمام بالذون
همام . ووصل بكل واصل لسبب النصر . قاطع بأبر الكفر . ووفد
يكل وافد باليمن الوافي . والنهج الكافي . والعز الصافي . والعزم
المشافي . وطلع بكل طالع بالسنى . جامع للمنى . فارح بالفنى .
فارك للضى . سافك دم الشرك بالظبا والقنا . وكان هذا اول يوم لقائه
للسلطان . واحسن اليه بالاكرام وزاد في الاحسان . وكان يجمع
بين الحماسة والسماحة . والبشاشة والرجاحة . والتويد الى الناس .
والتشديد بالباس . والتواضع مع الكرم . وبذل الود مع علو
الهمم . ماله مبدول . ونواله مأمول . وسيفه على الكفر مسلول . وأمره
بالطاعة في رعيته ومن في جملته مقبول . وهو مرجو مضي . وكريم
شيء . ومهيوب مرجو . ومحسن بسنى الحمد مجلوب . وكان معه خلق
كثير . في سلك الاتساق ومسلك الاتساع تنظيم نثير . وانزل بقرب
اخيه مظفر الدين في الميسرة . وتمكن الرعب بما تم من الجمع في
قلوب الكفرة .

ذكر وصول الاسطول من مصر

كان السلطان قد امر بتعمير اسطول آخر من مصر تصل فيه النخيرة والميره . والعند الكثيرة . فلما كان ظهر يوم الخميس ثامن جمادى الاولى ظهر الاسطول . وتم بظهوره النصر المأمول . فركب السلطان في جحافله . وسدد سهام الردى الى العدو ومقاتله . واحدق به حول خنادقه . ليوسع عليه الهلاك في مضايقه . ويشغل الفرنج عن قتال الاسطول . ويسهل عليه بتشاكلهم طريق الوصول . فعمر الفرنج اسطولا . وصف شوانيه على البحر عرضا وطولا . وقدر أنه يلاقي الاسطول المنصور . ويخطر بسد الطرق عليه وصنها العبور . فجاءت مراكبنا . ونطحت مراكبهم وطحنها . واوهت متنها وأوهنتها . واخذنا لهم مركبا واخذوا منا مركبا . وكان تقصير الرؤوساء في حفظه لأخذه سبيا . واتصل الحرب في البر الى حين غروب الشمس . وعاد المسلمون بعبور القلب وسرور القدس وقتل من الفرنج عدة وافية . وكلاء الله لنا ولأصحابنا وافية .

ووصفت هذه الحالة في مكاتبة كتبها لتعرف منها
وتكشف القضية المستورة وهي :

هذه المكاتبة مبشرة بما سناه الله من النصر الهني . وهناه من النجح السني . واجنى المسلمين من ثمر الظفر الجني . وذلك بوصول الاسطول الثاني المصري المنصور . ظهر يوم الخميس متظاهرا بامداد الظهور . متوافرا بوفود الوفود . وبخوله سالما غانما الى ثغر عكا المحروس المعمر . فاثار البلد بعد انفضاضه . واجتمع اليه مدد القوة بعد انفضاضه . واستجد جنة واقية . وعصمة واقية . ونخيرة كافية . وكان الفرنج عند وصول اسطولنا المنصور قد جهزت مراكبها . وابرزت مناكبها . وحمت بالرجال

والعدو جوانبها وسنمت غواربها ورفعت هضابها وهواضبها .
وسميت على شبح البحر سحائبها وأدبت الى عقبان اساطيلنا
الحلقة بعقابها وثعابينها وعقاربها . وظننت انها تستطيل على
رواسي اساطيلنا بسواربها وانها تواجه عرائسها الحلوة بحور
جواربها . فلما جاء الحق زهق الباطل ، وصال الواصل ، وحاص
العدو من الحاصل . وانحل تركيب تلك المراكب . وحطت تلك المناكب
بما احاط بها من النواكب . وتفرقت سفن العدو شذر مذر . وعذر
حين نذر فحذر . وكسبت شوانينا ست بطس لهم فكسرتها . ووجدت
فيها عنة من الرجال المقدمين والنساء فأسرتهن . وكانت الفرنج
حملت فيها تجائر ونخائر تطلب ربحها ففسرتها .

وصل الاسطول ظهر يوم الخميس ظاهرا خميسه . ثائرا بالاسد
عريسه . في شوان العدو شوائن . وشالنديات لشله وفله
ضوامن . وحراريق لاهل النار بنارها محرقة . وعقبان مراكب في
مطار العقاب على المجرمين محلقة . وسواري هواضب كرواسي
هضاب . وسحاب بوائق كبوارق سحاب . ومن كل مركب للنصر
مركب . ومفرد من الشدة والبأس مركب . وقطعة لنياط قلب العدو
قاطعة . وقلعة لاساس اهل الكفر قالعة . وتلعة في نزوة العزة
تليعة . ونزوة في مرقى الهدى راقية منيعة ، وجاءت في البحر
امواج في الامواج . وبخلت الى الثغرا فواج بعد الافواج . وكان
العدو قد أبرز أساطيله . وجهز أساطيله . وشب عوابيه
ودواعيه . وأدب عقاربه وأفاعيه . واسمى مناكب مراكبه . وجد في
امهاء غروبه وتسليم غواربه . ولما وصل الاسطول طال
وصال . ولاح للعدو صده بحيلة حال فعال . وامتنع مراده
واستحال . واخذ الاسطول من مراكبه الكبار ست قطع قطعت
اسبابها . وقصمت من عينة الصليب اصلابها . وخيب حسابها .

فصل

وصل الاسطول الى البلد مستطيلا بالجلاد والجلد . وأثري به
الثغر بعد الانفاض . واجتمع به شمل الرجاء بعد الانفضاض . ودخل
اليه ماخرج عن حد الحصر . من نخيرة وميرة توجب كثرتها قلة
المبالاة بالحصر . فان الرايات المنصورة علت فجلت في الافاق
رياضا . والمراكب الاسلامية انقضت ففضت للمسلمين
اغراضا . ووافت وقت فاعادت جواهرها مراكب العدو
اغراضا . وجاءت سواريتها كالرواسي . وجواريتها محكمة
المراسي . ومن شيمة حراريقها شيم بوارق البوائق لاهراق اهل
النار في الماء . ومن عمل مراكبها الصاف مناكب الكفار رداء
الارداء . من كل جبل يمر من السحاب . وضامر يشد شد
العراق . وعقاب معلق على الشراك في مطار العقاب . وغراب ناعب
في اعداء الله بين الاحباب . وهضبة موفية على الهضاب . وقطعة
وافية من الكافرين يقطع الرقاب . وما احسنها وقد زفيت
عرائس . وجليت اوائس . وطلعت بأهل الايمان بواشر زعلى اهل
الكفر عوايس . وعادت بها رسوم مراكب الفرنج دوارس . وخلا
وجه البحر من سفن الضلال وتقلص مالها من الظلال . ولما شوهد
الاسطول ساطيا . وجيد النصر منه عاطيا . وأخذ البحر من
الاعداء بحقه . وأشرق سنا النج في أفقه . ركب العسكر المنصور
للقتال وأخذ أهبة النزال . وزحف الرجال الى الرجال . والتقى
الابطال بالابطال . وشفيت بدم الكفر غلة المناصل
والنصال . وأحمرت البيض الظلمات ورويت من نجيع
الزرق . وبشرت جياح العواسل من اليراع العاسل يعاجل
الرزق . وظل اهل الضلال وقد كفهم الكفاح . وفكهم القتل
والجراح . وأقوى الاقوى من الثبات . وبطل بطلهم بما أخونه من
الجراحات . وبات المسلمون وأتقين من الله بأن جمع الكفر قريب
الشتات . وأدرك المشركين ما فاتهم من الآفات .

ذكر قصة ملك الألمان وصحة الخبر المتواتر بوصوله

صح الخبر ان ملك الألمان عبر من قسطنطينية الخليج . وخطب في تلك المروج بمروجه الخطب المريج . وأنه وصل بجمعه الى مضايق صعب عليه منها العبور . وعمهم في نهضاتهم العثور . فقيل انهم أقاموا في قفار ومواضع شهرا . عدموا فيها الطعام ولم يجدوا بها إلاضرا . وكان التركمان الأوجيه (٤٦) على طريقهم . يمتعون بغربهم (٤٧) من تشريقهم . فاضطروا الى المقام بغير زاد . وهم في جهد وضر واجتهاد . فصاروا يذبحون خيلهم ويأكلونها . ويكسرون قنطارياتهم لققذان الحطب ويشعلونها . فترجلت منهم الوف . ورغمت أنوف . وكان ذلك في البرد الشديد . وزمان الثلج والجليد . فجمدوا وخمدوا . وتجلدوا وتبدلوا . وعدموا دواب لحمل الأثقال . ونقل عدد الرجال . فدقدوا وأحرقوا منها . وتركوها وسلوا عنها . وكان ذلك من الله لطفا . وأمسق قوتهم ضعفا . وكانوا في خلق لايعد . وجمع لايحيد . فما أثر فيهم ذلك النصب . ولاصدهم عن مقصدهم ذلك التعب . ومازالوا يسيرون والأوجية تبني لهم للوبال في أوجها أوجها . والأفرنجية لاتنتهي حتي تبلغ الي مالها من منتهى . حتي بلغوا الى بلاد قليج ارسلان بن مسعود . ومسلكها دونهم غير مصدود ولامسدود . وقليج ارسلان محكوم عليه من ولده قطب الدين ملكشاه . وهو يدبر امره ويتولاه . ويسومه الاكراه . فعارضهم لما قربوا وتعرض لقتالهم . وطاردهم ليضيق عليهم سعة مجالهم . ثم اندفع من بين ايديهم . وتعدى عن جانب تعديهم . وبخلوا قونية دار ملك المسعودية . واعتصم قليج ارسلان بقلعتها المحمية . وتراسل وهو ملك الألمان واتفقا في الباطن على ماكان بينهما من المواثيق والايمان . وحمل ملك الألمان له وقرا واغرا . واشبه المسلم بالكف عن الكافر كافرا . ووافق على العبور الى الاقاليم الشامية . والبلاد الاسلامية . وعلى انه يسير في بلده الى بلد ابن لاون . واعطاه عشرين مقدما من اكابر امرائه ليكونوا معه حتي يصل الى المأمن

رهائن . وامر الناس بمبايعتهم على ما يسومونه . وان يعاوضوهم من الخيل والعدة بما يرومونه . واقام لهم الاسواق وعرض عليهم الامتعة والاعلاق . فساروا في رقة ورفق وتقويلا توق . فلما وصل الملعون الى بلاد الارمن غدر بالرهائن . وساقهم محمولين مع الظعائن . وتناول عليهم بان التركمان سرقوا منهم في طريقه . ونكث جميع مواثيقه ، ووصل ليقون بن اصطفائه بن لاون مقدم الارمن الى خدمته . وبخل في طاعته ، وكان يجره خاليا من عسكره بمجرده . وذلك في طرسوس . فتمكثوا بها ليربحوا بها النفوس ، وقيل عن كلب الالمان ان يسبح في النهر . ويميط عنه ماعراه من الوضر والضر . وكان شيخا مسنا قد عاد لكبر سنة شنا . وحسب انه اذا سبح سحب نيل الاستراحة فكان موته في تلك الراحة . وهلكه في تلك السباحة . فانه عام في الماء البارد . وتورط منه في اصعب الموارد . وخرج وبقي مريضا الى ان خرج من ثوب البقاء وتحول الى فناء الفناء . وتلقاه مالك بالزياتية . وحملوه الى نار الله الحامية . وسمعت نبرانيا يقول في معناه : كنت معه لما سلك فهلك واعجله مالك النار عما ملك . وذلك ان النهر ما كان فيه الا عبر واحد والعسكر فيه متزاحم متوارد . فقال ملك الالمان هل تعرفون موضعا يمكن فيه العبور ويؤمن فيه العثور فقال له واحد:ههنا مخاضة ضيقة من احترز فيها عن التيامن والقياسر عبر ولا يعبر فيها الا واحد بعد واحد اذا تثبت واستظهر . فبدر الى تلك المخاضة ذات الجرية الفياضة . وبخل الماء فطغى على ذلك الناري الطاغي . واعجل ذلك الباغي عن المباغي . ورماه في جريانه الى شجرة شجعت جبينه وجبنت جاشه . وعثرته بحيث لم يؤمل انتعاشه فقتبوا في اخراجه . وايسوا من علاجة . ومات عدو الله شر ميتة وبلي شمله بتشتيته وحبله بتيتيته . وخلفه ولده على خلف من اصحابه واجناده . لكان الولد الذي خلفه في بلاده وقيل انهم سلقوا ذلك الهالك في قدر حتى تخلص عظمه . ونهرى لحمه . ثم جمعوا في كيس عظامه . وراموا بذلك اكرامه واعظامه ليحملوه الى كنيسستهم بالقدس قمامة . ويدفنوه على ما كان اوصى به . ولما عرف اين لاون بهلاكه . وسكون حراكه ، وما جرى من الاختلال والاختلاف بموته . وانه لاتلاني لما

فرط من تلقه وفوته فارقهم الى بعض قلاعه . واتصل الضربهم لانقطاعه . ووصل كتاب من الكايا غيكوس صاحب قلعه الروم يرغب ويرهب ويبرق ويرعد . ويقول ويعند ويدهد ويهدد . ويرى انه ناصح . وللقصه شارح . وان الامر واضح . وان الضطب فظيع فاضح . وان هذا الملعون اول ما خرج من بلده اوصى فيه الى ولده . ثم جاء الى بلد الهذكر فدخله غصبا واوسع نهبا . حتى اذن له وانقاد . وبلغ بطاعته المراده وانه اخذ من ماله ورجاله ما اختار ، وتزود من عنده وامتار ، ثم وطىء ارض ملك الروم وداسها . وتوسط ديارها وجاسها وفتح بلالها وملك قباها . واحوج ملك الروم الى طاعته والزمه بما بخل في استطاعته .

واخذ منه من الذهب خمسين قنطارا ومن الفضة خمسين . ومن الثياب الطلاس المعدنية ما بلغ الالوف وتجاوز عن المشين ، واخذ على سبيل الرهائن اربعين من خلصائه . ومعروفي كبرائه . واخذ كل سفينة غصبا ، وسحب على ذلك البحر في التعسفة . من مراقبه سحب . وانه لما عبر وفرغ من الخروج . تلقاه بالخيول والدواب والايقار والاغنام تركمان الالوج . ثم وقع بين التركمان وبينهم ، وجالوا حولهم ثلاثة وثلاثين يوما يرومون حينهم . وهم في طريقهم سائرون . وعلى مقاتلتهم صابرون . حتى قربوا من قونية فاعترضه قطب الدين ولد قليج ارسلان . والتقى الاقران بالاقران . وهزمه ملك الالمان . ولما اشرف على قونية خرج اليه جموعها . وطالت اليه بالحرب بوعها . ثم اندفعت حيث ضم على الروع روعها . وانه هجم على قونية غزوة . ونال منها حظوة . واقام خمسة ايام حتى استقرت بينه وبين قليج ارسلان قاعدة اكيده . وحصلت لكل منهما فائنة مهيبة . واخذ منه رهائن عشرين . ومن اكابر دولته المتميزين . وقدم كتابه الى ابن لاون بالجواز في بلاده ، فتلقيه بما اعده لارفاقه . ونزل حين وصوله الى طرسوس على بعض الانهار ونام ساعة بعد تناول الطعام . ثم انتبه وتشوق الى الاستحمام . فحرك عليه الماء البارد مرضا . وتشكى اياما قلائل مضضا . ثم قضى . وانقرض اربه وانقضى . وخلفه

ولده بعده . واستمال جنده . وكان ابن لاون قد سار قاصدا للقاء
ابيه . فلما عرف مسوته وجلوس ولده اضرب عن تلقية . وعرض
عسكره في اثنين وأربعين ألف مجفف . من كل سرحان أمرت
ونثب اغضف . وأما الرجالة فلكثرتهم تعذر العرض . وغص بهم
طول الارض والعرض . وقد لبسوا الحديد للحداد على البيت المقدس
وهجروا الثياب . ولزموا المصاب . وبأومروا الاكتاب . وهم
صابرون على الشقاء والتعب . لامل الظفر بالطلب .

ولما بلغت هذه الاخبار . اضطربت الديار . وارتفعت الانجاد
والاغوار . وقالوا هذا جانب لا يطاق . واي جانب قصده عنه لا
يعاق . ولا شك انه يتوسط بلاد الشام . ويثلم ثغور
الاسلام . ويشغلنا عما نحن فيه من هذا الاهتمام . وعزم السلطان
على استقبالهم بالردى والرد . وصدهم عن القصد . ثم ثبت على
رأي الثبات . وتنتظر الاوقات بما يتجدد من الصادات . وتقلقت
عزائم الذين بلائهم على طريق القادم . وانه يعود كل منهم الى
مكانه أخذا بحكم الحازم . فأول من سار ناصر الدين محمد ولد
الملك المظفر صاحب منبج ، ليجمع على طريق العدو ويزعج
ويهرج . ثم عز الدين بن المقدم . الياس المعلم . ثم مجد الدين
بهرام شاه صاحب بعلبك . ليجمع ويأخذ على العدو المسلك . ثم
سابق الدين عثمان صاحب شيزر . الليث الهمام القسور . ثم الديار
وقية اسد الهياج . ونجوم ليل العجاج . ثم رحل الملك الأفضل وقد
عرض له ألم . ثم بدر الدين والي دمشق وقد ألم به سقم . ثم سار
الملك الظاهر صاحب حلب لاضطرابها بغيبته وبهذا الخبر . ولخوف
الناس فيه انهم على الخطر . حتى غلت الاسعار واستعرت
الفلة . وخلت الاماكن وتمكنت الخلة . ثم رحل الملك المظفر تقي
الدين لحفظ ثغر اللانقية وجبله . ويثبت بقدمه عليها الرعية
الخائفة المجفلة . وكان هو آخر من سار ليلة السبت التاسع من
جمادى الآخرة . ورتب السلطان منازل العساكر الحاضرة . وخفت
المدينة برحيل معظم من كان فيها مقيما . ولحفظ النوب في اليك
مستقيما . فانتقل الملك العادل اليها . وجاء الى منزلة الملك المظفر

ونزل عليها . واستقام الترتيب وترتب المقام . واعتز الصادقون
وصدق الاعتزام . ثم مرض أكثر العسكر وخام للوخم . والم بالبعد
للآلم . وكان بحمد الله المرض سليم العاقبة قريب
العافية . مستعقبا لالطاف الله الواقية الواقية ، ووقع المرض في
الفرنج وكان المبيد المبير . والمثني لأصحاب السعير السعير . وعم
فيهم الموت والوبا . وكثر عن نبواتهم التبا . وتقدم السلطان بهدم
سور طبرية . وهدم يافا وارسوف وقيسارية . وهدم سور صيدا
وجيبل ونقل اهلها الى بيروت .

عاد حديث ملك الالمان

واما ولد ملك الالمان فانتهس . ومرض اياما في بلد الارمن
واحتبس . وهلك اصحابه جوعا ومنهم من عزم رجوعا ووقع الموت
في خيلهم ، فانن نلهم بقلوص نيلهم ، وقدم الملك لمرضه . والتياث
جوهره بعرضه جموعه قدامه . وساروا امامه . وخرجوا لكثرتهم
في ثلاث نوب ، في بيض وسمر وبيض ولب . ومعظم رجالهم حملة
عصا وركاب حمير . غير عارفين بطريق ولا متحفظين في
مسير . والناس يلتقطونهم ويتخطفونهم . ويتألفون على مسالكهم
ويتلفونهم . ووصلوا الى انطاكية ووصل اليها الملك . بعد ان ضاق
به وبجمعه اليها المسلك . وضاق به الابرنس صاحب انطاكية
زرعا ، ولم يجد لهم عنده مطعما ولا مرعى . وطلب منه القلعة
فاخلاها له . ونقل اليها ماله واثقاله . وسأله ان يجعل طريقه على
حلب فخاف . وابدى له الخلاف . وقبل وصوله الى انطاكية قلت
جموعه وجنوده . وبلت بحشد التركمان حشونه . واجتازت الفرقة
الاولى منهم تحت قلعة بغراس . فلقيت البوس والباس . وخرج
رجالها عليهم على قلتها ، وصدمتهم ببسالتها ، واسرت منهم زائدا
على مائتين ، وطمعت فيمن وراءهم من الفئتين ، وقيل انهم حسبوا
ان بغراس باقية بحالهما مع النابوية . فجأؤا اليها سحرا بأحمالهم
واموالهم السنية . فلم يشعر اليها الا باليغال على الباب

واقفه . والجني دان يرقب ان يكون له ايد قاطفه . فخرج اليها وتسلمها بغير طعن ولا ضرب ، وتخلى عنها اصحابها لما عرفوا الحال ولم يعرجوا على حرب . فاستغنى الوالي من ذلك اليوم . من مال القوم . ثم انكر حتى لا يطالب بشئ منه . وغفلت الايام عنه . وذكر الامير علم الدين سليمان بن جندر في كتابه . انه انهض جماعة من اصحاب امرء حلب واصحابه . ليقتلوا اثارهم . ويكشفوا اخبارهم فوقعوا على خلق عظيم منهم فخالطوهم ولم يرجعوا عنهم . وانقضوا عليهم انقضا البزاة على الحجل . وزاروا فيهم زئير الاسد في النقاد . وزاروهم بالاجل . واسر كل واحد من اصحابنا ثلاثة واربعه . وتركوهم متمزقة متمزعه . وعادوا بالاسارى الى حلب وباعوهم في الاسواق . وامتلات بالاسلاب منهم والاعلاق . فطابت قلوب الرعايا . وانست من الله بما ظهر من الطافه الضفايا . وطمع فيهم اهل القرى . والتقطوهم من الوهاد والندى . وما صدقوا بالسلامة حتى اوامهم الابرنس الى انطاكية . واراح من الامها الألمانية . وذايوا في هذه الطرقات ذوبا . وصب عليهم العذاب صبا اذا اخذوا صوبا . وهك بانطاكية الكند الكبير مقدم العسكر . وتبعه الى سقر كبير من ذلك المعشر . وحصل الابرنس بتلك الاموال المجتمعه . والنخائر المودعه . حتى قيل انه انما رغب في الوصول الى بلده . ليحصل على سببه ولبسده . فأخلى له قلعه . لينقل اليها خزانته . ففعل ومارجع اليها . واحتوت يد الابرنس عليها . ثم ساروا على طريق الساحل . بالفارس والراجل ، وخرجت عليهم خيل جبلة واللاذقية . وسقتهم كؤوس المنية ، والقتهم على البسوس والبلية . فأغذا في السير حتى وصلوا الى طرابلس وقد نقص نصفهم . وتم بعواصف البلاء نصفهم . وبلغ امدهم وانتهى مندهم . وجبن الملك عن المسير على الطريق . لما لقيت جموعه في طرقاتها من التفريق . فركب البحر في . عدد يسير لا يزيد على الف . برعب قلب وقصور يد ورغم انه . واختلط مع الفرنج على عكا فسقط اسمه . وسخط حكمه . وهك بعد قليل . ولم يحظ

بنقع غليل ، وسألم بذكر حالاته في مواضعها . وذكر مصارف
جماعته ومصارعها .

وكتبت الى الديوان العزيز فصلا بخبر ملك الالمان عند ارجاف الارجاف به

قد وصل الخبر بالناحية النعماء . والغمة الغمء . والنكبة
النكباء . والشدة النعماء والليلة الليلاء . وهي ان ملك الالمان ومعه
ملوك الافرنجية وحشودها . وقوامصها وكتوبها . واحزاب
الشياطين وجنودها ، والوية اللاواء وبذوبها . وصل جارا على
السماء نيول قناته . مجريا في الارض سيول لهامه . نائرا بأطلايه
لطلاب ثاره . سائرا بخيله ورجله كالسيل الى قراره . وانه في
عصائب صلبان في عصيبتها متصلبه . واتباع شياطين لارضائها
متفضبة . واسراب سراحين على سرح الاسلام متوثبة . وانه في
مئين من الالاف الالاف للمزون . واقطاب الاعطاب الدائرة لدوائر
سوتها رعى الحرب الزبون . وقد اوقدوا للشر شرارا . واضرموا
للشرك الداعي الى النار نارا . فإن حسرتهم على قسامتهم
دائمة . وقيامتهم قائمة . والموت يدعوهم الى المقبرة التي
يدعونها ، والالاجال تلييهم لنهايهم التي يدعونها . وكان خبر
وصوله متداول على السنة الارجاف . وتشيعه اعداء الله من قبل
للترهيب والتخويف . واستعدت العساكر الاسلامية للتوجه الى بلاد
الروم في الربيع . ليقع التساعد مع عساكرها على دفع تلك الجمر
باتفاق الجميع . وانتظر ورود خير صحيح . وبقين نبأ بامر
صريح . حتى اذا صبح الخبر . سار العسكر ، ثم انقطعت
الاخبار ، وتمادى الانتظار ، ومضت شهور الربيع اذار . ونيسان
وايار . وكانت كتب سلطان الروم قليج ارسلان واولاده ورسلم
متواصلة بما ينبيء عن التعاضد . ويبيني امر الوفاء والوفاء منه
على التعاون والتعاقد ، وهم بانهاء ما يصح عندهم
واعدون . ويزعمون انهم في رد الواردين وارباثهم

مساعدين ، فأخلف ذلك الوعد . وضع ذلك العهد ، ووصلت كتبهم بفترة في هذا الاوان ، بما تأخر به الخبر عن العيان ، وقالوا: انهم قد توسطوا ببلاد الاسلام . وانهم على قصد الشام . ثم ورد الخبر بانهم صالحوهم وصانعوهم ، واخلاوا لهم الطريق وادعوهم . ووسعوا لهم في المضايق . وسعوا في أمن طرقهم من الطوارق . وهذا حادث كارث ، وباغت فاجيء فاجع لاهل الحمية في الدين باعث . وناكب لعقود العقول في تعاظم ضروره وتفاقم خطره ناكث . وقد تعين الجهاد على كل مسلم . وما في الوجود مؤمن يكون له هذا الملم غير مؤلم . والاهتمام بدفعه من افرض المهام واهم الفروض ، والخادم منفرد في حمل عبء هذا الفادح الباهظ بالنهوض . وهو واثق بان بركات الدار العزيزة تسدركه ولا تتركه . وان الذي يستبعد من النصر القريب يتسق ويتسع به سلكه ومسلكه . إن شاء الله .

فصل فيه في جواب امير

عرفنا خبر العدو المشؤوم ، الواصل من جانب الروم ، وهذه هديه اهداها الله الينا ، وفضيلة خصنا الله بها حيث اقامنا في مقابلة اعدى اعدائه ، واقدرنا على مقاتلة من نازعه في كبريائه ، وقد ساقهم الموت الى المقبرة التي يدعونها ، ولبتهم المنايا التي يدعونها ولا يدعونها ، ومعاقلنا بحمد الله قوية . وصوارمنا من دماء اعداء الله روية ، فيجب ان يكون في جميع اموره محتاطا ، ويظهر بما يغنمه الله من اسلابهم واشلائهم اغتباطا

فصل من كتاب الاستنفار

قد عرف ان العدو الالمانى المخذول قد وصل فما لقعوبه عن هذا المقام معنى ، وما لمن تأخر عن نصره الاسلام من ثمرة السعاية

مجنى ، وهذا وقت نهوضه بجميع اهل بلانه واوان بذل وسعه وجهه واجتهاده ، فانه محضر لا يغيب عنه الا من ليس له عند الله خلاق ، وموقف يفى بعهد الله فيه من سبق له ، معه في السعانة ميثاق ، وانها لغنيمة اوفدها الله علينا . وهدية اهداها الله الينا وقضية خصنا الله بها واسعدنا بسببها ، بل هي بلية جلالة النعمة فيها ، بل قضية وفي الله في النجح بموعود توافيها ، بل ملمة اختارنا الله لدفعها . وطاغية استدعى اوليائه لقمعها . وثائرة كلنا الله باطفاء جمرها . وارداء جمعها . فلينهض نهوض الكريم الى مساعدة الكرام . وليخطب اهتمام العظيم بملايسة الخطوب العظام . وليثب وذوب الاسد على الفريسة . ولينتخ للاسلام انتقاء ذوي الانفس الالوية والهمم العلية النفيسة . وليكن اول سابق في مضمار الجد . واسعد طالع في افق الجلد . فان الاسلام في انتظاره . والمطالع مستشركة الى اشراق انواره . لازالت الاقدار جارية في اسعاد الدين والدولة باقداره .

فصل من كتاب

قد احاط العلم بما عرا من الملم . وعرض من الخطب المدلهم ، ووصل من العدو السائر . ونزل من النازلة التي هي ام النوازل . والدائرة التي هي ام الدوائر . وقد ان للإسلام ان يسلم . وللإيمان ان يعدم . وللتثليث ان يعلن . وللتوحيد ان يكتم . وللکفر ان يقدم . وللهدى ان يحجم . فقد قذف البحر من الفرنج بزيده . والبرأتى آتیه من كل بلد للکفر بسببه ولیده . ووصل الالماني المخذول بعنده وعنده . وهذا خطب قد بهم . وعدو قد هجم . وشر قد نجم . وجمر داهية قد وقد . وجمع طاغية قد وقد . في جيوش جاذشة . وجموع طاذشة وجنود محشوره . وبنود مذشورة . وخيول مجفجه . وسيول مجدحه ، وهذا اوان تحرك ذوي الحمية . ونهوض اهل الهمم الالوية العلية . فان القوم في كثرة ولايقاثلون الا بالكثرة .

وهم مفترون . جعلوهم . معتزون بعثورهم . مستنون في طريق العثرة
والسيل اذا وصل الى الجبل الراسي وقف . والليل اذا بلغ الى
الصبح المسفر انكشف . والمجلس اولى من تسولي تفريج هذه
الغمة . وكشف هذه الملة حتى تخلف اماني الالمني . وتبطش
ايمان الالمني . وتخذل انصار النصراني . وتجنني وتبر رؤوس
الجنوي والبيزاني . فايين المؤدون فرض الجهاد المتعين . واين
المهتدون في نهج الرشاد المتبين . واين المسلمون وحاشي ان يكونوا
للاسلام مسلمين . واين المقدمون في الدين ومعاذ الله ان يكونوا في
نصرته على الموت مقدمين . ولولا التقيد بهذا العدو الرابض .
لاطلقت عنه النهضة الى العدو الناهض . ولايد من لقائه قبل تلفق
الجمعين ، وارة الملاعين وجوه حتوفهم مله العين .

فصل فيه

قد سد طريق الفلق فيلقه الطارق . وزحف الى الحق الثابت باطله
الزاهق . وجال بالوجل وجاء بالوجيب . وثار لثار الصليب
السليب . وقد قد جمر جمعه . ورتق فتق الصبح رقع ذقعه .
وماقض الفضاء ختام قتامة . حتى ختم على ضوء نهار الهدى ليل
الضلال بظلامه . والرجاء محقق ان الالمني مخفف بانامه .
والاسلام مشفق من اسلامه . واللين موفق بنصرة امامه . وعصمة
الله الواقعة الواقية من ورائه وامامه . والله الكافل باعلاء اعلامه .
واحكام احكامه .

ذكر الواقعة العادلية

كان الفرنج لما صح عندهم وصول ملك الالمان الى البلاد . وانه ملا
احشاء الربا والوهاد بالاحشاد . قالوا انه اذا جاء لايبقى لنا
حكما . والصواب ان نشيع لنا قبل شيوع اسمه اسما . لاسيما وقد

خفت عساكر الاسلام . وقفل اكثرها الى الشام . فنحن ننتهز
الفرصة . ونحضر الحصة . ونهتبل الغره . ونهجم عليهم هذه
الكره . ونذيقهم المرة المرة . ونفرغ من شغلهم قبل مجيء القادم .
ونمت بعز العزائم ونفل حدودهم بحدود الصوارم . فخرجوا ظهر
يوم الاربعاء العشرين من جمادى الآخرة . في حشر يذكر بحشر
الساهره . واسود بياض النهار من سوادهم . وتراعت الاجسام لنا
متوافية باسادهم . وامتدوا الى الخيم العادلية ، واشتدوا بما
استصحبوه من البلية . في كل ثئب امعط . وسيد قد تورط .
وسرحان سرح . واقعدوان كلع ، وجهنمي تجهم فهجم ، وجحيمي
أقدم وما احجم ، وسعيري ناري استعار خدمة النار . وسقري
قسوري عاد بعانة الاقتسار . وباروني طالب للبوار . واسبتاري
راغب في التبار ، وداوي معضل الداء . وتركبولي غير تارك للبلاء .
وسرجندي كرار . وفريزي غير فرار . وفارس يفرس الرجال .
وراجز يرجز الفرسان الابطال . وازرق رزقه الموت الاحمر . وانمشي
يمشي واليوم اغبر . واشقر وهو اشقى . وابقع اذا غوى في الوغى
ماترك ولا ياقى . وبخلوا الخيم العادلية وتجاوزوها . وقد كانت
اخليت قبل ان يجتازوها . ووقف الملك العادل بطلبيه . وعن يمينه
ويساره امراء الميمنة الذين بقره . مثل صارم الدين قايماز النجمي
وعز الدين جريك الذوري . وجماعة من المعروفين بالشهامة .
والموصوفين بالصرامة . ولبت الملك العادل لبث المضادع المخاتل .
حتى يطلع من العدو على المقاتل . فقادتهم الاطماع الى الانتشار .
وافضى بهم الاعتزاز الى الاغترار . فحينئذ بدأ بالحملة ولده الاكبر
شمس الدين مردود . وهو في كل وقعة يحضرها جاد مجدود .
فعضده والده ولده مساعده وساعده . وحمل معه العسكر الحاضر
قبل ان تتصل به العساكر . فكسر الفرنج كسرة فرشهم على
الارض وذكرت الواقعة العارضة بسوقوعهم في النار يوم العرض .
وكانوا قد بعدوا اكثر من فرسخ . واجفلوا ولم يلتفت اخ الى اخ .
وركبت العادلية اكتافهم . وقلوا فيهم اسياهم .
وعقروهم وعرقوهم وبعجروهم وبعجروهم . وحكموا في الرقاب
الغلاظ منهم الرقاق . وضربوا ممن اعتنقوا اليهم الاعتاق . واشبعوا

النوبة بلا نائبة . والغزوة بلا شائبة . وقتل منهم زهاء عشرة الاف . ولم يبلغ من استشهد من اتباع العسكر عشرة . فاغتنمها تجارة رابحة وغنيمة ميسره . ولما عرفت بالواقعة . والنصرة الجامعة . صدرت ثلاثين اربعين كتابا بالبشارات . يابغ المعاني وابرع العبارات . وقلت اذا نزل السلطان وجد الكتب حاضره . ولارى البشائر شائره . وركبت انا والقاضي بهاء الدين بن شداد . لمشاهدة ما هناك من اشلاء صرعى واجساد . فما اعجل ماسلبوا وعروا . وفروا وفروا . وقد بقرت بطونهم . وفقت عيونهم . وراينا امرأة مقتولة لكونها مقاتلة . وسمعتها وهي خامة بالعبدة قائلة . ومازلنا نطوف عليهم ونعير . ونفكر فيهم ونعتير . حتى ارتدى المشاء بالظلام . فعدينا الى الخيام . واخذت الكتب التي نمقتها . بالبشائر التي حققتها . وجئت وانا السلطان قد استبطاني . وعدم اجابتي لما دعاني . فما صبر ولا انتظر . ولا ترقيني ان احضر . ولا مهمل ان اعطي البشارة حقها . واجلوا بانوار المعاني افقها . وابغ بالبالغة مداها . واسبغ بتقليص الضلالة ثوب هداها واصف بحدود الاقلام ما صنعت حدود السيوف . واروج نقودي عند السلطان واغنية عن الزيوف . فابصرت عنده مشرفي المطايغ والايات . ومدوني الجرائد بالاثبات . وقد كتبوا تلك البشارة الثقيلة الجلية في رقاع خفيفة . بعبارات سخيفة . وقد عطلت الدساء من حليتها . وعروها من بزتها . وشوهوا جمالها . واحالوا حالها . فذهب بها المبشرون . وسار القاصدون . فما كان لتلك الواقعة عند من وقف عليها وقع . ولا تم لغليل من رام الاطلاع على حقيقتها نفع . وارادوا بدمشق قراءتها على المنبر فما استحسنوها . ولو ورثتهم بزيئة عبارتي وبراعتي زينوها . وفي تلك الحالة التفت السلطان الي وقال اكتب بهذه البشارة الى بغداد . وعجل بها الانفاذ . فقلت على سبيل العتب انتم ماتريدون ما لكتبه . ولا ترغبون فيما ارتبه واهذه . فقال كانك كتبت البشائر فهاتها . حتى تهدي الى طرقاتها . فقلت ما فات فات . وهيها هيهات . واخرجت له ما بقي من بشارات البلاد التي اذشأتها . بالالفاظ والمعاني التي ابتدعتها وابتدأتها . فسارت فسرت البعيد والقريب .

وخصت من جدها بالخصب الجنيب . وصنحت باسجاعها المناير .
وصنحت يسماعها المفاخر . وظهرت بعباراتها العبير . وبهرت
بزبرها الزبر . وعمرت بمعانيها المعاني . وعمت مباهجها مناهج
الاقاصي والاداني فما اصحها كسره . وما اسحها نصره . وما بينها
محجه . وما اثبتها حجه . وما افرجها مسرة . وما اسرها فرجه .
وما أبرحها بالكفر صرعه . وما اوضحها للاسلام شرعه .

فصل في ذكر حالهم

لما عرف الفرنج انفصال جماعة من الاكابر . ومفارقة عدة كثيرة
من العساكر . خرجوا متجاسرين . وامتدوا متقاطرين . وانتشروا
متفاورين . واغاروا للواء اللاواء ناشرين . ووصلوا في الميمنة الى
الخيم العادلية فاخليت حتى يخلوها . وتفرقوا فيها بجموعهم
وتخللوا فركبنا اليهم . وحملنا اليهم . وتركناهم صرعي بالعراء .
فوخى بالقضاء . فما بكث عليهم الارض ولا السماء . ورويت
السيوف من دماثهم . قبل ان تشيع الوحوش من اشلائهم . وظهرت
لنا نعمة الله في بلائهم . وحيى الاسلام بهلاكهم . وضمتهم اشرار
الردى برداء اشرارهم . وانجلت المعركة عن اكثر من عشرة الاف
قتيل كافر . وثبت حكم ادالة الاسلام وظهوره باوضح دليل ظاهر .
ولو اتفق خروجهم من مراكزهم بأسرهم . لكنا فرغنا من شغلهم
واخلينا بالنار بتأييد الله من امرهم . والآن قمع انطفاء جمرتهم .
وصحة امزجة العزائم بكسرتهم . وتطرق اقله الى كثرتهم . نرجو
من الله ان يسهل امرهم العسير . ويهون خطيئهم الخطير . وان
ظهورنا عليهم قطع ظهورهم . وعثور هذه الواقعة بهم حقيق
عثورهم والله تعالى يحقق تبارهم وبحورهم .

فصل فيه

وصلوا الى الخيم العادلة في الميمنة الميمونة . واشتغلوا باستباحة احوالها المصونة . فاطلقنا عليهم الاعة . وشرعنا الى نحوهم الاسنة . وبعنا الذفوس لندسلم ثمنها الجنة . وفرشناهم على الارض . وابينا بارداً لهم بعض القرص . وانجلى المعركة عن عشرة الاف قتيل مشرك . وشملتهم المنون فكانهم جاؤوا على موعد مهلك . واروينا من دمائهم ظمأ السيوف . وجعلنا اشلاءهم قرى الوحوش لالضيوف . وامن الاسلام بحمد الله من الخوف . وادرك الله باخذ ارواحهم رمق الدين الملهوف . وهذا دليل ظاهر على ركود ريحهم . وخمود مصاييحهم .

فصل

حملت عساكرنا عليهم . واحاطت بهم من حوالهم . ورضتهم بالدابيس واللثوث . وتركتهم سرعى بتلك المروت . وساحت بتلك الساحة دأماء الدماء . واكتسى عربى العراء بتلك الاشلاء . وافضى بذلك الفضاء جمرهم الى الانطفاء . وامرهم الى الانقضاء ورتعت ثعالب الرماح من كلاء كلاءهم في المرعى . وانجلى المعركة عن مهلكة عشرة الاف . فترى القوم فيها صرعى . وطابت من نتن جيوفهم ربح النصر . وحنى من سماجة مرأهم وجوه النمر . والان الان الله شدة شككتهم . وقط شوك شوكتهم . وهبت نكباء نكبتهم . ونرجو ان يسهل من امرهم ما تصعب ويؤلف بصدعهم من الاسلام ما تشعب .

فصل

وصلوا الى الخيم العادلية فدخلوها • وتفرقوا فيها بجمعهم
وتخللوا • وكان ذلك قبل تكامل ركوب العساكر • وتموج بحارها
الزواجر • فحمل الملك العادل ومن هو قريب منه من الامراء
والمماليك كولنا الحسام بن لاجين وصارم الدين قايماز النجمي
وبشارة وجريك وعطفوا عليهم عطفه صدقتهم عن
الانعطاف • وصرفتهم عن الانصراف • وشارت اثارهم بواتر
البواتر • واحتوت عليهم الضواجر احتواء الضمائر على الاسرار
بالحوافر الحوافر • وفشتهم بالفضاء وعرتهم من كسوة الحياة
بالعراء • ولو لحقت الميسرة لتكمل قطع دابرهم • واتى القتل على
اولهم واخرهم • وانجلت المعركة من الكفار عن عشرة آلاف
قتيل • ملأت كل واد وسدت كل سبيل • وقد ذلت عزتهم وضعت
قوتهم • وعجزت قدرتهم • ولما انقضت هذه الواقعة • وثم
للفاهضين اليها الرجعة • رأيت احد مماليكى ونصله قد
خضب • وعزمه قد رضي بعد ما غضب • فسألته كم قتل • والى
اين وصل فقال يا انا فما أبقيت • وخضت البحر وما
توقيت • وهذا غلامي قتل تسعة • وشام من عارض نجيعهم
نجة • وكان الذين حملوا وهزموا وقتلوا اقل من الف فقتلوا
اضعافا مضاعفة • وعدموا ممن وراءهم مساعدا
ومساعفة • وحكي من نوادر هذه الواقعة ان فرنجيا عقر فجئا
للبرعة • فعثر به راكب برذون • بغير رفيق ولا عون • فعرقب
الفرنجي فرسه بسيف في يده • فنزل بجده مستنا في جده • وقتل
ذلك الفرنجي وروى من دمه الهندي • وحل من وسطه ثمانين
دينارا • فانقلب ربحا ماعده خسارا • وامتلات الايدي بالاسلاب
والاكساب • وحصل من العدم ما لم يكن في الحساب • وبيعت
الزربيات ذوات الاثمان بالرخس • وزادت ارباح اهل السوق بذلك
الذخ

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من جمادى الآخرة ورد في عصره نجاب من حلب بعد خمسة أيام . يكتأب يتضمن نجح كل مرام . ويخبر بان عسكرا مجرا من الكفار خرج للفارة على الاطراف والاقطار . فخرج اليه العسكر واخذ عليه الطريق . وطلب ذلك الجمع في الهزيمة المضيق . فلم يصح لهم رشد في منهاج . ولم ينج منهم ناج . فعضد ذلك الخبر هذا العيان . وقاموا بهوان الكفرة البرهان . وسر الخواص والعدوام وخص وعم السرور . وانارت المطالع وطلع النور . وشرع الفرنج في الخداع . والمراسلة في امر للجانبين عام الانتفاع . وسالوا في الصلح . والخروج من ليل الحرب في السلم الى الصبح . واذن لهم السلطان في الخروج . للنظر الى اولئك المصراعى بتلك المروج . وهي قد تورمت وانتفتت وجافت ، وحملت الشمس على جيفها وحافت . وضافتها القشاعم والخواص وعليها اطافت ، فساهم ما سرنا ، ونفهم ما اقربنا .

ذكر ما تجدد للفرنج من الانتعاش بوصول الكندھري
بالمال والرياش وما اعتمده السلطان من الاحتياط
اشفاقا من التفريط والافراط

وما زال الفرنج في وهن وضعف ، وتوزع بينهم وخلف ، حتى وصل في البحر . كند يقال له هري . وهو عندهم عظيم القدر . فكمل بمن وصل معه نقصهم . واحيا بعد موت نفوسهم حرصهم . وافاض عليهم بالاموال . وحلى منهم بعد عطلها الاحوال . ورصع بالرجال مراكز من صرع . وقرع السن ندامة على من قلع وقرع . وانفسخ عزما عما كان فيه شرع . فقد كان العزم بل الحزم ان يبادرهم على ضعفهم . قبل ان يمددهم البحر بضعفهم . فكان من تقدير الله تأخير ما وجب تقديمه والتواني فيما تعين تنميته . ولما وصل هذا الكند وتمكن . وقوى اهل الكفر بكل ما امكن . اظهر انه يكبس عسكرنا ليلا على غره . وببت منه امارات

كل شره وشره . وشاع هذا الخبر على السنة الجواسيس
والمستأمنين . فاحضر السلطان أمراءه وخوابعه المؤمنين
الميامين . واستشارهم فيما يقدم من الصواب . ويفتحه في
المصالح الراجحة من الأبواب . فاشاروا بإيساع الحلقة . وإدارتها
كالمنطقة . والتفيس عن العدو بالتأخر عن قربه . حتى يؤنس الى
الخروج لحربه . فوافقهم السلطان على هذا الرأي وحسن في
قلبه . فرحل يوم الاربعاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة الى
منزله الاول بالخروبة . واشتغل بالتدبير في الفوز بالنصرة . ونزل
المسكر على تلك الهضاب وحدالي سفوحها . واحتوت كل جثة
خيمة ممن حل فيها على روحها . ورتب اليك في المنزلة الاولى كل
الف فارس بالنوبة في يومين . وضويق باهل الصدق منهم اهل
المين . وتدبر الترتيب وترتب التدبير . وعرف في اليك اوقات نوبته
وأوبته الصغير والكبير . وأما عكا فالكتب مترتبة اليها ومنها
السياح . والحمام اليها ومنها تحمل البطاقات على
الجناح ، والمراكب تدخل اليها وتخرج ، واليها عنها تصوج
وتعرج . واخبار ملك الالمان متواصله . بأن انصاره له
خاذلة . وأنه ضعف وهى . وأنه الى انطاكية انتهى . وأنه تعوق
هناك . وتوقع من مراده الادراك . وتوقف عن المسير . واعتاض
التفسير من التيسير . ووقع الفناء في جمعه . وتعجل قمعه قبل ان
يصل الى محل قمعه . وأنه قد اشتغل بالانفاق في رجال الاستجناد
والاستجداد . والاحتشاء والاحتشاد . وان اصحابنا يأسرونهم
ويتلفونهم ويتلفونهم . من الطرقات ويتخطفونهم . ووصل من ملك
قسطنطينية كتاب يتضمن استعطافا واستسعافا . ويجمع قاطفا
ونطافا والطافا . ويذكر تمكينه من اقامة الجمعة في جامع المسلمين
بقسطنطينية والخطبة . وأنه مستمر على المودة راغب في المحبة .
ويعتذر عن عبور الالمانى . وأنه قد فجع في طريقه بالالمانى . وأنه
لاقى من الشدة . ونقص العدة . ووصل المشقة . وقطع الشقة . ما
أضعفه وأوهاه . واليه والهاه . وأنه لا يصل الى بلادكم فينتفع
بنفسه أو ينفع . ويكون مصرعه هناك ولا يرجع . ويمت بمابه
كابه . وأنه بلغ في اذاه اجتهاده . ويطلب رسولا . يدرك به من

السلطان سولا، فأجيب في ذلك الى مراده . ووقع الاعتماد بما ذكره من اعتداده .

ذكر حريق المنجنقات

وفي رجب من السنة انفق الكتكهرى بعد وصوله ما وصل معه من المال والرجال . فأعطى عشرة الاف راجل في يوم واحد ليجدوا معه في القتال . وضايق مدينة عكا اشد مضايقة . واخذ القومص والكود بذلك . موافقه . ونصب عليها كل منجيق . من الرمي غير مفق . رجومه للشهب بالشياطين . ونجوم الحجارة تنقض من أرض الكفر الى سماء الدين . فهي مجانيق مجانيين . وميادين ثعابين . ومسارح سراحين . فاشتد على اصحابنا بالبلد وقمعا . واحتد على صدقهم صدقها . وقالوا كيف نجد من مناصبها المناص . وهل نلقى من شؤم خصائلها الخلاص . فأجمعوا على الاقدام وأقدموا على الاجتماع . وأخذوا بالارتقاء في ترك الارتياح . وخرجوا بالفارس والراجل . وأما بالحق أمة الباطل . وجاوزوا تلك المجانيق المنصوبة والاستائر المضروبة الى خيامهم . وخلفوها من ورائهم واللقاء من قدامهم . فلما خلت المنجنقات ممن يحميها . خرج الزرقون من البلد ورموا النار فيها . فاحترق جميعها . وغرق في بحر النار صريعها . وقتل في ذلك اليوم من الفرنج سبعون فارسا في اللقاء . وقطع الواصلون اليهم طريق البقاء . واسر منهم خلق كثير . من جعلتهم اربعة من المعروفين فيهم فارس كبير . فما أمهلوه حين أخذوه . حتى قتلوه ونبذوه فطلبه منهم الفرنج بالاموال . ولم يعرفوا بالحال . فأخرجوه اليهم قتلا . فأكثر الفرنج عليه بعد التعويل عويلا . فباتوا يندبونه نوحا . وينيعون سر تقدمه فيهم دوحا . فخدموا بعد ذلك الضرام . وركدوا بعد هبوب ريح المرام . وضربت عليهم الذلة . وشجتهم عقوبتهم المنحلة وعقولهم المعتلة . وطمع فيهم الناس . وعرا طمعهم الياس . وصارت الخنادق تهجم . والاستائر تهتك وتضرم الحدود بالمصال تتلم .

والخدود بالنصال تلثم الى ليلة شعبان من السنة . فأبى بالحالة الحسنة . فان اصحابنا خرجوا على غرة . ومضوا الى القوم بانكاه مضره . وأحرقوا منجنيقين كبيرين قد نصبا بعد كل استظهار . واندفق على أحدهما كند هربي ألفا وخمسمائة دينار . وكانت الليلة الاولى من شعبان مباركة . ونعم الله لنا ونقم الله على العدو فيها متباركة .

ذكر وصول بطسة بيروت في العشر الآخر من رجب

قد تواردت الشكوى من البلد أن الخيرة قد فثت . وأن الافكار باستدعائها عثت . وأن الأجسام لفقدان قوتها ضنيت . وأبطأ على السلطان وصول البطس المستدعاة . من مصر بالفلات . فرأى أن ذلك من تقصير الولاة . وأفكر فيما يعجل به قوة وقوتا . ويجعل له أجلا موقوتا . فكتب الى والي بيروت عز الدين سامة . أن يهجر في كل ما به عز الدين السامة . ويعطي ويتزكى ويحتال في انقاذ ميرة الى عكا . فعمر بطسة كبيرة وأعداها . وأجد من عزيمته الماضية فيها جندها . وتولاها بخلق سمح . وملاها بأربعمائة غرارة قمح . ونقل اليها أنواع الطعام . واصناف الانام . وقطيعا من الاغنام . وهذه بطسة من الفرنج مأخوذة . وهي بساحل بيروت منبونة فأمر السلطان بترميمها وتتميمها . واخفاء البقية منها وتسكيتها . وأزاحت منها العلة . ونقلت اليها الفلة . ومأنت بالشحوم واللحوم . وبكل ما تدعو اليه الحاجة من المشروب والمطعم . وحمل فيها من أحمال النشاب والنفط ما جمع به فيها بين القوة والقوت . ورتب فيها رجال مسلمون ونصارى من أهل بيروت . وأرادوا أن تشتبه ببطس العدو في البحر . وأن لا ينكشف للفرنج مالها من الستر فتصوروا رهبانا . وصوروا صليانا . ومسحوا لصاهم ومسحوا حلاهم . وتملطوا وتكوفوا . وتشبهوا بهم في كل بزة لثلا يتخوفوا وشدوا زناثير واستصحبوا خنازير وساروا بها في البحر بمراكب الفرنج مختلطين . والى محادثتهم ومجاذبتهم منبسطين . والقوم

لجهلهم لا يشكون انهم من اهلهم ونسوا الحادث وانسوا بالحديث .
وتصور الطيب بصورة الخبيث . ولما حاذوا بها عكا صوبوها
نحوها والريح تسوقها . والفرنج تدعوهم من مراكيها وتقول ماهذه
طريقها . وهي كالسهم النافذ قد سد فوقها . وقد عقت رفاقته .
وهي تكاد تعوقها . وقد نخلت الثغر وأبخلت اليه كل خير . وعجب
الناس منها ومما تم لها من حيلة في سرها . واجتزا البلد بها
شهرًا . ووجد منها لكل كسر جيرا . يالها من لطيفة قضينا منها
الارب ولم نقض منها العجب .

ذكر وصول بطس الغلة من مصر الى عكا ظهر يوم الاثنين رابع عشر شعبان

كان السلطان قد كتب الى النواب بالاسكندرية على وجه
الاستظهار بأن يشرعوا في تجهيز البطس الكبار . ويملاوها بالغلات
واصناف الاقوات . ويعمروها بالكماة الحماة الرماة . ويرسلوها
عند موافقة الريح الى الثغر . فان خلصت اليه ولو واحدة منها أغنته
بعد الفقر . وتمادت الايام على هذا الامر . واستبعد وصولها مع
امتلاء البحر بمراكب الكفر . وكاد اليأس يغلب . والرجاء
يضطرب . ووردت كتب اصحابنا بعكا انه لا يبقى لنا ايلة نصف
شعبان قوت . ولا شك ان كتاب اجلنا الى هذا الامد
موقوت . فاشفقت النفوس واستشعر البوس . وامت القلوب وامت
الكروب . ولجأنا الى الله الذي يجيب المضطر اذا دعاه . ولا يخيب
من رجاه . ولا يضيع من استرعاة فلما كان ظهر يوم الاثنين رابع
عشر شعبان ظهرت من أقصى اللجة تلك بطس كأنهن الاعلام
واستبشر بظهورها الاسلام . وقد زفت عرائس جواريتها الحسان
وخفت رواسي سواريتها الثقال . وذكرت بقوله تعالى: (وهي تجري
بهم في موج كالجبال) (هود ٤٢) والريح تطردها طرد النعام .
والماء يرسلها على رغم أهل النار الذين هم أضل من الانعام . فما

تراعت حتى استقبلتها مراكب الفرنج وشوانيها . واحاطت بها
تقاتلها من اقاصيها . وادانيها . وهي تشق عليها وتشققها .
وتدوقها عنها وتعيقها . حتى برت منها البر الإيمان الايمان .
وهزات بتلك الاكمات المطيفة بها جبالها الرعان . وعبرت والكفر
خزيان ينظر ، ونهضت بالعز والعدو في نيل الذل يعثر . ووصلت
الثلاث وهي سالمة ، والمثلثة راغمة والموحدة غائمة . وقد فرج الله بها
غمة الثغر . ودفع مالم به من الضر . وحمنا الله على الموهبة التي
ادركت الارماق . وادرت الارزاق . وتلافت الارواح من التلف .
وحملت عن النفوس المشفية مشاق الكلف .

فصل من كتاب الى سيف الاسلام في هذا المعنى

كان كتب الينا اصحابنا بعكا اننا حسبنا وإلى ليلة نصف شعبان
لايبقى لنا شيء نقاته . وبقاؤنا ببقاء القوت وقواتنا قواته . فيينا
نحن في هذا المهم مفكرون . ومن هذا الهم متفكرون . اذ ظهرت
للعيون بالقرة . وللاقلوب بالقرار والمصرة ثلاث بطس على ثبج البحر
مستقرة . يبعثها لطف الله بعثا . وتحثها الريح القوية حثا . كانتها
جبال باقبالها تروع ونسور اجنحتها القلوع . وشعر الفرنج بها
فضاقت مذهبها . وبرزت مراكبها . ودبت عقاربها وقربت من
البطس شوانيها . وقويت في البطس امانيتها . وحمى ما فيها من فيها
من الرجال . وهي تجري بهم في موج كالجبال . وكان جواربها
عرائس يرففن بما لهن من الجهاز ، وكان البحر المتموج ثوب بتلك
الاعلام المذنبات معلم الطراز . بل كانتها تجار تحمل الصدقات الى
ذوي الاعواز . فجاءت فجأة متسقة موسقة . واتى الاتي بها موافقة
موفقة . فلم يقدر على مقاربتها ومقارنتها شيني شانيء . وكانت
كلاءة الله وعصمته لها خيرا من كل كاليء . وجازت والكفر خزيان
ينظر . وفازت بالعز والعدو بنيل الذل يعثر . وكان وصولها اوان
انفضاض الازواد وانفادها . فعلات المدينة بفلاتها . وأزوادها .
وعصمت ارماقها . ودسمت ارماقها . وقسمت ارزاقها . واشبع

جوعها . وشبعت صدوعها، وأنالت أرابها . وأزالت أجداها .
وخصتها بخصبها وصحت لها بسحبها . فأفادت من الفاقة وأفرقت
من الفرق . وسكنت بعد القلق .
وعاد إليها بعد الفسق أسفار القلق . والحمد لله المغني بعد
الاعدام . المنفي السني بعد الاظلام . المنفي بأوليائه اعداء الاسلام

ذكر عيسى العوام وما تم عليه في العشر الاخر من رجب

وكان رجل يعرف بعيسى العوام . وقد تردد بالكتب والنفقات الى عكا
ومنها في ذلك العام . وكان ناصحا امينا . يحفظ الاسرار ضمينا .
يسبح ليلا في البحر . ويعبر على مراكب اهل الكفر ويصل بما معه
الى الثغر . ولكم خاطر بنفسه فسلم . واعتدته اسباب المتالف
والالام فما الم . واتفق انه عام ذات ليلة غير مكثرت بما في طريقه
من اخطار . وعلى وسطه ثلاثة اكياس فيها الف دينار ومعه من
نفقات الاجناد ونائع . ومحقرات بضائع . فعدم ولم يسمح له خبر .
ولم يظهر له اثر . فنظت به الظنون . وماتت الظنون . وكانت له
لاشك عند الله منزلة . فلم يرد ان تبقى حاله وهي مجملة محتملة .
فوجد في ميناء عكا ميتا قد رماه البحر الى ساحلها . وأنهب حق
اليقين من الظنون بباطلها . وبراه الله مما قالوا . واحال الذي عليه
احالوا . فقد وجدت على وسطه تلك الاكياس . وتعجب من حاله
الناس . فلم يذهب بنهايه الذهب الذي صحبه . وطهره الله من
الرجس وعنه انهب .

ذكر وصول ولد ملك الالماني الذي قام مقام ابيه الى
الفرنچ بعكا

ذكرنا حديث الالماني ولمل حادثه . وما ادناه اليه من دواعي كفره
ويواغته . وكان مسيره من انطاكية يوم الاربعاء خامس عشر

رجب . ولقي في طريقه على اللاذقية الشجي والشجن والشجب . وأن ضعف خيلهم . بضعف ويلهم . ووجدت لهم مابين اللاذقية وجبله ستون سبعون فرسا قد عطيت . وعلى اعواد عظامها سواد الغرايب خطبت . وقد استقبله المركيس . وقصده التانيس . وان يهديه بضلاله الى الطريق القبي تومن طوارقها . ويتسع عليه مجال الامن وان سلكت مضايقها . فوصل به الى طرابلس في العشر الاول من شعبان . ووصل خبر وصولهم في سادسه الى السلطان . وحزهم من شاهدهم في الطريق بخمسة عشر الفا . وسمعنا في حزهم بالقليل والكثير خلفا . ثم انتقل في البحر . الى عكا في موضع العصر . ووصل اخر النهار سادس شهر رمضان . بعد ان عاين في البحر من اختلاف الهواء الهوان . فلم يبق له وقع . ولم يحصل لخرق القوم به رقع . واقام بين جنوبهم . كاحد كدودهم . وقال الفرنج: ليت لم يصل الينا ولم يقدم علينا . فانه لو اقام في موضعه . وامنا بفيضه من منبعه . لهيبت عظمته . وعظمت هيئته . وارعب روعه وراع رعبه ورجي منا وخشي من المسلمين قربه . وقد قطع بنا منذ وصل . وحص لنا جناح نجاح حصل . ووصل في البحر وحده . ولم يستصحب جنده . ثم وصل اليه الاصحاب . وتقطعت بهم الاسباب . ثم رام ان يظهر لجيئه وقعا . ويبني له نقعا . ويثير لنفع غلة ثاره نقعا . فقال: الام القعود عن القوم . وما بقي الا التهوض اليهم من اليوم . ولا بد من ضرب المصاف معهم . واني على الخروج اليهم لادفعهم . فقالوا له انت ما اثرت وهم قتالهم . ولا اثرت نهج نصالهم . ولا حربت بحريهم . ولا كربت بكريهم . ولو حزبت بحزبهم . لاصحب جماحك لجماح صحبهم . فاي ونبا . وشب الشبا . فلما عرفوا جهله . وان صعب الامر عنده ساوى سهله . قالوا له: نيتديء بالخروج الى اليزك . فلعلنا نوقعهم عند الاحاطة بهم في الشرك . فدبوا في راجل كرجل النبي . وخيل اغصت الوهاد والربا . ومرجوا في المرج . وطووا تلك المذارج طي الدرج . واشعلوا الخرصان في ليل النقع عوض السر . وقربوا من تل العياضية . وعليه خيم اليزكيه . والنوبة فيها للحلقة المنصورة الناصرية . والعصبة الموصلية . فلما

بصرت بهم ثارت اليهم . ودارت عليهم . وانهضت بنات الحنايا من خدوهم الى الجذور . واوردت ظماء الظبي منهم ماء التامور . وانبعث بالتبع من عيونهم العيون . واستخرجت بالضرب من اعناقهم النديون . وطيرت بإطارة السهام الى الاحداق بهم الاحداق . وخاطت الاماق وماخطات الارماق . وصار كل سهم شهيم . وخطر في محل خاطرا سرع من وهم . وركب السلطان من خيمته وتقدم الى تل كيسان . ووقف ينهض بعد الفرسان الفرسان . فلم تزل وجوه البيض تحمر . وشايا السمر تفتت . ونيول النقع تتجر وصفحات الجو تغير . وارحاء رجاء النصر تخضر . الى ان جن الظلام . وكف الكفر وسلم الاسلام . وكانت الدائرة على الكفرة . فاعرضت بالوجوه المتكورة . وابنا بالانوار المسفرة . ومسر الالمانى مثانا . ومن ظلمة حاله متظلما . وبكلوم قلبه متكلمما . وقد عاين ماعاناه من العناء . وشق عليه ماضق مرأثره من الشقاء . وبلي مما بلي به من البلاء . وعلم ماجهله . واستصعب مااستهله . وذاق ماضاق به ذرعه . وكاد يتم في القتلى رصعه لو تم صرعه . لكنه تجرع من الغصص ماسهل عليه الموت جرعه . وتاب وماثاب . وابى الرجوع الى اللقاء لما أب . وحينئذ جدوا في قتال البلد وحصاره . واتباع ليل الجد فيه بنهاره .

ذكر برج الذبان

وعند ميناء عكا في البحر برج يعرف ببرج الذبان . وهو في حراسة المينا عظيم الشأن . وهو منفرد عن البلد . محمي بالرجال والعدد . وقصد الفرنج حصاره قبل مجيء ملك الالمان في الثاني والعشرين من شعبان ببطس كبار جهزوها ومراكب عظام والات ابرزوها . ومكر مكروه . ودير دبروه . ويغي غي بلفوا غاياته . وريب رأي رفعوا راياته . وشر شرك الهبوا شراره . وايد كيد ارفقوا غراره . وعنان عناد اطلقوه . ولسان ضرام اذلقوه . ويد بطش بسطوها . وعقله معالقة انشطوها . واحد تلك المراكب قد ركب برج على رأس

صارية . لا يطاوله طود ولا يباريه . وقد حشي حشاه باللفظ والخطب . وضيق عطنه لسعة العطب . حتى اذا قرب من برج الذبان والتصق بشرافاته . اعدى اليه بأفاته . ورميت فيه النار فاحترق . واحترق من الستائر والاشخاب مابه التصق وتستولي النار على مواقف المقاتلة فتباعدا عنها . ولم يقربوا منها . فسهل عليهم فيه التسلق . ولم يصعب به التعلق . وملأوا بطسه اخرى بأحطاب يسري فيها اللفظ ويسرع بالهbab . حتى يوقدوها . وعلى السفن التي لنا بالمينا و ردها . فتعدي عدوانها . وتثير وتسدي فيها نيرانها . وهم في مراكب من ورائها للصرع مستعدون . وللشر مستمدون . حتى اذا تم برجائهم في البرج والمينا مناهم . نالوا من الاستيلاء والاستعلاء غناهم فلما قدموا البطسة ذات البرج المعمور . وصار الصاري ملاصق السور . جاء الامر بعكس ماقدروه . واخفق ظنهم للادبار فيما دبروه . فان الهواء كان شرقيا . فلم تجد نارهم في مطار برج الذبان رقا . بل اشتعل برج الصاري وتراجعت ناره الى اهلها . وعاملت ذوي الجهل بجهلها . واوقدت بطسة الخطب من ورائها . وتطايرت اليها شعل اذكاؤها . وعادت على الفرنج فالتهبوا . وحمي عليهم الحديد فاضطرموا واضطربوا . فانقلبت بهم السفينة فاحترقوا وغرقوا . والناجون منهم فارقوا وفرقوا ولم يفرقوا . واحتمى برج الذبان فلم يطر من بعدها عليه ذباب . ولم يفتح العدو في الكيد له باب .

فصل مشيع في المعنى من حصار برج الذبان مرة بعد أخرى من كتاب الي سيف الاسلام باليمن

وافكر الافرنج في امرهم واجالوا قبح الرأي في مكر مكرهم . وقالوا هذا البرج المعروف ببرج الذبان . منفرد عن البلد في وسط البحر منقطع المكان . فاذا اخذناه تسلطنا على مراكبهم التي في المينا . واذا لم نؤثر بمجيشنا تأثيرا فلاي سبب جينا . ومن حديث هذا البرج انه يحيط به البحر من جوانبه . وهو قل مينا الثغر على

مراكبه . وقد رفعناه واعليناه . وبالعند والرجال قسويناه . وبالجرخية والرماة والزراقين والمنجنيقية ملأناه وبكلاءة الله وعصمته اياه عصمناه وكلائناه . وقد حاموا حوله حولا . فلم يجدوا على نيل غرض منه قدرة ولا حولا . فعمدوا الى اكبر بطسه واتخذوا فيها مصقالا كانه سلم . وهو في مقدمها مركب مقدم . وقد جعلوها بحيث اذا قريت الى البرج ركب رأس السلم شرايفه . وصعد الرجال اليه في تجاويفه . وتعبوا في ذلك اياما وشبعوا تبوثيقا واحكاما . وهو بمراى من الاصحاب ينظرونه ويبصرونه . ويستجدون الله عليه ويستنصرونه والقوم قد اصبخوا بتلك البطسة زاحفين . وعلى ذلك السلم بعمدهم واقفين . حتى اذا التصق بالبرج التصقت به قوارير النفط . وتوات امطار البلايا من الجروح والحجارات والمنجنوقات على اولئك الرهط . ووجبت النار بسطة في البطسة ولم يسلم السلم . وناب القوم من فجيعتهم بها المصاب الذي ألم بهم والم . وقتل منهم من ياشر القتال . ونزل العذاب بمن حاول النزال . والحمد لله الذي ايات ظهور دينه متناصرة . ودلائل نصر اوليائه متظاهرة . ثم عمل الفرنج برجا عاليا في اكبر مركب وحشوه بالخطب . وعملوا على رأس صاربه مكانا يقعد فيه الزقاق . ويتأتى له فيه الاحراق . وقدموه الى برج الذبان وسلطوا على جوانبه جواني النيران . وقصدهم بذلك احراق ستائر البرج المنصور . وراوا ان في ذلك هدم بنيانه المعمور وحسبوا ان الستائر اذا وقعت فيها النار . تعذر على رجاله القرار وتعجل منهم للحدار الفرار وكانت الستائر تشتعل والضواطر تشتغل . والحال تضطرب والبال يلتهب والقلوب تضطرم والكروب تحتم . فاهب من مهب لطفه نكبات تكبت النار عن البرج المحروس . واكبت الفرنج على الوجوه الرؤوس . وتغس جنهم . وتعكس قصدهم . وانقلب الريح التي لهم عليهم . وصوبت مرامي العذاب اليهم .

فصل في المعنى

ولما وقم الله القوم . قالوا لاطاقة لنا اليوم وعادوا وقد غرموا
ورغموا . واخلف ما عزموا وزعموا واشتغلوا بعمله بطس لهم
شحوما واحطابا وادمانا واخشابا واشعلوا فيها النار والهبوها .
وارسلوها الى مراكبنا في يوم ريح عاصف وصوبوها . واندوها منها
وقربوها وكانت سفننا تحترق ومراكبنا تفترق . فانزل الله الفرج
وقت الشدة وامن من المخافة المحتمة المحتمة . وانقلبت الريح عليهم
وعانت مخالفة لهم بعد ان كانت موافقه . وحالة تلك الحالة للعانة
خارقه فاحترقوا بنارهم . وشرقوا بعارهم . وجذبت بطس اولئك
الكلاب بالكلاليب . وتوالت الطاف الله في تلك الذوب المتاسدة مطربة
الانابيب مستهلة الضابيب

ذكر الكبش وحريقه

بعد تعب العدو في احكامه وتسوية طريقه

واستأنف الفرنج عمل دبابة هائلة . والة للفوائل غائلة . في راسها
شكل عظيم يقال له الكبش . وله قرنان في طول رمحين كالعمودين
الغليظين اقفال الاسوار المفلقة بها تفش . فكم سور اذا نطحته
طحنته . وكم معقل حصنه النمر وصحنته . وهذه الدبابة في حياة
الخربيشت الكبير وقد سقفوها مع كبشها بساعمة الحديد . وكملاوا
لها اسباب الاحكام الشديدة . ولبسوا راسي الكبش بعد الحديد
بالنحاس . وكسوها حذرا عليها من النار سائر لباس الباس . فلم
يبق للنار اليها سبيل . ولاللعلم عليها دليل . وشحنوها بكماة
المصاع . وحماة القراع . ورماة الصدق وكساء الحلق . وعفاة
الحقف . وجفاة الزحف . ومجتابي الزحف . ومجتبي المسف . من
كل سرحان لا ينظر الا من جلد ارقم . وكل شيطان لا يقتحم من
الحرب الا جهنم . وكل شجاع لا يعتقل الا شجاعا . ولا يرى لغير

النسيج القاني اقتناء ولا انتجاعا . فلما استدفئت لهم هذه الدبابه وماجت بالحديد لجتها العبابه . واطافت بذلك الكبش تلك التيوس النبابه . وامنوا عليها الحريق واموا بها الطريق . سوا بين يديها الارض . ومهدوا الطول منها والعرض . وصحبوها حتى سحبوها وقرأوا بها اعينا بل انفسا وقربوها . فجاءت صورة يزعم مرأها . وروضة يعجز مرعاها . والة تروق هياتها . وعة تروع هيبتهها . وبلي البلد من بنوها بالبلاد الداني . وتفاشت وتعاشت دونها نفس الرامي وعين الراني . وقال اصحابنا هذه ماني دفع خطرها حيلة . ولالبارق الظفر بها مخيلة . فكيف العمل . وقيم الامل . ومن للكبش العظيم وقطع رأسه . ومن لبناء الحديد ونقض أساسه . فإن كانت هذه الدبابه دابة الارض فما هذا أوانها . وما حان زمانها . ولقد قامت بها قيامه الحشر فقام برهانها ونصبوا على صوبها مجانيق . ورموا بالحجارات الثقيلة ذلك النيق . فابعدت رجالها من حوالها . وطربت الطرفين بين يديها . ثم رموها للصرم بحزم الحطب حتى طموا ما بين القرنين بجزرة . وقذفوها بالنار فترنم في اثنائها عجاج اللهب برجزه . وبخلت من باب الدبابه فاشتعلت نار ضلوعها . وشرع من فيها في الخروج بعد دخولها وشروعها . وجاء الفرنج تلك الليلة فباتوا بالبينات . يطفئون بالخل والخمر تلك الشعل المستوليات . فاطفأوا نار الظاهر ولم يعلموا بنار الباطن . ولم يحسوا بما تمكن من أضلاعها من الحرق الكوامن . وحين أحمداوا الجمر . أحمداوا الامر . ورجعوا ولم يزل اللهب يأكل سقفوها . حتى ترك على ما غطى الخشب من الحديد وقوفها . وحينئذ خسفها المنجنيق . فانهذ ذلك النيق . وصوح ذلك الروض الانيق . ووهن ذلك التركيب الوثيق . ونفذت تلك الدابة واحترقت تلك الدبابه . وخرج من بالثغر المحروس . بأشري الوجوه طيبي النفوس . وقطعوا رأس الكبش . واستخرجوا ما تحت الرماد من العبد بالنيش . وحمل كل من الحديد ما اطاق حمله . واستطاب لثلج صدره ويرد يقينه حره واستخف ثقله . وقد ما نهب من الحديد بمائة قنطار . فقل في الة لبست بهذا المقدار وهو أعظم مقدار . وعاد اصحابنا على عدوهم

ظاهرين . ولحزب الكفر قاهرين . وكلهم يندد وهو يندىء ويذشد
جدا وجدا .

نازلت كبشهم ولم أر من نزال الكيش بدا

وقط الكافر وكفر القانط . وسخط الشيطان واستشاط
الساخط . وعلم الفرنج حين حببت اعمالهم . وهبطت آمالهم . أن
الشقاء ادركهم . والشقاق أهلكهم . وأن مدبرهم مدبر . وأن ترتيبهم
مدمر . وأن الاتهم غير نافعة . وأن نهلاتهم غير نافعة . والحمد لله
ذي الطول العميم . والفضل الجسيم . الذي نعش . عثار النعر بعد
ان تل للجبين قتلينا قوله تعالى (وقيناه بذبح عظيم) (الصافات :
١٠٧) وكان في يوم الاثنين ثالث عشر رمضان . واحتترقت البطسة
يوم الاربعاء خامس عشره .

وفي هذا اليوم وهو يوم الاثنين قدمت عسكر الشمال . يقدمهم ذو
القبول والاقبال وهو الملك الظاهر صاحب حلب . وقد استصحب معه
الاجناد وجلب . فجاء عشية وجد بلقاء والده عهده . ثم عاد وعاد
بكرة الثلاثاء يقدم جنده . ومعه سابق الدين عثمان صاحب شيزر .
وقد استكثر معه واستظهر . وعز الدين بن المقدم . ذو القدر
الافخم . والنجر الاكرم . وحسام الدين حسين ياريك وجماعة من
الامراء . من ذوي المكانة واليسالة والغناء . وقدم الملك الامجد مجد
الدين بهرامشاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب صاحب بعلبك .
وقد استصحب غلمانة الاكائيش ومماليكه الترك . وكان لذلك اليوم
رونق . وصفاء لم يشبه رنق . واتفق في يوم الاثنين هذا من العدو
على البلد الزحف الشديد في الخلق العظيم . جميعين يلتهبون بنار
الجحيم . وتركهم اصحابنا حتى قربوا من السور . وأقدم العدى
إقدام المتهور الجسور . فلما ازبحموا وكثروا . واضطرموا
واستعروا . غنت لهم الاوتار يرنين القسي فطاشت لها السهام .
ودعت اليهم الاقدار بحنين الصنايا قلباها في لباسهم الحمام .
وزارتهم من الزيارات الجروح . وأخذت نيرانهم تبوخ . ورضتهم
المجانيق بالاحجار . وأنت عيون نجيعهم بالانفجار . وخرج

اصحابنا عليهم فشلوهم الى الخيام . وفلوهم بعد الاقدام . وافضى
الخرق بالعدو إلى الخرق . واخلفت بجنة جننا جنة أولئك الخلق

ذكر حوادث تجددت ومتجددات حدثت

وصل الخبر في سادس عشر رمضان من حلب أن صاحب انطاكية
أغار على غره بשרه ويشره . ووصل الجاسوس بخبره . وبما البلاد
مشفرة عليه من خطرته . فرتب اصحابنا له كميناً . ثم خرجوا عليه
شمالاً ويمينا . فقتلوا أكثر رجاله . وأفلت وباله في وباله . وانهاض
من تلك النهضة . وضعف من تلك العضة . وفي ذلك التاريخ القت
الريح إلى ساحل الزيب ، بطستين خرجتا من عكا بجماعة من
الرجال والصبيان والنساء للتفريب . وفيها امرأة محتشمة . غنية
محترمة . فاخذنا واخذوا وأخذت . وجد الفرنج في استنقائنا فما
استنقفت . وسرنا ما ساء العدو . واتانا الله مسن احسانه
المرجو . وفي عشية الاثنين تاسع عشر رمضان رحلنا الى منزل
يعرف بشفر عم . وخص بهذا الرحيل الذفع وعم . وكان سبب ذلك
أنه كثر المستأمنون إلينا من الفرنج . وأخبروا انهم في عزم الخروج
الى المريج . هائجين للثار ثائرين الى الهيجاء مائجين في دماء
الذماء لحب اللقاء . وصح هذا الخبر وصدق . ووضع الحق وتحقق .
فاحضر السلطان الامراء الاكارم . ورجال الحقائق الضراغم . الذين
هم له أعوان صدق لساعات أيامه . ونخائرنصر عند اعتزامه
فاستشارهم واستثار كوامن سرائرهم . واستتبط دفائن
ضمائيرهم . واستكشف منهم الصواب . وتعرف من جانبهم
الجواب فقالوا: الصواب ان يفتح لهم عن هذه المروج حتى يكون
دخولهم اليها يوم الخروج . فنصحهم في اليوم الآخر . ولايتعذر بهم
احداق العساكر . وانما لايقدرين على القصد دفعة واحدة . الا انا
كانت أيديهم . متساعة وأراؤهم متعاقبة . فان انفردوا عن الرجال
وساقوا كسرناهم واسرناهم . وان توقفوا للراجل قصبتناهم حيث
نزلا ولقيناهم وصنبتناهم . واجمعنا على أن نرحل الى شفر عم و

نخيم على هضابه . ونبطل على العدو ما كان من البيان في حسابه .
فخيمنا هناك على أحسن تعبيه . وسنينا أسباب اللقاء أتم تسنيه و
رحبت المنازل . وغنيت المناهل . وعادت معالم تلك المجاهل . و
حللنا التللاع والأكام . وركزنا بتلك الاعلام اعلام . ونزلنا لمقام
الشتاء مستعدين . ولأسباب التوقي من الأمطار مستجدين .
وأضحينا على تلك الأطواد موطنين . وعند تلك الاوتاد موتنين .
وتسمنت تلك الفروع وفرعت تلك الأشعة . وتمكنت تلك البنى وبنييت
تلك الامكنة . وتحركت تلك الجبال بسكانها . وأحببت الرجال
التوطن بها وسلت عن اوطانها . وبارت الاسواق . وبرت الارزاق .
وانارت الافاق . وصهلت الصلادم على معالفها وصقلت اللهائم
لراعفها . ونوب اليزك بحالها تدور وترويه وتعيد رسم الحفظ
والحمية وتعود والحرب تتناوب . والزحف يتعاقب . والاقتران
تتواقع والوقائع تتقارن . والاعوان تتعاضد والاعضاد تتعاون .
والعتاق يصهيلها لحب الطراد تحمم . والرقاق بصليلها لشوق
الجمامج تجمم . والمقريات للأجراء صوافن والضوامر للشد
ضوامن . ومنى المناصل صلة القطع . ورجاء الرجال نبع النصر في
قرع النبع بالنبع . والتوحيد للتثليث منازل . والايمان للكفر مقاتل .
ولاكارم الا للكلام . ولاسلام الا بالسلام . فلا يسمع الا اسرح
والجم . وتقدم وأقدم . وأصم وصمم . وآخر وأخرم . ولاتله حتى
تلهب . ولاتعج حتى تعجب . وأقطع وصل . وأكل يصاع المصاع
وكل . ولاتقلق والى وقلقل . وكل داح إجابة . وكل سماع
اصابة . وكل سهم في المرمى فوق . وكل سهم في المرام سدوق .
ولكل صمعة في الطعان صدعة . ولكل قعدة للرماة قعدة . ولكل عقبة
بالضرب حل . ولكل عدة في الحرب قل . ولكل غضب غض . ولكل
نبي حظ حض . ومن له نصيب في الشجاعة نصيب في
التشجيع . ومن له جراحة الهيجاء حاج الى الصريخ بالجد
السريع . والايام منا على هذه الصالة مندرجة . ومياه الحديد
بأمواه الوريد ممترجة . والفرج منتظر والنواظر متفرجة . وتباشير
صباح الصدفاح في دياجير القمام متبلجة . ولله نعمة في كل
بلية . وسر في كل قضية .

ذكر وفاة زين الدين صاحب اربل

في ليلة الثلاثاء ثامن عشرين شهر رمضان وما جرى بعده من الحال قد جرى ذكر هذا الأمير ، وما تجلى به من الكرم والخير ، وهو يوسف بن التكين بن علي كوجك ، ومن سعاية جده ما طلب غاية في الكرم الا ادرك ، وما كان اسره يوم الحضور واحضره يوم وفاته للسور ، فلقد كان جارا للكتائب ، بارا بالاباعد والاقارب ، سارا باسداء المواهب ، دارا بأخلاف الرغائب ، مارا في سبيل المناقب ، قاراراً على قلق النواثب ، وكان في ريعانته الرائع ، وشعاعه الشائع وشبابه الطري طير الشبا ، وحب له مقدر السود معقود الحب ، فمرضت الايام بمرضه اياما ، وتلهبت القلوب منا للتلف عليه وقد امست مراضا ضراما ، وعدته بطبيب السلطان فلم يأنس به ، ولم يسكن الى طبه ، لما كان يعلم من منافسة اخيه مظفر الدين في — وضعه ، وأنه ينتعش بمصرعه ، فاكثفى بصاحب له طبه ، يوافق على ما يحبه ، وهو جاهل بمزاجه ذاهل عن علاجه فشب الحمام في حمى شبابه ناره ، واذوى غصنه غداة قلنا ما انهى ازهاره ، وما انضمر نضارة ، ونقله الله من جنات الحياة الى حياة الجنان ، وعجل به ليجازيه لاحسانه بالاحسان ، وحوله من بين الاتراب الى التراب ، ومن دار الاغترار والاغتراب الى موطن الثواء بالثواب ، ولئن الزمان بعد الاجداء بالاجداب ، ولزمه اخوه مظفر الدين حتى فارقه ، وما ظهر عليه الفم حتى قيل انه سره موته ووافقه ، وقصدناه مغزين على ظن انه جلس للعزاء ، فاذا هو في مثل يوم الهناء ، وهو في خيمة ضربها في مخيم اخيه ، واحتاط على جميع ما يحويه ، ووكل بالامراء القلاع ليسلموها ، وخشي ان يعصا فيها اذا رجعوا اليها ويحموها ، وخدم بخمسين الف دينار حتى اخذ اربل وبلانها ، ونزل عن حران والرها وسميساط والبلاد التي معه واعانها ، وزاده السلطان شهر زور ، وأحكم بمسيره الاسباب والامور فاستمهل الى حين وصول الملك المظفر تقي الدين ، لينزل في

منزلته بجنده وصحبه الميامين فوصل يوم الأحد ثالث شوال ، فعلى بعد العطل الاحوال ، وكان قد انفصل صاحب الجزيرة معز الدين سنجر شاه ونهب مغازيا ، وكان السلطان له في الانفصال عاتبا ، فأعاده تقي الدين من الطريق ، وقبح له مااستحسنه في ترك الموافقة من عدم التوفيق ، وكان هذا سنجر شاه دخل يوم العيد بكرة للهنا ، فاستأنه في الانكفاء ، فخرج على حاله وسار وتبعه اصحابه . ولج جماعه وتعذر اصحابه فلما اجتمع به تقي الدين ربه ، وبذل في صيانه منزلته عند السلطان جهده ، وطال على الملك عماد الدين صاحب سنجار المقام . وجد في الاستئذان في الرحيل منه الاهتمام ، وصدق الاعتزام ، وتقرر ملاله ، وتكرر سؤاله فكتب اليه السلطان .

من ضاع مثلي من بينه فليت شعري ما استفادا .
فلما قرأ هذا البيت ماراوح في الخطاب ولاغاي ، وغلت الاسعار عند الفرنج واستعرت الغل ، وأعطهم ما عراهم وعرتهم العلل ، وبأؤوا بالوباء ، وبلوا من البلاء ، وغلوا من الغلاء ، وتضربوا من الضراء ، وشق مرآثرهم استمرار الشقاء ، وعمت المجاعة الجماعة ، وعموا الطاعة والاستطاعة ، وزاد جوعهم ، وزال هجوعهم وقصرت عن القرار بوعهم ، وامحلت ربوعهم ، واستحال ربوعهم ، وبعثهم الرهب ، على الهرب ، والقحط على الشحط ، لكنهم أقاموا على الموت ، واستناموا الى الفتوت ، وبلوا بأمور صعبة ، وهرب الينا منهم عصبية بعد عصبية ، وقد بادوا من الضعف البادي ، وأعناهم الضر العاصي ، فمن سألناه عن مقتضى قراره ، ومقتضى قراره ، يخبر انه طواه ، الطوى ، فنواه الذوى حين التوى ، من حذر التوى ، وقد أنساه المحل النحل ، وأبغض اليه حب السلامة الولد والاهل ، وكانت الفرارة من الغلة قد بلغت أكثر من مائة دينار والسعر من الزيادة لبيهم في استعمار ، فما جاء الا كل ضعيف لا يقوى على النزاع والنزال ، ولا مسكة لا عتلاق رمقه من الاعتلال ، فقبلناهم واندقتنا فيهم والفناهم بما يكف ضرهم ويكفيهم ، فتقوتوا وتقوا ، وأثروا بعد ما أقروا ، فمنهم من أسلم

وخدم ، ومنهم من ند وتقدم ، ومنهم من غدا بجريرة وعاد ، ومنهم من ناصح فاستفاد .

ذكر نوبة رأس الماء وخروجهم بعزم اللقاء

ولما ضاق بالقوم ذرعهم ، واشرقهم جرعههم ، وعرقهم قرعههم ، واخلافهم خلف عيشهم وضرهم ضرعههم . وعيل صبرهم وعال ضرهم قالوا: نخرج ونبلي . ونصل ونصلي ونقصد ونصدق ، ونلي ونلق ونقل ونلق . ونعز ونعزم ، ونهز ونهزم ، ونحمي ونحمل ونقطع ونوصل ونزحف ونحفز ، ونزعج ونعجز ونجهد ونجهل ، ونعقر ونعرق ونخرج ونخرج ونلج ونلج ونضري ونضرب ونغلي ونغلب ، ونجـ ونجني ، وننيف وننفي ، ونزد ونزدي ، ونجد ونجدي ، ونقد ونقدم ، ونعدو ونعدم ، ونصد ونصدع ونقد ونقدع ونجد ونجدع ، ونصر ونصرع ، ونسل ونسلب ونروع ونرعب ونبدوا ونبيد ، ونقصدي ونقصيد ، ونظهر ونظفر ، ونهرق ونقهر ونقسو ونقسر ، ونسكر ونكسر . فخرجوا في عدد خارج عن العد ، واستقاموا مع الاعوجاج على جند الجند ، وذلك يوم الاثنين حادي عشر شوال بعد ان رتبوا على اليك من لازم القتال ، واخذوا معهم عقيق اربعة ايام ، وزادها واستصحبوا انجاب الكريهة وانجائها ، وكان اليك في تل العياضية فركبوا ، واشعلوا القوم بينران النصال والهبا ، فنزل العدو تلك الليلة على ابار كما حفرناها عند نزولنا هناك ، والحمية الحامية المنبعتة على تلك البعوث ما تركت الا تراك ، فباتوا حول القوم يرمون ويدمون ، ويشوون ويصمون ، ولما اتصل خبرهم بالسلطان رهل الثقل الى ناحية القيمون ، وثبت الله القلوب على الامن والسكون ، وبقي الناس على خيلهم جرائد ، وقد استعذبوا من مر الكريهة الموارد ، وركب العدو يوم الثلاثاء سائرا ، وقد عب عيابه زائرا ، وهب غايه زائرا ، وطما بحره مائجا ، وسما جمره مارجا ، وعساكرنا في احسن تعبيه ، ولدعاء القراع في اوحى

تليه ، وقد امتزجت زجرات الجاوش ، بنعمرات
الجيوش ، والميمنة الى الجبل ممثلة ، والميسرة الى النهر بقرب
البحر وصفوفها مشتكة مستكة ، والسلطان في القلب كالقمر في
الهالة ، عليه اكليل من أنوار الجلالة ، فسار حتى وقف على تل عند
الخروبة ، على المهاب الحالية والحالة المحبوبة ، ومقدموا
ميمنته ، عظماء دولته ، صاحب دمشق ولده المبجل ، الملك
الافضل ، وصاحب حلب الملك الظاهر ، وصاحب بصرى ولده الملك
الظافر ، وأخوه الملك العادل في آخرها ، والأمراء بعساكرها ، يلي
حسام الدين بن لاجين ، قايماز النجمي صارم الدين ، والأمير
بشارة صاحب بانياس ، وهو الذي لا يرجو منازلته الا من فيه بيان
الباس ، ثم بدر الدين بلدم الياروقي صاحب تل باشر ، وقد طامنا
يشر الاسلام بما باشر ، وعدة كثيرة من الأمراء يطول ذكرها ، على
أنه يطيب ذكرها ، وعظماء الميسرة ومقدموها ، وأمراءها
ومقدموها ، الملك عماد الدين صاحب سنجار ، وهو العادل للاسلام
وعلى الكفر جار ، وابن أخيه معز الدين سنجر شاه صاحب
الجزيرة ، والملك المظفر تقى الدين ذو السطوة الميمنة
المبيرة ، وسيف الدين علي المشطوب ، الذي دشب بناره
الصروب ، ونصب على العدا منه الكروب ، والهكارية
والمهرانية ، والحميدية والزرزارية ، وأمراء القبائل من
الأكرد ، أقتال القتال وأجادل الجلال ، ورجال الحلقة المنصورة
واقفون في القلب ، لا يبي الحلق السرد خائفي بحر الحرب ، من كل
فارس فراس ، وهرماس رماس ، وضيفم ضاغم ، وضرمغام
غارم ، وليث فضفاض ، ملوث بفضفاض ، وقصور قاسر ، وهزبر
زابر زائر ، واسد في غاب الاسل ، وقارح في القراع باب
الاجل ، وقار ثعالب الخرصان وذباب الظبا من دم الاقران ، وقار
على الثبات على قلق ثبات الشجعان ، وقارئ (ان الله اشترى من
المؤمنين انفسهم وأموالهم) (التوبة ١١١) ثقة بوعده
القرآن ، وقارن حج النجح بعمره وبذله في الجهاد للتمتع بعمر
الجنان ، وسابق الى حلبة الشهادة ، وسامق على ذروة
السعادة ، وملايس للروع مباسل وعاسل ، كالنثب الى ذب العدا

عن الهدى بعاسل ، وسار الفرنج شرقى النهر لنا
مواجهين ، وللكريهة غير كارهين ، حتى وصلوا الى رأس
النهر ، واشفقوا من بأس القهر ، فانقلبوا الى غربية ونزلوا على
التل بينه وبين البحر ، والجاليشية الرماة منا حـولهم
جائلة ، وعيون اعيانهم على نصالنا سائلة ، وجرح في ذلك اليوم
وهو الثلاثاء خلق من اهل التثليث . ومانبا عن كثير منهم ناب النائب
الكريث ، والسلطان في خيمة لطيفة بحيث يشاهد ، ولله منه الجاهد
المجاهد ، واصبح الفرنج يوم الاربعاء راكبين ، وعن سبيل اللقاء
ناكبين ، ووقفوا على سهوات الخيل الى ضحوة النهار ، والراجل
مطيف محقق بهم كالاسوار ، واصحابنا قد قربوا منهم حتى كادوا
أن يخالطونهم ، وأرادوا يباسطونهم ، والسلطان يمد الرماة
بالرماة ، والكامة بالكامة ، وهم ثابتون ثابتون ، ساكنون
ساكنون ، ونحن نقول لعلهم يحملون ، ويغضبون
فيجهلون . فنتكّن من تفصيل جملتهم بحملتهم وتفريق جماعتهم .
وتفريق الغمة بنزع جمتهم . واحس العدو بالضعف . وانه متورط
في الحثف . فسار موليا . ولعذره لذعره مبليا . ومضى على مضض .
ومر بأشد مرض . والنهر عن يمينه والبحر عن يساره . وقد ايقن
ان صبح منه الثبات بانكساره . وعسكرنا يصافحهم بالصفاح .
ويكفهم بالكفاح . ويشعلهم بجمرات السهام . ويلهبهم بخدمات
الضرام . ويحرقهم ويشويهم . ويصميمهم ويشويهم . ويفيض على
غدران الاسوايح منهم جداول القواضب . ويخيض في دماء الدماء
منهم سوابج السلاهب . ويغيض في ماء الوريد منهم ماء الفرند .
ويغيط بني الكفر في الجمع بين الاختين عليهم ابنتي الغمد والزند .
وادبروا مولين . وارخصوا من مهجهم ما كانوا له مغلين .
وعسكرنا يتبعهم . ويعلق بهم ويقلعهم . وهم مجتمعون في
مسيرهم . محتمون في تقميمهم وتأخيرهم . يتحركون في سكون .
ويتظاهرون في كـمون . ويتطلعون في غروب . ويتفللون بغروب .
ويتذوبون في جمود . ويتلهبون في خمود . وكلما صرع منهم قتل
حملوه وستروه . وطموا مدفنه وطمروه . حتى يخفى أمرهم . ولا

يصبح لدينا كسرهم . ونزلوا ليلة الخميس على جسر دعوق . وقطعوا الجسر حتى يمنع عبورنا اليهم ويعوق . وأبلى المسلمون في ذلك اليوم في الجهاد بلاء حسنا . وأتوا كل ما كان فيه مستطاعا ممكنا . وقام إياز الطويل في ذلك اليوم مقاما أقعد فيه من الكفرة كل قائم . وأتبه به من العزائم كل نائم . وكان مقاداما هماما . وأسسنا ضرغامنا . يطير وحده الى الروح اذا أبدى له ناجذيه . ويجيب المستصرخ ولا يسأله عما يدعوه اليه . وهو في كل يوم يصيح في سلاحه شاكيا . وينار عزمه ذاكيا . ويقف بين الصدين . ويدعو إلى المبارزة والحين . فما يبرز اليه الا من يصرخ ولا يصل اليه الا من يقطع . فعرقه الفرنج فتحاموه . فما راموه بعد ذلك ولا راموه . وبذل هذا اليوم جهده وقل حنهم حده . وأصابته جراحات . وأصابتهم اجتراحات . وكذلك سيف الدين يازكوح أبلى في الجهاد ذلك اليوم . ووقم بنصاله ونضاله القوم وخرج وبه جرح . وفي قلب العدو وعينه من مهابة انتقامه وأصابة سهامه قدح . وأصبحوا بكرة الخميس . وقد بكر الخميس . وحسي الوطيس . وسار في أسسه العريس . فاشرفنا عليهم واذا هم داخلون الى مخيمهم سائرون الى مجثمهم . فعاد السلطان الى سرادقه حامدا . خلائق خلائقه . مسفرا في ليل العجاج فلق فيا لقسه . واستعاد الاثقال . الى معسكره . واستزاد من الله له الاقبال في مورده ومصدره . وفخر بتفرده عن ملوك الارض يعون ملائكة السماء وتفرّد بمفخره . وكان مع الفرنج الخارجين المكريس والكند هري . وأقام ملك الالمان على عكا يبرى ويفري .

فصل من كتاب في المعنى

خرج الفرنج يوم الاثنين حادى عشر الشهر . واثقين من ملوكهم الحاضرين بالظهور وقوة الظهر . وفي مرج عكا عين غزيرة الماء يجري منها نهر كبير الى البحر . فخرجوا الى شرقي النهر . وباتوا بالقرب من مخيمهم على البلد . وقد تخلف لحفظ حصره الوف من

اهل الجلد . ثم تصبوحوا يوم الثلاثاء والنهر عن يمينهم . والاسد سائرة بالاسل في عرينهم . والحمية مشتتعة في عيونهم وعرائينهم . ونزلوا راس العين . وتطرق بها اليهم من عساكرنا المنصورة طارق الحين . ولما اصبحوا وجدوها بهم محدقة . وبنيان النصال والمناصل لهم محرقه . وكنا نقول انهم يتحركون للمصاف . والامر بالخلاف . وانهم لسهام المذون من الاهداف . وما دارت بهم الا الجاليشية تجول وتصول . وتصيب وتصوب وتطيل وتطول . وكانت الاطلاب واقفة تنتظر حملاتها وتستعد لوثباتها وثباتها . فلما ابصر الفرنج ما حل بهم من العذاب . عدوا الغنيمة في الاياب . وشرعوا في طريق الذهاب . فعادوا من غربي النهر راجعين . وساروا صوب خيامهم مسارعين . واصحابنا وراءهم يرمونهم ويشوونهم ويصمونهم . وقتل منهم خلق وسرى في حجب حياتهم خرق . ونزلوا تلك الليلة على الجسر وقطعوه وباتوا خائفين هائبين . ورحلوا سحرا خاسئين خائبين . وخيولهم الناجية مجرحة . وقلوبهم الراجفة مقرحة . واشلاؤهم من كسوة الحياة عارية وبالعراء مطرحة . وعرفوا ان حركتهم للهلكة . وان هلكتهم في الحركة . واقاموا على الضر والزاد معدوم . والبلاء لكل منهم منفرد وعليهم مقسوم . ولا طعم لهم الا من لصوم الخيل . وهم يدعون بالثبور والويل . ومع كثرتهم قتلوا عناء . وضلوا رجاءا وذلوا بلاءا . واعتلوا جدبا وغلاءا . ولما عاد الفرنج الى خيامهم . خائفين من مرامهم . مخفقين من مرامهم . وابصر المقيمون بها اصحابنا وراءهم يطلبون اردائهم . متعطشين الى دماءهم . يرمون ارواءهم . وثبوا على جيانهم . وثاروا لمزاد مرانهم . ولاقوا اجمعنا بأجمعهم وفاضوا لفيضنا من منبعهم . فاندفع الاصحاب حتى تبرزوا . ثم ردوا عليهم الكرة فانحذوا واجهزوا . وقتل في تلك المعركة كند كبير . وشيطان لنار شره من سعيره متسعير . وطلبوا بعد انفصال الحرب جثته فاعطوها . والتمسوا هامته فلم يجدوها . وكان رجلا يعد برجال . وسلبه قوم بأموال . ولولا ما نفق من التيات مزاج السلطان . ما سلم من سلم من حزب الشيطان! ولله في كل قضية سر . وفي كل ليلة بر .

ذكر وقعة الكمين

وما زال السلطان موقفا في آرائه . ومشرقا بلالاء الائه . ومن آرائه الراجحه . ومسايعه الناجحة . ومتاجره الرابعة . انه رأى ان يرتب على العدو كميناً . وعلم الله يكون لنجحه ضميناً . فجمع يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال منتخبي رجاله . ومنتجبي أبطاله وخواص أترابه . وعوام فتاكه . فانتخب منهم كل من عرفت سابقته . وسبقت معرفته وأحدثت في الجلال جلالته . وفي لقاء العدا عادته . وعلمت في الفتك جهالته . وأمرهم بأن يكمنوا على ساحل البحر بقرب المنزلة العادلية القديمة . فمضوا وكمنوا ليلة السبت متنبهي الهمة . متيقظي العزيمة . وخرجت منهم عدة يسيرة بعد الصباح . منادية بحي على الفلاح . وندوا من خندق القوم . ونادوا لا تعود بعد اليوم . ومطروهم سهاما . وأسرعوهم ضراما . فقطع الفرنج فيهم . وظنت أنها تلاقهم . وخالتهم صيدا قد سنح . وسربا قد سرح . فقطعت خنادقها . وبنت علائقها . وحثت سراييقها . واخاضت بحر الحرب سراييقها . وقد افاضت سراييقها وشامت صفائيقها . وتجربت عن رجالتها . وتفردت بضلالتها . وحملت بجهاالتها . وأقبلت بادلالها لا بدالاتها . وتطاردا أصحابنا أمسامها . وانهزموا قدامها . حتى وقفوها على الكمين . وأوقعوها في الهلك المبين . فخرج الكمين عليها . وتبادر اليها . فلم يستطع فارس منها فرار . ولم يطبق من غرته ان يمضي غرارا . وكانت في مائتي قنطاري . من كل مقدم باروني وبطل داوى وأسبثاري . فقتل معظمهم . ووقع في الأسر خازن الملك وعدة من الأفرزسيسية ومقدمهم . وملكوا وسلبوا وملك سلبهم . وتقطع بهم سبيهم . وما وصلهم أربهم . وجاء الخبر إلينا . فركب السلطان وركبنا وسار ووقف على تل كيسان . فشهد من الله هناك الأحسان . وجاءه مما يليه يقودون أولئك الأعزة بخزائم الذل . ويجودون بما استخلصوه من ذلك القل . ويقدمون المقدمين من سراة الأساري . وتولونا لما شاهدناهم (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى)

(الحج ٢) فقد رضيتهم اللتوت وقضتصتهم الليوث . وبعثتهم الى مصارعهم الظاهرة من مكامن الآجال البعوث . وترك السلطان الاسلاب والخيول لأخنيها . وكانت بالأموال عظيمة . فما اعارها نظرة ولا تريد امره فيها . وفيها حصن كانها حصون . وزرد موزون . وخوذ منها مذهب ومدهون . وسيوف ذكور تتولد منها المذون . وملايس رائقات تحار فيها العيون . واينا بالملوك مصدفيها . وحمدنا الله الذي بارشاده هدينا . وجلس السلطان في خيمته على دست ملكه . وقد انتظم له عقد النصر في سلكه . فمن كان عنده أسيرا احضره . فأنعم . عليه وشكره . وكنت عند السلطان جالسا . ولحبير الصبور لايسا . وقد جمع اولئك الاسراء . وما اسعد الله إلا في تلك الساعة اولئك الاشقياء . وبامت محاورته لهم مشافهه . واطعمهم بعدما أنسوا فاكهة . ثم بسطهم ببسط الخوان واشبعهم وأرواهم ثم احضر لهم كسوة وكساهم . والبس المقدم الكبير فروته الخاصة فقد كان الزمان قد برد . وفصل الشتاء قد ورد . وأنن لهم في ان يسيروا غلمانهم لاحضار مايريدون احضاره . ولاعلام من يؤثرون ان تعرف معارفه اخباره . ثم ذقلهم الى دمشق للاعتقال . وحفظهم بالقيود الثقال .

فصل من كتاب بشرح الحال ووصف المقام مع الاعتلال

ولما كانت ليلة السبت ثالث عشر من شوال كانت نوبة اليذك لأخيها الملك العادل فأشار بانفاذ عنة اليه تكون في الكمين . وتقيم في الكمين اقامة خدرات الاسود في العرين . فأنفطنا اليه من مماليكينا سنية سرية سرت سرا واستسرت وسرت . وقرت في مكمنها الى ان طابت الانفس بصنعها وقرت . ولما اصبح الفرنج يوم السبت خرجوا على العانة عابدين وللمنايا الى نابيهم منابين، فاستطرد من حضر من العرب واليزكية قدامهم . واطهروا انهم قد ظهوروا عليهم وهربوا .

ورهبوا اقتدامهم..وما زالوا ينهزمون وهم وراءهم . يقومون فيهم رجاءهم . حتى ابعدهم عن المأمن . وعبروا بهم عن الممكن . فخرج عليهم الكمين من خلفهم . وفتح عليهم أبواب حتفهم . وأروهم وجوه المنايا في مرايا غرر الجياد . ونزعوا عنهم لباس الجلد لباس الجلال . وقلقوا البيض بالبيض . وقلحوا الحديد بالحديد . واشعلوا نار الظبا في ماء الوريد . وفصوهم بالفضاء . وعروهم بالعراء ولتوهم باللحوت . وبتوا اعناقهم من حبل الوتين المبتوت . فلم ينج منهم ناج . ولم يبق منهم للبقاء راج . واسرت عدة من مقدميهم . ومعروفيهم ومحدثيهم وكانت هذه بحمد الله نوبة بغير نوبة . وكرة بغير كرة . وغزوة اننت بأوفر حظوه . ووقعة اننت بل اجنت كل نصره نضرة عذبة حلوه . والحمد لله الذي تزكو انعمه بسقيا الحمد . وتوضح عوارفه لنا كربها جدد الجدد . ولولا مرضنا في النوبة الاولى التي خرجوا فيها بأجمعهم . لما نجوا بدشاشاتهم بل تعجل مصيرهم الى مصرعهم . لكننا ما قدرنا في ذلك اليوم على الركوب . وجاسنا على تلة قريبة من المعركة ننظر ما يكون من العسكر المندوب . والان بحمد الله قد توفرت حصة الصحة . ولزمت منه المنحة . وكذلك مرضنا عام اول شهرين . والحمد لله على المهلة في السنتين . فاقمنا مع السقام ، وسقمنا في المقام ، وصبرنا وصابرنا . وجاهدنا وجاهدنا . ومقامنا في هذه الملة المنية في بلاد الغور . والوخم فيه يقضي على ماء الصحة بالغور ، ومامنا الا من التاث . فأعانه الله بغيث فضله المنية ييمته الالاث . والحمد لله الذي أعان وأغاث .

ذكر هجوم الشتاء ومقام السلطان على الجهاد وعود
من سار من العساكر الى البلاد على رسم الاستراحة
والاستعداد

ولما تشتت شمل الصيف الرفيق . بشمول الشتاء العنيف .
وانحرف حريف الخريف كانحراف مضيف المضيف . واشتعلت

رؤوس الجبال شيبا للثلج ، وحل الوحل المخيم جيشه المجر بالمرج .
والتحفت كل هضبة ببرد البرد . واكتست الغدران من الجليد بالزرد
البرد . وليست سود الذرا بيض الفرا . وجر السيل النيل وجري .
وطمر المطر هـ وادي الوهاد . وقبض انامل الانام عن البسط
للجهاد . وجمد الضر . وخمد الجمر . وارتعدت الفرائص .
وارتدعت الاخامص . وقرست الايدي ، وامسى الجو بالجوى المسيء
يعدو ويعدي . وحل الهواء بالوهاد عقود القوى . وعقد المترفون على
حب الاصطلاء الحبا . واشتغل الملوك بملازمة المشاتي . ومنادمة
المواتي . ومناقلة المناقل . ومعاقة العقائل . ومعاقرة العقار .
ومسامرة السمار ، ومدانة اللنان . واجتناء الجنان . ومناغة
الفواني . ومناجاة المثالث والمثاني . وملايسة السوالف والسلاف .
وملامسة الطائف واللطاف . قلت نار عزم السلطان حد الشتاء
العاتي . ووقف مع عزائمه الماضية وهجر من مشى الى المشاتي .
وما صده البرد عن مقصده . ولا ربه عن مووره ولم يحتفل
باحتفاله . ولم يبال ببلاله . ولم يكثر بكاره . ولم يحدث امرا
لحادثة . فاعتاض الاصطلاء بحر الحرب عن الاصطلاء بناره .
وجرى على عابته في مصابرة الاعداء والجري لها في مضماره . وما
لها عن الله ولا رفض فرضه . وسما الى سماء الآلاء وارضاه لما
ظهر بدم انجاس اعدائه ارضه . واستمر على بذل جهده في الجهاد .
ووفى بعهده ولم يشته جفاء العهد . وقال انما أربأ بهذا الأرب .
وأرى راحتي في هذا التعب . ويقيني يقيني في ثلج صدري بلطف الله
عنف الثلج . وما يبرد قلبي مع ثقل الحر والبرد الا برد النصر
والفلاح . لكنه رأى ان مقام العساكر يجمعها . وصرفها عن العود
الى البلاد ومنعها ، يوزن بملالها . واختلال امورها وانحلالها .
والفرنج قد امننت غائلتها . وتكفى في مداومة قتالها في نوبها
مقاتلتها . فانن للجماعة في الانصراف على المواعنة في المعاونة في
الربيع . والرجوع الى مراد الروح الربيع . وليأخذوا اسباب
الاستعداد لاوقات الاستدعاء . وليستكثروا من الرجال المحققين في
نصرة الحق للرجاء من اهل الفنى والفناء والمضارب
والمضاء . فسار صاحب سنجار عماد الدين زنكي خامس عشري

شوال يوم الاثنين . وتلاه صاحب الجزيرة ابن اخيه سنجر شاه ليكونا مصطحبين . وسار بهما ابن صاحب الموصل علاء الدين غرة ذي القعدة . وما انصرفوا الا بالتشريف والخلع المعدة . وشيعهم السلطان بكل مكرمة شائقة شائعه . وخلصه رائقه رائعه . ومستعملات مصر . ومصوغات تبر . وخيل عتاق . وخير واعلاق .

فصل من كتاب الى صاحب الموصل عند عود ولده اليه وينعت بالملك السعيد علاء الدين

ما كان اسعدنا بقرب الملك السعيد وما أجد جلدنا بآنارة نوره .
وأوفر حبور بحضوره ، وأصدق شهود صدق ولائه بحكم
شهوته . وما ابهج الاسلام بنصرة ناصره ونجدة وليه وورثه .
ولقد تمت بأيا من ايامه وبركات مقامه في العدو نكيات . وظهرت
لأولياء الله من الطاف كفاياته آيات . ووقعت بالمشركين روعات .
وراعت وقعات . وقد أردنا ان نستظهر بمرافقة . ونبني الامور
على موافقة . فما ايمن سعده . وما اسعد يمينه . وما اقر وزنه
وأغزر مزنه ، لكننا عرفنا شوق المجلس الى اجتلاء سناه . بمقتضى
أدابه التي استكمل بها أدوات الارتقاء في مطالع علاه ، فقد فاق
بسداد رايه الكهول . وما ازكى الفروع الطيبة اذا أشبهت الاصول .
وما اسعد الملك بالملك السعيد علاء الدين ادام الله علاه . وسر
بفضائله اوليائه . وقد توجه والقلوب معه متوجهة . والنفوس لغبته
متكرهه . والعيون لترقب ورود البشائر عنه منتبهة . والأيام لظلمة
الاستيحاش بالليالي متشبهة . والموارد الى ان يمن الله بعود الانس
بعودته متسنة . والالسن بذكر اخلاقه الطاهرة والافاضة في
محاسنه الزاهرة متفوهه . والخواطر فيما تمثلته ايام الاستسعاد
به من مبهجات لائه متزده ولاشك ان يصف بلهجه الفصيحة . ما
اقتناه من المتاجر الريحه . وقدمه من المسامعي
النجيحة ، واستنجه في الغزاة من مغازيه الصحيحه . وله في كل

نصرة وهبها الله للاسلام اوفى نصيب . فقد اُمسى مقتل الكفر بكل
سهم مصيب . وهو المستصرخ الهدي اسبق ملب واسرع مجيب .
وان الله له بسفور صبح سعادته ووفور نجب ارادته افضل مثيب .

ذكر ما تجدد بعد ذلك في هذه السنة

لما هاج البحر وماج . وظهر الارتجاج والانزعاج ، نقل الفرنج
سفنهم خوفا عليها الى صور فريطوها بها . واخلوا ساحل عكا من
ارعايها واراهايا . وخلا لنا وجه البحر وغابت عن الساحل مراكب
الكفر . فاشتغل السلطان باذفاذ البذل الى البلد . من الثابتين في
الجلاد على الجلد . فانتقل الملك العادل بمخيمه الى جانب الرمل
ونزل قاطع نهر حيفا في سفح الجبل . لتسهيل طريق من يسيره الى
البلد من البسمل . فان المقيمين في عكا شنعوا امراضا
معترضه . واعراضا ممرضه ، وكثرة السواد مع قلة الذفقة والزاد .
وكان في البلد زهاء عشرين الف رجل من امير ومقدم وجندي .
واسطولى وبحري ومتعيش وتاجر وبسطال . وغلمان ونواب
وعمال ، وقد تعذر عليهم الخروج فسكنوا . واذا عاينوا خوفا على
الموضع . موهنا عاونوا وما وهنوا . فرأى السلطان ان يفسح لهم في
الخروج رفقا بهم ورأفة . وما افكر أن في ذلك مخافة وافة ، فقد كان فيه
امراء امروا الامر والفرأوا الصبر ومانعوا الحصر . واجتروا
وتجاسروا . وصبروا وصابروا . وحاربوا وخرجوا . وجاروا
وجربوا . وزالوا وازالوا . وحاوروا واحالوا وعرفوا مكانهم
المكاييد . وكشفوا كوامن المقاصد . واخذ كل موضعه في الحرص على
الحراسة وشاعوا بالسماحة والحماسة . وكان فيهم من يطعم
وينفق . ويجمع الرجال وقلوبهم بما عليهم يفرق . مثل حسام الدين
ابي الهيجاء السمين . فانه انفق ما انخره من الالوف
والمئين ، مستمرا على انفاق لا تعتريه فيه خشية اطلاق وهناك
ستون اميرا ومقدما . وكلهم يرى المغرم في سبيل الله مغنما . وكانوا
ينتفعون بالعوام وكثرة الناس في جذب المجانيق . والاعانة على ما

يذوق في الحصر من التضيق فلما خرج الخواص خرج معهم العوام .
وتبدد بتبدد نظمهم النظام . والزم السلطان جماعة من الامراء
بالخول . فخدموا على ان يعفيهم بالبدول . فلم يقبل منهم بذلك .
والزم ينقل الأزواد لبعض سنتهم كلا . فلم يدخلوا الا بعدل . وقد
بلغوا في غي الرأي الى اقصى غاي . واكثرهم صرف رجالة
المعروفين المستخلصين . واقتنع بمن استجد استخدامه من
المسترخصين . وانهبوا الايام بالمدافعة . وابطأوا عن فرض
المسارعة . والملك العادل هناك يعنهم ويحضرهم ويحرضهم .
ويعينهم على تحصيل المراكب لهم وينهضهم . حتى لم يبلغ من نخل
عشرين اميرا مقدمهم الاحمد . سيف الدين المشطوب علي بن
احمد . وامر السلطان بالمتابعة في الابطال البطالين . ليحضروا
لقبض النفقات وكان يحضر الجاوش في كل يوم مئتين . ويصبح
نواب الديوان في امرهم مرتين . لحرصهم على توفير الدرهم .
وبخلهم بالنفقة ويعدونها من المفرم . ومعظمهم من نصارى مصر
ومن هو في نصرته النصارى . وفي تفسير ما يجب تسهيله وتعقيد ما
يجب تحليله لايحارى ولا يبارى . وكل واحد منهم للقبط قطب . وفي
الخبط خبط . وللشرك . وفي الحسن حسك . وللشرك
مشارك . وللبين تارك فارك . ولهم اخلاق اخلاق . وطباع بالطبع
اغلاق . تاوي للبخل والتبجيل الى التأويل . وتقلي لتكثير السوء في
الخير سوى التقليل . وهم جاليون للغي . طالبون للبغي . كاسبون
للذم . مناسيون للضم . والمسلم فيهم متولي الخزانة . يرى الشح
بما يوجد به السلطان من الامانة . واصنعهم في الكفاية عندهم
امنهم للاطلاق واعذتهم بالحق اقذعهم . واعنهم للحق اقذعهم .
واجوبهم ارداهم . واضلهم اهداهم . وهم متفقون فيما بينهم على
الخيانة . مختلفون في الظاهر لابتداء الصيانة . وكان يحضر هؤلاء
لعرض البطالين واستخدامهم . ويوحشونهم بخطابهم وينفرون
بكلامهم . ويقابلونهم بالجبهه ويعاملونهم بالنجه . ويواجهونهم
بالسوء ويستوونهم في الوجه . ويشبثون في طلب الضمان .
ويشبهون مترطون ~~مترطون~~ اليس في

الامكان . ويطردونهم بقييح الزجرة . ويكسرونهم في صحيح
الاجرة . والسلطان يجود جود السحاب . ويأمر بالعتاء
الحساب . ويجد حث الزواب . ويجد في بعث الاصحاب . ويقول
انفقوا ولا تخشوا اقلالا . وانهضوا الرجال خفافا
وثقالا . ولا تؤخروا شغل اليوم الى غد . امهالا او
اهمالا . ولا تقدموا على هذا الفرض فرضا ولا نفلا . ولا تعقدوا ان
لنا اهم من هذا الشغل شغلا . ونواب الديوان على عادة جهالتهم .
وعانية ضلالتهم . فما قبل العطاء غير مضطر فقير . وما دخل الثغر
الا قليل من كثير . وما صح من البذل الا بعضه . وما قضى حق
الواجب المتعين فرضه . وكان هذا من اقوى اسباب الضعف .
وأوفق دلائل الخلف . وسيأتي ذكر ذلك في موضعه في سنة سبع .
فانه عاد كل مديبر يضر على الثغر لا يذفع . واقام الملك العادل على
البحر لازاحة علل الداخلين . وراحة قلوب الواصلين . حتى عاد
الفرنج بمراكبهم . وانقطع بوصولهم الطريق من جانبهم . واقتنع
البلد بمن اليه تحول . وعلى حفظه من الله بعصمته عول .

وبتاريخ يوم الاثنين ثاني ذي الحجة وصلت من مصر باللفة
بطس سيع . وكان لها الحاجة اليها وقع . وقيل قد تم بها للجائعين
شيع . وانقلب أهل البلد الى البحر لمشاهدتها . ومعاونة جماعتها
ومساعدتها . ونقل ما فيها من بضائع وحوائج . وبيع وروائح .
وما كؤل ومطعموم . ومشروب ومشموم . فقد طال بذلك كله عندهم .
وانتهى الى الغاية جهدهم . فلما تسامعوا بالبطس تسارعوا الى
الملتصم فعلم الفرنج بانقلاب أهل الثغر . الى جانب البحر .
فزحفوا زحفا شديدا وحملوا جندلا وحيدا . واتسوا بسلالم
لينصبوها على الاسوار . وصارت عكا وهم حولها كالعصم في
الاسوار . وترقوا في سلم واحد متزاحمين . وللضيق متصادمين .
فاندق بهم السلم المنصبوب . وسطا بعصايهم المعصوب بها لنصب
سوط العناب المصبوب . وتدارك الناس وتلافوا وتلاقوا . وتعاطوا
كؤوس المنايا وتساقوا . ورأوا غمرات الموت فزاروها . وباروا

حول رحى الحرب وأثاروها . واستحلوا شهد الشهادة فشاروه .
وألغوا الأجل كامنا قاتاروه . وتواثبوا عليهم ترواثب السباع على
الضباع . ورفعوا لقرى العواسل الجياح نار القراع . واطالوا بشبا
العوالي للعوالي باع الأشباع . وانبعوا عيون النجيع من عيون
الجميع جداول البيض . وافاضوا قيوض الدم القاني بالصارم
المفيض . وقتلوا وسفكوا . وقتكوا وهتكوا . وردوهم على أعقابهم
ناكسين . ومن حسابهم ناقسين . ولا شتغال الناس بكشف ما عرا
من الغمة . وأظلم من الظلمة . والتهائم بثقل الغلة . عن نقل الغلة .
وتركوا البطس بحالها . مملوءة بفلالها . حتى هاج البحر فضر
بها الحشف . وأذهب بكسرهما كل ما فيها وأتلف . وغرق من كان
فيها . وأتى الفرق على الامتعة التي تحويها . حتى قيل هلك بها
زهاء ستين نفسا . وعدموا ولم نجد لهم حسا . وناموا والقدر
منتبه . ونهلوا وحكم القضاء اليهم متوجه . وفي ليلة السبت سابع
ذي الحجة وقعت قطعة عظيمة من سور عكا على فصيلها فهدمته .
وثغرت الثغر وثلمته . فبان منها الضوء لأهل الظلمة . فقتلوا
اليها طمعا في هجم الثلمة . فجاء أهل البلد وسدوها بصدورهم
وصدوا عنها بنحورهم . وبنوها بأبدانهم الى أن بذوا ذلك
البني . وعمرها ما خرب وقوا ما وهن . وقتلوا وجرحوا من العدو
خلقا . واوسعوا بالمضايقة في كل ذي خرق خرقا . فأنجلت الحرب
عن طريق صريع . وجريح الى الهزيمة سريع . وطلح للعقير قريب .
وعاد الثغر اقوى مما كان وأحكم . وكل ذلك بجهد بهاء البين
قراقوش حيث كان المقام المقدم . وهذا الأمير قراقوش لما ضجر
الامراء وضجوا . وطلبوا الخروج ولجوا . اقام ولم يرم . ولم ينحل
عقد ثباته ولم ينخرم . وفي ثاني عشر ذي الحجة هلك ابن ملك الالمان
بمرض الجوف . ولعله من عرض الخوف . وأدرك أباه في الدرك
الاسفل من النار . وابصر في جهنم مصاير امثاله من الكفار . وزاد
بهلاكه ألم الالمانية . وانست بموته فرج الفرنجية . وتبعه في السفر
الى سقر . كند كبير يقال له ككتيباط دافع القدر فما قدر . وهلك
منهم بالامراض المختلفة العدد الكثير . واشتعلت بهم الجحيم
واشتعلت عليهم السعير . وفي يوم الاثنين ثاني عشري ذي الحجة

عاد المستأمنون من الفرنج الذين انهضهم السلطان في براكيس .
ليغزوا في البحر ويكودوا ايضا لنا جواسيس . فرجعوا وقد غنموا
وغلّبوا . وكسروا وكسبوا . وسروا واسروا . وقسروا فظفروا .
ونكروا انهم وقعوا بحراقة كبيرة ومعها براكيس . وفيها تجار فرنج
ومعهم من المال الجليل النفيس . واسر التجار واخذ المال . وحيزت
تلك المراكب وجذبت الى الساحل . فاننا هي مشحونة بالكرائم
الجلال . من كل انية مطبوخة نهية . وحلية مصوغة نضارية . والة
فضية واباريق واكواب واقناح . واطباق وموائد وسباثك وصفاح .
وكاسات وطاسات . ومرافع وشربات . فوفر السلطان عليهم هذه
الاكساب . ولم يحرمهم حيث حرموا لكفرهم الثواب . واظهروا بهذه
النهضة انهم مناصحون . وليمين الايمان مصافحون . فلما اكرموا
بتلك المكرمة . اثنوا على اليد المنعمة . واسلم منهم شطرمهم .
وحسن بيننا ذكرهم . وببركات الكرم السلطاني كرموا . وانسوا
واسلموا وكانوا قد احضروا برسم الهدية مائدة فضية عظيمة وعليها
مكة عالية . ولها قيمة غالية . ومعها طبق يماثلها في الوزن . ويتعذر
وجود ذلك للملوك في الخزن . ولو وزنت الفضيات قاربت قنطارا .
فما اعارها السلطان طرفه احتقارا . وقال لهم خذوها فأنتم بها
اولى . وكان اول من اسدى هذا المعروف وأولى . وكنت عنده
جالسا . وبلطفه مستأنسا فقلت له ما أظن في الوجود ملكا يسمح
بمثل هذا المال ، وخصوصا وقد اغتمه الله من الحلال . فتبسم
لقولي غير معجب به . وما قضيت العجب مما قضاه كرمه من أربه .
وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة أخذ من الفرنج بركوسان فيهما
نصف وخمسون نفرا . فجلا لنا نصرا وعلا نجحا وحلا ظفرا . وفي
الخامس والعشرين منه أخذ ايضا بركوس فيه من الفرنج مقدمون
ورؤوس وهم نصف وعشرون منهم اربعة خيالة . ضمتهم من الاسر
حباله ومعهم ملوطة . مكلفة باللولؤ منوطة . وبازرار الجواهر
مربوطة . قيل انها كانت من ثياب ملك الالمان . واسر فيه رجل كبير
قيل انه ابن اخته وهو كبير الشأن . وفي هذا الشهر كان قدوم
القاضي الاجل الفاضل رب الفضائل والفواضل من مصر فاشرفت
المطالع . واشرفت الصنائع . وبشرت المطالب بنجاحه . وغزرت

المواهب بسماعه . وغابت بحضور مكارمه المكاره . ونزع بلبسة
إفضاله لباس الخمول ذوو الفضل الثانيه . واعاد روح السلطان
بإعادة الروح الى سلطانه . وسر بمكانه واقترب احسانه بإحسانه .
وظهرت في وجهه به الطلاقة . وفي قلبه العلاقة . وروى رأيه بري
رأيه . وتلقن ليات النصر من نص ليه . وانتعش عشاري بمقدمه .
وانتعش خط فخاري بكرمه . وحلى عطلي وحيا أملي . وقوي عملي
ووضح منهاج مناي . وصح مزاج غنائي ونبه قدري ونوه بذكري
وسعى في رفع رتبتي وزيادة راتبي . وسن غربي واسنى غاريبي .
واقربي وقربني . واستكتب الخطوط بالحظوظ كما كان استكتبني
فعثت ونعثت وفرشت بساط الغنى فرشت . ولولا انني قويت به
لاقويت . ولولا انه أولاني عارفته لما عرفت ولا توليت . فانا شاكر
نعمه عمري . وعامر كرمه بشكري .

ذكر جماعة من المستشهدين في هذه السنة

استشهد في عكا سبعة من الامراء كل منهم سبع . ومالي لقائه
القرن طمع . ومن جملتهم سوار من الممالك الخواص . ومن ذوي
الاستخلاص . وكان هذا سوار في كل حرب مساورا . ولكل هول
مباشرا . ويكل بوس عبوس باشرا . فجاءه سهم عائر . فاذا هو
الى الجنة سائر وكذلك عنة من امراء الأكراد . كانوا من الاساد .
ففازوا بحظ الاستشهاد . وخرج اسطولنا في هذه السنة . ويشوانية
المعجبة المحسنة . ليكبس شواني الفرنج في مواضع الربط .
وأحرقها بقوارير النفط . فخرجوا الى شوانينا بشوانيتهم . ولقوا
عوانيتهم بعوانيتهم . وظفرت اساطيلنا وطالت . ووصلت اليها
وصالت . ونالت من الظفر مانالت . وأحترقت للكفر شواني
برجالها . وغرقها بأبطالها . وكان عند العود تأخر لنا شيني
مقدمه أمير مبارز كالاسد الخادر لا يصحرا الا للفرسية ولا يبرز .
وهو يعرف بجمال الدين محمد بن ارككز . فشين الشيني وشانه .
وما اعانته أعوانه . وامتلات بالأعطاب اعطابه . واضطربت للانكار

أركانہ . واضطربت باهل النار نيرانه فتساقع من فيه الى الماء ، واحترزوا من البلاء بالبلاء . ووقف الأمير على قدم جلده يجالد . ويجد ويجاهد . وقد اذله بليس البسالة الحديد . وخف به العزم الشديد السيد وقد دعاه الى أمتية المنية الذكر الحميد . والاجر العتيد . فما ارتاع للروع . ولا استطاع الانقياد بالطوع . ولا مكن العدو من مكانه . وأخذ مع الشانين بشنانه . ولولا ان ملاحيه جبنوا وفروا . ومناصحيه خذلوه وماقروا . لجنى بسيفه ثمر النجاة . لكن الأجل قطع عليه طريق الحياة فاجتمعت على مركبه مراكب الجمع . وسدوا عليه سبل البصر والسمع . وقالوا خذ منا الامان واستأسر . وهون الامر عليك ولا تعسر ويسر . فالعاقل يختار البقاء على الفناء والوجود على العدم . وأنت في عين الهلاك أن لم تعطنا اليد وثبت على هذه القدم . فقال ماأضع يدي الا في يد مقدمكم الكبير . ولا يخاطر الخطير الا مع الخطير . فسموا له كتنا أرضاه . وأراد ان يشركه فيما الله قضاء . فلما دنا لياخذه لزمه وعانقه . وقوي عليه وما فارقه . ووقع الى البحر وغرقا . وترافقا في الحمام واتفقا . وعلى طريق الجنة والنار افترقا . فارتوى الشهيد السعيد بماء النعيم . وصلى الكند الكتود . بنار الجحيم . واستشهد ايضا في ذلك اليوم الأمير نصير الحميدي جرح فمضى حميدا . وشهد مقامه في الجنة شهيدا . وسعى نهره حتى قضى سعيدا . ولم تخل وقائع هذه السنة من استشهاد جماعة من أمراء العسكر . وسعداء المعشر وكرماء المحشر . وندماء الكوثر . وحلفاء المفخر . واستشهد يوم تاسع جمادى الاولى القاضي المرتضى بن قريش الكاتب . وكان صدرا تجمل به المراتب . وجريا جاري القلم . بليغا بالغ الحكم . مهيبا يخشى مرهوبا لايفشى . وهو في أهبة من المهابة . وكتيبة من الكتابة . صوبه في الصواب منتجع وخطابه في الخطب مستمع . ولرايه ري وريا . وتدييره للامور بتنفيذ الاوامر السلطانية دينا ودينا . ولم يكن له في الكفاية كفه . ولم يزل لخروق الخطوب بقلمه رفه . وكان رجل دمشقى بنا بلس له ملك بدمشق قد تركه . ورغب في ابتياعه القاضي المرتضى ليملكه . فتقاضى بيناره فانفضلا على التراضي . ونجح سعي القاضي للقاضي . وبكر البائع الى سلام

المشتري ووثب ووثب المجتري وطعنه بمديته . وهو آمن من في
خيمته . وقتك به فتك اللعين أبي أولوة بالفاروق . وخرج من الخيمة
كالسهم في المروق فلقي قاضي نابلس فقتله . ومضى بسلك سبيله .
فادركه الناس وقتلوه . وكاد يقتل لولم يعاجلوه . ففجع المنصب
بمصابه وناب عنه أخوه مع نوابه .

وبخلت سنة سبع وثمانين والشتاء لم يشمله شتات شمله . وعقد
البرد لم يقرب محل حله . وللغيث عيث ولزور الربيع ريث . وللشعب
سح . وللضح شح . ولعين الشمس غص . ولوجه الغيم ومض
ولأيدي العارض بسط وقبض . ولنواظر البرق تلبه وغمض .
ولنواجز البرد كشر وعض . ولفص الفصل ختم وفص . وكل صاد في
بحر كانون كنون . وكل ماء بالجليد كأنه زرد مسنون . وللأحوال
أحوال . وللأهواء أهوال . وللشمال شمول . وما للقبول قبول .
وللجنوب ذنوب . وللديور في أديارها وأقبالها هبوب . وللصبا
صبايات وصبايات . وللندي الندي جنائيات وسرايات . وللجو
الجوي آيات وذكايات . وللغمام غمام . ولهام الربا من هام
الرباب عمام . وللنكباء نكبات . ولشبا شباط شبات . وللرواد
رواعف . وللهاواتن هواثف . وللأرواح رواح وغدو . وحركة وهدو
ومحبة وسلو . ونزول وعلو . ونصفة وعدو . وللراعايا العرايا من
الرياح الحيارى رذايا أنايا . وخبايا المروج الثابتة في زوايا الثلوج
النازلة خفايا . والعواصف القواصف عواص غير قواص .
والعارض عارض للحب في العراض عراض . والقوارص قوارص .
والخوالص خوالص . والبحر في هيجانه والغيم في هطلانه .
والسلطان مقيم بمخيمه على شفر عم . ولطف الله به قد خص وعم .
والملك العادل سيف الدين نازل على الساحل عند نهر حيفا .
ولتجهيز البذل في المراكب الى عكا . والسفن تندخل اليها بالأزواد .
وتعود وترجع اليها بالأجناد . ويحرص ويحرص ويرسل الى
السلطان ويستتهض . والسلطان يقاوض الذواب في ذلك . وإليهم
يقوض . وفي كل يوم يعرض الرجال . وينفق فيهم الأموال . والأمر
مستمر . والقرار منسقر . واليزكية زكية . وسنتهم في المناوبة

سنية . ولوافح عزماتهم ذاكية ونوافح مكرماتهم ذكية . والممالك
الخواص ومن خصهم وعمهم الاستخلاص . يغادرون به
ولا يبارحونه . والعدو على عكا حاشد . ولضالة ضلاله ناشد .
ويحتمون ويحمون . ويرامون ويرمون . ويذبون ويشيون . ويخبون
الى الكفرة بسوط العذاب ويصبون . وقد قسموا الاسوار على
الاجناد والابراج على الامراء . واستقبلوا النعمة في البلاء والسعادة
في المشقة التي تعدها الاشقياء من الشقاء . ان وجدوا غرة
اھتبلوها . او استوعروا كرة استسهلوا . او صادفوا ملمة
صدقوها . أو لقوا غمة كشفوها ، او صرفوا أوجههم الى نائبة
صرفوها .

ذكر ماتجد من الحوادث وتكرر للعزائم من البواعث

في يوم الأربعاء تاسع المحرم ، سار الملك الظاهر لقصده بلد
صافيتا بالعزم المصمم والرأي المحكم . وفي ثالث صفر عزم من بقي
من اصحاب الاطراف السفر . فان السلطان رخص لهم في ذلك .
فانتهجوا في عودتهم الى ببلابهم المسالك . واقام السلطان في
اصحابه . وخواصه وملازمي بابه . وملادسي جناحه . ورجال
رجائه . وخلص اوليائه ومقربي امرائه . وفي هذا اليوم رحل الملك
المظفر تقي الدين ليتسلم ماني شرقي الفرات . من البلاد التي كانت
مع مظفر الدين . مضافة الى مياقارقين . فصارت معه جبلة
واللاذقية والمعة وحماة وسلمية والرها وحران وسميساط والموزر
ومياقارقين . وشرط معه ان يحافظ على عهد صاحبي آمد
ومارنين . والبلاد المظفرية كانت قد بقيت الى هذه الغاية . مع كثرة
الطالبين لتلك الولاية . مضنونا بها على الخطاب غير مسموح بشيء
منها للطلاب . فانه مارامها من الملوك اخي السلطان وأولاده الا من
يشترط الفسحة له في استضافة بيار بكر الى ببلابه . ويقال له
لا سبيل الى قصد أحد ولا انتزاع بلد ولا إزالة يد . فان ارباب البلاد
اكثرهم لنا معاهد . وعلى وينا معاهد . وفي شغلنا مساعد . فاما من

هو عنا متقاعد . ومنا متقاعد . فما هذا أوان مكافاته ولا زمان كف أفاته . وهو منا في حصر مخافاته . وهذا العدو الكافر شغلنا به مستغرق وعزنا في قمعه متحقق . فلا نشير علينا من المسلم الكاشع والحاسد الحاشد . ومن يشغلنا عن هذا المهم الفرض والراي الراشد . فقال تقي الدين انا لي في ذلك الجانب ميفارقين فانا أخذت حران وسميساط والرها . أدركت من تكثير العساكر وتقويتها المشتبه . وبلغت المنتهى . وأنا أدخل على الشرط وعنه لا أخرج وأجمع العساكر والى نصركم مسورد في الروع ومصدر ، وما زال يستدفع السلطان عنه . ويستهدف في تخصيصه بتلك الولاية عزمه ويسأل ويتوسل ويرسل ويتوصل . حتى أخذ دستوره . واستكتب منشوره . وسار على أنه يسرع اياه ، ويحكم في العود اسيايه . واذما يلث ريثما يقسم تلك البلاد على مقطعيها ، ويرسم نوابه فيها . ثم يطلع علينا طلوع السحاب . ويأتي بالاتي العباب . ويعرض عساكر لا تدخل في الحساب . وسارع الى الرحيل وسار بعد ما استشار ولله استخار .

وفي يوم السبت رابع صفر وصل كتاب الملك المجاهد . والجواد الماجد . أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه . وهو الجري الذي اذا جاري اضرابه من الملوك في حلبة المجد لم يدركوه ولم يشركوه . ومضمون الكتاب أنه خرج في آخر المحرم على جيشير العدو بطرابلس واستاقه . ولم يطلق الكفار لحاقه . واقتلع لخاصة منه اربعمائة رأس تلف منها في الطريق اربعون . غير ما كان اصحابه منها يقطعون . وأنه غنم ايضا ابقارا وأب قارا . وسار بالغنمية سارا . وأهدى لي من ذلك بغلة سرجية عالية فارمة فرنجية . وقال رسوله لما ابصرها واستحسنها . قال تصلح للعماد فانه اذا ركبها زينها . وفي ليلة هذا اليوم وهو السبت . كبت الريح سفينة للفرنج على ساحل الزيب وغالها الكبست . وكان فيها من الفرنج خلق . فغرق في بحر الاسر من لم يسر اليه في البصر غرق . وفيهم امرأتان سبيتا . وما هديتا بل اهديتا . وشاهدت الاسارى . قدام السلطان وقد احضروا فردهم على الذين اسروا .

وفي اول ليلة من شهر ربيع الاول . خرج اصحابنا من البلد على العدو بالنائب الاعضل والناب الاعصل . وكبسوه في مخيمه . وخيموا عليه في مجتمه . فما انتبهوا لهم حتى اسروا من الفرنج وقتلوا جمعا . وأوسعوههم الى ان ضويقوا قمعا . وعادوا سالمين غانمين . كاسرين كاسيين . ومعهم اثنتا عشرة امرأة في السبي . وعرف الله لهم حق ذلك السعي . وفي الاحد ثالث هذا الشهر . شهر سلاح الحرب اهل الكفر . وخرجوا على اليزك وكانت النوبة للحلقة المنصورة خواص السلطان مساعير المعترك . وعظمت الوقعة . وفخمت الروعة . وصدمت الصدعة . واحتدمت على الفرنج بنارها الصرعة . وهلك منهم عالم كثير . وقتل منهم مقدم معروف كبير . ولم يفقد منا الا خادم رومي صغير عثر به في الحملة فرسه فلم ينتعش . واستشهد ليعيش في الآخرة من في الدنيا مات في سبيل الله ولم يمش . وهذا الخفي كان فعلا من الفحول . ناهضا على الكفر للاسلام بحمل النحول . وانتهى اليها ان الفرنج على عزم الخروج ليحدثوا ويحتلبوا مما حولهم من المروج . فلا مرعى لدوابهم ولا علف . وان لم يتلافوها بالاحتشاش خشوا عليها التللف . فأمر السلطان اخاه الملك العادل . ان يذهب ويقصد الساحل . ويكمن بعسكره وراء التل الذي كانت فيه قديما منزلته . وهناك نصرت وقعته ووقعت نصرته . ومضى السلطان بنفسه في خواصه واجناده . وأقاربه وأولاده . فكمن وراء تل العياضية . في العصابة المنصورة الناصرية . وذلك يوم السبت تاسع شهر ربيع الاول . مستظهرا بصحبة ولده الملك الأفضل . ومعه ايضا اولاده الصغار ليستأنسوا بالحرب ويدمنوا على مباشرة الطعن والضرب . فعرف العدو الخبر . فما أقدم على الخروج ولا جسر . فضربت للسلطان على التل خيمة حمراء . فبات فيها وحوله الملوك والامراء . ووصل اليه من بيروت خمسة واربعون اسيرا من الفرنج . اخذوا بالمرაკب في البحر من اللج . وفيهم شيخ هم هرم . عمره في الكفر منصرم . قد طعن في السن . ووهن كالشن . وانحنى كالحنثية . وما آمن من المنية . وتحاماه الحمام . وعامت في بحر ليلاليه وایامه الاعوام . وهو ممسوخ الحليه . ممسوخ اللحية . قد بلى مما بلى . وقلي من طول

مالقي . وسئم حياته وسئم . وعدم لذاته ولذاته وما عدم . وكم جاوز قرنا وعبره أري قرن . وبارز قرنا ونازله بعد قرن . حتى لم يبق منه الا اهابه . ولم يرقب منه الا نهايه . فتعجب السلطان من مجيئه من البلاد الشاسعه . واختياره الضيق على الارجاء الواسعة . فسأله كم بينه وبين وطنه . ولاي سبب حركته من سكته . فقال اما بللة فعلى مسافة شهور . وانما خرجت بقصد كنيسة القيامة لظفر بالحج المبرور . فرق له ومن عليه بالاطلاق . واخرجه من ذل الرق الى عز العتاق . وربه الى الفرنج راكبا على فرس . ولم ير قتله ولا اسره حيث رأى نفسا مرتهنة بنفس . وسأله خدام اولاده الصغار . ان يأتين لهم في ذلك واباه . فأرضى كل منهم بامتثال الامر الذي أباه . فقيل له: لاي سبب منعته من ثواب الجهاد المغتنم . فقال بلئلا يجترئوا من الصغر على سفك الدم . فانظر ما تحت هذا القول من الرأفة والكرم .

ذكر جماعة وصلوا من عسكر الاسلام

اول من قدم من العساكر الاسلامية علم الدين سليمان بن جندر . وكان بحلب المقدم المؤمر . وهو شيخ له رأي وتجربة . ومنزلة كبيرة ومرتبة . ومعه حصنا عزاز ويفراس . والاسلطان بقره ومجاورته الاستثناس . فقدم في شهر ربيع الاول في عسكره . وابيضه واسمره وببيضه ومغفره . وجني جنده وسني سنوره . وجلبه ولجبه . وزمره وعصبه . وبيارقه ويلبه . وبوارقه وسحبه . وقدم في ذلك التاريخ بقدمه الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه صاحب بعلبك . وقد استصحب معه مماليكه الترك . وقد ذوى بالمشركين الفتك . واستترهم الهتك . ولذماهم السفك . فوصل بقواطعه وقواضيه . وصوافنه وسلاهبه . وطلائعه ومقانبه . وحضر من الحاسن بكل ما يعرب عن مناقبه . وقد زين ليل القساطل من اسنه العوامل بكواكيه واظلاما جواده ليرد به دماء اهل الكفر فانه يعدها من مشاربه . فعن

ذلك اليوم من القادمين والمتسقبين بذلك الفضاء جيش زرت الربا عليه جيوبها وغطته من العجاج بالرباء . وجرى ذلك الوادي مع الأجناد والأمراء يسيل خيل تردأ ماء (٤٩) الدماء . وخرق ذلك الخرق أرعن في حافات الخرق . ومن عاداته بعداته الحرق ، ومن أقاته عند موافاته من فرق الكفر الفرق . ومن علاقته عند الظماء ان لا يرويه الا العلق . ومن صبايته بالسير الى عناق الاعداء بسواعد سيوفه الخبب والعنق . ومن شيمته عوض التغلف بالعبير التضمخ بالنجيع . ومن بيمته وبل النبل من الاحداق والنواظر في نواضر حدائق الربيع . ومن صنعتة اسماء حنين الحنية بسهمه . واسماع أنين المتية لخصمه . وجلونا في ذلك اليوم فوارس لا عرائس . وقوانس لا عوانس . وقدم بدر النين مودود والي دمشق بعد ذلك في سابع عشر شهر ربيع الآخر ، ويشر بورود العساكر ووصول الجمع الوافر

ذكر وصول ملك افرنسيس لنجدة الفرنج على عكا واسمه فليب

وفي ثاني عشر ربيع الاول وصل ملك افرنسيس الى القوم وصان حبلمهم وشملهم من البيت والشت . وكان وصوله في بطس ست حملت من الفرنج كل ذي شوؤ ومقت . وقد كانوا يهدون بوصوله وصوله . ويقولون لنا من تهنيده ووعيه ما يجري على قوله . وانه اذا جاء حكم واحكم . ونقض وابرم . وقدم ما قدم به من المال وأقدم . ونحن منه على مواعدة . فهو يأتينا بكل نجدة مساعدة . ووجبة عن الفقر مباحة . فقلنا لهم رب صاف تحت راعة . وما هذه الارجيف منكم بواحدة فلما وصل في العدد القليل ، والنظر الكليل ، اعجبنا قلته ، وتشابعت عنينا عزته وذلته ، وقلنا ما يكاد تصل صولته او تدوم دولته .

نادرة

وكان مع هذا الملك باز اشهب . كأنه عند ارساله نار تتلهب .
ففارقه يوم وصوله . بحيث عجز عن حصوله . وأفلت من يده وطار .
وحشا حشا الباز الذي نار النار . ووقع على سور عكا . وحزن
الملك يوم سروره بفراقه وابكى . واستجاب فما استجاب . وأبى
وما أبى . وثبت وما ثاب . فبصر به اصحابنا فأخذوه . وإلى
السلطان انفذوه . فأبدى للسرور به الاهتزاز وجعل بتشريفه بزة من
بز الباز . واظهر به احتفالا . وعده للظفر والمنحة فألا . وبذل فيه
الملك الف دينار فما اجيب . ولا وهب له ولا هيب . وما بيع ولا
عيب .

خير نادرة في غنيمة واقرة

كان المستامنون من الفرنج الينا . تسلموا براكيس يغزون فيها .
ويجرون بجواربها . وينهضون بسواربها ورواسيها . وينهشون
بعقاربها واقاعبها . ووصلوا الى ناحية من جزيرة قبرس يوم
عيدهم . وقد جمع القس في كنيسة لاهلها شمل قريبهم وبعينهم .
فصلوا معهم فيها صلاتهم . ثم اغلقوا ابواب الكنيسة عليهم ليأمنوا
افلاتهم . واسروهم ياسرهم وسبواهم . ويفتوهم من البلاء بما
ادوهم به ويلوهم . وكذسوا كل ما كان في الكنيسة . من الاعلاق
الذفيسة . وقسوا على قسيسهم وعادوا بها وبهم الى براكيسهم .
ولادوا باللاذقية وباعوا بها كل ما اخذوه من البيعة ومن الجملة
عشرون نسوة سبايا . وصبيان وصبايا . فباعوها رخصا .
واقسموها خرصا . وزادوا بمانالوه حرصا . واستغنوا مما
استغنموه . واثروا بما اثاروه . واثروه وفرحوا بما راحوا به من
مغنم . وقيل حصل لكل واحد منهم على كثرتهم اربعمائة درهم . وفي
سادس عشر شهر ربيع الآخر هجم جماعة من العسكرية السرية

فاقتلعوا من غنم الفرنج غنيمة . وخالطوهم في خيامهم وامطروهم من وبل النبل نيمه ، وركبوا بأسرهم بخيلهم ورجلهم في اثرهم . فلم يظفروا بطائل ، ولم يرجعوا بحاصل .

خبر وصول ملك الانكتير واسمه ليجرت الى قبرس واستيلائه عليها

وصل الخبر ان ملك الانكتير وصل الى جزيرة قبرس في السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر . في الجمع الوافر . حاملا جموعا كالسيل الجارف في البحر الزاخر . وتقدمته الى الجزيرة . مراكب وشوان على قصد الجزيرة . فخرج صاحب قبرس اليها واستولى عليها وغنم اموالها وصدم رجالها فلما وصل اهدف حد عزمه . وأفضى فيض غيظه الى غيض حلمه . وهو مغضب غير مفض . مريض من الم الحقد ماله سوى التشافي شاف مرض . قلبت مفكرا . ومكث متحيرا . وتروى متخيرا . فرأى ان قبرس في يده فاستن من جده في جدد . وناشب القتال . وواظب النزال وقسارع بالنصال النصال . وحلت المنايا حباها لاحتباء البيض بالأعناق . واعتناق الفلاظ مع الرقاق . ونفذ يطلب من الفرنج على عكا نجده . ليجد شدة ويوجد شدة . فنفذوا له جفري اخا الملك العتيق . في جموع مترافقة الرقيق . وامتدت الحروب . واشتدت الكروب . ورأى ان فريضته تعول . وان حالته تحول . وان شغفه يطول . واتفق ايضا انه كان رام الروم من الفرنج الفرج . وخطب كل واحد من ضيق الخطب المضج المخرج . فتراسلوا في الصلح . وخرجوا من ليل الحرب المظلم في سنى السلم الى اسفار الصبح . واجتمع صاحب الجزيرة بملك الانكتير . واثقا بما تمنى من التقريب والتقريب . وحمل له بهدايا . وتحفا سنايا . ووسع له الازواد . وبذل له الامداد . فأخذ في مأمته . وابرز له مكره من مكمته . وغله ثم غله . وشده وماله . وجازاه لما اعزه بأن اذله . وغادره بغدره .

في القيد والقيد . ومابطشت بد عادمة الايد كيد الكيد . واستولي بالاستيلاء عليه على تلك الجزيرة ، وغرق في جماء (٥٠) امواله الغزيرة . وسياتي ذكر ورويه ، وماتم به لاحزاب الشيطان وجنوده وبتاريخ انسلاخ شهر ربيع الآخر يوم الاحد . وصلت من ثغر بيروت كتب مبشرة . وبالنجاح متجدة . وهوان اصحابنا اخذوا عند الثغر بمراكبهم الغازية في البحر من مراكب الانكتير خمسة وطرانة . ولم تكن لولا اباة رجالها للضميم معتاده . وبحزام القهر مقتاة . وكان فيها خلق كثير من نساء ورجال . ونخائر اخاير من عدة ومال ، واثقال وانفال . واخشاب والات واحمال واحوال . وفي الطرانة اربعون رأسا من الخيل الجياد . قد جلبوا البلاء بجلبها من البلاد . فحيزت وحيزوا . واجيزت الى بيروت واجيزوا . فاما السبايا فقد اخرجن على البيع بالذقود والنسايا . واما الاسراء فقد عمتنا بخصوص ضرائهم السراء .

وفي يوم الخميس رابع جمادى الاولى زحف العدو الى البلد . بالجد والجلد . والعند والعند والندى والمد والجمع المحتشد والجمر المتقد . والبيض واليلب . والبيض والقضب . والسمر السلب . واللجب والجلب . والصياح والضجيج . والعجاج والعجيج والوشيج بالوشيج والامر المريج . والقصد بالقصد . والزغف والزرد . والحديد والعديد . والقريب والبعيد . والاتباع والعبيد . والايواش والايواش . والكلاب والذئاب . والسباع والضباع . والضواري الجياع . والاساود والاسود . والزرق والحمير والسود . ودبوا وذبوا . وشبوا وسبوا . وصابوا وصبوا . ونابوا ونبوا . وغبوا وغبوا . وجابوا وجبوا . وزحموا ورجموا . واقدموا وتقدموا . وقدموا سبعة مجانيق وقربوها . ونصبوا فيها ونصبوها . فعلت كأنها قلاع . وارتفعت على التلاع كأنها تلاع . وهي في الجو مترامية . وبالجو رامية . وفي السماء سامية . ولاهل النار الحامية حامية . مرتفعة على مرافعها . مقتلعة بمقالعها . منقضة احجارها لانقضاض الجدار . منقضة اسوارها لانقضاض الاسوار . حاصرة حاصبه . عاملة ناصبه . قائمة قاعنة . بارقة راعة . صادة

صادعه . صارمة صارعه . حبال من الجبال آجنتها . وحنايا للحنين
على سهامها من الحجارة رنتها . ومواضع في حجورها الاحجار .
ومرابع تنهد بدواثرها الربوع والديار . حوامل على الطلق . صوائل
بالفلق على الخلق . مطايا للمنايا . روايا لخباياها البلايا . في
كفاتها افاتها . وفي حركاتها ادراكاتها . وللتعذيب عذباتها .
وللترهيب جذباتها . وما اعظم جنائيات جنادلها . واظلم غوايات
غوائلها . وهي الروائم الروامي . والحوائم الحوامي . والهوام
بالهوامي . والصوام الصوامي . ودواعي العوامي . ونواعي
النواعي . والنواعب بالنوى . والجوائب بالجوى . والصوائب
بالصائب . والنوائب بالشوائب . اذا جذبت جذت . واذا قذفت
اقتت . واذا طوحت طرحت . واذا حلققت حلققت . واذا اطارت
ايارت . واذا الفت الفت . فشق على اصحابنا بالبلد شقاقها .
وكانت تفتح اليه الطريق طوارقها وطراقها . فاستصرخوا بنا
وانهضوا . وحضوا على حفظنا وحظهم وحرضوا . واستتفروا .
واستصروا . واستعدوا . واستدعوا . فاصبح السلطان راكبا في
العساكر . طالبا شغل العدو الكافر الحاضر الحاصر . وسير من
كشف هل للعدو كمين . او كيد دفين . ثم وقفت العساكر عنه ومر
الى تل الفضول بالقرب . وشاهد المجانيق وكيفية رفعها والنصب .
ونكايتها في الضر والضرب . وعرف اماكن القتال . ومكان
الرجال . وكلما شاهد الفرنج عسكرنا قد اطل واظل . ذل جمعهم
وكل . وترك الزحف وانفل . واذا عادوا وعدوا . واناوا في الحرب
واسدوا .

قصة الرضيع

كان لصومنا في الليل استلبوا طفلا من يد أمه . وقطموه رضيعا له
ثلاثة اشهر في غير اوان فطمه . واستحلوا بحكم الجهاد في جنح
الظلام ظلمه . وفجعوها بواحدتها وساعدها . وكذبوا صفو

مواريها . وقطعوا عنها فائدة كيها . واسعروا عليها جذوة كمنها .
وحرموه در لينها قدر دمعها . وابعدوه عن مناغاتها ومناجاتها فوقر
عن كل حديث سمعها . فخرجت والهة . وللحياة كارهة . وللشد
خادشه . وللوجه خامشه . معولة مولوله . منهلة مشتعلة . وقد
شهدت وبهشت . وتاهت واستودشت . قد سلب عقلها . مذ سلب
مفلها . وغاب ذهنها . مذ غاب ابنها . وتكرر بالحنين والانتين
ترجيعها . وتردد للألوب مما فجاها وفجعها من الكروب تفجيعها .
وهي نائحة في كل ناحية نادية في كل ناد . نادية لكل فرؤاد . عابية في
كل واد . فلم يشعر السلطان الا بامراة بالباب واقفه . وبالنحيب
هاتفه . وللدموع حادثة بتصاعد انفاسها . ومن الخلق مستودشة
لذهاب استئناسها . قارضة صدرها بتقطيعها . ضارعة لفقد
رضيعها . معولة على الطفل معولة على اللطف . متذكرة من الذكر
متعرفة الى العرف . فاحضرها السلطان وهي باكية . ونارا اكتئابها
ذاكية . تتحدر عبرانها . وتتصعد زفراتها . وتتلهب حسراتها .
تبكي ببكاؤها . وتشكي من دائها . وتشد ضالتها . وتطلب
مهجتها . وتسال عن حشاشتها . وتشتعل نار قلبها على فراشتها .
فلما شاهد السلطان حريية حزينة . مسكينة مستكينة . متجننة
متحننة . مولعة مولهة . موجعة متوهه . سمع شكواها وفهمها .
ورثى لبلاواها ورحمها . ورق بلطفه للطفل الرقيق . وسلك بفضل
طريق التوفيق . وطلب الرضيع . فقيل له انه بيع واضيع . فان
أخنيه باعوه بثمن بخس . ولم يعرضوه في سوق بزر ولا سوق
نخس . فما زال يبعث ويبعث عنه . ويلوم بانله كيف لم يصنه .
حتى جيء به في قعاطه . وقد كاديلف في عباة اعتباطه . فلما
بصرت واحدا . ضمت عليه ساعها . ودعت وعدت . وشدت يدا
به وشدت . فأعانها . وبذواله افانها . وبرد حرها برد روحها .
وأسا ما ساء الاسي من جروحها وقروحها . وروحها بروحها .
وفرع دوحها . واغناها بغنائها للشكر عن نوحها . وظهر سر
سرورها عليها ببوحها . وشيع معها من اوصلها الى موضعها . وقد
اجتمع شمل المرضعة بمرضعها . ومارد الطفل الا بعد ما اشتراه من
مشتريه بثمن يرضيه . وهذه نادره من جملة اياميه .

ذكر انتقال السلطان الى تل العياضية

لما اصر الفرنج على مضايقة عكا في كل يوم . وخطبوا متتابعهم في ابتياعها بكل سوم . وواظبوا ركوب بحر الحرب بكل خوض وعوم . وبناروا حول حمى دارها بكل حوم . ولم يكن يد من ركوب السلطان بالعساكر اليهم في كل يكرة وعشي . وارعاب النوم بكل حد مرهوب وجد مخشي . وكانت المسافة نائية . والافة دائية . انتقل السلطان الى تل العياضية . بعساكره واثقاله بالكلية . بالعزائم والصرائم الماضية الماضية . الراضية المرضية . ولم يكن انتقاله دفعة واحدة . بل مهد له قاعة . فان يوم الثلاثاء تاسع جمادى الاولى بلغه ان القوم قد عادوا العواني . ورفعوا من ضلالتهم الهواني . وضايقوا البلد اشد مضايقة . وعالقوه اجد معالقه . فامر الجاوش حتى نادى . وباكر الغدو بالعساكر وغادى . ووصل بالفارس والراجل الى الخروبة وقوى اليزك . والزم المتقدمين والامراء بحفظ نوبهم الدرك . وقدم جماعة من الخيل لعل العدو اذا عاين قتلها خرج بالكثرة . وتورط في العثرة . فلم يشغل بها بالا ولم يلفت اليها جنانا . بل تصرف على غنايه ولم يصرف نحوها عنانا . واشتد على البلد زحفه . وامتد عسقه . فساق السلطان بالعساكر وهجم وترك العدو الحصار واحجم . فلما جاء الظهر رجع العدو الى مجثمه . والسلطان على قصد العدو الى مخيمه . ولما وصل الى تل الخروبة . ونزل في خيمة لطيفة لاجله مضروبة . وصل من اليزك من اخبره ان العدو لما علم انه قد انصرف . عاد الى اشد ماكان فيه وزحف . وانه قد اربع وارعب . وارهق وارهف . والهى والهف . وارهب وارهج . واعجز وازعج . وثار واثار . والحم الملحة بناره واثار . فبعث السلطان هذا الخبر على ان بعث الى العساكر بالمخيم فاعانها . واستتهض الى القريسة آسانها . واجرى في حلبة الحمية جيانها . ودعاها الى طعن يبرح بالذوايل . وضرب يرنج اعطاف المناصل . وامرها من الحرب بامرها . وادارها من مري اخلاف الدم بأدرها . ثم سار اخر ليلة الاربعاء عاشر جمادى الاولى

الى تل العياضية قبالة العدو . وضرب خيمته باعلاه ظاهر العدو .
والعدو بالحصر والزحف مصر مصر . وعلى عنائه وعنايه مستمر .
والسلطان في كل يوم يصايح القوم بالقتال ويماسيهم . ويرواحهم
ويغايهم . ويقاتحهم ويبادلهم . بضرب كما اشترطته حدود الظبا .
وطعن كما اقترحته كهوب القنا . وفكك كما تمتعه المنية . ورمي كما
حنت اليه الحنيه . هذا ومجانيق الكفر على الفي مقيمه . وللرمي
مديمه . وبالا حجار متقاطره . وعلى الاقطار حاجزة . وللجلاميد
قارعه . وللصخور بالصخور قاله . وتمكن الفرنج بها من الخندق .
فندوا منه ندو المحنق . وشرعوا في هجمه . واسرعوا الى طمه .
وباموا يرمون فيه جثث الاموات ، وجيف الخنازير والدواب
النافقات . حتى صاروا يلقيون فيه قتلاهم . ويحملون اليه موتاهم .
واصحابنا في مقابلتهم ومقاتلتهم قد اقتسموا فريقين . واغترقوا
قسمين ففريق يلقي من الخندق مالقي فيه . وفريق يقارع العدو
ويلاقيه .

ذكر وصول ملك الانكتير

وفي يوم السبت ثالث عشر الشهر المذكور . اشاع اشباع الكفر سر
السرو وعقدوا حبا الحبور . ووصل ملك الانكتير . واظهروا انه في
الجمع الكثير والجسم الغفير . وكانت معه من الشوانى خمس
وعشرون قطعة . كل واحدة منها تضاهي قلعة وتوازي قلعه .
واحدث في القلوب روعة . وارث في النفوس لوعة . ولعت لنا من
خيابهم تلك الليلة نيران زائفة . وانفاس للشرارة متصاعدة .
والاسنة للاشعل نضناضه . واشعة على الجو مفاضه . فكانما اوربت
الجحيم لقدم وارد نارها نارها . واوصلت لوصول اولئك الشرار
شرارها . واورت لهم اوارها . وشاهدنا تلك البسيطة قد يسطت
على اهل البياجير الاضواء وهتكت عنها لهتك ستر الظلام ضلالهم
الظلماء . فعرشنا كثرتهم بكثرة نيرانهم . ولما كانوا من اهل النار

ببرهانهم . وأنتهم باتيانهم . وأضافتهم في مكانهم . وملك الملك
بأمره أمرهم . وأراهم أن بيده نفعهم وضرهم . وملا عين الملاعين .
وأطال لتناولهم أشتان الشياطين . وحفر للمكايد أبارا . وأثر في
المكر أثارا . وأرث للشر نارا . وأثار لنصرة النصرانية ثارا .
وتحدث الناس بحادثه وحديثه . وبما تأثرت القلوب به من تأثيره
وتأريثه (٥٩) . وارتابوا وارتاعوا . والتاحوا والتاعوا . وغدت
الأسنة ترجف والقلوب تجف . وكاد الباسل يجبن . والباطل
يخشن . والحق يلين . واللين يدين والسلطان قوي الجنان . روي
الايمان . صاف يقينه . واف دينه . شاف نصحه . كاف نجحه .
مثبت جيشه بثبات جأشه . عامل لمعاه . ونصر الحق في معاشه .
متان في تفكره . متان في تدبره . متوكل على ربه في نصرته بينه .
متوسل اليه في تأييده وتمكينه . لآتروعه المضافات ولا تخفيه
الرائعات . ولا تززع الخطوب طود وقاره . ولا تفض الذوائب خيم
نماره . ولا يلين للشدائد . ولا يستكين للروائع الرواعد . وكم سكن
الاسلام بحركاته . واخصبت الايام ببركاته ونام الانام ليقظانه .
وأمنت مصر والشام بنهضاته . فما راعه ماعرا . وما درأ عزمه لما
درى . ولارد وجهه عما قصد . ولا صدف رأيه عما عليه اعتمد . بل
أزداد قوة بصيره . وأزدان بسريرة لكشف اسرار الغيب مستنيرة .
وعمد إلى السماء فاستعار من أنجمها أسنة الذبل . ودلف في الارض
فوهب تربها للقسطل . وأعلم ملك الانكثير ان جمع كفره للتبثير .
وان نشاط سره للتفتير . وان أسنة اهل التوحيد مولعة من نحور
أهل الاشراك بهتك الستير . وركب في مراكب حلت المنايا الحبا في
كتائبها . لتحتمي اعناق العنا وطلاها وتتصل بقواطعها وقواضبها .
بخيل تأبى الضيم مثل إبانته . وفخر مثار النقع يذوب عن لوانته .
ووجه كلمع البرق في ضيائه . وقلب كصدر العصب في مضائه . وأقام
السلطان على هذه الحالة . ساميا في مطالع الجلالة . لم ينض
سلاحه . ولم يخفض جناحه . ولم يركز رماحه . ولم يردع اللروع
مراحه .

ذكر غرق البطسة

كان السلطان قد عمر في بيروت بطسه . وزاها من العدد والالات . وأودعها من كل نوع ميره ، وكلاها غلة ونخيرة . وأركب فيها زهاء سبعمائة رجل مقاتلة لعا . من كل من طهر وتزكى . وشكره الاسلام إذا الكفر منه تشكى . فلما توسط تبج اللجة . وتورطت على نهج المحجة . صادفها ملك الانكثير . بحكم قضاء الله والتقدير . وأحدث بها شوانيه . وعدتها عوانية . وقاتلتها نصف نهار . وهي لاتذعن لاقتسار . فأكبت من العدو مراكب . وجبت لها غوارب . وأحرقت وأغرقت . وهتكت وخرقت وفرت وما فرقت ، وقتل من الفرنج خلق عليها . وما امتدت يد عدوانهم اليها . فلما يئست من سلامتها . وزلت عن استقامتها . وجالت على الاضطلام . قال مقدمها : علام نسلها والموت بالعز خير لنا من الحياة بالذل . والشح بالدين أحب الينا من البذل . فنزل إلى البطسة فخرقها ومانع عنها حتى أغرقها . وسعد أهلها . وأفترقت وسيجتمع في نار النعيم شملها . ووصل الينا خبرها اليوم السادس عشر من جمادى الاولى . فقلنا الدهر يومان : نعى وبؤس . وما يزالان على ذلك حتى يزولا . وكانت هذه الواقعة أول حادثة للوهمن محدثة . وللهم مورثه . ولنا الاسى مؤرثة .

ذكر حريق الدبابة

وكان الفرنج قد اتخذوا دبابة عظيمة هائلة . قد أظهرت لها في الشر غائلة . ولها أربع طباق . شدها على الارتباط باق . ولها من الاحكام باس ولباس . وهي خشب ورصاص وحديد ونحاس . وقربوها الى أن بقيت بينها وبين البلد أذرع خمس . وفي طباقها سباع ضوار وذئاب طلاس . وبلي البلد منها بكل بلية . ورزي بكل رزية . وكانت هذه الدبابة على العجل . ليأقربوا بتقريبها أسباب

الاجل . فباتت القلوب منها على الوجل . وكاد أصحابنا يطلبون الامان . وخضع كل ابي واستكان . فقارعوا عندها اشد قراع . وماصعوا اجد مصاع . وتوالت عليها من مساعير الرهط . قوارير النفط . وهي تضرب في حديد بارد . وتضرب عن كل شيطان مارد . وتنبو عن الاحراق وتنبى عن الاخفاق . حتى بدت قارورة انقضت على شيطانها كالشهاب . فاخذت الدبابة وقلوبهم قبل جسمومهم في الالتهاب . فعونناها بسورة (والنجم إذا هوى . ماضل صاحبكم وما غوى) فجاء من انقلاب القارورة قرار القلوب . ومن حر انفاسها برى النفوس . وكشف شعاعها ظلم الكروب . ونزعت بشاشتها عن الوجوه لبوس العبوس . وانارت نارها لنا بكل نور . ولهم ببوار قوم يور . ودبت شعلها في اضلاع الدبابة وجذوبها . فاحترقها الله احراق اهلها بنذوبها . وكما اضاءت الافاق بنيرانها . اظلمت بخانها . فجلت لنا بياض النصر في السواد . فكانه سواد الناظر او سويداء الفؤاد . بل سواد المداد ياتي من انواره بالامداد . فجلا حريق هذه الدبابة صدا قلوبنا المغتمة بالبطسة الفريقة . واحمت نارها في حماية الحق حمية حماة الحقيقة . فانما احترقت الدبابة يوم وصول خبر غرق البطسة . فكان تسميتها لتلك العطسة .

ذكر وقعات في هذا الشهر

كانت العلامة بيننا وبين أصحابنا في عكا عند زحف العدو ق الكؤوس . حتى اذا سمعناه جينا في الزحف الى العدو بالنفائس والنفوس . ولما اصبحت يوم السبت التاسع عشر من الشهر سمعنا من كوس البلد نعراته . ونظرنا من جانب العدو مثار غبراته . فعلمنا بزحفه . وعملنا في حقه . وضرب الكوس السلطاني اصراخا لصراخ ذلك الكوس . فتمايلت أعطاف ذوي الحمية من حميا العزائم لامن حميا الكؤوس . وركب السلطان في كل مشمر للبرد . مضمر للجرد . قضفاض السرد . قضفاض كالاسد الورد . مشتاق الى الطرد . ملتحاق من ماء الوريد الى الورد . من التترك والاكايدش

والعرب والكرد . يهوي الى الاقازن هوي المصلتات الى الرقاب .
ويظن الى إرواء الاسل الظماء فيطيل صدى الخيل العرب . وكل
ثمل كانه نزييف الحميا . يعيد السماء من الارض بركضه شاحبة
الحيا . وكل ضرب تكاد تفيض مضارب نصله من خفة الطرب لولا
وقاره . وكل طلاع مع الذوب لاينام ناره . ولايثبت في الجفن غراره .
وكل منصلت ينير في ظلام العجاج بنجوم الاسنة . وكل مطرد يعيم
السوايح السوابق في بهور الاعنه . وكل رام فروج المازق حتى تغرى
بأيدي المذاكي . وكل شاك في السلاح مشكور في اشكاء الحق
الشاكي . وكل مصمم مصمم درعه غير محقبة . وسهامه غير
مجعبة . وسيوفه غير مقروبه . وقبابه لداومة اجراء فيه غير
مضروية . وسار السلطان وقد اسوت لوقع السنابك جروانب
جحفله . وابيضت بلمع الترائك مذاهب قسطله . واشتبهت في الذقع
الوان خيله . وامتدت الى قرار اللقاء أعناق سيله . فكانما غارت
الشمس من شمس شمس فتوارت بالحجاب . وعد الذقع في ويل
الذبل من حساب السحاب . ولجت العساكر عليهم في خيامهم .
وحملت ليالي القتام الى أيامهم . وغلت الصدور بما فيها . حتى
وصلوا الى القدور على اثافيها . وهتكوا وفتسكوا . وادركوا
وسفكوا . فتراجع الفرنج واصطفوا على خنادقهم . ووقفوا
بقنطارياتهم وطوارقهم . واجتمع عسكرنا لعلهم يحتمون ويحملون .
ويعلون من دمائهم وينهلون . وبخل الظهر وحمي المر . فافترق
الفريقان . وترجع الى خيامهم الجمعان .

وقعة اخرى

وفي يوم الاثنين الثالث والعشرين من الشهر . ضايق اهل الكفر
البلد على الحصر . وكانت الوقعة بالوقعة السابقة شبيهة . وكانت
من اشدها واجدها كريمة . غير انه في هذه القوبة عرضت نبوة .
وكانت تتم كنبوة فان الفرنج لما تراجعوا عن البلد وجدوا فئة من

عسكرنا داخل خنادقهم . فحملوا عليها بسباق رجلهم وراكبي
سوابقهم . فانتشبت الحرب . واستجر الطعن والضرب . وكثرت
الجراحات . وكثرت الاجتراعات . واستشهد ممن عرف من
المسلمين اثنان تسلمهما رضوان الى الجنان . وقتل من المشركين
جماعة اسرع بهم مالك الى النيران .

ومن عجائب هذه الواقعة . ان رجلا من مازندران من اهل
الرفعة . وصل في تلك الساعة واخا . واستأذن وقت السلام على
السلطان ان يقدم مجاهدا . فحين شهد الواقعة استشهد . فلقى الله
بعهده كما عهد .

وقعة أخرى

وفي يوم السبت الثامن والعشرين من الشهر خرج العدو فارسا
وراجلا . ورامحا ونابلا . وامتدوا من جانب البحر اطلابا .
وتحزبوا في ذلك الفضاء احزابا . وركب السلطان من مجالس
عادته . الى مجال سعادته . موقنا ان ابناء عبادته . في إبرة العدو
وابادته . وتقدمت المقدمة واقدمت . وجحمت نار اقدامها وما
احجمت . وما زالت نجوم النصول تنفض . وخذوم النصور تنفض .
وعيون العيون ترفض . وبيون النحول وحقوق الحقود تقتضي وابكار
الدروع بحدود الذكور تقتضي . في شعواء خضرها الثياب الفائب ،
ونكباء لها من الذوابل نواثب . ويهر تسبح فيه السوايح . وشرب
بكاس المنية منها المهج غوايق صوايح . وغبراء اسود نبالها تتواثب
عن عقارب القسي . وتعالب لهازم صنادها تتلاعب في اراقم
السمهري . وذياب ظباها تطن في مسامع الذئاب وعقبان راياتها
تحلق إلى مطالع السحاب ، وغدران سوابقها تفيض عليها جداول
القواضب . وغران سوابقها تفيض في غمامط القياصب . وارواح
اغماها البارية عن الاجسام بربه . وقلوب اسائها الضارية على

الردى جريه . حتى نخل على ليل النقع الليل . وجرى من ديمة الدم السيل . والتفت لما التفت بالخيال الخيل . وأفرج المازق عن قتلى جرى عليها من السواني النيل . واستشهد: من المسلمين بدوي وكردى . ولكم وقع من المشركين رد رديء . له في الهاوية هوي . وعليها من زفير جهنم دوي . وأسر من العدو فارس بفرسه . ولامته وقونسه (٥٢) . وتفرق الفريقان عن المعتك عند معتكر النجى . وقد عم من الشجب ماشجا .

وقعة أخرى

وأصبح العدو يوم الاحد التاسع والعشرين . وقد أخرج من جانب النهر راجلا في عدد رمل يبرين . بقواطع يبرين . وقواضب يفرين . وطوال غروب في الطلى يفرين وبالردى يفرين . وانتشروا ممتدين وامتدوا منتشرين . فاقبهم اليزك بكل من يزكه عند شهبه مضاء كالقضاء . ويوافقه القضاء في المضاء . وكل معتقل للربيني اخف الى الوغى من سنانه . وكل مشتمل للمشرقي خضيب الفرار ريانه . وكل ملثم بعثير حصانه . معتق لمطف مرانه . وكل صبيح كالصباح نضارة وجهه في شحوبه مدفونة . وكل قارج على قارج شرارة عزمه في سكونه مكتونة . وامتد راجلنا أمامهم . واثبتوا اقدامهم . وطال القتال وطارت النبال . وحاضت الذكور . وفاض التامور (٥٣) وأعمى العثيرة وعم العثور . وأسرنا منا واحدا فأحرقوه فصحب نوره بين يديه الى دار القوار . وأسرنا منهم واحدا فأحرقناه فشبث به تلك النار الى النار . وشاهدنا النارين في حالة واحدة تشتعلان . والصفان واقفان يقتتلان .

وفي يوم السبت الماضي هرب خادمان ذكرأ أنهما لأخت ملك الانكثير وأنهما كانا يكتمان ايمانهما في سر الضمير . وأخيرا أنها زوجة صاحب صقلية فلما هلك . صادفت في الاجتياز بها أخاها هذا الملك ، فالزمها بأن تتبعه واستصحبها معه . وقرأما النجاة من تلك

الفاجرة نجاة الآخرة ، فأكرم السلطان وفادتهما . وأجزل
بالاحسان افادتهما .

ذكر المراكيس ومفارقته القوم ووصف السبب في ذلك

وفي الاثنين انسلخ الشهر ذكر عن المراكيس انه هرب الى صور .
وانه كشف للجماعة المستور . ونفذوا وراءه قسوسا . والقوا عليه
من الضلالة في الاستمالة بروسا . فقبأ قبوله . وانقطع وصوله .
وكان سبب نفاذه . وموجب استشهاده . ان هنفري كانت زوجته
ابنة الملك الذي هلك والقدس في يده . وعادتهم انه اذا مات ملك ينتقل
ملكه الى ولده . وسواء في هسنا الميراث . بين الذكور والاناث .
فيكون الملك بعد الابن اذا لم يخلف ابنا للكبرى . فاذا توفيت عن غير
عقب كان للصغرى . وكان الملك العتيق كي اخذ الملك بسبب زوجته
الملكة فعزلوه عن الملك لما احتوت عليها يد الهلكة . وبقيت هذه زوجة
هنفري . فاصبح المراكيس عليه يجتري . ويقول لست من اهل الملك
لتكون الملكة لك زوجة . ولا بد لي من تقويم هذا الامر حتى لا يقي فيه
عوجه . وغصبها منه وصرفها عنه واتخذها له عروسا . واحضر
لنكاحها قسوسا . وقيل انها كانت حبلى ولم تخرج من حباله
المجل . فما شغلتهم حرمة الرحم المشتغل . وادعى المراكيس ان
الملك انتقل بها اليه . وان امر الفرنج بشرعهم في يديه . فلما جاء
ملك الانكتير تظلم اليه هنفري والملك العتيق فانفتح بذلك له إلى
مواخنة المراكيس الطريق . فاستشعر المراكيس منه وما قرر . واخذ
معه الملكة وفر .

ذكر من وصل في هذا التاريخ من العساكر الاسلامية

وفي يوم الاثنين انسلخ جمادى الاولى قدم عسكر سنجار . وقد
سد بسواد عبيده النهار . وافاض بيباض حبيده الانوار . ومقدمه

مجاهد الدين يرتقش الشهم الشديد . والسهم السيد . والاعمى اللوذعي . والكميش الكمي . والنقاب النقي . والعف التقي . وهو ذوهمة في الفوز عالية . وعزمة بالمضاء المضي حالية . وقيمة في سوم السلطان لقربه غالية . وسريرة خالصة صافية من الكدر خالية . وأكرمه السلطان في استقباله بذقه وأقباله عليه بأنسه . وسار بعسكره الى ان وقف تجاه العدو من جانب البحر مماليكي النيب . وقد احسن في عرضه التدبير والترتيب . ثم عاد في خدمة السلطان مكرما الى جنبيه . مقدما على صحبه . فأنزله في خيمته وخصه بمواكلته . وتقدم اليه بالنزول في ميسرته . وفي يوم الاربعاء ثاني جمادى الاخرة . وصل جماعة من عسكر مصر والقاهرة . بالعدة الوافرة والقوة الظاهرة . مثل علم الدين كرجي . الذي يسرع الى لقاء اقرانه ولايرجي . وكسيف الدين سنقر الدوري ذي الزند الدوري والسيف الروي وأمثالهما من الممالك الناصرية . والمساعير الاسنية . أسد العرين . الشم العرائين . الفرالميامين . وفي عصر هذا اليوم وصل علاء الدين ابن صاحب الموصل الى الضروية ونزل بها . ليصل بكرة الى المعسكر بالعساكر في احسن اهبيها . فركب السلطان اليه ولقيه وعاد . وكمل لكرامته وضيافته الاستعداد . وأصبح يوم الخميس في خميسه . سائرا بأساده في عريسه . مقبلا بكل فارس من جيشه فارس من خيسه . في غلب كانهم اجادل والجياد مراقبها . وخيل كانها الظلماء والتراثك كواكبها . ونقع كانه الاتي والمقربات قواربه . ومجر تصادم مناكب الاكام مناكبه . وتملا الوهاد طولاه وغواربه . عاريات غروبه . عاليات غواربه . ثقال مذاكيه باعباء عواليه . كانما نهضت لانكاء نار الهياج حواطبه . وعبرت علينا كتابه وأعريت عن مناقبه مقانبه . وتلقاه من اولاد السلطان الملك المعز فتح الدين اسحق . وهو من جملتهم البحر بل الغياق . والملك المؤيد نجم الدين مسعود ، وهو كاسمه مسعود مجدود . وتلقاه الامراء والعظماء والخواص والاولياء . وساق على تعييته . واجابته دعوة الاسلام وتلييته الى جانب البحر . ليرعب اهل الكفر . وعرض وتعرض وعلم العدو بانه اليه نهض واستنهض ، ولما انفصل السلطان أخذه معه الى خيمته

فصل من كتاب الى صاحب الموصل في شكر وصول ولده ووصف الحال في ضعف البلد

قدم علاء الدين نام علاؤه في مقدمي الجنود الانجاد ، ووقف
اجتهاده على موقف الجهاد ، وما اكرمه قائما في المقام الكريم .
وعظيما خاطبا دفاع الخطب العظيم . ووصل فوصل جناح النجاح .
وانشر الصدور بما صدر به لها من نشر الانشراح . وجاء والكريهة
ناهبة بالارواح . والحرب ساقية طلاء الطلى في صحاف الصفاح .
وشارك في الجهاد وشد الأزر . وسدد الامر وأزر وعضد . وظاهر
واسعد . ولاخفاء عن العلم بحال الفرنج في هذه السنة واجتماع
ملوكهم وكثوبهم . وتواجد امداد حشودهم . وقد استشرى شرهم .
واستشرى ضرهم . واعضل خطبهم واستفحل امرهم . واشتغلوا
منذ وصلوا بنصب منجنيقات . وتركيب آلات ودبابات ، وزحفوا الى
بلد عكا بجمعهم . ووقدوا بجمهرهم . واخذوا فيه نقوبا . وحكموا في
الاسوار من الاسواء بضرب المسانيق ضروبا . والثفر الآن قد
اشرف . والعدو بخندقه محتجز . ولفرصة الغفلة عنه منتهز . ومن
جثوم الموت عليه في مجتمه محتزر . ولم يبق الا ان يتدارك الله الثفر
بلطفه . ويجريه على المعروف من عادة نصره وعرفه . والمجاهدين
فيه قد هانت عليهم المهج . ووضع لم في ثبات جنانهم المنهج . وفي كل
يوم يسدون بأشلاء الهاجمين الظلم . ويجلون عنهم بما يشربون من
نيران الظلم . والعدو قد لج . والعنيد من قرع الحديد قد
ضج . والبلد مشف . والبلاء عليه موف . والمأمول من الله ان ياتى
من نصره بما ليس في الحساب وان يعيد ما جمع من امر الاصحاب
الى الاصحاب . ويكفي هذه النوبة الصعبة فهو كافي الذوب
الصعاب .

فصل في وصف عسكر عماد الدين

وصلت العساكر التي وقت بعيتها المناجده . ووافت بعيتها المنى
جده . واقبلت اقبال الاساد في عرين الوشيع . وماجت موج البحار في
غير الزغف الذسيح . واستهلت استهلال الرواعد البوارق . والمث
بالعا المام العوادي الطوارق . ولقد جاءت في وقتها منجدة من
جده . موجبة للانتقام من الكفر بكل موجه . واستظهر الاسلام
بظهورها . وسفرت وجوه النصر بسفورها . فأحجم الكفر
باقدامها . وانتظمت احداق المشركين في عقود سهامها . وخيمت
مضارب المضاء بمضارب خيامها . ونفض بالفضاء ختام قتامها .
وما اشكر الدين والاسلام لعزائم عماده وغياثه . وابتعث امداد الظفر
لاهتزاز نصل نصره وانبعائه .

فصل في الاستنفار

قد عرف ان العدو قد احتشد بجميع ملوكه . وغصت مسالكه
وطرق بطوارق سلوكه . وهو حديد الشوكه . شديد الشكه . قد لج في
حصر الثغر ونصب الآله . وركب عليه منجنيقاته . ووالى الضروب
من الضرب . واخذ منه مواضع في النقب . وقد اشفى على خطر
عظيم . وخطب جسيم . واذا لم يصل في هذا الوقت فمضى . ومن اتى
في غير الوقت المحتاج اليه فما أتى . وهذا اوان رفض التواني .
ونهووس المسلمين من الاقاضي والاداني . والوصول بكل ما يقدر
عليه من العسكر . والظهور لمظاهرة المسلمين بالعزم الاظهر والجد
الاوفر . وهذا يوم الحاجة واوان الضروره . والنهوض بعسكره الى
نصرة عساكرنا المنصورة . فلا يجنح الى عنر فلاحار اوقات . ولا
يلتفت الى غير هذا المهم الذي ليس للمسلمين الى سواه التفات .
وكيف يتأخر عن هذا الموقف الكريم وهو كريم . ويتقاعد عن هذا
المقام العظيم وهو عظيم .

ذكر خروج رسل الفرنج

كان قد خرج مذيام رسول ، وسأل ان يكون له الى السلطان وصول . فاجتمع والملكان العادل والافضل . وقالوا له لا يمكن لقاء السلطان لكل من يرسل . وما كل مقصود عنيه يعرض . ليعلم في الاول هل هو مما يقبل او عنه يعرض . فأعلمهما الحال . وعرفهما ما سبب الارسال . فأحضراه بالنابى السلطاني فمثل بين يديه . وأوصل تحية ملك الانكثير اليه . وقال هو يؤثر بك الاجتماع . وخطابك الاستماع . فان اعطيته امانا خرج اليك . وأورد مقصوده عليك . او شئت كان الاجتماع به في المرح ، خالين من مقتضيات المرح . وكلاكما عن عسكره منه رد . ولصديقه في الخلو مورد . فأجابه السلطان وقال لو اجتمعنا فهو لا يفهم بلساني وانا لا افهم بلسانه . ونحيل بالبيان على ترجماني وترجماته . فيكون ذلك الترجمان رسولا . فلعله يرد بسل و يصدر رسولا . فلما لح في الطلب . وألح في الارب ، استقر ان يكون الحديث مع الملك العادل . وان تنجح من عنده وسائل الرسائل . وبخل وقد أخذ امانا . وانقطع بعد ذلك زمانا فشاع عننا ان ملوكهم منعه . ومن ركوب الخطر فزعوه . فأنفذ ملك الانكثير رسوله بعد ايام . ينكر ما شاع من تأمر للفرنج عليه واحكام . وقال الامور مفوضة الي . وانا احكم ولا يحكم علي ، وانما تأخرت بسبب مرض عرض . فأفانتي الغرض . ثم قال الرسول من عادات الملوك المهاداة . وإن دامت بينهم الحرب والمهاداة . وعند الملك ما يصلح للسلطان فهل تأذنون في حمله وقبوله . وأخذ من يد رسوله . فقال الملك العادل نقبل الهبة بشرط المجازاة . واستقامة المكافاة للموازاة . فقال عننا بزة وجوارح . قد لقيتها في سفر البحر جوائح . وقد ضعفت فهي طلائع روائح ، ونريد طيرا ووجاجا (٥٤) تصلح لطعمها . فاننا استوت حملناها للهبة على رسمها . فقال العادل لا شك ان الملك مريض وقد احتاج الى بجاج وفراريج ، ونحن نحمل له منها كل مالى احتيج . فلا تجعل حاجة طعم البزة في طلبها حجة . واسلك غير

هذه المحجة محجة . وانفصل حديث الرسالة على قول الرسول هل لكم حديث . فقلنا انتم طلبتونا لا نحن طلبناكم وما لنا معكم حديث قديم ولا حديث . ثم انقطع حديث الرسالة الى يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة فخرج من عند الملك في الرسالة مقدم . ومعه اسير مغربي مسلم . واحضره على سبيل الهدية وواصل الى السلطان ماحمل من التحية . فشرفه بخلعته . واعتد له بهنيته . ثم خرج يوم الخميس تاسع الشهر رسل ثلاثة . وما كانت رسالتهم تسافر عن مقصود بل فيها رثاثة وغثاثة . وهؤلاء طلبوا للملك فاكهة وثلجا . ولم يسلكوا في غير الحاجة نهجا . فآكرمهم السلطان بما سألوا . ووفر لهم منه فحملوا . وسألوا ان يتفرجوا في الاسواق . ففسح لهم فيه على الاطلاق .

ذكر ضعف الثغر من قوة الحصر

وكان غرض الافرنج من تكرير الرسائل تفتير العزمات وهم مشتغلون بموالات الرمي بالمنجنقات وتسوية المنصوبات وتعبية الالات . وتعديل العرادات وتثقيل الحجارات . حتى تحلحل السور وحان انهدامه . وتخلخل وبان انثلامه . وتزعزت اركانه . وتضعفت ابدانه . وكاد يهي ليهوى . ولا يقي ولا يقوى . كي يثوى . واهل المدينة قد كثر تعبهم لكثرة الذوب ولقلة العدد والحجر هاتك . والاسهر ناهك . والعمل دائم . والخلل لازم . والقلوب قلقة . والظنون مخوفة . والمتاعب شاقة . والمشاق متعبة . والاحوال متعبة . والاهوال مرهبة . وكانت في البلد المنجنقات تنصب . وتفيض بها قوى الرجال وتنصب . فلما اشتد الزحف . وزاد الضعف . احتاجوا الى رجال المنجنق للمقاتلة . والتناوب على المنازل . وهناك ظهر ان العدد لا يقي ولا يفي . وان القليل لا يكف ولا يكفي . وان خروج من كان في البلد لاجل دخول البديل لم يكن صوابا . وان تقصير النواب ابتداء في الاعطاء جلب في الانتهاء

اعطابا . ولما علم السلطان سابع جمادى الاخرة يوم الثلاثاء . بما عليه البلد من غلبة البلاء . زحف بعسكره ولج حتى ولج خنادقهم . وطرق اليهم بوائقهم . ونهب من خيامهم ما تطرف . واسرف في ارهاقهم بما اشرف . وحمل الملك العادل بنفسه مزارا . واجرى من الدم انهارا . واراهم بالنقع النهار ليلا وباليبيض الليل نهارا . وامسى السلطان تلك الليلة ساهدا لم يذق طعاما . ولم يستطب مناما . ثم امر بدق الكوس سحرا حتى عانت العساكر الى الركوب والقساوير الى الوثوب والفوارس الى الفرس والاناب الى التدوب . واعادت الى الطلوع غروبها بعد الغروب . بكل من يلقي الجيوش على الجيوش . ويرمي الوحوش على الوحوش . ويرعف الصدور بصدور الرواعف . ويشير بالامن عن مواقف المخاوف . وكل من للضرب في جبينه شامة . وللطعن في جبينه علامة . على خيل كامثال القنا تحمل القنا . وضممر كالصنبا تهيوي هوى السهام إلى الوغى :

في غداة صباحها في حناد

نسجتها ايدي المظهمة القب

وظلام يجلوه بريق اليمانية القضب . فجرى ذلك اليوم من القتال اشد مما كان امس . واتصل من طلوع الفجر الى غروب الشمس . وفي هذا اليوم وصلت من البلد مطالعة مضمونها ان العجز بلغ بهم الى غايته . وانتهى الضعف بهم الى نهايته . ولم يبق الا تسليم البلد إن لم تعملوا شيئا . ولم تتجحوا في الذب عنه سعي . فضقنا بهذا الكتاب ذرعا . وقلنا لاحول ولا قوة الا بالله لانملك لانفسنا ضرا ولا نفعا . والسلطان من هذا في امر عظيم . وهم مقعد مقيم . وهو مجتهد في بذل وسعه . سائل من الله لطف صنعه . معاود الى الحرب في كل صباح . طائر الى اللقاء بجناح كل نجاح . وفي يوم الاربعاء . بعث العساكر على اللقاء . وبخل راجلنا الى خنادقهم وبخلطوهم . وتقابضوا على بسيطة واحدة وبساطوهم . وذكر انه وقف في ثغرة من تلك الثغرات فرنجي . كأنه جني مستشيط نجسي . وهو يدافع ويمانع . ويكافح على تلك الثغرة ويقارع . قد اتخذ طارقه لجسمه صدفا . وصار لسهام المنية هدفا . وهو كانه مما دشب فيه الذناب

القنفذ . وتلك السهام من لبس الحديد لاتنفذ فلم يزل واقفا الى ان احرقه بقارورة النفط زراق . فامسى وهو حراق . ووقفت ايضا امرأة بقوس من الخشب ترمي . وتديم اصمائها وتدمي . فلم تزل تقاتل حتى قتلت . والى سقر انتقلت .

ذكر خروج سيف الدين علي المشطوب الى ملك الافرنسييس

ولما تمكن الفرنج وتكاثروا على عكا من جانب . وعروه بكل نائب . ومل اصحابنا فيها لكثرة من استشهد وجرح . وقلة البذل الذي كان قد اقترح . ونقب العدو الباشورة حتى وقعت منها بسنة . وزادت المخافة فلم يبق معها امه . خرج المشطوب الى ملك الافرنسييس بامان . وحضر عنده بترجمان . وقال له قد علمتم ماعاملناكم به عند اخذ بلادكم . من النزول عند طلب اهلها الامان على مرادكم وانا كنا نؤمنهم . ومن المسير الى مامنهم نمكنهم . ونحن نسلم اليك البلد على ان تعطينا الامان ونسلم . واذا فعلت هذا فقد حزت المغنم . فقال ان اولئك الملوك كانوا عبيدي . وانتم اليوم ممالئكي وعبيدي . فأرى فيكم رأيي من وعدي ووعيدي ، فقام المشطوب من عنده مفتاضا ولم يلبث لحظة ، واغلظ له في القول عملا بقول الله تعالى (وليجدوا فيكم غلظه) (التوبة ١٢٣) . وقال نحن لا نسلم البلد حتى نقتل بأجمعنا ، فيكون مصرعكم قبل مصرعنا ، ولا يقتل منا واحد حتى يقتل خمسين . ومتى عرف ان الاسد يسلم العرين .

ذكر هرب جماعة من الامراء والاجناد من البلد

ولما عرف رجوع المشطوب . ولم يظهر بالفرض المطلوب . قال جماعة من الامراء قد تضجروا بما هم فيه من التعب والعناء ، هذا

الأمير الكبير ، والمستشار والمشير ، قد اشتغل بآله . فسواه ما باله . وعمره بركوسا . ورأوا في هربهم رأيا منكوسا وربحا في دار البقاء مبخوسا . وذلك ليلة الخميس التاسع . وقربوا عليهم الأمر الشاسع . وجاؤوا إلى العسكر مختفين . ومن رفقاتهم في نسب الوفاء . والوفاق منتفين . فغنى إلى السلطان الخبر بهرب الجماعة . وأنهم خرجوا لله وله عن الطاعة . وأنهم جبدوا عن بذل الاستطاعة . وخفضوا عنهم صيت الشجاعة . وأبدلوا الاضاعة بالظلمة والحفظ بالاضاعة . وكان فيهم من الأمراء المعروفين . وذوي الشهامة الموصوفين . عز الدين أرسل . وهو الذي كان المثل بشهامته يرسل . وحسام الدين تمر تاش بن جاوли . وهو شاب أول ما توفي والده وجاوли . وسنقر الوشاق من الأسدية الأكابر . ومقدمي المسافر . وكل منهم محظوظ بالاقطاع الوافره فقطع السلطان اقطاعاتهم وقطعها وحس عنهم عند الرضا بعد مدة مديدة بشاشة وجهه ومنعها . واستعاذ أرسل بالأسدية ثم بالملك الأفضل . المفضل المؤمل . وتوسل ابن جاولي بالملك العادل . وكلهم توسل بفضل الأجل الفاضل فلم تعد معيشتهم . ولم تعذب عيشتهم . وعاديا ممقوتين . ويحدود ألسن الذم منحوتين . ويضعف القلب وقوة الخور منعوتين . وكان من جملة الهاربين عبد القاهر الحلبي نقيب الجاندارية الناصرية ومقدمها . فشفع فيه على أنه يضمن على نفسه العوبة ويتلزمها . فعاد في ليلته . واسقط عنه المذمة بأوبته . ووقع بعد ذلك في الأسار . واستفكه السلطان بعد سنة بثمانمائة دينار .

فصل من كتاب إلى مظفر الدين صاحب اربل في المعنى ووصف الحال

قد سبقت مكاتبتنا اليه بشرح الاحوال ، وما نحن عليه من رجاء النصر الذي هو متعلق الآمال ، وأن ملوك الفرنج وجموعهم قد وصلوا ، ونازلوا الثغر واحتفلوا . والآن فان منجنيقاتهم . هبته

بكثرة الضرب . وكثرت ثلم السور في مواضع النقب . وعظم الخلب . واشتدت الحرب واشفى البلد واشرف . واشتفى العدو بما فيه واسرف . ولما لج العدو في الزحف . واستسهل في التطرف الى البلد طريق الحذف . ركبنا في عسكرنا اليه . وهجمنا عليه لكنه بسوره وخندقه محتم . والى مطمحه البعيد من امره مرتم . ولما عاين اصحابنا بالبلد ما عليه من الخطر . وانهم قد اشفوا على الفرر . فر من جماعة الامراء من قل بالله وثوقه . وأعمى قلبه فجوره وفسوقه . ولقد خانوا المسلمين في ثغرهم . وباءوا بوبال غدرهم . وماقوى طمع العدو في البلد الا هربهم . وما اربى قلوب الباقين من مقاتلته الا رهيبهم . والمقيمون من اصحابنا الكرام . قد استحلوا مر الحمام . واجمعوا أنهم لا يسلمون حتى يقتلوا من الاعداء اضعاف اعدائهم . وأنهم يبذلون في صون ثغرهم غاية اجتهادهم . وكانوا قد تحدثوا مع الفرنج في التسليم فاشتطوا واشترطوا ، فصبروا بعد ذلك وصابروا ومدوا ايديهم في القوم ويسطوا . فتارة يخرجونهم من الباشورة وتارة من النقب . والله تعالى يسهل تدفيس ما هم فيه من الكروب . ونحن وان كنا للقوم مضايقين وبهم مصدقين وعلى جموعهم من الجوانب متفرقين ، فانهم يقاتلوننا من وراء جدار ، ويعلمون أنهم ان خرجوا الينا في تبار ، والهجوم على جمعهم مستصعب ممتنع ، والعسكر على مركزهم متألف مجتمع ، والله قدر لايرد ، وقضاء لا يصد ، وسر لا يشارك في علمه ، وأمر لا يغالب في حكمه ، وعلى الله قصد السبيل ، ونجح التأمل وتدقيق الطائفة في دفع الخطب الجليل ، وما توفيقتا الا بالله وعليه توكلنا وهو نعم الوكيل .

ذكر ماجري من الحال

وفي ذلك اليوم وهو الخميس زحف الخميس . وحسي الوطيس وتحرك بالضرغام الجيش واسود الجو . وانسد الضو ، وانقضت

القضب انقضاض الشهب . واشتبهت الهم والكمث بالشقر
والشهب ، واختضبت البيض وتآلق من بوارقها الوبيض ورقصت
قدود السر على غناء الصواهل . وحركت رياح السوايق ذوائب
الذوايل ، فللدروع من الضرب قعاقع ، ولعواصف الالوية
زعازع ، ولغربان الرماح نعيب ، ولغران المقربات لتقريب النصر
البعيد تقريب ، ولحريق الظبا معمه ، ولرحى الصرب الزبون
جعجعة . واللاحقيات سابقة ولاحقة ، والسريجات راعة
وبارقة ، وشموس الترائك على بدور الاترك شارقة ، ونبال النبل
من عيون اعيان الكفر مارة . وأيدي الاسنة هاتكة لصرز النحور
سارقة . وثعالب الاسل في لبة الاسد ضابحة . ونشايو اللدان من
نجيع الاقران غابقة صابحة . في رايات يجاذبها نراع الفلك فتقود
عقبانها العقبان . وصفاح يصافحها شعاع الشمع فيكسو لجينها
العقبان . وتقدم السلطان الى الامراء فترجلوا ونزلوا حين نزلوا .
وهجموا على الضراغم في آجامها . واحوجوها بعد الاقدام الى
احجامها . ونصب صارم الدين قايماز النجمي علمه على سور
الفرنج بيده . ووقف عنده بجلاله . وجلنه . ووصل في ذلك اليوم عز
الدين جورنيك ومعه من النورية الممالك . فترجل وقاتل الليلة على
الخيال تحت الحديد ، منتظرا لنجح الامل البعيد فقد كنا تواعدنا مع
اهل البلد انهم يخرجون تحت الليل رجالة وعلى الخيل ، ويسرون
بأجمعهم على جانب البحر سري السيل ، ويذبون عن انفسهم
بسيوفهم ، وينجون بأنفسهم وعز انوفهم ، ولوصح هذا
الموعد ، لنجح المقصد ، ولكن الفرنج اطلعوا على السر ، فاضطلعوا
بالسر ، وحرسوا الجوانب والابواب ، وارتابوا بما أراب ، وكان
سبب علمهم اثنان من غلمان الهاربين ، خرجا الى
الملاعين ، وأخبراهم بجلية الحال ، وعزيمة الرجال ، واصبح يوم
العسكر الجمعة العاشر ، وقد جمع من الخيل والرجل
المعاصر . واقفة على ترتيبه صفوفه . ومرهقة على عدوه اسنته
وسيوفه . وبام ذلك اليوم على التعبية وقوفة . ولم يتحرك من القوم
ساكن . ولم يظهر من العدو كامن . بل خرج ثلاثة من الرسل
واجتمعوا بالملك العادل . فعادوا بعد ساعات ولم يفصلوا قسما من

اقسام الرسائل . وانقضى النهار والعسكر بالعدو المحيط بالبلد محيط . ولاذى مقامه بمقامه محيط . وبتنا على تلك الحالة . واهل المهدي مرادون لاهل الضلالة . واصبحنا يوم السبت وقد ركبت الافرنجية وتدرعت . وتحزبت وتجمعت . وحتى ظننا انهم على عزم اللقاء . فهاجت العزائم منا الى الهيجاء . وخرج من بابهم اربعون فارسا ووقفوا واستوقفوا . واستدعوا ببعض المماليك الناصرية فلما عطف اليهم . عطفوا اليه وأخبروه . ان الخارج صاحب صيدا في اصحابه . وهو يستدعي نجيب الدين ابا محمد العدل لخطابه . وهذا العدل من امناء السلطان . وقد انس الفرنج به لترديه في الرسالات نحوهم في سالف الازمان . فلما حضر ارسله الى السلطان . ليتحدث في خروج من بعكا بأنفسهم بحكم الامان . وطلبوا في مقابلة ذلك مالا يخل تحت الامكان . وزادوا في الاشتطاط وتناهوا في الاشتراط . فانفذ السلطان الملوكين العادل والافضل . ليفصلا المجل . ويجملا انا حزا (٥٥) المفصل فتريد العدل مرارا . ووجد منهم على الاضرار اصرارا . ولم تتحرر قاعة ولم تظهر فائذة . وانفصلوا على غير قرار . وعادوا والامر بغير إمرار .

ذكر جماعة من العسكرية وصلوا

وفي يوم الثلاثاء رابع عشر الشهر وصل سابق الدين صاحب شيزر ، وفي يوم الاربعاء بدر الدين ايوب بن كتان وقد حشد وحشر ، وفي يوم الخميس أسد الدين شيركوه وقد ابهج بقدمه العسكر ، وفي هذا التاريخ ضعف البلد . وعجز من فيه ضعفا لا يمكن تلافيه . ووقف كرام اصحابنا وسدوا الثغر بصدورهم . وباشروا الاسنة المشرعة اليهم بنهورهم . وشرعوا في بناء سور يقطع جانبا . حتى ينتقلوا اليه اذا شاهدوا العدو غالبا ،

ذكر ما طلبه الفرنج في المصالحة على البلد

وكانوا اشتطروا اعانة جميع البلد . واطلاق اساراهم من الاقياد . فبذل لهم تسليم عكا بما فيها دون من فيها فلم يفعلوا . وبذل لهم في مقابلة كل شخص اسير . فلم يقبلوا وسمح لهم برد صليب الصليبيات اليهم فانفصلوا عن الامر ولم يفصلوا .

ذكر استيلاء الفرنج على عكا وكيفية دخولها

وفي يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة . ماجت الفرنج ببحور جموعها الزاخرة وسالت الى ثغر البلد سبل الآتي الى القرار . وطلعت في السور المهذوم . طلوع الاوعال في فرج الاوعار . وانحدر عليهم اصحابنا انحدار الصخور المدهمة ، وفرسوههم فرس الاساد المحرجة المكرهة . وردوهم اقبح رد ، وصدوهم افظع صد ، ومازالت الكرات تتناوب والحمالات تتعاقب حتى كلت الرجال وقلت النصال وعرفوا ان الفرنج يستولون وعلى احد منهم لايبقون ، ولايخلون فخرج سيف الدين علي بن احمد المشطوب وحسام الدين حسين بن باريك وأخذوا امان الفرنج على أن يخرجوا بأموالهم وأنفسهم على تسليم البلد ومائتي الف دينار وألف دينار للمركيس وأربعة آلاف دينار لحجابه فلم نشعر الا بالرايات الفرنجية على عكا مركوزه ، وأعطاف أعلامهم مهزوزة ، وماعننا علم بما جرت عليه الحال وماحد منا الا والبال منه قد عراه الوبال ، وعم البلاء ، وتم القضاء وعز العزاء وقنط الرجاء ، ولوت أعناق المسار اللواء ، ونسب السلطان ذلك بعد قضاء الله وقدره الى تقي الدين وماعن له في سفره ، فانه مضى على أن يعود بأضعاف عسكره فاشتغل بقصد خلاط وأشار في بيار بسكر الاختباط ، والاختلال وتأخرت عساكرها عن القدوم فنتج تأخر نصف العساكر فوات الغرض المروم ، وكذلك لم يكن في البلد عدد

يفي بصونه ، وماكان يضبطه السلطان الى هذه الغاية لو لم يكن الله في عونہ ، ونقل الثقل تلك الليلة الى منزله الاول بشـفر عم ، وأقام بخيمة لطيفة متلها على ماتم ، ثم انتقل سحرة ليلة الاحد تاسع عشر الشهر الى المخيم ، صابرا على حكم القضاء المبرم ، وحضرنا عنده وهو مفتـم ، وبـالتدبير للمستقبل مهتم ، فعزيناہ وسليناہ ، وقلنا هذه بلدة مما فتـه الله وقد استعـاها عـاء ، وقلت له ان نـبت مدينة فما نـب الدين ، ولاضعف في نصر الله اليقين ، وماوعـت بـكا القلوب ، الا ولكربها يوم النصر على الـعاء تنفـس ، ولو حـشتها بعد الحـاة الموحـة تـنيس ، ولهذا الدين وان تـاعت قـاء بـعة من بـاعة بالعز ليفـاعه تـسيس ، وخرج في هذا اليوم اقـوش ، رسـولا نـبـه بـاء الدين قـاقـوش يخبر ماقرروه من القطيعة ، ويصف كيفية الملـة الفظيعة ، وقال : ادركونا بنصف المال وجميع الاسارى وصليب الصلـوت قبل خروج الشهر ، وان تـاخر شيء من ذلك بـينا تحت الاسر ، ونصف المال يصبرون به الى شهر آخر ، فأحضر السلطان الاكابر وفـاضهم في ذلك وشاور ، فقالوا اخواننا المؤمنون ورفـاؤنا المسلمون ، وهل لنا عذر ونحن لهم مسلمون ، فتقبل السلطان بتحصيله وتعجيله بـملته وتفصيله .

وانشأت في استيلاء الفرنج على عكا هذه الرسالة وسيرت بها كتباً

قد عرف أمر عكا وأن العدو قصدها ورصدها ونزلها ونازلها . وقابلها وقاتلها وبرك عليها بكـلة . وحفل عندها بجـدة . وتواصلت اليها جموعه افـواجا . وجلب البحر نحوها على اثـابة أمثال أمواجه أمـواجا . وجاءت رابضة أمامها . ضاربة خيامها . ملهبة بها غرامها . ملهبة فيها ضرامها وانتهت المدة الى عامين كل عام تحمل مدود البحر من أمـادها بـارا . وبـرد الماء

الرجوم مزينة . فاحدقت بالثغر من البهر والبصر . واحسائط
بمركز الاسلام دائرة الكفر . واطافت منها الاسوار بالاسوار .
والظلماء بالانوار . ومنعت الداخل والخارج . وسدت على ناقل
الميرة وحامل السلاح . الموالج والمناهج . وزاحفوه بكل منجيق
كنيق . وكل برج وثيق . وكل دبابة كأنها دابة الارض التي تقوم
عندها القيامة . وكل سلم لاترجي معه العلامة . وكل آلة الت إن
الفتح منها بالحتف . واقسمت أنها تقسم سهام سهامها لذوي
الحفز بالزحف . هذا والعدو قد حفر من جانبنا وعمق . وسور
وخندق . وتدرع بأسواره وخنادقه . وتستتر عن طوارق البلاء
بستائره وطوارقه . فلا يخرج منه إلى معاركه . ولا يدخل إليه لضيق
مسالكه . وهو متحرم متحرس . متستر متتسر . عاص على
الهجم . عاس على العجم . لا يقتحم سده . ولا ينتلم حده . ولم تزل
الحالة تتماهى والواقعة وليدها لاينادى . والمدى يتناول . والمد
يتواصل . والقضية تتراعى . والرمية تتقاضى . ومقاتلة الثغر
صابرون مضابرون . مكابرون مضابرون (٥٦) . فمن مستشهد
عدله الجرح . ومن مستجد عطله القرع . ومن دام بالجرح رام
عنه . ومن نازع في القوس نازع منه . ومن متعرض للموت خوف
عار عارض . ومن ناه عن السلم أمر بالحرب ناهض . ومن ندب
فيه ندوب . ومن ضرب فيه من أثر الضرب ضروب . حتى ضج
الحديد من قرع الحديد . ومجت الشفار الظامئة ورد الوريد . هذا
وعدد المقاتلة في كل يوم ينقص . وظل المصابرة يقلص . والعدم
يتمكن من الوجود . والقيام للأضخان في زبي القعود . وكاد البقاء
يودع الباقيين . والمذون تلاقى الملاقيين . فلم يشعروا إلا وبعض
المقدمين المشهورين قد تأخر وتستتر . واستشعر الذعر فتعذر
وتحذر . واستبدل الجبن من الشجاعة . واستملى العجز من
الاستطاعة . وقدم العصيان على الطاعة . وظن إنه لانجاح له في
العزيمة . ولا نجاة له إلا في الهزيمة . وجنب أمثاله من الجبناء .
وجمع إلى أمره جماعة من الأمراء . فخرج بهم من الثغر فارا ونهب
على وجهه معهم مارا . ورهب فهرب . وحسب فتعسب . فأضعف
قلوب البقية استشعارا . وأعدمهم عدم قراره قرارا . لكنهم ثابوا

إلى صبرهم . وثبتوا على أمرهم . ودفعوا مكر العدو بمكرهم .
ومابرحوا على مصابرة ومكابرة . ومقارعة ومعاقرة . ومكافحة
وملاحة . ومواقعة ومواقحة . ومطاحنة ومناطحة . وجلد على
الخنادق التي طمت . ورمي في خروقتها التراب ورمت . وطرقها
العدو بالسوء إلى السور . وطرق الظلمة إلى الذور . وهجم على
السني باليجور . وكشف نقاب عروس البلد بالنقب . وأسهر
بمساعيره حر الحرب . حتى ثلم حمى الثغر وكلم حامية . وأشرفت
مرايه . وكثرت ندوب نقوبة . وكثرت خطاب خطوبه . وبخل العدو
بالسوء الى السور . وطرق الظلمة الى الذور . وهجم على السني
باليجور . وكشف نقاب عروس البلد بالنقب . وأسهر بمساعيره
حر الحرب . حتى ثلم حمى الثغر وكلم حامية . واشرفت مرايه .
وكثرت ندوب نقوبه . وكثرت خطاب خطوبه . وبخل العدو في النقب
فلم يجد لكونه مجدلا او مجرحا او مخرجا . وتوغل في الباب فوجد
باب الخلاص المرتجى مرتجا . وكل من اصحابنا قد سد الثغرة
بنفسه ولقي الوحشة بأذنه . وفارق لوصال أهل الجنة أهله .
وأثبت في مستنقع الموت رجله . ولم يزل النقبابون يوسعون
ويمشون . ويعلقون ويحشون ويحرقون ويحرقون . ويجمعون
ويغرقون . حتى تساقطت الأبدان فعادت تلولا . وتعانقت الاسياف
فزابت فلولا . وتكشفت الوجوه لقبيل الطعان وبردت بحرارة الدم
قوائم اليمانية في الايمان . وبردت بمجالدة أجلاذ الشرك أيمان
أنجاد الايمان واصحابنا لايهولهم الهائل ولايميلهم إلى الحذار
الجدار المائل . ولايزعجهم الخطب الوازع ، ولايردعهم الرعب
الرادع . يواصلون بالقواطع ويتواقعون على الوقائع . ويردون
بغريهم الطالع ، ويقدون بحدهم الدارع . اذا انتظموا مع العدو
نثروه . واذا نهضوا له اقعدوه وعثروه . واذا صعد اليهم حدره .
واذا بادر اليهم بدروه ونדרه . حتى أقاموا منه عوض أبدان السور
أبدانا . وكم تركوا على تلك المصارع من جاثعها جثمانا . ومازالوا
يقتلون ويقتلون . وينهلون مسن ورد النجيع وينهلون . ويصلون
ويقطعون . ويشعبون ويصدعون . ويكيلون بصاع المصاع .
ويجييون للعمر الراحل داعي الوداع . ويتجاجون بالسنة المناصل .

ويتقابلون بوجوه الصداقل . ويتشاركون بكلام الكلام . ويتلاقون
بسلام السلام . ويتساقون بصحاف الصقاح . ويتماشون بمراح
الرماح . ويستحلون ضرب الضراب . ويسجلون صفحات الصفائح
من قراب الرقاب . الى أن انتقل القتال من السور الى الدور . ومن
الستائر الى الستور . ومن الطوارق إلى الطرق والسطوح . ومن
المضايق الى السفاح . ومن المراقب الى السفوح حتى لم يبق من
المجاهدين الا سبائك زخوف . وترائك حتوف . وبقيايا طرائع .
ورنايا طلائع . ومشوق (٥٧) جرائع . ومشوق وضرائع . قد
فصلتهم المشرفيات . وخاطتهم الضطيات . ورشقنهم القسي
القاسية . ورشقنهم الطبا الظامية . ولا ينهض قويمهم من الكلول
ولا يفرى قريبهم من الفلول . وقد شغلوا بسد تلك المضايق . ورد
أولئك الخلايق . فما شعروا الا وقد دخلت من أقطارها . وتوغلت
من اسوارها . وأزحم العدو في مشارعها وسبلها . وبخل المدينة
على حين غفلة من أهلها . ولما عرف العدو الداخل . والعادي
الواغل . أن القوم مستقلون وللموت مستقبليون . وأنه لا طاقة له
بمقاومتهم . ولأقوام له بطاقتهم . وأنهم لا يسلمون وهم يسلمون
ولا يبقون وهم يبقون . أعطاهم أمانا أخطر من المخافة وبخل على
الاغارة باسم الضيافة ، وعز اصحابنا بما بذلوه من الوسع وما
هانوا . وما هذوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما
استكانوا . ولا مرد لما فيه الله من المراد . ولا مدفع لحكمه في البلاد
والعباد . وأن ذهب مدينة فلم يذهب الدين . وإن غاض معين فما
غاب المعين . وإن ارتاب المبتلون فما فارق الحق اليقين . وإن فتح
المرتج فما فات المرتجى . وإن أدلهم الديجور فلا بد أن يسفر عن
الصبح الدجى . ولا يشمت عدو بما جرى . فعند الصباح يحمد القوم
السرى .

فصل من كتاب الى قطب بن نور الدين بن قرا أرسلان

قد أحاط علم المجلس بما حدثه الكفر في هذه السنة من مدد ملوكه . وكثر على نهار الاسلام باظلام ليل الكفر وحلوكه . فالاسلام يزد شذو ظهيره . ويطلب الدين لكشف غمته من ابن نوره نوره . وهذه عكا التي كنا عنها ندافع . وعن ثغرها نمانع ونجري دماء الواردين في البحر لقصدتها في بحرها . وترد للرد عنها مكاييد العداة في نحرها . قد تمكن منها الكفر على كره من الاسلام . واجتاحت من ابي اسلامها بعد أن صابر وصبر إلى الاسلام . وكانت مردودة فعادت مؤوبة . وصارت مفصوبة بعد أن كانت عارية من الكفر مردوبة . وأنا أفكر من خذلها . وما أخذلها . وغاب عنها وما حضرها . علم أنها أسيرة إهماله . وأخينة إغفاله . وحاشى أن يكون المجلس بالغيبة عنا راضيا . وعن النجبة عند تحقق الحاجة اليها متغاضيا . وما بقي للفرنج مع استيلائها على الموضع . الا زائد قوة في المطمح والمطمع . وقد عزمنا على المصاف وصد صدمة الكافر بالجد الكافي الكاف والله كافل دينه بالنصر . والمردني بمكره أهل المكر وما هذا اوان الوني . بل هو زمان استتجاج المني . فان العدو الخادر قد أن أن يصحر . وليل الهدى قد قرب أن يسفر .

ومن رسالة أخرى في استدعاء مظفر الدين من إربل
تشتمل على حادثة عكا ووصف الحال الجارية فيها

قد علم مادهم المسلمون من العدو الكافر . والطاغية الحاشد الحاشر . وأنه ورد في البحر بكل من للكفر في البلاد والجزائر . وماقصده الا ببيضة الاسلام وحوزته وان الله تعالى هو الذي تكفل بذلة اعدائه عزته . ولا شك انه عرف ماتم منه على عكا بعد ذبنا عنها

في هاتين السنتين . والمضايقة للفرننج ممن بعكا ومنا بين .
الحصارين . وانهم كلما دبروا أمرا بمرناه . وكلما حققوا كيدا
ابطلناه . وكلما قدموا منجنيقا . اخرناه وعطلناه . وكلما ركبوا
برجا احرقناه . وكلما كشفوا حجابا خرقناه . وكلما اوقدوا نارا
للحرب اطفأها الله ، حتى لم يبق لكرهم ولا لكيهم مجال ، ولم
يتسق في هذه المدة لهم حال ، وقتل منهم في عدة دفعات زهاء خمسين
الف مقاتل ، من فارس وراجل . ولم نشك في استيعابهم
بالردى . وأن حزب الضلال قد افناه حزب الهدى . وحسبنا انهم
بائثون . فاذا هم زائدون ، وظننا أنهم هالكون ، فاذا هم في نهج
المقتال سالكون . وهم حطب نار الحرب . وطعم الطعن
والضرب . وكم بذلوا ارواحهم على حب المقبرة . وحصلوا تحت
العجز لزعيمهم انهم يأتون بما فوق المقدرة ، ولما دخلت هذه السنة
اشفقنا على من في عكا ، من الاصحاب والاجناد . وقلنا هؤلاء قد
بذلوا في الجهاد ماكان في وسعهم من الاجتهاد . ورأينا أن نجدد
للبلد البذل . وأن نسد وندسد بما نستأنفه الخلة والخلل ، وكان فيه
أكثر من عشرة آلاف رجل ، ومن كل ذمر مشيح وكمي بطل . فخرج
هؤلاء ولم يدخل اليه مثل تلك العدة ، ولم يكن ايضا من دخل بذلك
الجذب تلك الشدة . فان البحر قبل استكمالها منع راكمه . وحصى
جانبه . ووصل العدو وعجل مراكبه فاكفى البلد بمن فيه ومافيه
كفاية واتكل على الله الذي عصمته من كل واقعة وقاية . وجاءت
ملوك الفرنج خلاف كل عام . في جد واعتزام وحد واهتمام . وجمع
لهم ونار تعجلها العدو من جهنمه وضرام وغرام بالواقعة
وعرام . واحتداد للحادثة واحتدام . وباس واقدام . وناس
واقوام . وحشد ملات به سفنها ، وأخلت منه مدتها . ووصل ملكا
افرنسيس وانكتير . وقد احكما التسدير . واجلبا بخيلهما
ورجلهما . واناخا بكلل كلهما . وبركا بثقلهما . وزحفا بجهدهما
وجهلهما . ووافوا بكل برج وثيق وكل منجنيق كتيق . وكل آلة
هائلة . وببابة اللبلايا حاملة ، ونصبوا ثلاثة عشر منجنيقا على
موضع واحد . واهبطوا حجارات السور بكل حجر
صاعد . وباشروا الباشورة بالهدم ، والخندق بالطم والسور بالتدب

والثلم . وخرج من نقامي البلد من ارتد عن الدين . وأعان نقامي
الملاعين . حتى وقعت ابدان السور وأبراجه وتبادر الى الثلم أعلام
الكفر وأعلامه وأصحابنا مع ذلك ثابتون . ناكبون كابتون . قد
سدوا تلك الثغر بذقوسهم . وجعلوا حجارات القرنج وجراخاتها
مغافر رؤوسهم . وكشفوا وجوههم لقبيل السهام . وتلفعوا من
وقع بيضها بحمر اللثام . ترشف شفاه الشفار دماءهم . وتشكر
ملائكة السماء سماحهم بالهيج وكلما اجتمع به فرقوه بطعنهم
وضربهم . وهم يواقمون ويواقصون . ويكافحون ويلافصون . وكل
قد وقف في موقف الكرام وسل نصله . وأثبت في مستنقع الموت
رجله . وودع اللجنة في لقاء أهل النار أهله . فضانهم بعض الأمراء
الجبنا . وأخذ للحياة بترك الحياء . وفر من البلاء الى
البلاء . وحسب النجاة في النجاء . وهرب في بركوس قد ادعه لذلك
اليوم . وأثر على جراح السيف جراح السب واللوم . واستصحب
أمثاله . واستتبع وأبعد في فراره وأبدع . وأضعف بضعف قلبه
قلوب الباقين . وأطى أفاعي الكفر في نهش الراقين . على أن
الأصحاب ما أنذوا بالأصحاب . ولم يقابلوا الضراب
بالأضراب . وما زالوا يواصلون بالقواطع . ولا يرتاعون
الروائح . ولا يريمون مقام المقام . ويطالبون من الأرواح
بالودائع . حتى اندقل القتال من السور الى الدور ومن القوارع الى
الشوارع . وبخل العدو المدينة على سلم بالحرب شبيهة . وأمن
أخوف وأخطر من كريهة . وقطية فضيحة . كل منة لها غير
مستطبعة . ولولا ما اتفق بعد قضاء الله من الأسباب الموهنة . لم
تكن عكا بالممكنة للعدو ولا المذعة . وأن نهبت المدينة فالنبي لم
ينهب وان عطبت فالاسلام لم يعطب . وان ملكت واحتلت فما اختل
الملك . وأن سلكت ووهت فما وهى السلك . وانما نبه الله بها
العزائم الراقدة . وأجرى مياه الهمم الراكدة . وبعث الحميات
الناعسة . وحرك النخوات المتنافسة . وكما أظهر عجزنا عن قدرته
وقدره . وسيظهر عجزنا بنصرته وظفوره . ونحن الى الآن كما كنا
محدقون بخنادقهم لأخذون بمخازقهم . ونوسعهم الردى في مضايقهم
ونجذبهم في كل يوم الى مصارعهم . ونكدر بعلق نجيعهم صفو

مشاربهم ومشارعهم ، فما خرج منهم من نخل . وما انقطع الا من وصل . وما اصحر الا من نديه عريسه وعرسه . وما برز الا من واره من بطون الخوامع رسمه ، فهم مقيمون لا يرمون مخيمهم . ولا يرومون ان يهجروا مجثمهم ، وما اندسوا بمرايض المضارب . الا لذفرتهم من مضارب القواضب ، وهم مع ذلك يرففون تارة بالخروج الى المصاف ، وآونة بالنهوض الى بعض الأطراف . وفي كلا القصدين ان شاء الله دمارهم المعجل . وبوارهم المؤمل . فاننا نعترضهم اين واجهوا ونواجههم أين اعترضوا . ونعثرهم اين نهضوا . ونثيرهم للموت أين ربضوا . وربما غرتهم عكا فطمحوا وطمعوا . واتفقوا على المصاف واجتمعوا . ووقعوا على نار الحرب وقوع الفراش . وتعوضوا مصارع امثالهم والثرى لهم وثير الفراش . فان برز العدو فالمنون له بارزة . والعزائم له مناجزة . والعساكر الاسلامية اليه وعليه زاحقة حافزة . والمجلس اولى من يتخذي ويحتمي . والى هذا المرام من قهر الكفر يرتمي وينتمي . ويصل بجمعه اللهم الملتهم . ويجمره المحتد المحتدم . وبفيلقه الفائق ترائك العدا . السافك السابك في نار الوغى سبادك الظبا . الحاص الحاصد بحدود الشفار سنابل الطلى . وهو لا شك ينهض ويستنهض من وراه . ويستدعي من اذا ناداه اجابه وجاءه .

ذكر لطف من الله في حقي خفي

كان السلطان قبل استيلاء الفرنج على عكا بسنه عمل ترجمة تفرد بها القاضي ابن قريش لمكاتبة الاصحاب . ليكتب بها اليهم ويعود بها الجواب . فلم يبق المكاتبة ابتداء وجوابا بخطي . وخرج حكم عكا في الكتابة عن شرطي . فقلت لاصحابي ما صرف الله قلمي عن عكا الا وفي علمه ان الكفر اليها يعود . وان النحوس تحلها وترحل عنها السعود . واستعاذني الله من استعادتها . وريها الى شقاوتها بعد سعادتها . ولقد عصم الله قلمي وكلمي . وعرف شيم مخايل الطافه من شيمي . وهذا قلم جمعت به اشتات العلوم مدة عمري .

وما اجراه الله الا باجري . فالحمد لله الذي صانه . وعظم شأنه .
وما ضيع احسانه . وهو للفقه والفتيا . ومصالح الدين في الدنيا .
وما عرف الا بعرف . فما صرف الا عن صرف . وما سفارته الا في
نجح . وما سفاره الا عن صبح وماتجارته الا لريح فهو يمين الدولة
وامينها . ومعين الملة بل معينها . بمداه يستمد امدادها . وبسداده
للثغور سداده . ودواته دواء العضلات . وبعقده حل المشكلات .
وبخطه حط عوادي الخطوب . وبقطه قط هوائي القطوب . وببريه
برء الامراض . ويجريه جري الجياد للجهاد . ويسعيه سعي
الامجاد للانجاد ، وبحركته سكون الدهماء . وبببركته ركون
الرجاء . فما كان الله ليضيعه في صون مالا يصونه . وعون من
لا يعينه . فخذت على عكا من وقوف قلبي عنها . وكان قد الهمني
الله فانه صانه ولم يصنها . وشكرت الله على هذه اللطيفة .
والعارفة الطريفة .

ذكر ماجرت عليه الحال بعد استيلاء الفرنج على عكا من الوقائع

وفي يوم الخميس انسلخ جمادى الآخرة . خرج الفرنج من جانب
البحر بالعدة الوافرة . وانتشروا بالمرج الى الابار التي كان حفرها
العسكر . فحضر الكؤوس السلطاني . فثار المعشر وقام المعشر
وانهض السلطان الى اليك من قواه . واتيحه بمعد تلاه . وقد طار
غراب الفجار . وتبرقعت بالتقارب عراب المضمار . وشبت الوغي بكل
شبوب تمانع سوى فارسها ركابها . وتغير الشمس من نسج
حافرها نقابها . في غلب كالقواضب . يروون القواصب . وطوالع من
الغروب يعدن في الغوارب غوارب . وحمل على ابطال الباطل حماة
الحق . فردوا الكفر بذلك الخرق المتسع متسع الخرق . وانهزم
الفرنج فجالت العرب دونهم . وحالت بينهم وبين اسوارهم واحالت
عليهم مذونهم . وصرعوا زهاء خمسين رجلا . كروا عليهم بكاسات

ان انقضى الاجل . وانتهى الترم الاول . وجاء الرسل وابصروا
الاسارى حضورا . والمال موزونا موفورا . وظنوا ان صليب
المصلوب قد ارسل الى دار الخلافة فليس له وجود . فسألوا
احضاره وهم شهود . فلما احضر خروا له ساجدين . واقروا به
شاهدين . وعرفوا ان الشرط بالوفاء مقرون . وان الاناء بخلاص
اسارنا مرهون . وظهرت علامات مكرمهم . ولاحت امارات
غدرهم . وفي يوم الاربعاء العشرين من رجب اخرج الفرنج الى
ظاهر المرج خياما ضريبوها . وقبابا نصبوها . وخرج ملك الانكتير
الى خيمته . ومعه خلق من خياله ورجاله .

ذكر غدر ملك الانكتير وقتل المسلمين المأخوئين بهكا

وفي عصر يوم الثلاثاء سادس رجب ركبت الفرنجية بأسرها
وخرجت من مستقرها وسارت بخيلها ورجلها . وجدها وحفلها .
وجاءت الى المرج الذي بين تل العيلضية وتل كيسان . ونفذ اليك
وأخبر السلطان . وركبت العساكر نحوها متسابقة متلاحقة .
وشامت صوارم صادقة وعزائم صادقة . وكان الملاعين قد احضروا
اسارى المسلمين . وفي الحبال واقفين . وحملوا عليهم وقتلوهم
بأجمعهم . والقوه على مصرعهم . فحمل عليهم العسكر
وهاجمهم . وضرب بأواجه امواجهم . وقتل منهم خلقا . وأوسع
فيهم خرقا . واستشهد منا كردي حميدي وبدي . وكلاهما من
الموصوفين بالشجاعة وهو من ماء الرحمة على الكوثر روي . فلما
انصرف العدو الى خيامه ، وركد الروح بخار قتامة . شوهده
المستشهدون بالعراء عريا . وانما عروا ليكتسوا من حل الجنان
التي اكرمهم الله بها وشيا . ومضى الناس اليهم فعرفوا معارفهم .
وصفوا في سبيل الله موافقهم . وما اكرمهم رجالا . واحسنهم في
الشهانة والسعاية حالا . ولما غدر الفرنج بسفك الدماء . وهتك ستر
الوفاء . تصرف السلطان في ذلك المال . وبسط فيه يد القوال .
واعاد اسارى الفرنج الى دمشق لتعاد الى اربابها . وترجع الى

أيدي اصحابها . فانهم كانوا جمعوا من اهل البلد للحاجة اليهم . فلما استغنى عنهم ردوا عليهم صليب الصليبوت الى الخزانة . لا للاعزاز بل للامانة . فان غيظ الكفار بحفظنا للصليب شديد . والمصاب به عندهم على مر الجديدين جديد . وقد بذل فيه الروم ثم الكرج بذولا . وانفذوا بعد رسول رسولا . فما وجدوا قبولا ولا صادفوا سولا .

وفي يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب قوضت الفرنج خيمها وعبرت النهر . وقاربت البحر . وضربت بينهما الخيام . واثبتت من الرماح المركوزة على سباعها وضباعها الاجام . فليل للسلطان . ماحركة القوم الا لقصد عسقلان . فجاشت همومه وعب عبايه . واجتمع بنانيه لاجالة قناح الراي اصحابه . وسح سحابه وصح حسابه . وحكم فاحكم . ويبي فايرم . واستشار وأشار . واستنار وأثار . واستورى زناد الاراء . وامترى مراد الامراء . وقال هذا العدو طغى واستكبر . واصحى له الافق وافاق واصحر . وقد تحرك بعد سكونه . وظهر بعد سكونه . وظهر بعد كيوته . وغرته عكا قطع في عسقلان . واسترق جانبنا الخشن الشديد عليه واستلان . وهذه جموعه بارزة . وكهويه راكزة . وعوراته باويه . وثوراته عابيه . ونكراته معروفة . وغدراته موصوفة . وكنا نقول اذا برز نبارزه . واذا خرج نناجزه . واذا هارق مكانه نتمكن من تفريقه . واذا ركب الطريق نركب الى طريقه . واذا توجه الى موضع اوضحنا الى مواجهته . واغرينا أسنة الاسنة بمشافهته ومسافهته . والان الان الله لنا الشديد . واننى علينا البعيد . واخرج العدو من الضيق الى السعة . وابرز من وراء الاسوار والخنادق الممتعة . وان لم نلقه في طريق مسيره . ونجد في التدبير لتدميره . وصل الى عسقلان فصار لنا منها شغل عكا واصعب . وحينئذ نتعب . وصعدنا بها لايشعب . فقالوا هو يسير بالبحر محتعا . وعن النهج منتعا . ويقصد الساحل الساحل . ويقتصر المراحل . والتي يلي الساحل في الطريق اما اجام وغياض غلقه متاشبه واما رمال وتلال ضيقه متكثبه . وهناك مواضع يمكن فيها مضايقته على المضايق . ومواقفته

بالعوائق . فتقدم السلطان الى علم الدين سليمان بن جندر . وامير
من اهل الخبرة أخر بالسير الى تلك المناهج . ومشاهدة مالها من
المخارج والمواليج . وكشف المواضع التي يلقي فيها العدو . ويؤمل
بمقاتلته فيها من الله النصر المرجو . فسارا ينقضان تلك المسالك
ويكشفان الاماكن التي تكون معارك . وتتخذها لمبار المرام مبارك .
ولمدار المراد مدارك . وعادا وقد ظفرا بقاع وبقاع وعينا على اماكن
ومكامن . ومواطىء ومواطن . ووقع الاجماع على الاجماع على
اللقاء والقراع . في مذاهب تعينت . ومسارب تبينت . وسهول
عرفت . ومروت وصفت . وصمم العزم على ان الفرنج اذا ساروا
سرنا على عراضهم واستقمنا على جند الجند في اعتراضهم
واعترضهم .

ذكر رحيل الفرنج صوب عسقلان ورحيلنا للقاهم

وفي سحرة الاحد غرة شعبان . اضرم الفرنج في منازلهم النيران .
واصبحوا على الرحيل . والاصوات مختلطة بالصهيل . والارض
مضطربة والسماء محتجيه . والقباب تقوض . والعياب تدفخ .
والجباب تنثل . والهضاب تنتقل والذئاب تعسل . والزغف
تفاض ، (٥٨) والحذف يخاض . والخيل تسرح . والسيل يمرج .
وذوئب الذواهل تنتشر . وانبيات الذوائب تكشر . ولواء اللاواء
يعقد . وضرام الضراء يوقد . والبيارق تختفق . والبوراق تسألق .
والدودو . والجوجو . وللعديد تبوج . وللعديد تمسج . وقد ثارت
الجواء . وفارت الجأواء . وبجت الاضواء . ورجت الضوضاء .
وسال الوادي . وعت العوادي . وسار الاعادي . وعلم السلطان
تدبيرهم . وعرف مسيرهم . فرعدت كوساته . وغربت بوقاته .
وصاحت طوبوله . وساحت سيوله . وانسحبت نيوله . واصطحبت
خيوله . وبرقت لواامعه . وشرقت طوالعه . ومضت عزائمه .
ومضت صوارمه . وحلقت العقبان الى مطار مطارنه . وتالقت
الخرصان في معاقل معاقده . وسار وارضه جردا لضموم . وسماؤه

نسج الحوافر . في بحار سوايح يموج على شكاثمها اللعاب .
وغدران سوايح كالزلازل لمعه الحباب . ومجر ملتهب الجوانب .
مشتعل القواضب . وقب معقوبة السباث . مقوبة الجناث .
معصوبة الهواذي هانيه العصائب . وعرب ملوية العمائم بالشهب
ملوثة البرود بالقضب . وترك كالأقمار في حالات التروك . ومماليك
في حالات الملوك . عتاق الوجوه على الوجيبيات العتاق قد خلقوا
للثبات مع قلق الاخلاق . واعاجم على العرب . هضاب على
هضاب . وكرد بحصون الدروع محتمين . وبقياب اليلب
مستصمين . في مسرودة الحلق . مسدودة الصدق . تقهقر عنها
اللهازم . وتقهقر اذا قلت بها الصوارم . وجيش يصيب العدو
ولا يصاب . ويعيب الاقران ولا يعاب . من كل ناصر للحق على ضامر
للسبق . خارق للنقع راقع للخرق . فائق رائق للفتق . معنق الى
الضرب ضارب للعنق . وفيلق همه فلق الهام . وجحفل ملتهم
للجحفل اللهام - يحوي كل اغلب عبل النزاع . واشم رحب الباع .
خواض الكتائب . فياض القواضب . رواض الرعان . نضناض
الستان . موار العنان . قوار الجنان . قائد الخيل زائد السيل .

رائد الليل وهاجت العساكر وماجت الزواجر - فزرات القساور .
وأزهرت الزواهر . وتناوحت جذبات الحديد . وعذبات الحرير .
وأشبه سهك الماني بعبيق العبيرو كانت ذوبة اليزك في ذلك اليوم للملك
الافضل وهو في نخبة الجحفل بدور ليل لقسطل . وشموس يوم
المحفل . فوقف لهم وقفا أثرهم وألهبهم بنيران النصال .
وأسعرهم . وقطع طريقهم . وقصد تفريقهم . وسطأ على
أوساطهم . ونادى بايراء زناد إيراطهم فانقطعت أواخرهم عن
أواثلهم وسدد سهام المذنون إلى مقاتلهم وأرهق إليهم الاجل .
وأحرق عليهم العجل . وطرق نحوهم الوجل . وانهزم من تقدم
ولحق الاول . وتعكس من تأخر وانخذل وانخذل . وأوقد ناراً على
اهلها مشعلة . وترك تلك الوقعة للمجاهدين الحاضرين مشغله .
ونفذ الى والده يستنجده . حتى يسرع اليه منه . ويقول ان امدت
بألف ما أبقيت من هؤلاء واحدا . ومتى تتفق مثل هذه الفرصة لو ارى لي

الاربعاء . واصبح راحلا . فما حل حياه بارض الا احيا ماحلا . ونزل على النهر الذي يجري الى قيسارية . وعسكره قد طبق تلك البرية . وكان العدو قد تحول الى الملاحة . ومكث بها للاستراحة . واقام السلطان بتلك الناحية يجول من رايية الى رايية . ويرهف للقاء الفرنج بحضه وحته كل عزيمة نايية . واتى مرارا بأسارى خطفوا من مواقفهم وقطفوا من منابتهم ، وطرق الانكار الى ثواب ثوابتهم . فامر باراقة نمهم . واطاحة رممهم . واخبره بعض الاسارى انهم يوم رحلوا وصلوا الى حيفا حيارى وطرح منهم وجرح كثير ، سوى من اخذ فهو الآن اسير . وهلك بين عكا وحيفا اربعمائة فارس . ونجوا منكم بانفسهم على اخر نفس . ولو انكم كبستم كبستم . واعريتوهم من الحياة لو انكم بهم التبستم .

فصل من كتاب الى مظفر الدين

بذكر ما جرى بعد الرحيل من عكا الى هذه الغاية
لاستدعائه

ولا فرغ العدو من شغل عكا حسب ان كل بيضاء شحمه . وان كل سوباء فحمة . فرحل على صوب حيفا واقعا في حيفه . باحثا عن حقه بظلمه . زاعما انه على قصد عسقلان خذله الله وخيبه في قصده وزعمه . وهو حاصل منا على صده ورغمه . وكان رحيلهم مستهل شعبان وملك انكتير قائلهم الى البوار . ووافد اهل النار الى النار . ولقيناهم من بواترنا بواتر التبار . وقد رحلنا في عراضهم لاعتراضهم . وتغشهم في طريق انتهاضهم . ولقوا يوم رحيلهم من اليزكية الزكية كل نكاية فيهم شديدة . وكل روعة لهم مبيبة . فانهم قطعوا ساقه العدو عن اللحاق بمقدمته . وفلوا عن الحدة في الحركة حد عزمته . وقتلوا خيلا وخيالة . وفوارس ورجاله . وقدروا وتمكروا . وجرحوا قاتلهم . ونهبوا وسلبوا واخذوا رؤوسا قطعوها . ووقدوا نفوسا قلعوها . وغنموا اقمشة واسلحة .

وحصوا من اللاحقين بهم قوادم وأجنحة • ونزلوا على نهر حيفا
وقد تم عليهم الحيف • وتحكم في قلوبهم السيف . فأقاموا إلى هذه
الغاية لداواة جريحهم ومواراة طريحهم • وإراحة طليحهم •
وإثارة ماركد من ريحهم • وقد رحلنا وسبقناهم الى طريقهم •
عازمين على تبديدهم وتفريقهم • وتشيتيتهم ايدي سبا وتمزيقهم •
فقد تمكنت بتأييد الله ايدي الايد من سبيهم وقتلهم ، والله يجمع
شملنا لتفريق شملهم ، وما يجنده الله لنا بعد هذا اليوم من غبطة •
ولاعنائنا من عبطة • الا ونبادر ببشراه الى المجلس لتقوى في
نصرتنا عزيزته ، وتشيم بارق التوفيق في موافقنا شيعته وتروض
مواهل الامال مع اوان البيمة الربيعية ديمته ، ويغلو في سوق رواجه
من الدين ماظن انه رخصت قيمته وكيف لا ياخذ ذلك الكريم بثار
الاسلام وقد سبيت من عكا كريمته ، واذا تأمل عرف أن الخطب
عظيم وما لدفعه الا العظيم ، والهم مقيم وما لرفعه الا بأسه المقصد
المقيم وسيقتضي دين هذا الدين الغريم الزعيم .

وقعة قيسارية

وفي غدوة الاثنين تاسع شعبان ، جاء من اخبر برحيل الفرنج
السلطان ، وأنهم سائرون ثائرون وعلى اجنحة الجرد طائرون
وحول رجالهم بخيلهم ثائرون . وهم في جمع لهام . وقد اذقوا
ثلاثة اقسام كل قسم راجله بخيله محفوظ . وبأعين القاسمين
الاخرين من خلفه وقامه ملحوظ . وكان السلطان تقدم من الليل
بركوب الخيل . فركب في كل خواض للغمرات . فياض بالعزمات ،
رواض للجامحات نهاض بالجانحات ملتئم مع اللثم بالذقع والنجى ،
ملتحف لولا الروع بالحلم والجا ، مقتحم في حومة الوغى مضطرم
بجمرة الظبا ، على نزاع ينقلن الردى على صهواتها وصواهل
يقذفن الحمام من لهواتها . ويكشفن الظلام بجهاتها . وبارين
الصفاح بصفحاتها . وتعاقل الرماح باعناقها وطلانها ، وفيهم من
رجال الحلقة المنصورة كل سابق الى المنون على سابق ، وكل تائق

إلى المازق مازق • وكل طائر في الغبار على سابع • وكل غابق
بالنجيع صابع ، في عراب متمطية بالعراب ، ورقاق متخطيه إلى
الرقاب ، وسار العدو وسرنا نبريه ونباريه ، ونجسري عليه
ونجاريه . والجاليشيه ترمي وتدمي • وتصمم وتصمي ، وطيور
السهام تقصد من الاحداق اوكارها • والاوتار تتشد بالارنان
اوتارها • وهم في لباس حديد سد على السهام المنافذ • واشتك
النشاب فيهم فاشبهوا قنافذ . وكانت هناك بركة كبيرة . ومياهاها
غزيرة . وهم على عزم ورونها . والاحاطة بحدوبها . فصلاناهم
عنها . وأبعدناهم منها . وكان الحزم تركهم حتى يخرجوا الى
الفضاء . فيدخلوا من تمكنا منهم تحت القضاء . لكنهم ارتابوا
وارتاوعوا . وطلبوا النزول بها فما استطاعوا . فأنحرفوا الى
الساحل . وانصرفوا بالفارس والراجل . واجتمعوا سارين .
وساروا مجتمعين . ومازلنا نلزمهم ونهزمهم ونحفرهم ونحزمهم .
حتى تمت مرحلتهم . وعمت مقلتهم . وتثلثت المصافح . وتحطمت
الرماح . واجرت الانهار الجراح . وجرى بالارواح السماح .
وحضر السلطان مع الجاليشية . ناجح الارادة نافذ المشية ، ونزلوا
على نهر يقال له نهر القصب . وقد انصبوا الى النصب ، وما كانوا
يرجون . وما كادوا ينجون . ولما نزلت بهم في مسيرهم النوازل
نزلوا . وحين وليتهم نصالنا ومناصلنا انعزلوا .

مقتل اياز الطويل

واستشهد في ذلك اليوم الهمام المقدام . الاسد الضرغام ، الطاعن
الضارب . الباسل السالب . الفضنفر الهرماس . الفارس
الفراس . اياز الطويل وطالما عرض نفسه في سوق الشهادة ، واقدام
اقدام الساعي إلى السعادة . وكان الى الصريخ اسمع متنصت .
ولعطاس النقع اسرع مشمت . والى ضيف الحمام اسبق متلفت .
ولسيف الاقدام ارشق مصلت . لا يروعة الروع انا حفزته عزمته .
ولا يهولة الهول اذ همت به همته . وهو اول من يركب وآخر من ينزل

ويدبر سواء وهو يقبل . ويسابق الى المضار ولا يهمل . وهو ابدا يدعو الى المبارزة . ويعدو على المناجزة . ويقف بين الصنفين على صافته . ويرحل على مطايا الحنايا من بنات كناثته الى مقاتل المقاتلين ظعائن ضفائنه . فما برز اليه الا من برزت اليه منزونه . وقاضت بالدم من عيونه عيونه . فكم كف الكفر كفها . ويكر للنصر زفها . واذف للشرك جدعه . وذي انف للفتك صرعه . ولبه للفضفر ضبحت لثعالب رماحه . وطلبة للعتة شمر طنت فيها انيه صفاقه . واجفان للاقران نبتت فيها اهداب سهامه ، ووجوه للشجعان تفصلت في حساب حسامه . فلما جاءه الاجل ما اجل . ولكن الى الجنة به عجل . فان حصانه خانه . وما صانه - فعتربه في حالة الاقدام . وجلا قمره في هالة الحمام . ولم يخف لنقل الصيد للقيام وطعن وضرب واتاه من الكوثر سلسيله فشرب ، ولما أدركه الاصحاب ألفوه ، وقد فات ، ورافق في عليين الاحياء في سبيل الله لا الاموات ، ونزلنا نحن بعد انقضاء الحرب على البركة ، شديدي الشوكة حبيدي الشكة ، ثم رحلنا ونزلنا على أعلى نهر القصب في اوله ، وهو الذي نزل العدو في اسفله ، وتقاربت مابيننا تلك الليلة المسافة ، وعنينا الامن وعند العدو المخافة ، ولما اصبح السلطان يوم الثلاثاء مكث على الثبات والهدو ، ينتظر ما يكون من خبر العدو ، وأقام الفرنج على حالهم ، لتعبهم وكلالهم ، ولا سباب منها جراحاتهم ، عدموا منها منهاج راحاتهم ، وكذلك ماملهم من رعب الهلاك ، والابتراك في ارتباك .

وقعة لعز الدين بن المقدم

وكان عز الدين بن المقدم في ساقه اليك ، مستيقظا للحفظ والدرك ، فبصر بجماعة من الفرنج مقبلين ، كبروا بغير عدة مسترسلين ، ولاخبار عسكرينا مستترفين . وهم مما تم عليهم غير متخوفين . فعبر اليهم النهر من ورائهم واستظهر عليهم في لقائهم فقتل منهم عدة ، ولقوا منه شدة ، واسر ثلاثة ، قبل ان ينالوا

اغاثة ، ثم ركب الفرنج اليه . وحملوا عليه وكانت وقعة عظيمة . جلبت لنا غنيمة وعليهم هزيمة . واحضر الاسارى عند السلطان . بحزام الذل والهوان . فآخبروا أنه جرح بالامس منهم ألف . وسرى فيهم ومن وضعف ، وقد جرى عليهم أمر عظيم ، وبلاء مقعد مقيم ، ورحلنا وقت الظهر وعبرنا شعراء ارسوف في الطريق الوعر ، ونزلنا وقت غروب الشمس بعد الخروج من تلك المذاهب ، على قرية يقال لها بير الزاهب ، ومضى السلطان جريئة الى قرب ارسوف وأطال هناك الوقوف ، حتى رأى أرضا في طريق العدو تصلح للقاءه ، والاخذاق به من أمامه وورائه وأقام يوم الاربعاء في ذلك المنزل ، والعدو في منزله الاول

ذكر اجتماع الملك العادل وملك الانكثير

كان في اليذك علم الدين سليمان بن جندر ، قد ظهر فيه واستظهر ، ورأسه العدو على أن يتحدث مع الملك العادل ويجتمع به ، وينزل على أرببه ويعرب عن مطلبه فاجتمعا ، يوم الخميس ، على التأسيس ثم تحدثا في الحوادث ، وعوادي الحروب اليعوانث ، وان السلم متعينة والسلام فيها متبينة ، والمصالحة مصلحة ، والفائدة مترجحة ، قال وما جئنا الا لاصراخ اهل الساحل ، فوقعنا في الشغل الشاغل . فان اصلحتهم واصطلحتهم . استرحنا واسترحتم ، فقال له الملك العادل : مالذي فيه تحاور وله تحاول ، فقال رد البلاد برد البلاء ، وسلوك مسالك الاسعاف والاسعاد ، فقال العادل : هذا لامطمع فيه ، وهذا رسم باطل حقنا معفيه ، ودون حدود البلاد حدود الحداد ، وخط القتام وخرط القتصاد وصرف عنان صرف العناء الى المتصرفين بالعناد ، وأدركه حكم الحمية والحفيظة ، وغلى مرجل غيرته في الكلمات الغليظة ، وكان الترجمان بينهما هنفري بن هنفري ، فلما سمع ملك الانكثير ما راعه ، ما استطاع سماعه ، وثار ثورة المحنق المحرق ، وال اجتماعهما الى التفرق .

وقعة ارسوف

لما عرف السلطان من أخيه الملك العادل ماجرى بينه وبين ذلك الطاغية ، وأنه مصر على تلك المباغي الباغية ، جمع يوم الجمعة وقت الاصباح الاصحاب ، واستحضر من أسسد غايّة من غاب ، وأمر برحيل الاثقال ، وأقام في رعيال الرجال ، وركب في عجم انجاب وعرب على عراب ، وكرد على جرد ، وكل سابق ورد على سابق ورد ، على خيل من سماتها آثار الطعن ، وعلى جبهاتها أنوار اليمن ، بأكباد غلاظ على العدا ، ورقاق حديد على الطلى . ونبال مصمية لبان المصمم . ورماح لنتها ضفم الضيفم الملعن . فأقام العدو بسواد قومه بياض يومه ، وبات وقد فارق جفنيه غرارا نصله وذومه ، فلما أسفر صباح السبت رابع عشر شعبان ، ركب العدو على صروب ارسوف وقد ضم الرجال والفرسان ، وهو سائر في ليل حالك ، وسيل سالك ، وخيل عاك ، وحزب الشيطان . وحرب الايمان ، واصحاب الجحيم ، واقطاب الضلال النهيم ، وخطاب الخطوب ، وانداب الندوب ، وكفاسة الكفاح ، وصفافة الصفاح ، وأجناس الكفار ، وأنجاس الداوية وأرجاس الاسبتار ، وكل غيران غير وان ، وأفعوان معتقل افعوان ، وكل ارقم في جلد ارقم ، وكل ازرق اشقر على أنهم ، فأحدثت به أحلاف عساكرنا احداق النار بالطفاء ، ونقلت بفسور ضروا امرها الأرض الى السماء ، وخاضت الفغمرات ، وأفاضت الجمرات ، وأفاظت المهجات ، وشبت نيران الهننيات ، وأهبت رياح العربيات ، وألهبت شعل اليمانية . وألهت بها مقل الفرنجية ، وجال عليهم في الجاليش . التترك على الاكاديش ، وأحدثت سهامها كالاهاذ بالاحداق ، وبرزت بيضها لمعانة الاعناق ، ولع شرار النصال في نخان العجاج ، وخزقت بنات الحنايا الخرق حجاب العجاج . وافضى ينابيع التبع الى اعجال الاعلاج ، فإن الفرنج اغذوا في سيرهم وجدوا ، واحتدموا وامتدوا وقربت منهم الاصلاب ، واختلط بهم الاصحاب وتعاضدت

الرفاق والرقاب ، وأخرج القوم وتقطعت بهم الأسباب ، وقربوا من
أرسوف ، وقد لاقوا منا الحثوف والخسوف ، وضاق
خناقهم ، وحاق بهم أرهاقهم ، ونشبت الجاليشية فيهم
بالذشاب ، وشبت نيران المرفة في أولئك الأوشاب ، فاحتملوا في
جلوبهم الجرح ، ومن أجلاهم الطرح ، ووجدوا الموت الغالي
مسترخصا ، وايقنوا بالدمار ولم يجدوا مخلصا ، وعرفوا ان
البلايا عليهم متصلة غير منفصلة ، وأن قواهم لما فوق ما لقوه من
النكاية غير محتملة ، فحملوا على الاطلاب المنصورة حملة واحدة
زحزحتها عن مواضعها ، وكانت تحلثها شوارع القنطاريات عن
مشارعها ، لكنها تحيزت الى القلب المنصور ، وفازت من وجوه
النصر بالصفور ، واستشهد في تلك الفورة الثائرة ، والثورة
الفائرة ، سعداء استقبلوا بالأسنة الاسنة ، وأجابوا دعوة الله بأن
لهم الجنة ، فما صرعوا حتى صرعوا ، ولما اشرعت اليهم الرماح
اشرعوا ، ثم كرت عليهم نخب الرجال كرة أرمتهم
وردتهم ، وصدفتهم عن الاستتار في جدد تلك الحملة
وصدتهم ، وفرست منهم فوارس ، واتعست معاطس ، وفرشت
بالعراء لهم أشلاء ، واخذوهم طعانا ورماء . فنزلوا في أرسوف
وقد كسروا وخسروا . وقتل قوم منهم وأسروا . وفي ذلك اليوم ثبت
على صدمة القوم الملك العادل سيف الدين . وحمل في أصحابه اسد
العرين وسدد الى نحورهم الشوارع وقلع منهم قلائع . وثبت
عسكر الموصل . وكذلك قايمان النجمي في موضعه الاول ، وكانت
العساكر في شعراء أشبه ، وشجراء منتشبة ، فلما رأى العدو
اندفاع المسلمين قدامهم ، لم يأمن رجعتهم وإقدامهم ، فعاد وعبر
أرسوف ونزل قريبا من الماء ، وبات السلطان تلك الليلة على نهر
العوجاء ، وأقام العدو يوم الأحد في موضعه ، مذكوبا يتعب
تبعه ، ثم رحل يوم الاثنين سائرا الى يافا ، ليستدرك بها ورطه
ويتلافى ، ونازلتهم العساكر بالتوازل الى ان نزلوا وقطعوا طرقاتهم
حتى وصلوا .

فصل من كتاب السلطان الى الديوان العزيز

يشتمل على ذكر الوقائع المذكورة بعد الرحيل من
عكا

وسلكوا في مواضع ما لليزك عليهم فيها سبيل ولا لقاح القراع في
مجالها مجيل، وعساكرنا تضايقهم في كل مضيق ، وتطرقهم بالبلاء بل
المنيا في كل طريق ، وهم على البحر لا يفارقونه ، ومن المورد الى
المورد في كل مرحلة لا يتجاوزونه ، فان المياه قريب بعضها من بعض
ومسيرهم بمقدار مسافة مابين المنهلين ، واذا لزوا لم يبعدوا بين
المنزلتين ، وكانت لنا الى هذه الغاية معهم في كل بقعه وقعه ، وفي
كل مرحلة مقتله ، وفي كل منزلة منازلهم ، وأوريناهم الردى في كل
مورد ، وقصدناهم بالشدائد في كل مقصد . وسلبنا حماهم للحمام
في كل سبيل ، وسار صبايحهم منا في كل مقصد ومقيل ، وطريقهم
على البحر كلها مضايق وأجم ورمال ، ومواضع لا يتسع فيها مجال
ولا يتهيا قتال ، وكلما وجنا فسحة ضايقتهم ، وأرهفنا حدود
العزائم والصوارم وأرهقتهم ، وجرت معهم عنة وقعات كاد الكفر
فيها يبور . وبأثرة السوء على اهل بنا تسير ، وماء اهل النار
بفيض بأسنا عليهم يغور ، ولولا ان الله تعالى قد اخر موعده في
نصر اوليائه ، وقهر اعدائه ، لوقع الفراغ من شغلهم ، وشملت
نعمته لنا بتبديد شملهم ، فمنها يوم رحيلهم عن عكا أرهقتهم
اليزكية الزكية ، ونكأت فيها منهم الرمية بل المنية ، وكان الولد
الافضل يومئذ متولى اليزك - فتولى اسعار لهب المعترك ، ووقف لهم في
المضيق على الطريق . وبأشر جمعهم بالتفريق . وقطع آخرهم عن
اولهم . وعاق الساقية عن الوصول الى منزلهم وبتر وبتك ، وفك
وهتك ، وقتل وسفك ، وطلب وأدرك ، وعبر الفرنج نهر حيفا لما
دهمهم من الامر ، واحتتموا بالمنزل الوعر ، ووصل عساكرنا وقد
تمنعوا بالنزول . وتجمعوا في الوعر عن السهول . ولم يبق اليهم

نهج للوصول ، وأقام الفرنج في تلك المنزلة أياما ، وقد نالت معاطسهم أرغاما ، حتى استجدوا عدا ، واستنجدوا مينا ، واستجدوا ممن وراءهم عدا ، وأحسكوا التدبير ، واستأنفوا المسير ، ومنها يوم انقصالهم عن قيسارية ، بارتهم الرماة وبرتهم بالمبرية ، وأنفنت اليهم رسل المنية ، وقتلت منهم مقتلة جيدة ، ولن تنزل السهام الى مقاتلهم مصوبة مسدده ، الى ان احتموا بالنزول وحلوا عقد تلك البلية عنهم بالحلول ، وقد قتلت من خيلهم عدة الف رأس ، لم يفصل ركبها الا وهو من ثوب النجيع كاس ، ثم كانت المياه في طريقهم متقاربة المناهل ، والمسافات غير متباعدة المنازل ، فاذا لزوا بالمنازلة ، ارتزوا الى المنزلة ، ولاذوا وهم اهل النار بالماء ، وقادهم العجز عن الاحتمال الى الاحتماء ، ثم استقلوا منتصف شعبان سائرين على البحر بعانتهم . وعابيهم شاكين في منتهتهم ممتنعين بشوكتهم وشكيتهم . والخيل تجري بهم جريان السيل ، والراجل يلتف عليهم في مثل سواد الليل ، والعساكر الاسلامية جائلة في عراضهم ، مائلة الى اعتراضهم ، موقفة في مرامها ، مفوقة لسهامها محرقة اهل الجحيم بضرامها ، ولما نشب فيهم النشاب وأعجزهم وأزعجهم وأخرجهم بكثرة النكاية فيهم وأرهمجهم ، كابرُوا وصابروا الى أن وصلوا ارسوف ، وقد شارفوا الخوف وقاربوا الحتوف ، فحملوا بحملتهم حملة واحدة ، وجاؤوا كالسحاب بارقة وراعدة ، واندفعت الاطلاب الاسلامية امامها ، ولم تثبت قدامها ، حتى ابعثوا بحملتهم في جملتهم ، وتفردوا بحركتهم في معركتهم ، وظننها السلطان هزيمة ، وبانت بالعاقبة انها كانت عزيمة . فإن القلب النصور ثبت فئة المتحيز ، وموتلا للمتفرز المتحرز ، ووقف الاخ العادل ثابتا قلبه ، ثابتا طلبه ، وكر عليهم في حربه ذوي الحمية ، والاذف والابية ، والهمم العلية ، كرة ربتهم واربتهم ، وصدقتهم عن بلوغ الغاية وصدتهم ، فاستدركت ما فرط في النويصة من النبوة ، واستمسكت بما استأنفته في العزيمة من القوة ، وقتلت منهم كندا كبيرا وعددا كثيرا ، وعاد تنظيم هامهم بالعراء نثرا .

ونزلوا بارسوف ، راغمي الانوف . قد فل جندهم ، وقتل
كنهم ، وهذا طاغوتهم الهالك بسيف سيف الدين ، كان مطاع
اولئك الملاعين ، وابليس تلك الشياطين ، والمعروف بسير
جاك ، واستمر حكمه قبل وصول ملوك الاشراك ، وتحت حكمه عدة
كثيرة من القوامص والبارونية ، ونفذ امره على النواية
والاستتارية ، وكان من عظم شأنه ، وفخامة مكانه أنه يوم صرع
قاتل دونه جماعة من المقدمين المحشمين فما قتل حتى قتلوا ، ولا
بذل روحه حتى بذلوا ، وجزع ملك الانكثير لصرعه ، وفزع من
ورود مشرعه ، ونزلت المساكر السلامية على الماء وهو بعيد من
مخيم الكفار ، وخيمت عليه بحكم الاضطراب ، ثم رحلوا وقصدهم
العسكر فصادفهم بقرب يافا ، وكل منهم استدرك بقصده اياها تلافه
وتلاف ، فحال دونهم لقدم متونهم محيلا ، ومن جمعهم بقمعهم
منيلا ، وعلى قسومهم بوقمهم محيلا ، حتى باسطهم في
مياينها ، وخالطهم في بساتينها ورابطهم بالاسود في
عرينها ، وأسرى الهين الى سراحينها ، فما وصلوا المدينة الا وقد
تخطفوا من حولها ، واستولى الرعب على قلوبهم من بأس الحرب
وهولها ، وخافوا من فريضة مسالة النكاية وعولها ، وما صدقوا
كيف نجوا وأفلتوا ، وسكنوا فيها بنية الاستيطان وتثبتوا ، وعلموا
انهم ان خرجوا اخرجوا وان سلكوا هلكوا ، وزعموا انهم اذا
صبروا ملكوا .

ذكر ما اعتمده السلطان بعد دخول الفرنج الى يافا

رحل السلطان يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان ونزل
بالرمله ، واجتمعت الاثقال كلها به في تلك الرحلة ، ورحل ليلا
واصبح على بينى ، وجاوزها الى نهر امران الخيام به
تبني ، وزرنا قبر ابي هريرة رضوان الله عليه ، وتبادر الناس
للتيمن به اليه ، ورحل ونزل بظاهر عسقلان بعد العصر ، وشرع
فيما عزم عليه من الامر .

ذكر خراب عسقلان

لما نزل بالرملة احضر عنده اخاه العادل واكبر الامراء ، وشاور في عسقلان ذوي الآراء ، فأشار علم الدين سليمان بن جندر بخرابها ، للعجز عن حفظها على ما بها ، ووافقه الجماعة ، وقالوا قد ضاقت عن صونها الاستطاعة ، فان هذه ياها وقد نزلوا ولا تفي الحال بحماية البلدين ، فإن كل واحد منهما يحتاج في حفظه الى عشرين الف مقاتل ، والى الاستكثار لاجل نخائره ، من كل حاصل ، فانظر الى اصوب الرأيين فقدمه ، وابصر اخطر الداعين فاحسمه ، واعمد الى اشرف الموضوعين فحصنه واحكمه ، وتيقن ان عسقلان اذا وصلوا اليها هي سالمة تسلموها ، واستظهروا بها واحكموها ، وثقوا بها على سواها ، وبلغوا من بغيتهم وبغيهم الى منتهاها ، واقتضت الآراء ، اقامة الملك العادل بقرب ياها مع عشرة من الامراء ، حتى اذا تحرك العدو كانوا منه على علم ، ومن قصده على عزم ، ووصل السلطان الى عسقلان ، وشرع في هدمها بكرة يوم الخميس تاسع عشر شعبان ، ولو حفظت لكان حفظها متيقنا ، وصونها ممكنا ، لكن وجد كل له متجنباً متجنباً. وقد راعتهم نوبة عكا وحفظها ثلاث سنين . وعادت بعد ذلك بمضرة المسلمين ، وقال من تعلل واعتذر عن دخولها . وحل عقد عزمه عن حلولها ، تدخلها انت او احد اولادك ، فتدخلها اتباعاً لمرادك ، فحينئذ لم يجد بداً من نقض اسوارها ، وغض انوارها ، وفض سوارها ، وتعفية اثارها ، ولو كان وقع الاعتناء بايوائها ، مذيوم فتحها واقتنائها ، لما تطرق الى ايدها خلل ، ولا الى ايدها شلل ، ولا الى حينها قتل ، ولا الى وبها ملك ، وقد كنت ركبت اليها وطفقتها واستحسنها واستلطفتها ، ورأيت سورها قبل فصرم سوارها . ونورها قبل ذيول نوارها ، فما رايت احسن منها ولا احصن . ولا احكم من مكانها ولا امكن . وسكانها كانوا في رفاهية . فانتقلوا منها على كراهية . وباعوا انفس الاعلاق

بابخس الاثمان . وفجعوا بالاطوار والاطوان . وساعت اسواؤها .
ونأت ادواؤها . واناخت لاواؤها . وباخت اضواؤها . وسمع غناء
المعاول في مغانيها المعولة . ورثيت دائرة الزلزال في دورها المتزلزلة .
وناحت تلك الذواحي . ومسحتها المساحي . وجرقتها الجارف .
واخافتها المخاوف . ونكرتها المعارف . وبهرجتها الصيارف .
ونعتها النواعب . ونابتها الفوائب . ونزلتها النوازال . وغالقتها
الفوائل . وسفقتها السواقي . وعفتها العواقي . وخلت مدارس آياتها
من التلاوة . وتخلت مجالس مكرماتها عن الطلاوة . وصوحت
مجاني مبانيتها . وطوحت معاني مغانيها . ودجت معالي معاليها .
وعانت مقاوي مقاريها . ووقفت على طولها واستوقفت . واسيت
عليها واسفت . وتلهبت وتلهفت . وشاهدتها وقد حسرت وحفيت .
ومحي سنا محاسنها وخفيت . وبكى تلك الريدوع . وأهسبت
لسقيها الدموع . فلقد اصاب الاسلام بعروسها . وعبست الوجوه
لعبوسها . حين ثار نزع بوسها . فلما خلت مساكنها من ساكنها .
وتخلف بالبيوت رماد نيراتها . رحل السلطان يوم الثلاثاء ثاني
شهر رمضان ونزل على يبنى . بعد ان ترك سور عسقلان وقد تعذر
ان يبنى . ونزل يوم الاربعاء ثالث الشهر بالرملة . وتفضيل جميله
باد على التفصيل والجملة . وامر بتخريب حصنها وتخريب لد .
ويذل كل في ذلك الجهد . وركب جريئة الى البيت المقدس واتاه يوم
الخميس . واعاد اليه رسم التانيس . وخرج منه يوم الاثنين ثامن
شهر رمضان بعد الظهر ويات في بيت ذوية . وقد نال بما رتبته من
مصالح القدس المثوية . وعاد الى المخيم يوم الثلاثاء ضحوه . وقد
اكمل من كل مارامه حظوه . وفي يوم الاثنين ثامن شهر رمضان
وصل صاحب ملطية معز الدين قيصر شاه بن قليج ارسلان . ملتجئا
من اخيه وابيه الى السلطان . فتلقاه الملك العادل . وجاءت منه
الفواضل . واقام في الخدمة السلطانية مدة . واستجد بها جبة .
وقوة وشدة . واستظهر بالمصاهرة . وقوي منها بالمضاهرة . فانه
تزوج بابنة العادل . وعاد بتاريخ مستهل ذي القعدة ناجح الوسائل .

وفي هذا التاريخ وهو الاثنين خرج ملك الانكثير في خيالاته متذكرا . ليكون لدشاشة لهم وخطابة مخفرا . فخرج عليه الكمين . ونشب به اللعين . وجرى قتال عظيم . وكان لاصحابنا موقف كريم . وكاد الملك يؤخذ ويوقد . والطنن في لبته ينفذ . فقاده فارس من اصحابه بنفسه . وشغل طاعته بما عليه من حسن لبسه . فاشتغل به واسره . واقتل اللعين واخفى أثره . وقتل واسر من خيالاته جماعه . وانهزموا من امر تلك الكرة الخاسرة وقلوبهم مرتاعه . وجرت ايضا يوم الجمعة ثاني عشر الشهر . حرب بين اليزكية وبين اهل الكفر . سفرت لنا بها وجوه النصر . وقتل مقدم لهم معروف بالشجاعة موصوف . ورحل السلطان يوم السبت ثالث عشره ونزل على تل عال عند النطرون . وهي قلعة منيعة معجبة للظنون والعيون . فأمر بهدمها وهدمها . وقل غربها وثلمها . واشاع بها الاقامة . واقاض فيها على العسكر الكرم والكرامة . وتمكن الناس هناك من الاحتياط على الاثقال . وانفاذ الجمال لنقل الازواد والفلال .

فصل من كتاب الى الديوان العزيز في وصف مطاولة الحروب والجراح وفناء الخيل والعدو والسلاح

قد نهك العسكر طول البيكار . وانضاه قتال الكفار بالليل والنهار . لاسيما في هذه الستين الاربعة . فانه لم يعرج فيها عن مباشرة الحروب ومغامرة الكروب على مصيف ولا مربيع . ولا شتا ولا صاف . الا حيث صف العدو وصاف . وقد تكررت عليه الزحوف . وتعثرت به الحتوف وتفللت منه السيوف . وتحللت به الصفوف . وتمحضت باحاده الالوف . وتمحضت لجني بيضه وسمره من ورق الحديد الاخضر القطوف . حتى سئم ومل . وضجر وكل . وكم عقد عزمه وحل . وانهل نصله من دم الكفار وعل . وامل النصر فقال عسى ولعل . واما خيوله فقد اجهدها الجهاد . وانضاه الطراد . وفري جلونها الجلال . وعزت منها لكثرة الجراح الجياد .

واعادت شهبها كمثا حدود البيض الحداد . وحيث داخلها الرعب من خروج الجروح للجروح . وتفريق السهام منها بين الجسم والروح . صارت تنفر من رنة الحنيه . وانة المبرية . كان عندها للاوتار اوتارا . ولطائرات النصال في لباتها اوكارا . او كانها لما رأت أنها تباريها في المطار . وتجاربيها في الضمار . ثارت لادراك الثار . وهذا سبب ماحدث من الذفار . وماعادت الان تتخل على راجل الكفار . واما العدد فقد فقت بالكلية وعمت . وتكسرت وتحطمت . وتقصفت وتقصمت . وقتلت قبل المقاتل بها وفي يد من استشهد استشهدت . واما الذشاب فانه قد فني . بعد ان اتخذ من اخشابه جميع ماوجد واقتني . وقد عمدت اشجاره في منابتها . واعوزت اخشابه من مناحتها . ونفضت الكتائن . وانفضت منه ومن كل ماينخر الخزائن . وماتبرح الصناعات في الممالك بمصر والشام . ومايجري معها من بلاد الاسلام . يبرون ويريشون . وينصلون ويعملون . ويكلمون ويعملون . واحتيج في هذه السنين التي استمر فيها القتال . الى احوال كثيرة لايفي بها الصناعات ولايرفعها العمال . وحسبها ان نصلوها اعدمت من حبيدها المعانين . وخذت من نخائرها الاماكن . هذا والخادم قائم باداء هذا القرض وحده . مستهدف في قطع دابر المشركين غرب عزمه وحده . ومااستمر على مساعدته . وموازرتة ومعاقبته . الا صاحب الموصل وسنجان . وكلاهما عن سنن الاسعاف والاسعاد ماجار . فهو يحضر تاره بنفسه واونة بولده . ويستمر من جد الموازنة على جده . ويواظب بعنده وعنده . ومنه في مطاولة منه .

ذكر ماتجدد ملك الانكثير من المراسلة والرغبة في المواصله

وصلت رسل ملك الانكثير الى العادل بالمصافحة على المصافاه . والمواتاة في المواقاه . وموالاته الاستمرار على الموالاته . والاخذ بالمهاداة . والترك للمعاداة . والظاهره . بالمصاهره . وتريدت

الرسل اياما . وقصد الثأما . وكانت تحدث انتظاما . واستقر
تزوج الملك العادل باخت ملك الانكثير . وان يعول عليها من
الجانبين في التدبير . على ان يحكم الملك العادل في البلاد . ويجري
فيها الامر على السداد . وتكون الامراة في القدس مقيمة مع زوجها
وشمسها من قبوله في اوجها . ويرضي العادل مقدمي الفرنج
والداوية والاستبار ببعض القرى . ولايمكثهم من الحصون التي في
الذرا . ولايقيم معها في القدس الا قسيسون ورهبان . ولهم منا
امان واحسان . واستدعاني العادل والقاضي بهاء الدين بن شداد .
وجماعة من الامراء من اهل الراي والسداد . وهم علم الدين
سليمان بن جندر وسابق الدين عثمان وعز الدين بن المقدم وحسام
الدين بشارة وقال لنا: تمضون الى السلطان . وتخبرونه عن هذا
الشان . وتسالونه ان يحكمني في هذه البلاد . وانا ابذل فيها مافي
وسع الاجتهاد . فلما جئنا الى السلطان عرف الصواب . وماخر
الجواب . وشهدنا عليه بالرضا . وحسبنا انه كعمل الفرض
وانقضى . وذلك يوم الاثنين تاسع عشري رمضان وعاد الرسول الى
ملك الانكثير لفصل امر الوصلة . وراحة الجملة . وازاحة العلة .
واعتقدنا ان هذا امر قد تم . ونشر انضم . وصلاح عم واصلح
انم . وحكم مضى . واستحكم به الرضا . وان الانثى تميل الى
الذكر . وتزيل وساوس الفكر . وان بركوب الفصل . النزول عن
النحل . وان الشكر يجلب الشكر . ويبذل بالعرف النكر . وان
الوقاع يؤمن من الوقائع . وان القراع يذقي بانهقراض القارع
القارع . وان الحرب يكسر الحاء وحذف الراء سلم . وان غرم
العرس في العسر يسر وغنم . وان هذا الاخ لتلك الاخ كفو . وان
هذا العقد للخرق المتسع رفو . وان الكدر يعقبه صفو . وان التزويج
ترويح . وتقويم لما فيه تعويج . وشاع الذكر . وضاع الذشر . وذاع
السر . وبلغ الخبر الى مقدميهم ورؤوسهم . فقصوه على
قسوسهم . وعسروا على عروسهم . فحبوها بالعدل والذع .
ونجهوها بالقدع والقذع . وقالوا لها كيف تفجئتنا يا فجع ملم مؤلم .
وتسلمين بضحك لياضعة مسلم . فان تنصر تبصر . وان تسرع فما
تعسر . وان امي ابيناه . وان اتى اتيناه . وان خالف خالفناه . وان

حالف حالفناه . وأي وجه ههنا للاتلاف . ونحن لاختلاف الدين
ندين بالخلاف . فرهبت بعد مارغبت . وبطلت بعد ماطلبت . وسالت
بعد ما سالت . وتزت بعد مانزلت . وكهرت وكانت شرهت . وكانت
اكتحلت فوبت انها مرهت ، فأرسلت الى الرسول وأقبلت عليه
القبول . ثم تصلبت في القسم بالصليب . انها مجيبة الى التقرير
والتقريب . وانها مسارعة الى التكمين . لكن بشرط الموافقة في
الدين . فانف العادل وعدل عن استئناف الحديث . وأي الله ان يجمع
بين الطيب والخبيث . واعتذر الملك بامتناع اخته ، وانه في معالجتها
وتعرف رضاها في وقته . وكان قد استقر مع تمام العهد . وانتظام
العقد . مفاداة كل اسير بأسير . كبير بكبير . وصغير بصغير . وبشر
اولياء الطاغوت بصليب الصليوت فبطل القديير . وعطل التقدير .
وذلك ثاني يوم العيد .

وفي يوم العيد الثلاثاء اعد السلطان من الليل خلع الاكابر حتى
سارت اليهم بكره . وحدث بحسن احتيائه لكل عين وقلب قرة
ومسرة . ثم استدعاهم الى سماطه . ونشر لهم بساط نشاطه .
وجلس الملك معز الدين قيصر شاه بن قليج ارسلان عن يمينه . واعزه
بتقريبه وتمكينه . وويله حسام الدين خضر اخو صاحب الموصل .
ولسمو منزلته ندو المنزل . وعلاء الدين ابن اتايك الموصل عن
يساره . وهو يؤثره باختصاصه ويخصه بايثاره . ومجاهد الدين
يرنقش مقدم عسكر سنجار جالس . والاكابر كلهم هناك في منزلته
منافس . ثم تفرق الناس بانس جامع . وعرف شائع . وعرف
ضائع .

ذكر نزول السلطان جريئة بالرملة ليقرب من العدو
ومواقعته له في كل يوم .

تواتر الخبر بان الفرنج على عزم الخروج . وانهم على الاجتماع في
تلك المروج . فسار يوم الاثنين سابع شوال . وقد اركب العسكر

للقتال . فلما بلغ قبلي كنيسة الرمله . جميل الحال حالي الجملة .
خيم ويات . ونوى البيات والثبات . وجاء الخبر في غد . بانه خرج
المعدو الى يازور في افرمد ، وتسارع العسكر اليهم . وتكاثروا
عليهم . وقربوا من خيامهم . واخذوا عليهم من ورائهم وامامهم .
وناشبوهم بالنشاب . وكاثروهم بالاولياش والاولياش . فركب
الفرنج اليهم ركبة . اوجبت رهبة . وحملوا على الناس حملة
واحدة . وحلت عجاجة عليهم عاقدة . فاندفعوا بين ايديهم .
فادركوا ضعافا طمعوا فيهم ، وفقد من المسلمين ثلاثة بالشهادة .
وكانت مساعتهم الى السعادة . وكذلك في كل يوم ركب السلطان
مايخلو من وقعه . ولا بد للكفار فيها من صرعه .

ذكر وقعة الكمين

وفي ليلة الاربعاء سادس شوال امر السلطان رجال الحلقة
المنصورة . بان يكمنوا في جهة عينها في المواضع المستورة . فكمنوا
وامدوا وصبروا وانتظروا . وخرجت الفرنج للاحتشاش . وياشروا
عثار انحصارهم في الاصحار بالانتعاش . ولقيتهم اعراب على
عراب . بصوارم في ايمانهم كانوا بروق في سحب . فركبت اليها من
الخيام . ورحبت في ترحيب صدورها بصدور الحمام ، فاندفعت
العرب امامها . وحققت انهزامها . وما قدرت على قصدموضع
الكمين . لانسداد الطريق بالاساد الشم العرائين دون العرين .
فمرت العرب في جانب والكمين في جانب . والخييل تركض بسالب من
سالب وناهب من ناهب . ونجا العرب . وفاتهم الطلب . وحضروا
باسارى ونهاب . وافراس وسلاب . فاما اصحابنا في الكمين فانهم
ابصروا الفرنج ناهضين وفي المعترك راكضين . فخرجوا على ظن
انهم على قصصهم . فلما بصروا بهم نشبوا يربهم عن وريهم .
وركضوا اليهم على بعد . فاتبعوا الخيل بما جدوا فيه من احضار
وشد . ووصلوا الى الفرنج والجياد قد رزحت ، والقوى قد نزحت .

فاضطربوا الى القتال وقتلوا على الاضطرار . وقتلوا جماعة من
كافة الكفار ، واستشهد ثلاثة من المماليك الخواص الكبار . وهم
اياز المهراني . وجاولي الفيدي . وصارو . وسروا في جنات النعيم بما
اليه صاروا . واسروا من الفرنج فارسبان معروفان واحضروا عند
السلطان وانفصلت الحرب وقت الظهر وعاد حزب الاسلام عن حزب
الكفر . وجلس السلطان والقلائع تعرض عليه . والخيل تقاد اليه .
والاسارى يحضرون بين يديه . واخوه العادل عنده جالس .
وكلاهما لآخيه مؤانس .

ذكر اجتماع العادل بملك الانكتير

وفي يوم الجمعة ثامن عشر شوال ضرب الملك العادل بقرب اليزك
لاجل ملك الانكتير ثلاث خيام . واعد فيها كل ما يراود من فاكهة
وحلاوة وطعام . وحضر ملك الانكتير وطالت بينهما المحادثة .
وبامت المثاقفة والمنافثة . ثم افترقا عن موافقه اظهرها ومصادقة
قرراها . ومضى الملك واستنصب معه الكاتب العادلي المعروف
بالصنيعة ليتفقد الاسارى الذين بيافا . ويتبارك امرهم ويتلاقى .
وكان قد وصل صاحب صيدا من صور برسالة المريكس . وانه يرغب
في سلوك نهج التانيس . وان يكون للسلطان مصالحا . وله على
الطاعة مصافحا . حتى يقوى يده على ملك الانكتير . ويفرد هو
بالمك والتدبير . وعرف ملك الانكتير بالحال . فوصل رسوله ايضا
بالاحداف بالسؤال . ومضى العدل مع صاحب صيدا . الى المريكس
على شرائط قررت ونسخ ايمان حررت واما مراسلة الملك فلم تسفر
عن المقصود . ولم تجر من تلونه الا على المعهود وكلما ابرم عهدا
نقضه ونكثه . وكلما قوم امرا عكسه وعلته . وكلما قال قولا رجع
عنه . وكلما استودع سرا لم يصنه . وكلما قلنا يفي خان ، وانا
خلنا انه يزين شان ، وعن كل خزي ابان ، وفي يوم الاحد سابع
عشر عاد السلطان الى المخيم بالنظرون . واقام على الثبات
والسكون وفي يوم الخميس مستهل ذي القعدة سار ابن قليج

ارسلان صاحب ملطيه مودعا وركب السلطان وسار معه
مشيعا ، وعقد له على ابنة الملك العادل بصادق مائة الف دينار .
ومضى وقد حصل على نخائر من استبشار واقتضار . واستبصار
واستنصار . ويسر ويسار .

ورحل الفرنج يوم السبت ثالث ذي القعدة وتقدموا الى الرملة
ونزلوا بها . وخيموا في اقطارها وسهوبها . ولم نشك في انهم على
قصد القدس باهل الرجز والرجس . واقام السلطان وفي كل يوم له
سرايا ، للكفر منها زوايا ، ولنا في كل يوم وقعة شبيبة وفتكة
بالكفر مبيده . وما يخلو يوم من اسرى تقاد . وغنائم تستفاد ، ثم
توالت الأمطار ، وتوعدت السهول ، وتوحدت الاوعار . فعزم على
الرحيل ، وامر بالتحويل .

ذكر الرحيل الى القدس يوم الجمعة الثالث والعشرين ذي القعدة.

وركب السلطان يوم الجمعة والغيث نازل . والنصر شامل وفضل
الله متواصل . ونحن معه سائرون . ومن بركة الجهاد الى بركة
القدس صائرون . والقاضي بهاء الدين بن شداد يسايرني . وفي
مسألة من الخلاف يباحثني ويئاظرني حتى وصلنا الى القدس قبل
العصر . وقد نشر للسلطان لواء النصر . ونزل بدار الاقساء
المجاورة لكنيسة قمامه . ونوى بها الاقامة . وشرع في تحصين
المدينة . لتحصيل السكنة . وصلى يوم الجمعة مستهل ذي الحجة في
قبة الصخرة . وضجت الالسنة في الدعاء له بالنصرة .

وفي يوم الأحد ثالث ذي الحجة وصل حسام الدين ابو الهيجاء من
مصر ، بعسكر مجر . وتبعته بعد ذلك العساكر المصرية . ووصل
الخبر بنزول الفرنج بالنطرون . وأنن ذلك بتزاحم الافكار وتراجم

الظنون وتزايد السكون . وجرت يوم الخميس سابع الشهر وقعة .
تم على العدو بها صرعه . فان السلطان نفذ تلك الليلة الى البزك
قريب بيت نويه . علة من القرسان مجدة لم يستصبحوا الا حصنهم
المجنوبة . فدفعوا على سرية للفرنج فاستأصلوها . واسروها
وقتلوها . ووصلوا بزهاء خمسين اسيرا الى القدس . وعاد ذلك منا
ببرد القلب وطيب النفس . وكانت بشرى عظيمة . ونعى كريمه .
وحسنى عميمه . وكذلك سابق الدين صاحب شيرز . ومن معه من
العسكر واقعهم يوم العيد فقتل من مقدميهم ستة واسر اربعة .
وترك بالمعركة منهم مصرعه . وكسب منهم خيلا . وكسبهم ويلا .

يوم عيد الاضحى بالقدس

كانت الوقفة بمكة يوم الجمعة في هذه السنة وتضاعفت الحسنة
على الحسنة غير ان العيد بالقدس كان يوم الاحد ، فلم ير ليلة
الخميس الهلال احد . ونصب السلطان خارج قبة الصخرة الخركاه
الخاص . وصلى الناس في القبة العيد حوالها العراص ، ثم
انصرف السلطان وقد بر عمله . ودرامله ، ووفراجره . واسفر
فجره .

وقعة

في يوم الجمعة خامس عشر ذي الحجة أغار على طريق الفرنج
بالزملة سيف الدين يازكوج وعلم الدين قيصر وكلاهما يجدي
الجهاد ولا يقصر . واخذا غنائم واموالا . وساقا خيلا وبغالا .
وكسبا احمالا واثقالا . واسرا ممن كان مع القافلة ثلاثين . ووقفوا
بين يدي السلطان على ركب النذل جاثين . وتوالى على الفرنج
النهوض والنهوب وكسرت وكثرت منهم الكسوب . واستعرت فيهم
الحروب . وزانت الكروب وضاعت عليهم الارض . واستولى على

عقود عزائمهم النقض ، ورأوا أنهم قهروا فقهقروا ، واحاط بهم
البلاء من الجوانب قما صـبروا . ورحلوا الى الرملة
عائنين . وبالسهول من الحزون عائنين ، فان الثلوج نامت على
اولئك العلوج . وصدنتهم عن الدخول والخروج . ونزلت بهم النوازل
في تلك المنازل ، فذفروا راحلين الى السواحل . وذلك يوم الخميس
الثامن والعشرين من ذي الحجة . فطابت قلوبنا بما وضع في النصر
من المحجة . وثبت الحق على الباطل من الحجة .

ذكر ما اعتمده السلطان في عمارة القدس وحفر خندقه وتجديد سورہ واعانة رواقه

وفي هذا اليوم وصل من الموصل جماعة من الحبارين . وعندهم
خمسون رجلا . اذا اجتمعوا قطعوا جبلا وقد سيرهم صاحب
الموصل الى القدس للعمل في الخندق وتعميق الحفر . والقطع في
الصخر . وقد سرفهم بذققة . وجعلهم من الاحسان على ثقة .
واصحبهم بعض حجاجه . ونداهم بندى سحابة . وسير مع المندوب
مالا يفرقه عليهم في رأس كل شهر . ويتعاهدهم في كل يوم يتفقد
بر . واقاموا نصف سنة . واتوا في صنعتهم بكل حسنة . وصمم
السلطان على حفر خندق جديد عميق . وانشاء سوروثيق وأحضر
من اسارى الفرنج قريب الفين . ورتبهم في العمارتين . وجدد
ابراجا حربية من باب العمود الى باب المحراب . وأنفق عليها من
المال ما خرج عن الحساب . بناها بالاحجار الكبار الثقال ، فجاءت
ارسي وارسخ من الجبال . وكان الحجر الذي يقطع من الخندق
يستعمل في بناء السور واذا تكملت العمارة على ما رتبته للقدس
المعمور . كان آمنا من قصد العدو المحذور . وفي عصمة الله من
المخوف المحذور . وقسم بناء السور في مواضع على اولاده واخيه
الملك العادل وامرائه . وصار يركب كل يوم ويحضر على بنائه .
ويخرج الناس على حمل الحجر الى مواضع البناء . ويتولى ذلك

بنفسه وبجماعة خواصه الأمراء . ويجتمع لذلك العلماء والقضاة والصوفية . وحواشي العسكر والاتباع والرعية والسوقية . وكنت اركب في غلماني واتباعي واحفظ قلب السلطان في نقل الحجر وأراعى . فبني في اقرب مدة ما تعذر بناؤه في سنين وبذل جهده في التحصين لتأمين المؤمنين .

ذكر من توفي من الأكابر والمعروفين في هذه السنة وفاة تقي الدين

توفي الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب ابن اخي السلطان . يوم الجمعة تاسع عشر شهر رمضان . وهو على حصار ملاز كرد من عمل ارمينية وقد سبق ذكر مسيره الى بلاد الجزيرة . لاستعداد الامداد الكثيرة واستعداد الانجاد . والاستعداد بالاجناد . والجمع من جميع الجهات للجهاد . والعود سريعاً بالدشود الجامعة والجموع الحاشدة . والجيوش المترادفة المترافدة . والجنود المتوافرة المتوافدة . والقواضب الفاصلة . والهواضب الهائلة . والمصافحين بالصفاح . والمختالين في اعطاف المراح باطراف الرماح . والحاملين الجبال على الرياح . والمتعطشين الى انتجاع النجيع لارواء الأرواح . ومدك السلطان على انتظاره . متوجساً لأخباره . مستوحشاً من ابطائه . متعطشاً الى انبائه . منتظراً لوفاؤه . فلما اخذ الفرنج عكا نسب ذلك اليه واحتسب الله عليه .

فاما تقي الدين فانه عن له ان يعضى الى ميافارقين . واستصحب اليها عساكر ماربدين . ونفذ الى السويداء وانتزعها من ايدي اصحابها . واستحوذ على جميع ما بها . وحاصر مدينة حاني فتملكها . وكانت له مقاصد في نيار بكر فادركها . واقتطع بلانا من ولاية ابن قرا ارسلان واقطعها . وارعب القلوب بما ابتدا به

وابتدعه وروعها . وتأخرت عنا بسبب ذلك عساكر نيار بكر .
وحصلت منه على عذر وذعر . وراعت هيئته ، وهبت روعته . ودبت
الى الخواطر مخافة اخطاره . وشبت في القلوب لوافتح ناره .
وارتجت تلك الأجام من زاره . وازورت من مزاره . وبلبت تلك البلاد
ببلائه . وهابت الأعداء هبته أعدائه . وزلت الأقدام
لاقدامه ، وانخفضت الأعلام لاعلاء اعلامه . نفي عدله من جبل جور
جبله الجور ، وأنهى بسبب بنهائه اليهسا فوران
الفتنة على الفور ، وبخل قلب قلب ، وحكم في عاداتها القلب
القضب ، وقصد عسكره عسكر بكتمر فكرسه ، ثم سرح بالاحسان
وأطلق من أسره ، فغار بكتمر واشتعل بنار الأنف أنفه ، واعتلق
بانن الشدف شذفه ، وانتخت حميته ، وحميت نخوته ، وغيرته
غيرته ، وعيرته رعيته ، وأودعته الهم همته ، وحركته
عزيمته ، فاجتمعت جماعته وأمه أمته ، وما أرجأ له نجح رجائه
رجاله ، وما أبطل له عن أعانته أبطاله ، وأجناه ثمر الطاعة
أجنايه ، وأنجاه بجهد الاستطاعة أنجاه ، وجبر عسكرا
مجرا ، وساق الى الحرب بحرا ، وأوقد بالجمع جمرا ، وجلب
بيضا وسمرا ، وبهما وشقرا ، وصوارم بئرا ، وصواهل
ضمرا ، وانهض كمته وكماته ، وحشد رعيته وذوي حميته
وحماته ، وساكني ولايته وولاته ، ونسوره وبغائه ، وسمانه
وغثائه ، ومثانه وراثته ، وشباعه وغراثه ، وجاء في سواد اسود
منه الجو ، وانسد بظلامه الضو ، وتحلى بنجومه ليل
العجاج ، وتجلي بسفوره صبح الهياج ، وأبرق وأرعد ، وتحدر
وتصعد ، وسار بين الأكام بالأكام ، وضاهى الأعلام
بالاعلام ، وانكى مذاكيه الجياد ، وأجرى ضوامره وهوابها قد
ملأت الوهاد ، وأننى الى الأساد الأساد ، وأغرى بالجلاد
الاجلاد ، وجذب الجماع عرائه ، وجلب الكفاح رعانه ، وضرع
المراح رماجه ، وأطلع في سني الصباح صفاحه وماجت غدران
دروعه ، وماجت غران جموعه ، ومالت المرائ ، وجالت
الاقران ، وسال المرت ، ومرت السيول وتسهلت الوعور وتوعدت
السهول ، وانقض القضاء وانفض القضاء واشتكت الارض من

الحوافر الحوافر وقعا فاثارت لفرط تألمها على شرط تظلمها الى
السماء نقعا ، وحثت في وجه الفلك ترابا ، وحثت الاتراب الاتراب
طعانا وضرابا ، وخاف على خلاط واختلط من المخافة ، فقصر الى
الملك المظفر طول المسافة ، فلما عرف اصحار خادره ، وانتشار
بوادره • وانتهاض قواده ، وارتكاض صلابه ، وانقضاض
شهب قواضيه ، وانفضاض نهم سلاحيه ، اصطف بمن اصطفاه
من الانجاد الانجاب ، وفرض على الفضلاء سحاب
الصحاب ، وبسط على البسيطة رداء الردى ، واعدى بعلمه على
العدا ، وركب في كل ضرب بعد الضرب ضريا من الضرب ، وكل بطل
لحق المبطل محق الطلب ، وكل باسل سالب من كباش الاقران
القرون ، وكل عاسل بعاسل يمين بالمنى ويمون المذنون ، وكل شجاع
اشاجعه وصائل القواطع ، وكل مقدم قواده عوائق الوقائع ، وكل
طائر بأجنحه السوايق ، زائر بأسلحه البوائق ، محلق بخواني
الخوائق ، مطرق لطوارئ الطوارق ، وكل نمر مشيع بالذمار
شحيح ، وكل قاس قدوسه عاطف ، وكل راع نصله راعف ، وكل
صاد عزمه صادق ، وكل رام لحظ سهمه الى المقاتل رامق ، وايد
رجاء الرجال بأيانيه ، وقوى عزائم اوليائه لاضعاف
أعدائه ، ورغب بالرغائب واملى ضيوف الامال بفيوض أمواه
المواهب ، ونخى المنتخين ، وانتخب المنتخين ، واقدّم في كل مقدم
مقدام ، وضيغم ضرغام ، وهمام همام ، ومعتقل اسمير يرشف ظلم
القلوب ، ومشمتم ابيض يكشف ظلم الحروب ، وكل من يخال
الطعن ضرب القناح والضرب بحد السوام ، وكل من ينال اعتزاز
الجذ بحد الاعتزام ، وكل من يعيد اقاحي البيض شقائق ، ويهل
بها اذا فارقت اغماها المرافق ، وكل من عنانه في يمين
الجماح ، وسنانه مروء عيون الجراح ، وكل من ذبال سمهره
يلتهب ، وذباب مشرفيه يضطرب ، ووجهه صوارمه تبكي
وتضحك ، وعيون تفتك وتبتك ، ولحاظ سهامه عن حواجب قسيه
ترمي ، وسواعد سيوفه من اينى الايد تمد وتدمي ، وكل اشعث
الهامة ذي همة ، تشعب صدع كل ملمة ، وكل شهم شيطمي • اباء
حمي • مجرب محرب • مقرب على مقرب • مظهر على

مطهم • جار بمرجم ، باز بمخدم ضار بارقم ، جواد حلیم تصمد في
الوغى جهلاته ، على جواد كريم ، تدعو الى الردى صهلته ، وكل
بحر مستلثم بفسير ، وكل من عنده انا لبس الحديد انه لا بس
حرير ، فلما بصر عسكر خلاط بعسكره اختلط وتلو استدرک
الغلط ، وجاش وطاش ، ورام من عشرته الانتعاش ، وولى
هزيما ، ولوى هشيما ، وأغرم العسكر التقوي سلاحه
وخيله ، وجسر على تراب الذلة نيله ، وظفر الملك المظفر
بالمك ، واسلم العدا الى الهلك ، وقيد اليه امراء اسروا واصحاء
كسروا ، فاطلق سراحهم ، وأنهض بتشريقاته جناحهم ثم رحل من
صحراء موش ، وساق الى خلاط الجيوش ثم بدا له من حصارها
فاقرها بسلب قزارها ، وعرج على قلعة شميران فتشمر لها ، وفتح
مقلها. وكان مجد الدين بن الموفق وزير خلاط بها محبوسا ، ومن
حياته يؤوسا فخلصه واستخلصه ، وكسر حتى طار منه
قفصه ، وانه لمن اعجب القصص لو شرحت قصصه ، ثم راح الى
حلاز كرد ونازلها بالتضييق ، وقاتلها بالمنجنيق وحشد اليها
الامداد ، واروى فيها من عزائم الزناد ، وجاءته عساكر أرزن
الروم منجدة من جهه ، موجبة لما لها من موجنة ، تقدمها الملكة
ماما خاتون بنت سلدق ، وكانها في الالهة والابهة من ملوك
سلجق ، ووفد الى تقي الدين الجنود ، ووافقه السعود ، وخافته في
غاباتها الاسود وغربت به العقول وعلقت به العقود وتوطدت له البلاد
وتوطأت وتهيب وتهيات ، واستننته الممالك القاصية ، وأطاعته
المقاصد العاصية ، وتشذفت له مسامع الاقطار بافراط السمع
والطاعة ، وعم الامحال تلك المحال ففض بما افاضه من فواضله
مجاة الجماعة ، ورجي وخشي واعتفى وغشي وامتلات الطرق
بالوفود والجنود ، وتوالت اليه امداد البأس والجود ، فبينما هو في
غفلة من القدر ، وغفوة من الكبر ، وغرة من الغير ، وقد الهاه
حديث الدنيا عن الحادث الباني ، وجني الحياة عن الموت الجاني
وزيادة الامـل ، عن زيارة الاجـمل ونزل المنى عن نوازل
المنون ، وسكن الاتراب عن التراب المسكون ظهر له سر الغيب
المكتوم ، وأدركه القضاء المحتوم ، ومرض اياما ثم قضى وانقرض

عهده وانقضى ، وكتم ولده الملك المنصور ناصر الدين محمد وفاته ، الى ان خرج من ذلك الاقليم وجاوزه وفاته ، وفتحت ملاز كرد بابها ، وسلم الرب اربابها ، وخرج ولد تقى الدين بمسكره وماله سالما ، وجد في مقام والده بإظهار شعاره قائما ، وجاءت رسله الى السلطان تسأله في ابقاء بلاد ابيه بيده ، حتى يبقى مستمرا على جنده ، وطلب من السلطان الميثاق له بأغظ الايمان فلم يقبل الشرط واشتط فشط وجلب له الشطط السخط ، وأقام على التباعد ولم يتدارك بالوصول مامنه فسرط ، ونسبوه في استيحاشه الى العصيان ، وسعوا له في اسباب الممران ، حتى انتقى له الملك العادل فمضى لاحضاره وجرى الامر على أيثاره . وسياتي ذكر ذلك في حوادث سنة ثمان .

وتوفي في هذه السنة حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين ابن اخت السلطان

توفي بدمشق ليلة الجمعة تاسع عشر شهر رمضان يوم وفاة تقى الدين فأصيب السلطان بأبن اخيه وأخته في يوم واحد ، كلاهما له اقوى ساعد ، وأوقى مساعد ، فيالله من حسام أغمد ، وهمام الهد ، وركن وهن . وكثر دفن ، وبحر غاض ورزء هاض ، وصبح كسف . وبدر خسف . لقد غامت الايام لغمه ، وثكلته الدولة ثكل امه فانه كان واحدا وعضدها ومعاضدها وهو الذي فتح نابلس وأبقاها السلطان معه ، وأبقى فيها من سنن العدل ما شرعه ، وقد سبق في الكرماء ما ذكره ، وذكر في المكارم سبيبه وقرط حذقه ، ووصفت مقاماته ، وقعت بصفاته ، فان له مواقف في الجهاد مشكوره ، ومقاطف لحني النصر مشهورة ، فقطع الاجل عليه طريق الامل ، وأعاد حلية الزمان به الى العطل ، وأوهن عقد شبابه الطري وحله ، وثلم حد شباه الطرير وقله ، وما زال في غزواته مشيرا للتراب الى أن سكن عليه التراب وسكنه ، وطالبه

الثرى بحق خلقه معه فاسترهنه، وغارت عليه الأرض بانطلاق سموه ، الى السماء فاعتقلته ، ووجدته في اوج الفلك في النيرات فنقلته ، وماكان انكاه وانكاه ، واصحه واصحاه ، وابهجه وابهاه ، وأضوعه واضواه ، وأوعاه للفضائل وأحواه ، ولقد فجعت به صنيقا صدوقا ، وشقيقا شقيقا ، ورفيقا رفيقا ، فلهي عليه من شهم توطن التراب ، وسهم اصاب بعد ما اصاب.وجواد بلا حساب لم يخطر بالبال من رزئه حساب (لكل اجل كتاب) (الرعد ٣٨)

وتوفي في هذه السنة علم النبي سليمان بن جندر وقد سبق ذكره في غزواته ، ومواقفه ومقاماته ، وكان في الخدمة مقيما ، والسلطان الى الانس به مستتيما ، فعرض له مرض استأذن لاجله في العود الى وطنه بحلب ، وسمح له السلطان بجميع ما يطلب ، وتوجه من القدس سادس عشر ذي الحجة ، واستقام على الحجة ، وقضى نحبه عند قربه من دمشق في قرية غياغب ، وسقر التراب منه المناقب ، ووصل الخبر بوفاته الينا يوم الخميس ثامن عشرين الشهر .

وفي هذه السنة فتك بأتابك مظفر الدين قزل ارسلان ابن ايلد كز في همذان ليلة الاحد مستهل شعبان .

كان تولى الملك بعد وفاة اخيه المعروف ببهلوان في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ونجحت اراسته ، ورجحت سعادته ، وصلحت عاداته ، وكان السلطان السلجقي طغرل بن ارسلان تحت حكمه ، وهو ابن اخيه لأمه ، وله اسم السلطنة ولقزل حكمها ، وله سموها ووسمها ، فأنف السلطان من كونه تحت حجره ، وبهكم نهيه وأمره ، فانه لم يكن له صاحب ولا غلام الا من عنده ، ولم ينفرد منذ تولى بحله وعقده فهرب وحده تحت الليل ، واتصل به بعد ذلك من انضم اليه من الخيل ، وبام غائبيا في نواحي دامغان مدة ، واشتد مصابه واصاب شده ، فاتصل به عدة من مماليك

بهلوان الخواص ، وسلوكوا معه نهج الاخلاص وأعادوه الى سرير ملكه ، وانتسق امره في سلكه ، وقويت يده . وتأييت قوته . واجتمعت كلمته . وتكلمت في الامر والنهي جماعته . ورهبه قزل ارسلان ولازم دعره . وأخذ منه حذره . وتنافس الامراء ومماليك بهلوان الذين تبعوه . وأعلوا شأنه ورفعوه . وسعى بعضهم ببعض وقابلوا كل ابرام من مكرهم بنقض . وقالوا له هؤلاء البهلوانية يغتالونك . وبالسوء ينالونك . فابطش بهم قبل أن يبطشوا . وعثرهم قبل أن ينتعشوا . فسمع مقالهم . وتبع محالهم . وقتلهم بحضرتهم وهم غارون . وساءهم باغتيالهم وهم بالمغالاة فيه سارون . فذفر منهم كل أدس . وحفظ نفسه من كل منافس . وزال بشره وبقي بوجه عابس . وفارقه بذو البهلوان بجنائته على مماليك أبيهم . ولقوه بتأبهم . وقصده قزل ارسلان فأزعجه . وأخرجه من دار ملكه وأخرجه . وأجلس سلطاننا آخر موضعه . وكدر عليه بالشوائب والتوائب مشرعه . وخطب لمعز الدين سنجر بن سليمان شاه وأطعمه طعمه . وأرضاه بالاسم . وأجراه على الرسم . وكاتب سلطاننا وعقد له الصداقة بصدق الاعتقاد . وانتظمت بينهما أسباب الانجاد . وكان السلطان طغرل إذا خلت همدان من قزل ارسلان يعود إليها . ويستولي عليها . ثم إذا عرف قربه بعد . وإذا علم بعده قعد . وشرع يقتل أصحابه بالتهمة . ويشدد في النهب لشدة النهم . فقتل فخر الدين رئيس همدان . وبث العدوان . وقتل وزيره العزيز بن رضي الدين المستوفي لأمر توهمه . ولخاطر لم يكشف مهمه . فالجأ الزمان إلى الوصول إلى الأمير حسن بن قفجاق . وشكا إليه من أهله وأصحابه الشقاق . فخرج معه وأزره وضافره . وظاهره بعد أن مساهره . وزوج أخته منه . وحمى جانبه ونب عنه . وراسل سلطاننا قزل ارسلان حتى يصلحه . ويصافحه على الوفاء ويسامحه . وكاد أن يتم الصلح . ويسفر بعد ليل الفتنة الصبح . فلما تقاربا للمصالحة تحاربا . واتهم كل واحد منهما الآخر فتواثبا . وأوقع قزل ارسلان به وبالتركان . وعانت الفتنة ملتبهة النيران . وساق السلطان طغرل إلى همدان . فمضى وراءه قزل ارسلان . فخرح اليه ثقة بما سبق من الايمان . فصرف

عنانه • وقبضه وأعرض عنه واعترضه • وحبس في بعض القلاع •
وأبعد عينه وأثره عن الابصار والاسماع • فاستسقت له المملكة •
واستقر منه السكون والحركة • وكانت أصفهان منذ تروفي البهلوان
قد اضطربت واحتربت • واقتربت الساعة بها وخربت • وقتل في
ثلاث أربع سنين منها في محاربة العوام الوف • وتوالت بها حتوف
وزهوف • وكانت الشجن من جانب قزل على الشافعية • وقروا
أيدي الترابية في تخريب المدرسة النظامية • فاحوجت الضرورة إلى
أن اصحابنا دعوا بشعار السلطان • ووجدوا القوة به أمام قوته
والامكان • فلما اعتقل طغرل • واستمر أمر قزل • مضى إلى
أصفهان فاخذ رؤساء الاصحاب في الحال • وأجرى عليهم القتل
والاغتيال • ثم عاد إلى همدان وقد قوي وروي • ونال ما هوي •
ونشر من أمره ما كان طوي • وجلس على سرير الملك وضرب الذوب
الضمس • ووجد بعدم من يوحشه الأذس • ولها ولعب • وشرب
وطرب • وغفل عن القضاء المشتبه • ونام عن القدر المنتبه • واغتر
بالعيش الرفه • وحلم عن الخطب السفه • وبات في قصره • وقد غاب
في سكره • وهو بين خدمه • وحشمه • وعسسه • وحرسه • وعتقائه
وأرقائه • ومستخصية • ومستخلصية • فوجد على فراشه وهو
قتيل • ولم يذكر كيف قتل ولم يكن عليه سبيل • فنسب قتله إلى
الاسماعيلية تارة وإلى الخاتون الانيانجية أخرى • والله أعلم بما به
حكمه أجرى • ولما أصبحوا قتلوا صاحب بابه وحل العقاب به دون
أربابه • وجلس قتلغ اينانج بن البهلوان موضعه • وجمع له ملكه
ومتعه • ومضى أخوه نصره اللين أبو بكر إلى أذربيجان وأزانيه
سائفا إليها واستولى عليها • وأما السلطان فإنه أيس منه • وسلا
من كان يواليه عنه • فتعصبت له امرأة مقولي القلعة ودبرت في
خلاصة • وهونت على زوجها أمرا استصعابه واعتياصه •
واستعانت بمن أعانها • وأعلنت بإعلاء شأنه شأنها • ولما برز لخل
مدينة تبريز • وكانما الكير أخرج الأبريز • ثم جمع ومضى على
سمت همدان • فلقى قتلغ اينانج وعسكره بين أوه وزنجان •
فكسره وهزمه • وفل حده وثلمه • ومضى إلى همدان • وجلس على
سرير ملكه وذلك في سنة ثمان • وسياتي ذكر ذلك إن شاء الله •

وتوفي في هذه السنة بدمشق من المعروفين من اصحاب السلاطين صفى الدين ابو الفتح ابن القاىض وكانت وفاته في الثالث والعشرين من رجب ولقد كان سريا . وبالحمد حريا . وفي حلبة المكارم حريا . ومن الخيانة في ولايته برىا . ومن العار عريا . ولم يزل زئد مضائه وريا . وكانت له سياسة ورياسة . ونفس ونفاسه . وراى وفراسه . وفطنة وكياسه . ومروءة وفطنة . وثبات جنان وقوة . وكان قد خدم السلطان ايام عدمه . وهو في كفالة ابيه وعمه . فلما ملك مصر امرجه في اموالها . وحكمه في اعمالها حتى نال المنى . ووجد الغنى . فقال له قد اكتفيت واستغنيت . وإن صرفت الان ما باليت . فاصر فني عن العمل . فقد نلت غاية الامل . فعاش غنيا . ومات جشريا . وورث السلطان بعض ماله . وذلك ما فضل عن افضاله ، فانه فرق على مماليكه املاكه وماله ، واخفى بعد وفاته بما بذله حاله .

وفي هذه السنة في شهر ربيع الاول توفي الحكيم الموفق ابن مطران وكان بارعا لطيفا ، نظيفا عفيفا ، وفقه الله في بدايته لهداية الاسلام ، ونال اسباب الاحترام ، وتقدم عند السلطان . وما شأنه وهو كبير الشأن ، وكانت له دراية ودراية ، وذكاء وفراسه ، ولم يزل متلظفا في طيه ، متعلقا بحبه ، متحببا الى القلوب . متقلبا من قبوله في المحبوب ، صبيح البهجة فصيح اللهجة ، صحيح المحجة بوضوح المحجة ، ولم يزل له عند السلطان وذوي الجاه جاه ، ولجده انتباه ، ولداواته بالشفاء شفاه ، حتى حان اجله . وخان امله وبان عنه حلى حاله وبان عطله . وكانت له عندي يد اذكرها واشكرها . وعارفة اعرفها ولا انكرها . وذلك انتني في ذي القعدة سنة ثمانين كتبت متوجها في خدمة السلطان وفي صحبتته متوليا للانشاء منفردا بمرتبته . فلما وصلنا الى بعلبك انقطعت عنه بها لمرض عرض وشكا جوهرى العرض ، وانتهى اليه بدمشق ما الم بي من الالم ، فتقسم فكره من خبر السقم ، وركب ووصل في يومه حتى ادركني ، ومررضني وما تركني وداواني حتى

ابلت ، وازال الله انحراف مزاجي بطيه فاعتدت ، وصحيتني الى دمشق وسبق الى اوليائي بالبشرى وشكرت الله على النعمي ، وكذلك كان يطلب مرضاتي ، في جميع مرضاتي ، فلما مرض الطبيب لم ينجح في مرضه الطب ، وتوفاه الرب .

وفي اخر هذه السنة توفي الفقيه العالم الزاهد نجم الدين الحبوشاني بمصر وهو الذي بنى المدرسة عند ضريح الامام الشافعي رضوان الله عليه واحيا شعار التوحيد ، وبنى امره على التشديد والتسديد ، وحفظ شمل الشافعية من التبديد ، وكان السلطان مجيبا له الى كل ما يستدعيه ، ويقضي له من الحوائج ما يقتضيه ، ووقف على المدرسة التي بناها وقوبا واعطاه في بنائها الوفاء فلما توفي طلب المدرسة جماعة من العلماء ، فلقوا بالاباء ، ثم شفح الملك العادل في صدر الدين علي بن حموية وهو شيخ السيوخ ، ويعرف في العلم والعمل بالرسوخ ، فكتب بها له ، ورتب جودها وتدريسها استقلاله ، وذلك في اواخر سنة ثمان وثمانين ثم صرف بعد السلطان عن المدرسة ، وبذلت الوحشة من الانسه .

فصل كتب الى بعض الاكابر في الدخول الى القدس

اتفق دخول الشتاء وتواتر الانباء ، وتوفر الانواء وسح الارض وشع السماء وانقطاع الجلب واتصال الغلاء ، وبعد الراحة لقرب الاعداء ، وملل العساكر لدوام الهيجاء ، والمقارعة واللقاء وكانت مدينة القدس محتاجة الى توفر الهمم على شحنها بالرجال والميرة والقوة والعنة والنخيرة ورايتها من احسن المدن واحصننها واحكمها واجيدنا بها جنتها بعد عدمها ، ورتبنا بناء سوارها على جوانب اوبية وسفوح ، متى تم لم يبق فيها لطمع من طموح ، وهذا امر الله وفي طاعته ولحفظ بيته ولنصرة دينه ولاعلاء كلمته ، ولحماية امته ، ومالنا فيه الا السمسرة ، وما رجأؤنا الا الاجر والمغفرة ، وما نصيب الا نصيب واحد من المسلمين المجتدين .

والمؤمنين المعينين للدين . فما اسعد من ساعد فيه . ووفى باسعاف عافيه . هذا والكفر قد اناخ بكلكله . وحفل بجحله ويرز الى الاسلام بكليته . وعراه ببليته . وقامت قيامته لقيامته . وثار لثار قمامته . ورمى مهجته على الموت لمقبرته ، والبيت المقدس الذي شرفه الله وكرمه ، وعصمه كما عصم وحرم حرمة ، مقام الانبياء المرسلين ، ومقر الاولياء والصديقين . وموضع معراج سيد المرسلين ورسول رب العالمين . وفيه نزل جبريل بالبراق . وصعد المصطفى صلى الله عليه وسلم . الى السبع الطباق . واهدى الله ليلة الاسراء بحلول السراج المنير فيه الاشرار الى الافاق . وهؤلاء الملاعين قد اغذوا لقصده ، واعدوا لورود ربه ، وقد فرض في هذا الاوان رفض التدواني ، واستدعاء ذوي الحمية من الاقاصي والاداني ، وان لم يتساعدوا في الربيع القابل ، على انهض الجحافل ، صعب الامر واشتد واحتدم الخطب واحتد ،

فصل في شكر صاحب الموصل على اذناذ الجصاصين لحفر الخندق

قد اصبحت البيت المقدس يقدس ويسبح ، ويعرف عن فضيلة منجده ، ويفصح ، فقد وصل الرجال الواصلون بالنجح ارجاءه ، الحامون بحفر خندقه ارجاءه ، وما فيهم الا من ابان عن جده ، وابان بحده والان الشديد بشده ، وتلم الحديد بتلم الصخر وهده ، وهذه لاشك مقدمه لما وراءها من نتائج النجفات ، وجدوى سابقة للواحق في مناهج الجنات . وعارفة معرفة في قمع العداة باجراء العادات في انجاز العدا ، وللعو انتظار لنجفات بحرية وارتياب . وومضات جمر تحت رماد كيه يوشك ان يكون لها التهاب ، والهمة السامية لاتفتقر في هذا الباعث الى باعث ، وعند عزائمه حثيث كل حادث .

وفي شهر ربيع الآخر من هذه السنة كتبت منشور حسام الدين
سياروخ النجمي بولاية القدس .

وكانت ولاية مديسر الله فتحه ، وحقق للامل فيه نجحه ، واطلع
للليل النصر صديحه ، الى الفقيه ضياء الدين عيسى مفوضه .
وصعاب اعماله وشعاب احواله بنصرة ارائه ونصرة الاثنه
مروضه ، وقد استناب فيه اخاه الظهير ظهيرا ، ولم يزل رواؤه
وبهاؤه به شهيا شهيرا الى ان استشهد في شعبان سنة خمس
وثمانين ، وتوفي الفقيه عيسى في ذي القعدة منها وانتقل الى
عليين . فابقى السلطان نوابه من بعده ، محافظة على عهده ، وكان
الامير سياروخ بالقدس مقيما . وللنظر في مصالحه
مستديما . ويضم من امره ما يراه منشورا ، وكتبت له في التاريخ
المذكور باستقلاله منشورا :

الحمد لله الذي اقصى من المسجد الاقصى من دنايه من الكفر
ونذسه ، ونزه البيت المقدس من رجس اعدائه المشركين بأيدي
اوليائه الموحنين وطهره وقدس ، وانطق محرابه ومنبره بتلاوة
الذكر المبين واسكت الناقوس واخرسه نغمه على ما عصمه من
الحوزة وحرسه . وفرجه من الشدة ونفسه ، ونسأله ان يصلي على
نبيه محمد المصطفى الذي شرع الدين وشرحه ومهد الشرع
واسسه . وبطل الكفر وعطله . وارغم الشرك واتعسه ، وعلى آله
واصحابه الذين اعلى الله بهم منار الحق . واضفى ملبسه واصفى
مورده ، وازكى مفرسه ، وبعد فانا مذ فتح الله لنا بيته المقدس
وخفض باعلاء اعلامنا راية الكفر ونكس ، وكسا بايامن ايامنا وجه
الدين البشر من بعد ما كان تعبس ، وخصنا بفضيلة فتحه وجعل لنا
به الحظ الاجزل الافضل الاكرم الانفس ، مانزال نطلب وليا لله
يكون له واليا ، ويعود عاطله بتأثير احسانه وحسن آثاره وايثاره
حاليا ، ويرجع بنظره الشافي وتدبيره الكافي ما انخفض من منار
الهدى عاليا ، ولا يزال على بال منا ان نحيا به من رسوم الايمان

ونجد من معاله مازل بمقام اهل الضلال فيه نارسا باليا ، وقد
اختبرنا الامير حسام الدين فالفينا لاهلية هذه الولاية
جامعا ، والى مضمار السبق في هذه المكرمة مسارعا ، ووجدناه
باعباء الامانة ناهضا ، ولزيد المناصحة والصحة فيه ماخضا
ماخضا ، فاستخرنا الله تعالى وعولنا عليه في ولاية مدينة القدس
واعمالها ، وعذقنا برأيه الراجح وسعيه الناجح مهام
اشغالها . وحكمتاه في تحصيل مصالحها ، وتسهيلا
مناجحتها ، وسداد ثغرها ، وسداد امرها . ورعاية امورها
وعماره حريمها وسورها ، وتطويل باع ساكنها ، وتأهيل رباع
اماكنها ، واسكان مواطنها ، وتوطن مساكنتها ، وتطهيرها من
اناس ابني الناس . وتعميرها بالعبدة والعبدة والشدة والقوى
والباس . فليتول ذلك بقوة ناهضة ونهضة قوية وروية مبصرة
وبصيرة روية . وليستشعر تقوى الله التي تقوى بها العزائم .
وتتوفر منها المعاهد وتكمل المكارم . جاريا على مقتضى الشرع في كل
ما يحله ويعقله . ويقدره ويمهده . ويصدره ويورده . والله عز وجل
يوافقه ويسعده ويعضده .

ودخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بالقدس في
دار الاقساء جوار قمامه ، وظهر بها لتقوية البلد الاقامة ، وقد
قسم سور البلد على اولاده ، واخيه واجناده ، فشرعوا في انشاء
سور جديد ، محدد به منيد ، وكان يركب كل يوم مصح ، مشمس
مضج ، فينقل الصخر على قريوس سرجه ، فيسقى الاكابر
والامراء في نقل الحجارات بنهجه ، فلو رأيت وهو يحمل حجرا في
حجره . لعرفت ان له قلبا كم حمل جبلا في فكره . ولقد جد في حماية
الصخرة المقدسة حتى حمل لها الصخور ، وانشرح صدره
لانضمامها الى صدره حتى باشر صدور ممالكه به الصدور ، وما
تقلو دار بينيها في الجنة بنقل حجارتها ، ليكون ملكا في دارها
وقمرا في دارتها ، وكل بناء قفلت حجارتها ، ووقفت عمارته ، ركب
وبكر اليه ، وجمع الحجر بنفسه واجناده عليه ، فإذا اكتمل انتقل
الى موضع لخر ونقل اليه الحجر ، ولقد بنى به في غرفات الجنات

الحجر . وأثر رواة سيرته الحسنة منها الأثر ، وما أعر احسانه واحسن ماعمر . وداوم البكور بالركوب وعرض وجهه الكريم للشعوب ، والتزم الأمر التزام الجوب ، ولان له الصخر لين الحديد لداود . وجد في فض جنته وأفاض الجود . وكان حجر الخندق صلباً لايتأى قطعة . ولايتها بكل آلة صدعه . فاتخذ من الفولاذ قطاعات . واخترع على الحدادين آلات . فأمكن الصلد وومن الجلد . وتيسر الصعب ولان الصلب . وصرخ الصخر لما حاف الحفر ، وضج الحديد لجلد الجلود ، وصفا قلب الصفا لاصاخة الصيخود ، وأعولت المعاول ، وجدلت الجنادل ، وسمعت الصماء صوت السطو ، وخرج جرج الاسامة اليها عن الاسو . وفلقت القطع وقطعت الفلق ، واتسع الضيق وتعمق الخندق ، وطاب العمل وطال الامل ، وحز الحزم وحزن الحزن ، وركبت القوة وقوي الركن ، فلا ترى الا سورا يعلو وخندقا يسفل ، وبناء يسمو وحفرا ينزل ، ويرجا يسقف ، وبننا يشرف ، وحجارة تبني ، وعمارة تثنى ، وكلسا يحرق ، وأسا يوثق ، وطاقا يعقد ، ورواقا يمهّد ، وطلاقات تطلق ، ومرامي تخرق ، وستائر تحجر ، وحفائر تقعر ومصاعد تهندس . وقواعد تؤسس . ومعارج تسفح . ومخارج

تفسح . وموالج تسرب ومناج ترقب . حتى احكم المكان بكل ما في الامكان . واتصلت الابراج بالابدان مشيئة الاركان . والسلطان يشرف في كل يوم . على عمل قوم . فيمدحهم باحسانهم ويجازيهم باحسانه . ويعير جنان المتولي من قوة جنانه . ويدركه بما يستأنفه من عمله . ويحلي بالفضل مايبذو له من عطله ، وكان ذلك نأبه مدة اقامته . وقد جد غرامه بغرامته بل يرى ان كل مال ينفقه نخر باق . وانه إن فاق كريم فيإنفاق ، وماعنه خشية املاق . بل يبه جاريه باطلاق جوائز وارزاق . وانه تتجلى له اعماله الصالحة يوم يكشف عن ساق ، وان وفق الله واستمر مادبره في حفر الخندق وبناء السور ، بقي بيت الله المقدس مع الاسلام على ممر الدهور . ولايبقى عليه لاسلم فزع . ولافيه لكافر طمع . ولو عاش بخبت نصر لعرف عجزه . وسلب عز الاسلام عزه . ورأى من المعجزات

ماحيره . وقهر عن البأس الذي ان ثبت له قهره . فسبحان الذي
اقدر السلطان على ما عجز عنه الملوك وهذاه من الفضل الى نهج
ضلوا فيه السلوك .

ذكر الحوادث مع الفرنج في هذه السنة

رحل الفرنج يوم الثلاثاء ثالث المحرم من الرملة الى عسقلان
ونزلوا يوم الاربعاء بظاهرها . وتشاوروا في اعانة عمائرهما ، وكان
سيف الدين يازكوج وعلم الدين قيصر والاسدية نازلين في بعض
اعمالها ، مجدين في نقل غلالها ، وركب ملك الانكثير عصر يوم
الخميس ، ومعه حزبه من جند ابليس ، فشاهد بخانا على البعد ،
وما عرف ما عنده من العسكر المعد ، فساق متوجها الى تلك الجهة
وجد ، وتبعه عسكره وامتد . فما شعر اصحابنا الا بالكبسة وقد
بغتت ، فما ارتاعت قلوبهم بل ثبتت ، وذلك وقت المغرب وهم
مجمعون على الافطار . فارغة الافكار من شغل الكفار ، وكانوا
نازلين في موضعين ، مقيمين في منزلين ، فلم ير العدو الا احد
القسمين فقصده بحزبه ، واطلق عنانه لحزبه ، فعرف القسم الاخر
هجوم العدو ، فهجروا مهاد الهدو ، وركبوا الى العدو فدفعوه حتى
ركب رفقاؤهم المقصودين ، واجتمعوا وهم المسعدون ، وردوا العدو
شوطا . وصبوا عليه من عذاب القراع سوطا ، ثم تكاثر الفرنج
عليهم ، وتواصلوا وسبقوا اليهم ، فاندفعوا من بين ايديهم ،
والفرنج تباريهم ، وساقوا اثقالهم قدامهم ، وقد ثبت حفظها على
الاقام اقدامهم . وما قد من اصحابنا ممن عرف الاربعة : ونجا
الباقون وخواطرهم لاجل اولئك متوزعة ، وكانت نوبة عظيمة دفع
الله خطرهما ، وهون ضررها ، وبتاريخ الثلاثاء عاشر المحرم ركب
السلطان على عادته في نقل الحجارة ، والجد في العمارة ، ومعه
الملوك اولاده والامراء . والقضاة والعلماء والصوفية والزهاد
والاولياء . وخرج كل من بالبلد . وجاء المدد بعد المدد . وهو قد حمل
على سرجه . واستوى في نهجه . والناس ينقلون معه على خيولهم .

في قفاهم ونبولهم . ولما دخل الظهر نزل في خيمة ضربها ولده الملك الظافر بالصحرَاء . واحضر فيها السماء لمن يدعوه من الامراء . فحضر على ذلك السماء . واحضر طعام مطابخه وبسطه على ذلك البساط . وكنت قد مضيت فزني . وبتقريبه امسني . فلما فرغ وفرغنا . وبلغ مراده وبلغنا . صلى هناك الظهر وركب عائدا الى داره . لييا بايثاره وحسن اشاره . فائزا بسرور اسراره وخير اختياره .

ذكر ثلاث سرايا سرت وبرت وبرت

كان عز الدين جريدك تجرد في سرية سرية . بارية رقاب ذوي القلول من الغل بريه . فاغارت يوم الاربعاء الحادي عشر من المحرم على يبنى . وفيها الفرنج بنية السكتي . فغنمت اثني عشر اسيرا . وخيلا ودواب واثاثا كثيرا .

وفي يوم الثلاثاء ثاني صفر اغارت السرية وفيها جريدك . وعسكر القدس وجماعة من المماليك . على ظاهر عسقلان . ووافدت بتناصرها على الكفر الخذلان . وغنمت ثلاثين اسيرا قيدت في الاغلال . سوى ماكسبته من الخيل والبغال .

سرية فارس الدين ميمون القصري

باتت ليلة الاحد رابع عشر صفر . بقل الجزر . وسرت حتى اصبحت على يبنى وكمنت . وصيرت الى ان استرسلت الفرنج الى الطريق وامنت . ثم ظهرت على قافلة للفرنج عبرت . فكبت وكسبت . وكسرت واسرت . واخذتها بأسرها مع رجالها . ويغالها واحمالها واذاقالها . ثم اغارت على يافا فقتلت وقتكت . وسفكت دماء وهتكك . وعانت بالغنيمة والسبايا ، واستغننت بنقودها عن

الذساي . وعجز جماعة من الاسارى عن المشى فضربت اعناقهم ،
واوجب ذلك للباقيين في المسير اعناقهم ، وعانت سائلة ساليه ، غانمة
غاليه .

ذكر خروج سيف الدين علي بن احمد المعروف بالمشطوب من الاسر

قرر على نفسه قطعة خمسين الف دينار فادى منها ثلاثين .
واعطى رهائن على عشرين ووصل الى القدس واجتمع بالسلطان
يوم الخميس مستهل شهر ربيع الآخر . فقام اليه واعتنقه وتلقاه
بالوجه الباهر ، واقطعه نايلاس واعمالها ، وحلى بباياله لها
احوالها ، وعاش الى آخر شوال من هذه السنة ، وتوفي الى رحمة
الله باعماله الحسنة ، فعين السلطان ذلت نايلاس واعمالها لمصالح
البيت المقدس . وتشيد ركن سوره المؤسس ، وابقى باقيها على
ولده . وتركه في تصرفه وبه .

ذكرة

لما خرج المشطوب من الاسر . تلقاه ولده روي السرى قوي الازر .
فوجده على زي اولاد الاتراك مضفور الشعر . فبدأ منه الانكار
والاكبار . وقال ماللاكراد في شعورهم هذا الشعار . فقصع
ضفيرته ، وقصر وفرته ، فتطير الناس من قطع شعره على ابيه ،
وقالوا هذا دليل مصابه الذي يأتية .

هلاك المركيس بصور

اضافة الاسقف بصور يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الآخر فاستوفى
رزقه لمواقة اجله . ووصل الى الباب قاطع امله ، وقد دعي الى

جهنمه ، ومالك على انتظار مقدمه ، والجحيم في ترقبه ، والدرك الاسفل من النار في تلهيه . والسعير في تسعره ، ولظى في تظهيرها لتتظهر . وقد قرب ان تكون الهاوية له حاويه ، والحامية عليه حاميه ، والزبانية في ايقاع العذاب به لمنزل الرجز بانيه ، وقد فتحت النار له ابوابها السبعة . وهي جاثعة الى التهامه وهو ملته بالاكل يستوفي الشبعة . فاكل وتغذى ، ومادري انه يتردى ، واكل وشرب ، وشبع وطرب ، وخرج وركب ، فوثب عليه رجلان . بل نثنان امعطان . وسكنا حركته بالسكاكين ، ودكاه عند تلك الدكاكين . وهرب احدهما وبخل الكتيبة ؛ وقد اخرج النفس الخسيسه : وقال المريكس وهو مجروح وفيه بقية روح . احملوني الى الكتيبة فحملوه ، وظنوا انهم حاطوه لما نقلوه . فلما ابصره احد الجارحين . وثب اليه للحين . وزاده جرحا على جرح . وقرحا على قرح ، فاخذ الفرنج الريفقين ، فالفوهما من الفداثة الاسماعيلية مرتين ، فسألوهما من وضعكما على تدبير هذا التدمير . فقالا ملك الانكثير ، وذكر عنهما انهما تنصرا منذ ستة اشهر ، وبخلا في تهرب وتطهر . ولزما البيع . والتزما الورع . وخدم احدهما ابن بارزان والاخر صاحب صيدا لقربهما من المريكس . واستحكما بملازمتها اسباب التأسيس ، ثم علقا بركابه ، وفتكا به . فقتلا شر قتله . وجهل عليهما اشد جهله . فياله من كافرين سفاكا دم كافر . وفاجرين فتكا بفاجر . فلما ظل المريكس مركسا . وفي جهنم منكبا مذكسا . تحكم ملك الانكثير في صور . وولاهما الكنهري وعذق به الامور . وبخل بالملكة زوجة المريكس في ليلته . وادعى انه احق بزوجه . وكانت حاملا فما منع الحمل من نكاحها . وذلك افطع من سفاوحها ، فقلت لبعض رسلهم : الى من يذسب الولد . فقال يكون ولد الملكة ، فانظر الى استباحة هذه الطائفة المشركه . ولم يعجبنا قتل المريكس في هذه الحالة . وان كان من طواغيت الضلالة . لانه كان عدو ملك الانكثير ، ومنازعه على الملك والسرير ، ومناقسه في القليل والكثير ، وهو يراسلنا حتى نساعد عليه ، وننزع ما اخذه من يديه وكلما سمع ملك الانكثير ان رسول المريكس عند السلطان ، مال الي المراسله بالاستكانة والاذعان ، واعاد الصنيث في قرار الصلح ،

وطمع في ايل ضلاله باسفار الصبح ، فلما قتل المريكيس سكن روعه وروعه ، ونهب ضوره وضوعه ، وطاب قلبه ، واب لبه ، واستوى امره ، واستشرى شره ، وكان قد تعصب لخصانة المريكيس للملك العتيق . فظهر له ود الشفيق الشفيق . وولاه جزيرة قبرس واعمالها وسدد بسداده اختلالها . فلما هلك المريكيس عرف انه قد اخطأ في تقويته . وخشي انه لايسلم من عابيته . ولا يأمن من غائلته . فلما عدم عدوه . وجد هدوه . واب سكونه . وثاب جنونه . ولم يحدث مقاطعته . ومرى رسل مراسلته ورمى سهم مضادته ومخاتلته . ولم ينزل عن ادعاء صداقة الملك العادل وتصديق دعوته . وراسل في طلب المناصفة على البلاد سوى القدس فانه يبقى لنا بمينته وقلعته . سوى كنيستهم المعروفة بقمامه . فانهم يعتقدونها ملتهم الدعامة . فاي السلطان أن يقبل هذا القرار . وأبدى لهم الانكار وسامهم ان ينزلوا عن يافا وعسقلان . ويأخذوا على مايبقي في ايديهم الامان .

ذكر استيلاء الفرنج على قلعة الداروم

وهذه قلعة الداروم على حد مصر . وكانت منها مضرة كبيرة لما كانت مع الكفر فلما فتحت حفظت وتركت وابقيت . وبالميرة والنخائر والرجال ملئت . وخربت عسقلان وغزة دونها . وتسلمها علم الدين قيصر على ان يصونها . فلما شرع الفرنج في اعادة عمارة عسقلان تردوا مرارا اليها . وداروا حولها وأشرفوا عليها . وأنفق السلطان في جماعة وقواها بها . وشد بالنجدة قلوب اربابها . ثم نزل الفرنج عليها . وقضضهم وقضضهم . وسعهم وبضهم . وفارسهم وراجلهم . وصارهم ونابلهم . وراجلهم ونابلهم . واشتد زحفهم عليها . ونهوضهم اليها . عشية السبت تاسع جمادى الاولى بعد ان اخذوا فيها نقبا وحرقوه . وحشوه واحرقوه . وطلب اهلها الامان فلم يجدوا . وطلبوا من قيصر وجماعته النجدة فلم يجدوا . ولما عرف الوالي انهم مأخوذون . وانهم موقومون . عمد الى الخيل

والجمال والدواب فعرقبها . والى النضائر فاضرمها والهبها .
وفتحوها بالسيف . وعرضوا اهلها على الحيف ، واسروا منهم عنة
يسيرة . وكانت هذه الذوبة على الاسلام كبيرة . ثم لم يلبثوا بها ولم
يرغبوا فيها . ورحلوا عنها وتتحوا عن نواحيها . ونزلوا على ماء
يقال له الحسي . وقد طاش بهم الغي والبغي . وذلك في يوم الخميس
رابع عشر الشهر . وقد اندسوا بما ظنوه من اسباب الغلبة والقهر .
ثم تركوا خيامهم وساروا على قصد قلعة يقال لها مجدل الحباب .
فخرجت عليهم اسد اليزكية المكنة من الغاب . فقاتلتهم قتالا
شديدا . وتركهم بعد الحديد بيدنا . وغادرت حبل قصدهم الجديد
جديدا . وكرت عليهم فكررت في ردهم عن جهتهم تريدنا ، وقتل منهم
في جملة من قتل كند كبير . واتاهم من مباريها لهم مبير . وعادوا
مقلولين مثلومين . مخذولين مهزومين . مثلولين مهضومين . ثم
رحل الفرنج من الحسي يوم الاحد سابع عشر الشهر وتفرقوا فريقين
وبعضهم عاد الى عسقلان وبعضهم جاء الى بيت جبرين . فتقدم
السلطان الى العساكر والامراء بان يكونوا لهم مبارين . وفي يوم
السبت الثالث والعشرين نزلوا بقل الصافية ، بجمعهم الوافرة
الوافية . ونزلوا يوم الثلاثاء السادس والعشرين بالنظرون .
فارجفت الالسة بانهم على قصد القدس على حسب تراجم
الظنون . وسرت اليهم السرايا . وتوات عليهم البلايا . وظهر
السلطان مقامه بالقدس . لتبعد وحشة المقيم فيه من قربه بالانس ،
وفرق الابراج والابدان على الامراء والاجناد . وذوي القوة
والاستعداد . وامرهم بنقل الازواد . ثم زال الرعب . وطاب القلب .
وخرج الناس الى خيامهم يتخطفونهم . ويهضمونهم
ويتحيفونهم ، وجرت وقعة بعد وقعة ، وكيسناهم دفعة بعد
دفعة ، ومن ذلك ان بدر الدين دلدرد كان في اليزك ليلة الجمعة
التاسع والعشرين فبعث من اصحابه والعسكر الى طريقهم من يافا
من لزم الكمين ، فجازت بهم فرسان من الفرنج مستقيمون على
النهج ، فخرجوا عليهم وقتلوا واسروا ، وفازوا ونصروا ، وفي يوم
السبت نزل الناس اليهم وقاتلهم في خيامهم ، والهبهم
بضرامه ، وركب العدو ساق الى قلونية وهي ضيعة من القدس على

فرسخين ، ثم عاد بأيد الشأن بأدي الشين ، وعساكرنا قد ركبنا
الكتافه ، وهي تقطع اطرافه ، وتهز اعطاف البيض لتحنز
اعطافه ، وفي يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة ، خرج كميننا في
طريق يافا على السابلة العابرة ، فظفروا وغازوا ، وحووا وحازوا
وكسروا واسروا .

ذكر كبسة الفرنج عسكر مصر الواصل

كان السلطان يستحث عسكر مصر بكتبه ورسله . ويدعوه نجدة
لاهل القدس على الكفر واهله ، فحرب العسكر خيامه على بليديس
مدة حتى اجتمع الرفاق ، وتهيأ لمن تأخر عن السابق
للحاق ، وانضم اليهم التجار ، وحصل لهم بكثرتهم
الاغترار ، وللعذر اقدموهم الانتظار ، وعنده بجواسيسه
الاخبار ، فجاء الخبر من اليزكية الى السلطان ليلة الاثنين التاسع
من جمادى الآخرة ان العدو ملك الانكثير ركب في سبعمئة فارس
والف تركبول ومعه الف راجل ، وسار عصر يوم الاحد سير مخادع
مقاتل ، ولا يدري اي جانب قصد ، ولاي نائب رصد ، وجرد
السلطان اميرا آخر اسلم ، خوفا على الواصل ليسلم ، ونذب معه
الطنبة وعدة من العادلية ، وامرهم بأن يأخذوا بالناس في طريق
البرية ، فعبروا على ماء الحسي ، قبل وصول العدو اليه ، واتصلوا
بالقوم واخبروهم بانهم كشفوا الماء وليس احد عليه ، وكان مقدم
العسكر المصري فلك الذين أخذوا العادل ولم يسأل عن المراحل
والمنازل ، وقصد اقرب البرك ، وغفل عما يعرف من الفرق
والفرق ، وترك الاحمال على برك اخرى سائرة ، ورأى الامنة
ظاهرة وأوجه السلامة سافرة ، وجاء ونزل على ماء يعرف
بالضويلة ، والاماني تغره بالمواعيد المخلفة ، ونادى تلك الليلة انا
جزنا مظان المخافة ، وفزنا بالسلامة من الآفة ، فلا رحيل الى
الصباح ، فاغتر الناس بالثناء الصراح ، وناموا
مسترسلين ، وباتوا متفقلين ، فصباحهم العدو عند انشقاق الصبح

بالصدمة الشاقة والخدمة العاقة ، وعاق ابن ذكاء بانكاء بنت
الذاهية العاقة ، فجاءهم فجأة ، والصبح لم يبد اضاءة ، والخيوط
الابيض من الخيط الاسود لم يتبين ، وهبوب الاعين من هبوة
الغفوة لم يتعين ، وكل غرار في جفنه قار ، وكل قلب بآمنه
سار ، وكل جنب على فراش ، وكل عاش له النعاس غاش ، فلما
يفتوا بهتوا ، وطلبوا ان يفلتوا فما التفتوا ، وركب كل منهم على
وجهه . وربما كرهه ، وفيهم من ركب بغير عنة
حصانه ، واسلم اخوانه وغلمانه ، وانهمزموا نحو
الاثقال ، فاقوموا العدو وهو وراءهم على الجمال والاحمال . فوقع
العدو في سوابقها ، واشتغل بها عن لواحقها ، فتفرقت في البرية
وعاد معظمها الى التيار المصرية ، ومنهم من عاج الى طريق
الكرك ، فلم يقع في الشرك ، ولم يحصل في الدرك ، فأخذ الكفار
جمالا لاتعد ، وأحمالا لاتحد ، وكانت هذه نكبة عظيمة ، ونائبة
عميمة ، ونوبة ذات نبوة ، وكبة ذات كبوة ، ووقعة ذات
روعة ، وعولة ذات لوعة ، فسلطنن الظنون وارجفت
المرجفون ، وقالوا قد حصل للفرنج من الظهر ما يحملهم
وينهضهم ، ومن المال ما يبطرهم ويحرضهم ومن الآن
يقابلهم ، وبأي عسكر وعدة نقاتلهم ، ووصل الجند
مسلوبين ، ومنكوبين منهموبين ، فسلاهم السلاطان عن
أموالهم ، بما قوى من أمالهم ، وحضهم على الحظ من الأخذ
بثأرهم ، والجد في دمار القوم وبيوارهم ، ولها الملاعين بما ملا
العين من المال ، عن القيل والقال والقتل والمقتال ، وحلا لهم
ما حاولوه من الحال ، وجرى هذا كله والملك الأفضل والملك العادل
غائبان ، وعساكر الموصل وسنجار وديار بكر متباطئة في الاتيان .

ذكر سبب غيبة العادل والافضل وما جرى لهما من الاول

كان الملك الافضل طلب من والده البلاد قاطع الفرات ، ونزل عن جميع ماله من الولايات ، وأنه انا عبر الى الرها وحران ملك تلك البلدان ، وعنا له من بها من ملوك الاطراف وبنان ، ورحل من القدس في ثالث صفر وقد ازمع السفر ، ووجه عزمه الماضي المضي قد سفر ، وأقام في دمشق حتى استعد ، واستجدى من ابيه ماكمل به الخزانة واستجد ، وأطلق له السلطان عشرين الف دينار ، سوى ماأصبحه برسم الخلع والتشريفات من مستعملات ثياب ومصوغات نضار ، ثم سار في مجر مجر سيل خيله جاز نيل نقة على المجرة ، شاغل بالسير والسرى اسرار ذوي الاسرة ، بياية على صفحات صفاحه نضرة النصرة ، ووصل الى حلب ، وقد مرى الفايق التوفيق وحلب ، واحتفل اخوه الملك الظاهر لقدمه ، وقام له بسنن الكرم ورسومه ، ورحب للترحيب به صـدره وجنابه ، وسحب على روضه صحابه ، وأصبح فيض فضله صحابه ، ووقف لخدمته مائلا ، وهز عطف الابتهاح اليه مائلا ، واحضر له مفاتيح بلده ، وقدم له كل ما في يده ، ولم يبق من الجميل شيئا الا عمله ، ولانوعا من الفضيلة الا كمله ، وعرض عليه الحصن العراب ، والتحف والثياب ، وخلع على خواص اصحابه وعوام اجناده ، وخصهم وعمهم من الجود بامداده ، وعول ان يسير معه الى الجهة التي يقصدها ، ويساعده على الضالة التي ينشدها ، وسمع ناصر الدين بن تقي الدين بما اقلقه ، ودفع منه الى ماأرجه وأرهقه ، ووصل رسوله الى الملك العادل وهو بالقدس لاجيا الى ظله ، وراجيا لفضله ، ولائذا بجنابه ، عائذا ببابه ، مستجيرا بارعائه ، مستجيبا لدعائه ، مفوضا ماحل به الى أنوار آرائه ، مروضا ماحل بانواء الآئه ، فاحتفى له واحتمله ، وقوى على تقويته امله ، وخاطب السلطان في حقه واستعطفه ، وشفع في امره واستشفعه ، وقال أنا امضي اليه

واستحضره وأؤمنه مما يحذره ، وتبقى هذه السنة عليه حران والرها ، وتشد من رجائه بذلك ما وهي ، وتعطيه في السنة الاخرى حماة والمعة ، وتكفي المضرة والمعة ، ثم قرر السلطان مع أخيه العادل ان يأخذ تلك البلاد ويحويها ، ويملك حوزتها ويحميها ، ويكف عنها ويكفيها ، واستقر ان ينزل عن اقطاعه بمصر ونصف خاصه ، وانا اخذ تلك البلاد فما يجاوره يجتهد في استخلاصه ، فأبدى على الرضا بذلك وجه كراهيته واعتياضه ، واستزاد قلعة جعير، فتمنع الملك الظاهر من تسليمها حتى استظهر من أبيه بأضعافها واستظهر وتقرر. مسير الملك العادل في العشر الاول من جمادى الاولى . وكتب السلطان بعود الملك الافضل فجاء هذا راجعا ، ونهب ذاك مسارعا ، ووصل الى حران والرها ، ففاز من تدبيره بالنجح المشتى ، وبلغ من مراده الى امد الامل المنتهى ، وعاد في آخر جمادى الآخرة وقد استصحب ابن تقي الدين ، ووصل في هذا الشهر الى دمشق ابن صاحب الموصل مجاهد الدين يرنقش ، واجتمعت بدمشق في هذا الشهر عساكر بها الاسلام يأنس ، والكفر يستوحش ، وأقامت تنتظر مسير الملك العادل لتسير في خدمته ، وتتجلى راياتها في مطالع رايته .

ذكر رحيل ملك الانكثير صوب عكا مظهرها أنه على قصد ثغر بيروت

لما تعذر على الفرنج قصد القدس ، وعرفوا ان مرضهم به في الانكس ، ورأوا ان ثغر بيروت قد براهم ، وعراهم من القوة مامنه عراهم ، وأنه قد قطع عليهم طريق البحر بمراكبه ، وقد فجعوا بمصائبه ونوائبه فقالوا أخذ هذا البلاد هين ، وقصده متعين ، وانا حاصرناه جذبا السلطان وعساكره الى جانبه وخلا القدس من جملة كتائبه وجمرة مضاربه ، فتبادر اليه من يافا وعسقلان ، من يجد في تملكه الامكان ، فلما عرف السلطان مساعزموا عليه من

القصد ، ودبروه من الكيد ، أمر الملك الأفضل بمباراة القوم في الرحيل ، وقطعهم بكل سبيل عن تلك السبيل ، وسبقهم الى مرج عيون ، وحتى اذا تيقن من قصدهم المظنون سبقت العساكر الى بيروت وبخلتها ، ونكت الفرنج ونكبتها وحولتها ، وكتب السلطان الى العساكر الواصلة الى دمشق ان يكونوا مع ولده وأن يضموا أمداهم الى منده ، ونزل بمرج عيون والفرنج بعكا بعد ، تجاوز ولم تعد .

ذكر نزول السلطان على مدينة يافا وفتحها

ولما رحل ملك الانكثير وسار وخلق وراءه النيار ، ترك في مدينتي يافا وعسقلان ، جمعا من منتخبى الرجال والفرسان ، ووصاهم بالجلد ، في حماية البلد ، فانتهاز السلطان فرصة الغيبة ، وأودع الى مساخ رجائهم غصة الخيبة ، ونهض بدمسكه الحاضر ولم يتمهل لا انتظار العساكر ، ووالى يافا وفأها بـ كليل المنجنيق أحجارا ، وأراق دماء وساق دمارا .

وزحف الناس وحفز الباس وفرعت المدينة ، ورفعت منها السكينة ، وقتل من بها ومسح وأخذ ما بها وكسح ، ووجدت الاحمال المأخوذة من قافلة مصر فأخذت وحملت وعلت الأيدي والسيوف من الدماء والأموال ونهلت ، ونفضت كنان ونظفت خزائن ، واستخرجت دقائن ، وولجت مكامن ، وحصل استمتاعنا بأمعة ، وانتفاعنا بكل مذفعة ، وامتلا البلد الكافر بالمسلمين ، وبقيت القلعة وطلب حمايتها الامان ليكونوا لها مسلمين. وكان الناس قد سبقوا اليها ، وقرب ان يستولوا عليها وذلك يوم الجمعة العشرين من رجب . وقد شارف من فيها الشجب ، فلما طلب الامان رد الناس وكفوا- فظن ان الغنيمة تصفوا. فانه خرج البطرك الكبير ومعه جماعة من المقدمين الاكابر ، على

أن يدخلوا تحت حكم الاسار ويسلموا جميع المال والعدة والنخائر
على أن يطلق كل واحد منهم بأسير

ويبقى صغير بصغير . وكبير بكبير وشرعوا في الخروج احادا
وعشرات . وعصبا متفرقات في ساعات حتى نخل الليل فاستمهلوا
الى الصباح . وطلبوا واقترحوا من يقف لحفظهم فبذلنا لهم ما عينوه
من الاقتراح . وما زال يخرج منهم من يستدعي زيادة الترويقة
وتدفيس خناقمهم بالمضايقات المرهقة . حتى وصل ملك الانكثير في
البحر . في مراكب في سواد الليل بل ظلمة الكفر . وبخل هو القلعة
من الجانب البحري ونادوا بشعار الغدر . فاكثفنا منهم بمن حصل
في الاسر . وندمنا كيف خرجت اللقمة من الفم . ولانفع بعد فوات
الفرصة للندم . ولو ان السلطان توقف في تأمينهم . واستمر على
توهمهم . لقلعت اساس تلك القلعة ، ونقضت رقعة تلك البقعة .
ولقد كان ذلك فتحا عظيما ، وفضلا من الله عميما . فقد امتلات
الايدي بفنائم تلك المدينة . وهت اسباب قواهم المتينة . واستعيد
ما نهبه من الكنيسة المصرية . وفزنا بالغنائم السنية . وقتل من
اقام بالبلد واسر وكشط جلد تلك المدرية ويشر . وحصل في اليد من
مقدمي القلعتين وسبعون . وتركوا وهم بالشبور يدعون . وكان
القصد في الاول رجوعهم عن قصد بيروت . وخشي على فرصة حفظها
ان تفوت ، فمن الله تعالى بحصول المقصود . وفزنا بجني الجهاد
بغير بذل المجهد . وجرى الامر على الوجه المأمود . وانما وقع
النتدم ؛ كيف لم يقع في اخذ القلعة التسرع والتقدم . فتعاصت بعد
الاذعان . وتعذرت بعد الامكان ، وجمحت بعد الاصحاب . وجنحت
بعد الاكتاب . وافلتت وقد وقعت في الحباله . واستقلت بعد العثرة
والاستقالة . وضعف ١٠ مرنج من تلك الكرة . واذن نشاطهم بالفترة
وما انتعشوا ولا انجبوا من تلك العثرة والكسرة . وعاد السلطان
وخيم على النطرون . والعسكر قار القلوب قرير العيون وجاء اليه
الملك الافضل ولده والملك العادل اخوه . واسفرت بالاسار الوجوه .
وكان ولده الملك الظاهر ايضا قد وصل . وفي هذه الغزاة حضر
وبينهما حصل . وكذلك كان قطب الدين سكرمان بن محمد بن قرا

ارسلان حاضرا . واخذ من السعانة حظا وافرا . وحصل بيده جرح
يؤس ان يؤسى . وظن تلك النعمة يؤسى . ثم اندمل جرحه . وفازت
قداحه وحاز السنى قبحه واقام السلطان حتى اجتمعت العساكر
ولحقت اوائها الاواخر . ووصل الملك المنصور ناصر الدين ابن تقيه
في بيضه وسمره ومشرفيه وسمهره . هذا والملك متأخر في المخيم .
بسبب عارض السقم ولملم الالم . ورحل السلطان ونزل بالرملة
والعساكر في عدد الرمل والاسلام قرير العين من اهله بجمع
الشم . والقضاء قد امتلا . والقضاء قد اجترا . والقدر قد اسعد
والسعيد قد قدر . والنصر ابدى الصفو وانهب الكبر . وتلك البرية
قد حوت البرية . وجمعت العسكرية والكمات الجارية والكمات
الجرية . والاعراب والعراب . والمصارب والحراب . والاجاود
والجياذ . والاساود والاساد . والبياض والساود . والعند
والاعداد .

فصل في وصف الحال من كتاب الى الديوان العزيز

الخادم حاله على ماانهاه غير مرة في مرابطة اهل الكفر مستمرة .
واقاويق النصر على حذولها تارة وبكنها اخرى مستدرة . والحرب
سجال . والاسلام في مضمار الظفر مجال . وقد تجاوزت القصة عن
حد الانهاء . وكلما شارفت القضية الانتهاء . عادت الى الابتداء .
والحادثة متصلة والواقعة مستقبلة . والنعمة من الله في اجراء
اوليائه على اجمل عاداته بانجاد عادته في قمع عادته مؤمله . وما
ينقضي يوم الا عن نصرة تتجدد . ونعمة تتعهد . وجمع للعدو يتبند .
وجمر لذكاية فيه يتوقد . وخد للسيف من حده بدم الشرك يتورد .
وفتح بكر من العوان بلقاح البيض الذكور يتولد . واخر ماتم في هذه
الايام . من مرهجات الكفر ومبهجات الاسلام . حظوة حلوة . ونوبة
مالها نبوه . وهي ان الفرنج لما اعجزهم قصد البيت المقدس . ولم
يستقم لهم ما سولوه في الانفس عكسوا زعمهم . ونكسوا عزمهم .
وعادوا خائبين . ونكسوا هائبين . واستأنفوا مكينة اخرى .

وشرعوا في شر خلف الشرك به يمرى . واجمعوا على قصد مدينة بيروت ، وتآمر على الاتجاه نحوها اعداء الله اولياء الطاغوت . فسارت العساكر الاسلامية على مباراتهم . لمضايقتهم في مضايق طرقاتهم . وتجرد الخادم في خواصه ووافى يافا . موقنا من الله تعالى ان مد نصره اليه يتوافى . وحمل اليها من معتقلي نبات الاسل ومشتعلي نبات الخل الاسد والعرين . (فاننا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين) [الصافات ١٧٧] فاخذها بالسيف غزوة . واعاد ضرام النيران بها جنع الليل ونزل البطرق والقسطلان والمرشان وحماة من المقيمين خرجوا وبخلوا تحت القهر فيبيناهم مشتغلون بالنزول . ومنقطعون الى الوصول . جاءهم الغوث في البحر . وظهرت منهم . وامارة القدر . ورجع العدو عن مقصده وربى الله وخذله . ونصر الاسلام واخذ له . وسره بما يسره له واجذله . ونال سيف الدمار من سيب دمائهم عله ونهله . وكان المقصود ردهم عن موردتهم . وصدهم عن مقصدهم . فابى ماقيضه الله من فتح الهدى وحذف العدا على الارب . واهتزت اعطاف البيض والسمر المذشبة من كاس نجيعها للطرب . والقوم الان قد اشتغلوا بمصائبهم . واجتمعوا لضم ما انتشر من اسبابهم . وراسلوا في الصلح على ان تخلي لهم عسقلان فما اجيبوا . وعلموا بجهلهم انهم ما اصابوا فيما دبروه لادبارهم فاصيبوا . والعساكر الاسلامية اليوم مجمعة . ومسالك المهالك لضائقهم ومضايقتهم مذبذبة . وقد ان تحول معاقده معاقلم التي هي ممتنعة . وكل ما يجده الله من علو يظهر . وعدو يقهر . ونصر يزهر . واصل بالظفر يشهر . فهو ببركات الاستمسك بطاعة المواقف الشريفة الامامية الناصرية . وبحمد الله ويمن ايامها وفضل انعامها دلائل النصر ظاهرة . واسباب الظهور متناصرة . ووجوه الامال بذشر نجاحها ويسر ما في اقتراحها ساقرة .

ذكر الهينة العامة

لما عرف ملك الانكتير ان شمل العساكر قد اجتمع . والخرق عليه
قد اتسع وان القدس قد امتنع . وان العذاب به وقع . خضع
وخشع . وقصر الطمع . وعلم انه لا قبل له بمن اقبل . ولا ثبات مع
الجحفل وقد حفل . فاعلم انه ان لم يهان اقام واستقبل . ولا شر
استقبل . وانه عازم على العودة الى بلاده . لامرور مردها يعود الى
مرابه . والبحر قد ان يمنع راكبه ، ويسئم بالامواج غواربه ،
فان هابتهم وطاو عتم تبعه هواي ، وان حاريتهم وعصيتهم القيت
ههنا عصاي واستقرت نواي ، وقد كل الفريقان ، ومل الرفيقان ،
وقد نزلت عن القدس وانزل عن عسقلان ، ولا تغفروا بهذه العساكر
المجتمعة من الجهات . فان جمعها في الشتاء الى الشتاء ، ونحن
اذا اقمنا على الشقاق والشقاء . رمينا انفسنا على البلاء ، فاجيبوا
رغبتي . واصيبوا محبتي ، وادعوني العهد ودعوني . وادعوني
وودعوني ، فاحضر السلطان امراء المشاورين وشاورهم في
الامر ، واظهرهم على السر ، واستطلع ما عندهم من الرأي ، وسرد
لهم الحديث من المبادئ الى الغاي ؛ وقال لهم نحن بحمد الله في
قوه ، وفي ثروب نصره مرجوه ، فانصارنا المهاجرون الينا ذوو دين
وكرم ومروه ، وقد افنا الجهاد . وافينا به المراد ، والقطام عن
المالوف ، وماتصدع الى اليوم بتأييد الله لنا شعب ، ومالنا شغل
ولامغزى الا الغزو ، ومانحن ممن يشوقه اللعب ويسوقه اللهو ،
وانا تركنا هذا العمل فما العمل ، وانا صرفنا عنهم الامل فقيم
الامل ، واخشى ان ياتيني في حالة بطالتي الاجل ، ومن الف الحلية
كيف يالفه العطل . ورأى ان اخلف رأي الهينة ورأى ، واقدام
بتقديم الجهاد اعتزازي واليه اعتزائي . وماانا بطالب البطالة .
فارغب عن استحالة هذه الحالة . وقد رزقت من هذا الشيء فانا
الزمه . ولي بتأييد الله من الامر اجزمه واحزمه . فقالوا له الامر
على ماتذكره . والتدبير ماتراه والرأي ماتديره . ولا يستمر الاماتمره
من الامر . ولا يستقر الا ماتقرره . وان التوفيق معك في كل ماتعقده

وتحلّه وتوربه وتصدره . غير انك نظرت في حق نفسك من عادة
السعادة • واراة العباة . واقتناء الفضيلة الراجعة • والاعتناء
بالوسيلة الناجحة • والانف من العطلة • والعزوف للعزله • واذك
تجد من نفسك القوة والاستمساك . ويثبثك يعرفك بالاماني
الادراك • فانظر الى احوال البلاد فانها خربت وتشتعت • والرعايا
فانها تعكست وتعلت • والاجناد فانها نصبت ووصبت • والجياد
فانها عطلت وعطيت • وقد اعوزت العلوفات • وعزت الاقوات .
وبعدت عنا العمارات • وغلت الفلات • ولاجلب الا من النيار
المصرية • مع ركوب الاخطار المهلكة في البرية • وهذا الاجتماع
مظنة التفريق • ولايدوم هذا الاتساع مع هذا الضيق فان المواد
منقطعة • والجواد ممتنعه . والمترب قد ترب . والمعدم قد عطب •
والتبن اعز من التبر ، والشعير ليته وجد وإن كان غالي السعر •
وهؤلاء الفرنج اذا يئسوا من الهدنة بذلوا وسعهم في استفراغ المكتة
واستنفاد المنه • وصبروا على المنية في طريق الامنيه • وابوا في
الاقبال على دينهم قبول الدنيه • والصواب ان نقبل من الله الاية
التي انزلها وهي قوله (وان جنحوا للسلم فاجنح لها) (الانفال)
٦١) وحينئذ تعود الى البلاد سكانها وعمارها • وتكثر في مدة
الهدنة غلاتها واثمارها • وتستجد الاجناد عندها وتستريح زمان
السلم ومدتها • فانها عادت أيام الحرب عنا • وقد استظهرنا
وزدنا • ووجدنا القوت والعلف • وعمدنا المشاق والكلف • ففي
ايام السلم نستعد للحرب • ونستجد ادوات الطعن والضرب •
وليس ذلك تركا للعبادة • وانما هو للاستجداء والاستجداد
والاستجابه • على ان الفرنج لايقون • وعلى عهدهم لايقفون •
فاعقد الهدنة لجماعتهم لينحلوا ويتفرقوا • وقد شقوا بما لقوا •
وماقيم لهم بالساحل من يقدر على المقاومة ، ويستقل بالملازمة .
وما زال الجماعة بالسلطان حتى رضي • واجاب الى ما يقتضي .
وكانت قد بقيت بين العسكرين منزلة واحدة • والعاجات على
الطلائع متعاقدة • فلو رحلنا رحلتاهم • وعلى الهلك احلتاهم •
لكن مراد الله غلب • واجيب ملك الانكثير من الصلح الى ماطلب •
فحضرت لانشاء عقد الهدنة وكنت نسختها ، وعينت مدتها وبينت

قضيتها ، وذلك في يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين الموافق لاول ايلول لمئة ثلاث سنين وثمانية اشهر ، وحسبوا ان وقت الانقضاء يوافق وصولهم من البحر ، وتتصل امدادهم على الحشد والحشر ، وعقدت هبة عامة في البر والبحر ، والسهل والوعر والبدو والحضر . وجعل لهم من يافا الى قيسارية الى عكا الى صور . وابدوا بما تركوه من البلاد التي كانت معهم الغبطة والسرور . واخلوا في الصلح طرابلس وناطكية . والاعمال الدانية والدانية .

فصل من كتاب الى الديوان العزيز في شرح ذوبة يافا ثم افضاء الامر الى عقد الهنة

قد سبقت مطالعة الخادم بانها حاله . وما هو لا يزال مستمرا عليه من جهاد العود وقتاله . وما كان عليه الكفر من الجمع الملتهم والجمهر الملتهب . والحشر والحشد المضطرم المضطرب . وانهم قد اجتمعوا على قصد البيت المقدس . وعزموا على بذل المصونين من النفائس والانفس . وسلكوا في القصد كل طريق . وتوافوا وتوافدوا من كل فج عميق . وندوا على ظن ان جنى الفتح لهم دان ، وان شبا الحتف عنهم وان . ولما قاربوا عرفوا ان المرمى بعيد المرام . وانهم لا يستطيعون مقاومة عسكر الاسلام . فنكسوا على اعقابهم . ونكسوا ماضيه من ارائهم وارايهم . وعلموا عقيبي ما جهلوه . وقطعوا من اسباب العزم ما وصلوه . ونكثوا من عقد القصد ما برموه . وشرعوا في امر آخر توهموه * ومضوا واستأنفوا الاستعداد . واستنهضوا الامداد ، وحصنوا بلادهم . وجمعوا فيها طرافهم وتلابدهم . وشحنوا عسقلان ويافا بالقوة الجامعة . والعدة النافعة . والشوكة الرادعة . والشكة القاطعة . واستتظفروا فيها بكل ماقدروا عليه من المنعة الحامية . ورجال الصبر على النار الحامية * ثم ساروا بحشودهم المجموعة وجموعهم الحشونة .

وظلال الضلال الممدودة وصلال الصلادم المقدودة . مستمطري
شآبيب الانابيب . مستغفري سراحين السراحيب ، وتوجهوا على
سمت ثغر بيروت بنية العصر . وغفلوا عما أجراه .
الله لاوليائه على أعدائه من عوائد النصر . ولما نعى خبرهم . وطار
شرهم . وخيف ضرهم . أنهض الخادم العساكر المنصورة إلى
مقابلتهم . ومباراتهم ومقاتلتهم . ونزل في مسايلكه وخواصه .
ورجال الاقدام ذوي استخلاصه . على مدينة يافا فأخذها بالسيف
عقوة . وجب بها من سنام الكفر نزوة . وحل منه بغزوته اليها
عروة . واستكمل للاسلام . بتملكها حظوة . وقتل كل من حوته
وسبى . وناب المشركين بما بنى مجده ومضى حده فيه وما نبا .
وغنم من أموالها المسلمون ما خف وثقل . وأسر من وجد فيها
وقتل . ونهب من آلات الحصر ما خرج عن الحصر . وأبتذل كل ما
هين من الغلال والعدو والمال الدثر للنخر . وطلب أهل القلعة الامان
من القتل خاصة دون الأسر . وشرطوا أنهم لا يمكنون من الدخول
اليهم من جاءهم للجنة من البحر . وأخرجوا على سبيل الرهينة
مائة رجل من محشميمهم . وكذبهم ومقدمهم . مثل البطرك الكبير
والقسطلان والمرشان ومن يجرى مجراهم من الفرسان . فلما
أصبحوا جاءهم ملكهم في البحر ففقدوا . وامتنعوا بعد انقيادهم
للعجز حين قدروا . وخيم العدو هناك في جموعه . وندب الى عسكره
من يأمره برجوعه . ووافيت في البر جحافة حافلة . وتواربت في
الاسراع إلى الصريخ ظلمانا جافة . فاجرى الخادم على الرهائن
حكم الاسترقاق . وسيرهم إلى دمشق في اقياد الوثاق . ورجع الى
القوم فهزيمهم وريهم الى عكا . بعد ما نكى فيهم وأضحك من
دعائهم البيض وأبكى . وعاد إلى العدو ونزل عليه . وكدر الموارد
لديه حين زحف إليه . واجتمعت من أهل الاسلام العساكر .
واقسعت على المشركين في المضايقة الدوائر . ورجا المؤمن وخاب
الكافر . وجالت بأوجالها الضمائر لما جالت عليهم الضوامر .
وعاينوا العذاب الواقع . وعدموا النافع . وشاهدوا المصارع . فما
زالت رسالهم تتريد بالضراعة . وبذل الطاعة . والنزول عن
الاشتطاط . والدخول تحت الاشتراط . والغبطة بما هزله الاسلام

عطف الاغتياط . واحتوى عليه بيد الاحتياط . وكانوا لايجابون إلا بالاباء . ولاتلقى رسلهم إلا بتصميم عزم اللقاء . حتى حضر أكابر الدولة وأمرأؤها . وأولياء الطاعة والباؤها . وأشاروا بعقد الهدنة . والانتهاز فيها الفرصة المكنة . واستقرت المهانة على ما أعزه للإسلام الانوف وأذل من الكفر الرقاب . ورجح وأنجح من أهل الايمان الآراء والآراب . بعد أن نزلوا عن البناد والمعاقل التي تملكوها . وبعدوا عن الطرق التي سلكوها . وسألوا الامان على الاماني التي استدركوها وما أدركوها . وسلموا؛ عسقلان.وغزة. والداروم.وبيبي. ولدوتل الصافية . وغير ذلك من الاعمال والاماكن الوافرة الوافية . واقتنعوا؛ بيافا.وكانا.وصور . واستبدلوا من تطاولهم وقدرتهم العجز والقصور . ورأوا عزهم في ذلهم . وصونهم في بذلهم . وسلامتهم في سلمهم . وغناهم في عديمهم . ولانوا بعد الاشتداد . ودانوا للانقياد . وهانوا بعد الاعتزاز وهابوا بعد الاغترار . وأقروا بعد الانكار لتعود جفونهم الى الفرار . وأمورهم الى القرار . وخلوا بيارهم وأخلوها . وما سألوا عن حب الاوطان والاطوار وسلوها . ومدة الهدنة التي أخذوا بها اليد وأعطوا اليمين . ثلاث سنين وثمانية أشهر أولها أول أيلول يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين . ووضعت الحرب أوزارها . ورحضت بماء السلم أوضارها. وأخذت من أهل النار نارها . وقصبت الفرنج من وراء البحر بيارها . ولا شك أنهم يستعدون في هذه المدة . ويستمدون ما يستطيعونه من القوة والعدة . ويستجدون عزمة العونة . وقد شرع الخادم في تحصين الثغور . وإمرار الامور . وإبرام معاهد المعاقل . وإحكام قواعد الحق بتعفية آثار الباطل . وإتمام أسوار القدس وخنادقه . حتى يبقى على النهر أمنا من طروق العدو وطوارقه . وإعانة الاعمال والاحوال إلى عانة عمارتها . وحلية نضارتها . وإجمام العساكر وإراحتها . ليوم تعبها الذي هو عين راحتها . ولقد كان الخادم للإسلام متكرها . ولا يرى أن يكون كشسيمة ملوك العصر عن الغزو مقرفها . لكنه أجمع من عنده من الامراء وذوي الآراء على ان المصلحة في المصالحة راجحة . وأن صفقه الكفر فيها خسارة وصفقة الاسلام رابحة .

وان في اطفاء هذه الجمرة وقد وقتت سكونا عاما . وامنا تماما .
وتفريقا لجمع الكفار لشمع النصر عليهم ضامما . فهي سلم انكى من
الحرب فيهم . وانها تقصيههم من هذه الديار بل تنفيهم . والى متى
تجتمع هذه الاعداد الهائلة لهؤلاء الاعداء . وتتفق هذه الاعداد
المتواصلة من اهل النار في الماء . وما صح لهم هذا الجمع على
التكسير إلا في خمس سنين . وما وافى اليهم مندهم من الوفاء سوى
مئتين . وكل ما كان لهم من اموالهم في بلايهم نخلوه وانفقوه .
وايقنوا ان مراهم صعب وتحققوه . فمتى انقضوا انقضوا . وقد
ان ان يرفضوا ويرفضوا . وإلى ان يتفق مثل هذه الجموع . ويعزم
ناهبهم على الرجوع . يكون الاسلام قد استظهر يقوته . واستكثر
من نجيته ومن جيته ، فرأى موافقة الاجماع . وقبل مناصحة
الاشياء . وتفرق جمع الكفر وباخ جمره . وامن نكره ومكره .
وانشرح صدر الاسلام وتضوع نشره . وتوضح بسنى النصر
فجره .

ذكر ما جرى بعد الصلح

عاد السلطان الى القدس وعادت عادة سعادته . واشتغل باتمام
السور والخنق وتكميل عمارته . وفسح للفرنج كافة في زيارة
قمامة . فجاؤوا ووجدوا الامن والسلامة . وزاروا ورازوا . ولما
عجزوا ان يحتازوا سألوا ان يجتازوا . ففسح لفريق من بعد فريق .
وتوافوا في طريق وراء طريق وقالوا إنما كنا نقاتل على هذا الذي
وجبناه مع الصلح . ومازلنا سائرين في ليل القصد حتى وصلنا إلى
الصبح . وكان ملك الانكثير راسل السلطان وسأل منع الزيارة الا
لمن وصل معه كتابه او رسوله . ورغب في أن يجاب سؤاله في ذلك
ويصاحبه سوله . فقبل مقصوده انهم يرجعون إلى بلادهم على حسرة
الزيارة . فيبقون على الاستنفار والاستتار . ومن زار برد قلبه .
وتنفس كربه . ولم يبق له في مشقة العود أرب . ولم يتصل له لهذه
الديار سبب . فكان الامر كما حسب فاعتذر إليه في الجواب الذي

كتب . وقيل له أنت أولى بمنعهم . وردهم بردهم . فانهم يصلون إلينا وافدين . ولزيارة الكيسة قاصدين . وما يقتضي كرمنا أن نرد الوفود . ولا نبليغ من يقصينا المقصود . ومرض ملك الانكثير مرضا الهاء عما اشهاه . ولم يبلغ في هذا الغرض إلى منهاه . وركب البحر وأقلع . وعجل في مفارقتها وأسرع . وسلم الامر الى من يليه . وهو الكند هري ابن أخته من امه . وهو ابن اخت ملك أفرنسيس من أبيه وتبعه فرنج الجزائر . ولم يقف الاول على الآخر .

ذكر ما عزم عليه السلطان

عزم على الحج وصمم . وكتب الى مصر واليمن بما عليه عزم . وأمر بأن يحمل له في المراكب كل ما يحتاج إليه من الازواد والنققات . والثياب والكسوات . فقبل له لو كتبت إلى أمير المؤمنين وأعلمته بحجك وعرفته بنهجك . حتى لا يظن بك أمر أنت منه برىء ويعلم أن قصدك في المضي مضى . والوقت قد ضاق ويبلغ الخبر الافاق . ثم هذه البلاد اذا تركتها على ما بها من الشعث . لم تهرم مرر حبلها المنتكث . وهذه المعازل التي في الثغور ، حفظها من اهم الامور . ولا يغير بعقد الهدنة . فان القوم على ترقب الحكة . والفردا بهم . ومليء البغي إهابهم . فما زال الجماعة بالسلطان حتى حلوا من العزم ما عقده . واطفأوا من نار جده فيه ما أوقده . فشرع في ترتيب قاعة القدس في ولايته وعمارته . وتهنئ عمله ومعاملته . وكان الوالي بالقدس حسام الدين سياروخ . وهو تركي يقتدى به في زهاده وحسن سيرته الشيوخ . وكان فيه دين ولين . وحبله في الخير متين . ولم يزل مستوفيا لحق الامانة . مستعفيا من الولاية لطلب الصيانة . فانصرف حميدا أثره . كريما موده ومصدره . وفوض السلطان ولاية القدس الى عز الدين جريك . وقال تهديك في الامور يغنيك عن ان نهديك . وإنما اعتمدنا عليك لاجتماع خلال الكفاية والشهامة والبيان فيك . فتدول أخذنا بالحزم في تثبيتك

وتأنيك . وترويك وتأنيك . ولى علم الدين قيصر اعمال الخليل
وعسقلان وغزة والداروم وما والاها ، فخرج اليها وتولاها . وأمر
بنقل الغلات من البلقاء لتقوية الفلاحين . واعانة المقطعين ، وكذلك
أمر بنقل الغلات من مصر الى أعمال عسقلان . ليعيد إليها الزراعة
والعمران . وسأل الصوفية عن أحوالهم وأن سؤاله عنها باجابة
سؤلهم وسرلهم . فانه كان وقف دار البطررك مجاورة قمامة لهم
رباطا . وجعل لهم كل يوم فيه سماعا . وزاد في الوقوف . وحكمهم
في الانفاق بالمعروف . وكان قد جعل كنيسة صندحننا عند باب
الاسباط للفقهاء الشافعية مدرسة . وربها بنية على التقوى
مؤسسة . وزاد في أوقافها . ووفر مواد تلاميها وطرافها . وأمر بان
تجعل الكنيسة المجاورة لدار الاسبتار بقرب قمامة بيمار ستانا
للمرضى . واتخذ فيها بيوتا فيها حاجات أصحاب الامراض على
اختلافها تقضى ، ووقف مواضع عليها . وسير ادوية وعقاقير عزيزة
الوجود اليها . وفوض القضاء والنظر في هذه الوقوف الى القاضي
بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم . وعول منه على أمين كريم .

ذكر خروج السلطان على عزم دمشق من القدس وعبوره على الحصون

خرج السلطان من القدس ضحوة الخميس خامس شوال . وقد دبر
الاحوال . وأقام يعدله الاعتدال . وأفاض الفضل والافضال .
وجاوز ناحية البيرة . وقد جلا جلاله سني راياته المنيرة . ويات على
بركه للداوية . بالهمة الروية والعزيمة القوية . ونزل على نابلس
ضحوة يوم الجمعة . وجمع شتات مصالحها المتوزعة . وكثرت
الاستغاثات على سيف الدين علي المشطوب صاحبها . وأنه قد طرق
الرزق الى مشاربها . وزاد في رسومها ونوائبها . فاقام بها إلى ظهر
يوم السبت حتى كشف مظالمها . وأضحك بالعدل والاحسان
مباسمها . واسقط رسومها الجائرة . وأمات سنننها الضائرة .

واصفى بها شرعة الشريعة . واضفى ظلال الرعاية للرعية في
مراعيها المريعة . ورحلنا بعد الظهر . وبتنا ليلة الاحد عند عقبة ظهر
حمار بموضع يعرف بالفريديسة . ورتعنا في مروجها الانيسية .
واصبحتنا راجلين . ونزلنا ضحوة على جبين . وهناك ودعنا
المشطوب وداع الابد . فانه انتقل بعد ايام الى رحمة الواحد
الصمد . وكانت وفاته يوم الخميس السادس والعشرين من شوال .
ورحلنا يوم الاثنين وجئنا ضحوة الى بيسان . وازال حلول
السلطان عنها البؤس واشاع الاحسان . وصعد الى قلعتها
المهجورة الخالية . فابصر قللها العالية . وقال هذه انا عمرت نامت
في حضانة الحصانة . وكان جبلها لوثوقه مستودع الامانة .
والصواب بناء هذه وتخريب قلعة كوكب . ولم يزل حتى بين كيفية
بنائها ورتب . ووعد باحكامها ، وإعلاء اعلامها ، ثم ظهر ظهرا
وبات على قلعة كوكب . وشاهدها وصعد نظر رأيه فيها وصوب .
ورحل عنها ضحوة الثلاثاء ونزل بظاهر طبرية وقت العشاء . وهناك
لقينا بهاء الدين قراقوش وقد خرج من الاسر . وتلقيناه بالبشر
والبر . واقمنا بها يوم الاربعاء لتوافر الانداء . وتواتر الانواء .
ورحلنا بكرة الخميس ونزلنا بقرب قلعة صفد تحت الجبل . وصعد
السلطان اليها وامر بتسديد ما فيها من الخلل . ثم سار يوم الجمعة
على طريق جبل عاملة ونزل ضحوة بضيفة يقال لها الحبش . وهي
عامرة محتوية على سكانها . كأنها العش ، وسرنا منها وخيمنا
على مرج تبنين . وبتنا باحوال قلعتها معتنين . واصبح السلطان
حوالي حيطانها باحوالها محيطا . ممتليا قلة قلعتها ولا سباب
اختلالها مميلا . ووصى الوالي بعمارتها وجعل مصالحها بكفايته
منوطة . وسداها بسدانه منوطة . ثم رحلنا بكرة السبت وجزنا
على قلعة هونين . ونزلنا من الجبل . وبتنا على عين الذهب
واجتمعنا بالثقل . ورحلنا يوم الاحد وخيمنا بمرج عيون . وجلس
السلطان على عاقته معنا في تدبير الممالك تلك الليلة وسهرت
العين . ورحلنا عصر يوم الاثنين ووصلنا السير بالسرى . وقطعنا
في الطريق الوعر الوهاد والنرا . وعبرنا بين عمل صيدا يسرة وعمل
وادي التيم يمنة على الضياع والقرى . وعرشنا على مرج تليفيا

مقابل مرج القنعية . ودفعنا إلى سلوك المسالك الصعبة . ثم أصبحنا يوم الثلاثاء على الرحيل إلى البقاع من تلقائنا فخيمننا على جسر كامد . والسلطان مشغول في طريقه من تقرير العمارات وتحرير سنن الحسنات باقتناء المحامد . ثم غدونا يوم الأربعاء وخيمننا بناحية قب الياس وقد أصبحنا إلى الفضاء . وأقمنا ذلك النهار راتعين نت الفواضل السلطانية في النعماء . ولما جن الليل جمعتنا بالخضرة السلطانية الأنوار . وسرت اسماعنا منه أسماء رجال الفضل والكرم وسنتهم لا الأسعار ، وبخل السلطان يوم الخميس إلى بيروت ، وانجز بالوصول إليها وعدة الدوقوت ، ونزلت الأثقال على مرج قلميطية بالبقاع ، وأقامت خمسة أيام على الاستراحة والإيداع .

ذكر وصول السلطان إلى بيروت ودخول بيمنه الابرنس صاحب أنطاكية عليه والاستجارة به وذكر سامة

ولما وصل السلطان إلى بيروت تلقاه واليهما عز الدين سامة ، بكل ما توفرت به الكرامة ، واستقبل الأصحاب بصدر رحيب وظل خصب ، وسماحة أريب وسجاجة لبيب ، وفتحت الأهراء على غلاء الغلات بالثغر ورفع أغلاقها ، وسبلها وما قيد إطلاقها وقصرى وأضاف ، وأنى القسطاف ، وأصفى العطاف ، وتلف في الهدايا وأهدى الألفاف ، وفرق على الصغير والكبير التحف ، وأحضر للسلطان ولكل من معه الطرف ، وأغنى وأقنى ، وأعدم في الجود الموجود وأقنى ، وأعطى الخيل والماليك والجواري والملابس ، وبذل النفائس ، وزف على أكفاء المحامد من إيكار المناقب العرائس ، وأظهر في مكان الشدة الرخاء ، وفي مظنة الضن السخاء ، وأهب في أعصار الأعسار لرجال الرجاء من سماء السماح الرخاء ، وأحضر كل ما عنده مما كسبه في القنيمة ، جرى

على كرم الشسيمه ، ومن الجيوخ الافرنجية والثياب
البندقية ، والهنايات الفضصية والاكواب اللجينية ، والسروج
واللجسم ، والاكسسية والعزم ، والمهياميز والملايط
والغفاغير ، والعروض والدراهم والدنانير ، ففرق من ذلك مسا
جمعه . ورفع الى كل منه ما اسى قدره ورفع . وما انفصل عنه
الاكل مواصل بشكره ، مساجل امثاله بذكره ، مضروع كل ناد
للكرام بذشره ، وقام بالسلطان وبكل من صحبه مدة مقامه ، واعجب
واعجز ما صدق باهتمامه .

ذكر وصول الابرذس بيمند ودخوله على السلطان

ولما اراد السلطان عن بيروت الانفصال ، وذلك في يوم السبت
الحادي والعشرين من شوال ، قيل له إن الابرذس الانطاكي قد
وصل الى الخدمة ، مستمسكا بحمل العصمه . داخلا حكم
الذمه . فثنى عنانه ونزل واقام وما ارتحل ، واثن للابرذس في
الدخول ، وشرفه في حضرته بالانول ، وقريه وانسه ، ورفع
مجلسه ، واظهر له البشاشة والهشاشة ، وسكن من روع روعه
الحشاشة ، وكان معه من مقدمي رسانه اربعة عشر
بارونيا ، ووهب كلا منهم تشريفا سريا ، واجزل له ولهم
العطاء ، وابدى بهم الاعتناء . وكتب له من مناصفات انطاكية معيشة
بمبلغ عشرين الف دينار ، وخص اصحابه بعمبار ، واعجبه
استرساله اليه ودخوله عليه بغير امان ، فلا جرم تلقاه بكل
احسان ، وودعه يوم الأحد وفارقه ، ووافق مراد السلطان انه
بمراده وافقه ، وانصرف المذكور مسرورا ، بين اسرته
منكورا ، محبوا بالمنح والمنن محبورا .

ذكر وصول السلطان الى دمشق

لما خرج السلطان من بيروت يوم الأحد بات بسالمخيم على
البقاع ، واحضرنا تلك الليلة في نادي فضله للمؤانسة والامتعاع •
وتجاذبنا اطراف الآراء ، وهزنا منه اعطاف الالاء ، واستبيننا
قطاف النعماء ، وقد قرب الدخول الى البلد ، والوصول الى الاهل
والولد ، وكل يقترح مقصودا ويقصد اقتدراحا ويظهر الى سكنه
ومسكنه ارتياحا والتياحا . فرحلنا يوم الاثنين وعبرنا عين الجر
وبتنا على مرج ييوس ،، وقد شرح الله الصدر واطباب
النفوس ، ووصل اليها من اعيان دمشق من سبق للتلقي
والاستقبال ، واظهروا بقدمونا أسباب الاحتفاء
والاحتفال ، وجاءتنا فواكه دمشق واطايبها ، واغتصت بالواصلين
اليها مسالكها ومناهيها ، ورحلنا يوم الثلاثاء وبتنا
بالعرانة ، وجرى المتلقون في التحفي بالتحف على
العادة ، واصبحنا يوم الاربعاء وبخلنا الى دمشق وقد اخرجت
اثقالها ، وابرزت نساءها ورجالها ، وكان يوم الزينة . وخرج كل
من بالمدينة ، وحشر الناس ضحى ، واشاعوا استبشارا وفرحا
وكانت غيبة السلطان عن دمشق اربع سنين في الجهاد
طالت ، فاهتزت بقدمه واختالت وقرت بفضايله الاعين ، واقرت
بفواضله الالسن ، وزاعت اسرار السرور ، ورققت حبرات
الحبور ، وطابت الانفس ، وغابت الأبؤس ، وانجلت المكاره
وتجلت المكارم ، وافترت المياسم وهنيت بمسومه
المواسم ، وتهويت التهاني ، وهنيت الاماني ، وغنت المغاني ولنت
المجاني ، وسفرت المجالي ، وظفرت المعالي ، وتحلت
الاحوال ، وتملت الآمال ، وراج الرجاء ، وارجت
الارعاء ، وفاض الجود • واستفاضت السعود • وعم العدل • وتم
الفضل • وشرقت الافاق • وافاق الاشراق ، وكرم
الفضلاء ، وفضل الكرماء . وحل في القلعة حلول الشمس في
برجها ، وقد جلت اوجه السعود بأوجها ، واخذت بحار سماحه في

موجها ، وسلكت المناجسح في نهجها ، وجاءت المنائح في فجها
بفوجها ، وصفت شرعة الشرع لوأردها ، وضفت حلة الكرامة على
وأفدها ، وفطحت مرتجات ابواب الآلاء لمرتجيتها ، واستجندت عادات
انجاز عدات الجوائز لمستجيبها ، ويسر اليسار لاسعاف
العافي ، وتمت على السن الانام اوصاف الصافي ، وجلس السلطان
في دار العدل قاعدى المستعدي ، ولبى المستدعي ، وأجاب
وأجار ، وأنال وأنار ، وجاد وأجاد ، وبنا وأعاد ، وفي هذا الشهر
خلص بهاء الدين قراقوش من الأسر ، واجتمع بنا يوم وصلنا الى
طبرية ، ولقي من السلطان الاطاف الخفية ، ووصل معه الى
دمشق واقام الى ان خلاص اصحابه من الأسر ، وتوجه الى
مصر ، وقد صان نفسه ببذل ماله ، واخرج ثروته وبخل في
اقلاله ، وخرجت السنة والسلطان في أسنى سنانه ، وابهى جلاله
وأجلى بهائه ، والناس راتعون في رياض نعمائه ورسد الممالك
المغربية والشرقية عنده يخطبون ويطلبونه ، وينتظرون عزمه
ويرقبونه ، وهو يعلم بانحسار الشتاء وانكساره ، وابتسام ثغر
الربيع واقتاراره ، والتهاب زهر ازهاره ، وانتهاج سرح سلاح
اسحاره ، وانتباه عيون بهاره ، وانطلاق غرار عراره وانتلاق انواء
انواره ، وانطباق نواظر ثماره ، واصطفاف اوراق
اشجاره ، وانفتاح كمامه واتساق نظامه . وانتشار منظومه .
وانتظام منثوره ، وانفجار صبح اسفاره ، وانفراج وجه
سفوره ، واجتماع لفياف اغشابه ، واستماع حفيف
اقصابه ، والتماع بريق سحابه واتساع طريق صحابه ، وانشفاق
شقائقه ، وانعقاق عقائقه ، واشتمال شمائله ، واقتبال
قبائله ، وتأرج صبا صباحه ، وتبلج صبا صبايه ، وتورد وجنات
جناته ، وتودد جمرات ثمراته ، وتندسم ضمير ضميراته ، وتصور
خدود تقاحه ، وتدور نهود رمانه ، واخضرار أس عذاره ، واحمرار
خد جلناره ، وتشنف اقطار النادي اقراط قطار الندى ، وتفوف
حاقات الوادي بالوشي الوشيع من حول الرياب حول الريا ، فإذا
طاب الذسيم ونسم الطيب ، ودعا البلبل ولبى العنديل ، وتعطر
عبير الربيع وتصور الشقيق كأنه تخمر من عجين النجيع ، ووافق

مراد المرعي من المراد المريع ، وحلا الجنى اللجيني . وحلى النضير
النضاري ، وبقل العذار الينفسي . واشتعل الخد الجلناري
الناري ، ونجم في الروض النجم السماوي المائي ، وابتسم الثغر
الاقاحي ، وتذسم الضرع الصباحي ، وتحرك العرف السحري
الشجري ، وتأرج الذعر الروضي ، وتبلج اليشر الوضي ، وانتشى
الذشا الشكالي الشمولي . وانتعشت عاثرات اعشاب الشعاب ،
وقابلت القبول خطبة الفضل بفضل الخطاب ، وصبت الصبا في
محل خطبة المحل بصوب الصواب ، فحينئذ آل جماح الاصحاب
الى الاصحاب ، وصرفت اشاجيع الشجعان وايمان اهل الايمان كل
مواج العنان رواج السنان ، ونزعت النزائع الى الحلاب ، ورشفت
المقواطع بشفاه ضرب الضراب ، واجتمعت العساكر وعسكرت
الجموع ، وسرت الطلائع وسر الطلوع ، ونهض اهل الجدد وجد
النهوض ، وفاضت المنابع ونبعث الفيوض ، وضرب السرايق
السلطاني حيث النصر ينزل ، والسعد يقبل ، واليمن
يشمل ، والنجح يسهل ، والظفر يمثل ، والامر يمثل ، والجدد
يسمن . والهزل يهزل ، والعزم يولي . والوني يعزل ، ويعم العدل مع
اعتدال الزمان كل مكان ، ولا يتدفق الا بحديث الطاعة من يحدث
نفسه بعضيان ، واقمنا على هذا العزم الى آخر السنة ، والاجفان
مغضوطة على طيب السنه ، وظل البرد الشديد مديد ، والجلد واه
والهواء جليد ، وحد الشتاء في التشتيت حديد . والجبال قد اشتعلت
رؤوسها شيبا ، والثلوج قد زرت على اعناق اطوادها
جيبا ، والجوفي نظم ونثر ، والثرى من التراث مثر ، والمهتون ناكب
ناكت ، والمهتوف ساكن ساكت ، والمزن مزين ، والحزن
حزين ، والاسماء سماء ، وللشماص نشاط ، وللأسحاب
حساب ، وللبرق والرعد انتحاء وانتحاب ، وللبرد من ثلجه
برد . وللمطر في نهجه طرد ، وللغيث عيث ، وللوحل ريث ، وكانون
قد اكث الربا . وشباط قد شب الشبا . والنار محبوبة
مشبوبة ، وحسدود النكب مذكوبه ، وحسدود القرب
مضروبه ، والسلطان مشغول بالصيد والقنص ، منتبهز في العمر
للفرص ، مبتهز بالبزاة والصقور ، حشاشات الوحوش

والطيور ، بكل جار جارح ، وطائر طارح ، يذني اجل الحجل
وحمام الحمام ، كأنه غريم لها لا هي الغرام ، وكل سهم ينقض
انقضاض السهم ، ويبط بطن الببط بالحزم ، وأكثر الجلوس
بدمشق في نار العدل ، وأغزر لنتجيه در الفصل . وحكم
وقضى ، واسخط بالحق وأرضى ، ووقف وامضى ، وما منع بل
اعطى ، واصاب وما اخطا ، وجاد واجاد ، وأبدى واعاد ، ووافد
وافاد ، واحسن وزاد ، واغنى واقتي واجدى واسدى ، وأولى
وولى ، وأجار واجاز ، وحاز وفاز ، وقرب العلماء ، وأكرم
الفضلاء ، وفضل الكرماء ، وتكلموا عنده في المسائل
الشرعية ، وظفروا من جوده بالوسائل المرعية ، وما كان احسن الى
الحق اصغاه ، وأسرع للباطل إلقاه * ولكل نبي فضل منه حظ *
ولكل نبي حفظ منه حفظ * ولكل محروم منه رزق ، ولكل مرزوق
الى حمده سبق ، ولكل فهم عنده سبق ، ولكل سهم عنده
فوق ، ولكل أدب لديه باب ، ولكل عاتب عدم من جوده
اعتاب ، ولكل مكرمة عنده باب ، ولكل دعوة عاف من اسعافه
جواب ، ولكل مستجد اجاء ، ولكل مستهد اهداء ، ولكل سائل
نائل ، ولكل ماحل وابل ، ولكل ظام ري ، ولكل حائم ورد
هني ، فما أسع مزنه ، وما أصح وزنه ، وما أسمع يده ، وما أضح
جنبه ، وما أعلى جنبه . وما أجد علاه ، وما أجنى كفه وما أكفى
جده ، وما أكثر حياهه وأغزر حياه ، وأرج ربه . وأبلغ محياه .
وممن توفي في هذه السنة من الملوك سلطان الروم قليج ارسلان بن
مسعود بن قليج ارسلان ، وكانت وفاته يوم الخميس منتصف
شعبان .

كان له عشرة من البنين قولى كلا منهم اقليما ، وقصد به لناد
امر ذلك الجانب تقويما ، فقوي كل منهم في ثغره ، واستقل
بأمره ، ودب في طبعه حب الاستيلاء والاستبداد ، ومد عينه الى
ما في يد صاحبه من البلاد ، وكان أكبر بنيه قطب الدين ملكشاه قد
استحكمت قواه . واستطال هواه ، وهو حينئذ متولي
سيواس ، فاطاع في التملك على ابيه ملكه الوسواس ، وسعى الى

ان أبعد من عند والده اختيار الدين حسن بن غفراس ، وصور له انه يريد ان يستولي على الملك ، وينفرد بانتهاج المسلك وانتظام السلك ، وساعده صاحب ارزنگان وأمن اختيار الدين الى المذكور واختاره ، واستأذن السلطان ان يقصد دياره ، ويقم عنده الى ان يصلح أمره مع أولاده ، ويأذن له في العود الى بلاده ، فاستصحبه صاحب ارزنگان ، وأوقع عليه في الطريق التركمان ، فقتلوه شر قتله ، ومثلوا به وبولده مثله ، فلما عرف ملكشاه أن وجه والده خلا ، وأنه عن حسن بن غفراس سلا ، ساق اليه ، وأخنى عليه ، وبخل قونية دار مملكته ، واستبد بحوز حوزته ، وقوي بعزته ، وعز بقوته ، وقال لوالده انا بين يديك ، واشفق عليك ، وأنفذ أوامرك ، وأوفر مأثرك ، وقتل أمراء كاذوا لاييه ، وألزم خدمته من لا يشتهي ، فبقي معه كالمعتقل ، يظن حاليا وهو في العطل ، واستكتبه أنه ولي عهده ، والقائم بالسلطنة معه ومن بعده ، وتعرف في خزانته وملك أقسرا ، وفرع وفري ، وقرع وقرا ، وقطع وبرى ، وقد مضى حديث ملك الألمان ، في ذلك الأوان ، وكيف وصل وعبر الى الشام ، وكيف قوي بهم في وهن الاسلام ، واستصحب معه والده الى قيسارية ولقصر اخيه نور الدين سلطان شاه وحصره ، وأظهر انه بأمر والده وأنه شاد ظهره . وخرج عسكر البلد وصف ، ووقف وكف ، ورأى قليج ارسلان ، أن ولده عنه مشغول ، وأن عقد حراسته له محلول فخرج من الصف مفارقا للولد ، وأنفصل ملكشاه الى قونية وملك تلك الامكنة ، وقد استبد بالسلطنة ، وبقي قليج ارسلان يتربد في بلاده ، وفي ضيافته أولاده ، وينتقل من بلد الى بلد ، ومن ولد الى ولد ، وكلهم يضجر منه ، ويعرض عنه ، حتى حصل عند ولده غياث الدين كبحسرو صاحب برغلو فقواء وأزره وضافره وظاهره ، وجمع وحشد له وأخذ له وما خذله وجاء به الى قونية فدخلها ، وحلّى به عطلها وخرج لياخذ أقسرا فتعذرت وتمنعت عليه وتعسرت ، واسترغب الأوجيه ، وجمع العسكرية ، فمرض فجاء به وقد توفي الى قونية في محفه ، ونزل يمشي قدامها ويظهر انه من المرض الثقيل في خفة ، حتى نخل المينة وقلعتها ، واجتازها

واجتاز مملكتها ، واستدعى الاعيان ، فاستحلفهم ، واستمالهم وتآلفهم ، ثم اظهر لهم وفاة ابيه وأنه وارث ملكه ومتوليّه ، وقوي على قطب الدين ملكشاه اخيه .

وتوفي في هذه السنة القاضي شمس الدين محمد بن محمد بن موسى المعروف بابن الفراش وكان من أهل الفضل ، والرياسة والذيل ، وهو قاضي العسكر الحاكم المحكم ، والكريم المكرم ، والسيطان يعول عليه في المهام ، وفي الامور العظام ، ويؤمله للرسائل وأخذ المواثيق والعهود ، وتولى الولايات والعقود ، ولما أخذ شهرزور سلمها اليه ، وعول فيها عليه ، وما برح بها حتى أنعم بها على صاحب اربل مظفر الدين فعاد القاضي شمس الدين فارسه السلطان الى قليج ارسلان وأولاده ، ليصلح بينهم ويعيد امرهم الى سدايه ، فتردد بينهم سنه . ولم تزل مساعيّه مستتجة مستحسنة . وعاد ووصل الى ملطية ، وقد استكمل من عمره الله العطية ، وتوفي بهسا في شهر ربيع الآخر من السنة ، وانتقل الى الله بأعماله الحسنة .

وبخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بدمشق في داره ، وممالك الآفاق في انتظاره ، والايام مشرقة بمطالع أنواره ، والليالي مترقبة صباحها لاسفارة ، ورسد الامصار مجتمعون على بابه ، منتظرون لجوابه ، والوافدون قاطفوا جني جنانه . والضيوف في فيوض انعامه عائمون . وبفروض حقوقه قائمون ، والفقراء في رياض صدقاته راتعون ، وفي كلاء كلامته راعون وادعون ، وبار العدل بالفضل داره ، واسرار المنى بالمناجح ساره ، والسلطان يجلس في كل يوم وليله لاسداء الجود وابداء السعود ، وبث المكارم وكشف المظالم وتنفيذ المراسم وامضاء العزائم ، وتشبيد الدعائم وتقدير العظام ، والاهتمام بمصالح الاسلام ، ومناجج الانام ، والاعتناء للمسلمين بما يتم في بلادهم من الخطوب ، ويتم من الكروب ، وبمجالسة العلماء ومساجلة

الفضلاء ، وموالاة الاولياء ، ومصافاة الاصفياء ، واعداء
المهلوف ، واسناء المعروف ، ومل ملازمة البلد ، وخروج عن حكم
الجلد ، وبرز الى الصيد شرقي دمشق بزاد خمسة عشر
يوما ، وأوسع من لم يوافقه على الخروج لوما ، واستصحب معه
أخاه العادل وأبعدوا في البرية ، وظهروا عن ضمير ضمير الى الجهة
الشرقية ، وطابت له الفرص ووافق مرانه القنص ، ثم عاد يوم
الاثنين حادي عشر صفر ، ووجه بشره قد سفر ، ووافق ذلك عود
الحاج الشامي فخرج للتلقي ، وسعاداته في الترقى ، ولما لقي
الحجاج استعبرت عيناه ، وكيف فاته من الحج ماتمناه ، وسألهم
عن أحوال مكة وأميرها وأهلها ، وخصبها ومحلها ، وكم وصلهم
من غلات مصر وصداقتها ، وعن الجاورين والفقراء ورواتبها
وإداراتها ، وسر بسلامة الحاج ، ووضوح ذلك المنهاج ، ووصل
من اليمن ولد أخيه سيف الاسلام ، فتلقاء بالاكرا م وأنزله في كنف
الاهتمام ،

ذكر وفاة السلطان رحمه الله بدمشق

جلس ليلة السبت سادس عشر صفر في مجلس عابته ، ومجلى
سعادته ، ونحن عنده في أتم اغتباط ، وأتم نشاط ، حتى مضى من
الليل ثلثه ، وهو يحدثنا ونحن نحدثه ، ثم صلى به وبنا
إمامه ، وحان قيامه ، وانفصلنا بأحسانه مغتبطين ، وبامتنانه
مرتبطين ، وأصبحنا يوم السبت وجلسنا في الايوان ، ننتظر
خروجه لوضع الخوان ، فخرج بعض الخدام ، وأمر الملك الأفضل
أن يجلس موضعه على الطعام ، فجاء وتصدر وتربيع في
دسته ، وجلس بسمته وسمته ، وتطينا من تلك الحال وتقلنا بحد
ذلك الحال ، ودخلنا اليه ليلة الأحد للعيادة ، ومرضه في
الزيادة ، وتوفي بكرة الأربعاء السابع والعشرين ، ونقله الله في
دسته العالي الى أعلى عليين ، ومات بموته رجاء الرجال ، وأظلم
بغروب شمس فضاء الأفضال ، وغاضت الأيادي ، وفاضت

الاعادي ، وانقطعت الارزاق ، وادلهمت الافاق ، وخاب
الراجون ، وغاب اللاجون ، وخاف الامن وخاب الامل ، وقط
الساثل وشط النازل ، وطربت الضيوف ، ونكر المعروف ودفن
بالقلعة في ناره وفجع الزمان بأنواره ، وعدمت الايام
صباحها ، والامال نجاحها ، ودفن معه الكرم ، وغلب بعد وجوده
وجوده العدم والعدم ، وبقيت تلك الايام لا افرق بين الدجى
والضحى ، ولا جد قلبي من سقم الهم وسكره صبح
ولاصحا ، وحالت حالي وزال ادلالي ، ويطل حقي واتسع
خريقي ، وتنازل جاهي ، وتنازق اشباهي واعضلت ادواء الدواهي
وبقيت المعارف متكره والمطالع مـ كـ فـ هـ ، والعيون
شاخصة ، والظلال قالصه ، والايدي يابسه ، والوجوه عابسة
وعادت أكار خواطري عانسة ، ونجوم قرائني وشواربها الأنة
خانسة كانسة ، وبقي باب كل مرتجى مرتجا ، ومنهج كل معروف
منهجا ، وظن الغنى غني ، واختلف في ضن الاحلاف بسي
ظني ، حتى تولى الملك الافضل بدمشق مقام ابيه ، وقام بالامر
بعزم تأنيه وحزم تأنيه وعز تأنيه ، فعرف افتقاره الى معرفتي
وفقرتي ، والى عطل الملك ومحل من غزارة حلب دري ونضارة حلي
دري ، فكتبت له ، وحليت من الملك عطله ، ووشيت الكتب
ووشعتها ، وجليت الرتب ووسعتها ، وهززت اليراعة * وأغزرت
البراعة ، وهجرت الجماعة ، ولزمت القناعة .

ذكر الملوك من أولاد السلطان وذويه بعده

خلف السلطان صلاح الدين رحمه الله سبعة عشر ولأذكرا وابنة
صغيرة ، وأبقى له مآثر أثيرة ومحاسن كثيرة ، ولم يخلف في
خزائنه سوى ديناراً واحداً وستة وثلاثين درهماً ، فانه كان باخراج
ما يدخل من الاموال في المكرمات والفرامات مفرما ، وكان يوجد
بالمال قبل الحصول ، ويقطعه عن خزائنه بالحوالات عن
الوصول ، فاذا عرف بوصول حمل وقع عليه بأضعافه ، وخص

الأحاد من ذوي الغناء في الجهاد بالآفه ، ولاجبه أحد بالرد اذا سأله ، بل يلف له كأنه استمهله فانه يقول ما عندنا شيء الساعة ومفهومه انه يعطى وان كان يبسطى . وإنه يصيبه بالنوال ولايضطى ، وكان ولي مجده بالشام الملك الافضل نور الدين علي ، وأنه كاسمه سام علي ، ونور فضله كسمته جلي ، وهو الذي حضر وفاته ، وفاز بملكه فما يقال حضر وفاته ، وقام بسنة العزاء ، وفرض الاقتداء بأبيه في إيلاء الآلاء وإبناء الأولياء ، وخلع على الأماثل والأمرء والأفاضل والعلماء ، وكان بالباب رسل ووفود وملوك ، ورجال لهم في مسالك الرجاء سلوك ، فخابوا وغابوا . ونهبوا وما أبوا .

ذكر من تولى ممالكه بعده من اهله

تولى ولده الملك العزيز عماد الدين ابو الفتح عثمان مصر وجميع اعمالها . وابقاها على اعتدالها ونقاها من شوائب اختلالها واعتلالها . وأحيا سنتي الجود والباس . وثبت القواعد من حسن السياسة على الأساس . وأطلق كل ما كان يؤخذ من التجار وغيرهم باسم الزكاه . وضاعف ما كان يطلق برسم العفاة . وجاد واجاد وأبدى الكرم وأعاد وبسط وقبض . وأبصر ونقض . وحل وعقد ، وبر واقتد . ووضع ورفع ومنع ومنع . وأبصر وسمع وضر ونفع . وقطع واقطع . وأصل وفرع . ووعد وانجز . وأوعز بغنى من أعوز . وبرز وبرز . وجاهد وجهز . وعرض الكتاب . وفرض المواهب . وأجرى الصدقات . وتصدق بالجرديات . وأدر وأدار . وأجاز وأجار . وأغنى وأسعد . وأننى وأبعد . وقدم امر بيت الله المقدس . واعتمد في اعتماد الأشوس الأسوس . وعجل له بعشرة آلاف دينار مصرية . لتصرف في وجوه ضرورية . ثم أمه بالحمل . وأفاض عليه من الفضل . وقرر واليه عز الدين جريك على ولايته . وقوى يده برعايته والى حمل الفلات من مصر الى القدس وأبدل وحشته بوفاة السلطان من وفاته بالأنس . وجلس في دار العدل

فصل ووصل . وأحسن وعدل . وقضى وحكم . وامضى وأحكم .
وأحضر نواب ديوانه في إيوانه . واستعرض منهم قوانين سلطانه .
واستقرى الضياع والاقطاع . وعمم الاصطفاء والاصطناع . وحل
من اقام بالشام . وألزم جند مصر بالخدمة والمقام . وما أبقي إلا ما
في يدي من الضياع . وصان حقوق من الضياع . وأمر بتخليصه .
وأجد جدي بتجديده . فجاءني كتابه الكريم بكل كرم مكتوب .
ومحبوبه من الرغد محبوب . ورعى في عهد الوالد . وأضاف الطارف
عندي من العرف الى التالذ . هذا وأنا غائب . ويرائي رائب .
ولسواء كاتب ونائب . وما احوطني في النوال الى السؤال . وأغثاني
عن الارسال . ولم تفتقر مقاصدي ووسائلي الى تسيير القصاصد
والرسائل . وما أغرب بدار فواضله حلول بدار الافاضل . ثم أشفق
من غير الفرنج في فسخ الهدنة . فأتى من تجهيز العساكر الى البيت
المقدس بكل ما في المكتبة . ثم سمع بحركة المواصله ومن يسامعهم .
وتابعهم وشايهم . قد خرجوا في ايمانهم حاشين . ولعقد ايمانهم
ناكثين . فخير بركة الجب . واستشار امراة . أهل الرأي واللب .
وجهاز جيشا جائشا . وبعثنا لعتار الدولة ناعشا . في كل مقدم
مقام . وهمام همام . وضيغم ضرغام . وقرم قمرم . فوصلوا الى
دمشق وقد فرغ العادل من حرب القوم وسلمهم . وهز منهم اعطاف
الاستكانة له بعد هزمهم . فرأى ان الحمد اعود والعود احمد .
وسياتي ذكر ذلك في مكانه . عند ذكر الملك العادل ومارفع الله من
شانه .

ذكر دمشق وما يجري معها ومن تولاها

وتولى الملك الافضل نور الدين ابو الحسن علي ولد السلطان
دمشق والساحل وما يجري مع ذلك من البلاد ونفدت البلاد وأمره .
ونفدت في الرجال نخائره . ورتب الامور اجمل ترتيب . وهذب
الشؤون اكمل تهذيب . وجلا السريير السلطاني بيوره . وأسفر
صباح الاقبال باقبال سقوره . وهدي وهدا وملا بالبشر المتبلج

والنشر المتأرجح الملا . وهذب وانهب . ورغب وارهب . ورتب وربت
واصلى واصلت . وأثر وأرث . ولم الشعث . وابهى وابهج . وأجد
المنهج المنهج . ورجح ونجح . ومن وشح ، وارسى وارسخ . وبذ
وبذخ . ووعد وأوعد . وجدد الجدد . وأذاع بجميته سر حمايته
وأعاذ . ووجد الملاذ من وجد منه الملاذ . وأمر وأمر . ونضر ونظر .
وعز وأوعز . وحاز وحز . وساس ورأس وملك لباس والناس .
وأشاع البر وأعاش . وأشيع الجياح وروى العطاش . واستخلص
ذوي الاختصاص . واختص أهل الاخلاص . ونهض واستنهض .
وعرض واستعرض . وربط عزمه الرباط وأحاط علمه وحاط .
وحفظ أولي الحفائظ . ولاحظ العرف وعرف انه لاحظ لغير
اللاحظ . وصنع واصطنع . وأبدى وأبدع . ومد الظل واسبغ .
وسوى الفضل وسوغ . وأهمى العوارف . وأهمى الرواف . وحقق
الحقوق . ورتق الفتوق . وضم الملك ونظم السلك . وجلس في دار
العدل ، وأتى بالحكم الفصل ، وحزم وحزم ، وعزم والتزم ، وزاد
وزان . وأغاث وأعان . وأبرأ أرباب الهوى . وأمر من أرباب التقوى
القوى . وحمل النابه . ومحا المكاره . وفاض بفزارة العطايا .
واستفاض بطهارة السجاي . وأوى إليه اخوته . وضم جماعته .
وجهاز أخاه الملك الظافر مظفر الدين خضرا . وأصبحه أسكرا
مجرا . وأنهضه لانجاد عمه الملك العادل . فانار في فضاء الفضائل .
وسار الى الجحفل الحافل . فالتزم الشروع . وهزم الجموع .
وقارع القروم . وكان الهازم والعدو المهزوم .

وكانت حمص والمناظر والرحبة وبعليك وما يجري معها في المملكة
الافضلية باخلة . وأمداد طاعات الولاة والاولياء بها متداصلة .
وصاحب حمص والرحبة الملك المجاهد اسد الدين شيركوه بن محمد
ابن شيركوه ابن ابن عم السلطان وهو اثير الشأن اثير المكان .

فوصل الى دمشق مطيعا . وأسر صدقه وذشر صداقته مزيها
مشيها . فأحلى له الملك الافضل جنى شهيداء وأحله جنابا وسيعا .

وعقد له حبا الحب ، وحياء بكل ما سقر عن سفور مونة القلب .
ووفور مواد القرب .

وكذلك وصل صاحب بعلبك الملك الامجد مجد الدين بهرامشاه بن
فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب طائعا . وللأمر الأفضلي تابعا .
فأنشاه واجناه . واحبه وحباه . وأسناه وأسماه . وأواه وأساه .
فتأكلت بينهم القرابة المتشعبة . وتشبكت اللحمة المتنسجة .
وتمهت الأصرة المتمزجة . وفتحت أبواب الألفة المرتجة . وتوافوا
على التوافق . وتصادقوا على التصانق . وتعاضدوا على الأخذ
بالتساعد . وتعاهدوا على ترك التقاعد .

ذكر حلب وما يجري معها

وتولى حلب واعمالها وحصونها ومعاقبها . وكرائم البلاد
وعقائلها . الملك الظاهر غياث الدين أبو الفتح غازي . وهو برجachte
وسماحته للطود والجود الموائن الموازي . وتلك مملكة اقطارها
واسعه . وامصارها شاسعة . فحواها وحماها . وبماء العدل
رواها وقواها . واعز رجال الرجاء . وهز اعطاف العطاء . ورحب
لورانه . ورواه رحابه . وسحب بحيا الاحياء سحابه . وابرت
ميراته . واثرت مأثراته . وسح وصح غيثه وغياثه . ورعى رعيته
فشبعث ورويت ظماؤه وغرائه . وزخرت امواجه . وزهرت بثواقب
المناقب ابراجه . وصابت سماء سماحه . وطابت صبا صباحه .
وعزت بسيرته كتب التواريخ . وعزى قلمه وسبقه الى عطاره .
والمريخ . وسعدت وفوده . ووفيت سعوره . واثر من امره النفاذ .
وكثر بظله اللياذ . وادنى الابرار . واقصى الاشرار . وخص الاعزة
الخواص . وتمهد لسلطانه الأساس . واطرد لاحسانه القياس .
ووحد من عثر من ايد يده الانتعاش . وعشا الى جدواه المجتدي
وعاش . ورفض القرص . ورفض الرخص . وادى القروض . وقضى
القروض . واستثنى من المناجح شاحطها . واستدرك من المصالح

فارطها . وملك خلق التحفظ . وسلك طرق التيقظ . وفرق وجمع .
وخرق ورتق . وغلب وبلغ . ودمى اهل الكفر والنفاق ودمغ . وشفى
واشتفى . وكفى واكتفى . وراع وراق . وفات وفاق . وطلب
واترك . واخذ وترك . وفاض بالفضل . وراض بالعدل . وقدم
الحزم . وصمم العزم . واحيا السنن . وأولى المنن . ولها بالجد عن
اللهو . وانتهى بالعدو الى اليأس المر وبالأولي الى النائل الحلو . وأمر
ونهى . وأوهن معاهد ذوي المكاييد وأوهى . ووفى للوفى . وصفا
للصفي . وأقر المبيره واعمالها وما يجري معها على اخيه الملك
الزاهر مجير الدين داود . ولم يزل مقبولا أمره غير مردود . وبخل
في أمره صاحب حماه . وأعزه وحماه . وهو ناصر الدين محمد بن
الملك المظفر تقي الدين واتسع الملك واتسق السلك . وكاتب الجوانب
وراسل . وفارق من رأى وواصل . وطال باعه . واطاع اشياعه .
وهمت همته بالزيانة وسمت اسمت السيادة .

ذكر الملك المعادل سيف الدين امي بكر بن ايوب اخي السلطان وما جرى له بعد وفاة اخيه

كان الملك المعادل مع السلطان في الصيد قبل وفاته . وكان موافقه
ومرافقه في مقتنصاته . فلما عاد السلطان الى دمشق ودعه ومضى
الى حصنه بالكرك للاستراحه ، غير مطلع في سر الغيب في الاقضية
المتاحة . فتابه النائب . ولم يحضر وقت احتضاره الاخ الفائب .
فلما عرف وصل الى دمشق بعد ايام ولم يقم لتفيس كرب الحادث
ولم يحدث نفسه بمقام . ولم يرم ثلاثا ولم يرم لباثا . ورحل طالبا
لبلاله بالجزيرة . حذرا عليها من اهل الجريرة . وكان السلطان
جعل له كل ما في شرقي الفرات . من البلاد والولايات . ومضى كما
ومض بارق . وتخوف ان يطرق بلده طارق . فلما وصل الى
الفرات . وجد ما خافه دلائل الفترات . فأقام بقلعة جعبر . ولم
يحدث ولم يستحضر العسكر رغبة في السلم والسلامة . ومحبة للدعة
المستدامة . وسير الى الولايات الولاة . ووصى برعاياه الرعاه .

واستتاب في؛ ميافارقين، وحاني، وسميساط، وحران، والرها . وشحنها بالشحن واستقام امرها وحسب ان الاعداء انا سمعوا بسمعه . جمعوا لجمعه وتنافعوا لدفعه . وسكن وسكت وتبين وتثبت . وعلم العدا أنه في خف فخفوا وعرضوا وصفوا . وما كفاهم ما هم فيه فهموا وما كفوا . وسافوا تراب الطمع واسفوا . فجرت حركتهم وهلكتهم . وانهب الله عند مجيئهم بركتهم .

ذكر اهل الشمامات وما قدر الله لجمعهم من المشتات

كان الامير بكتمر صاحب خلاط . قد هجر الاحتياط ووصل النشاط . وضرب البشائر لريز صلاح الدين . وظهر في الذوب الخمس بشعار السلاطين . وتلقب بالملك الناصر . وحدث امله بجر العساكر . وراسل صاحبي الموصل وسنجار . وطير اليهم كتب الاستنقار . وضم اليه من ماردين ، مارين ، وطار وطاش . وارتاش وانتاش . وغلط من خلاط الاوشاب والاباش . فيينا هو في اتم غرور . واذم سرور . واحب حدير . واشب سدفور . وارقد عين . واغفل قلب . وانهل لب . واطول امل في اقصر امد ، واكثر مدد في اقل مدد . وقد خرج من الحمام . ولم يدرا انه داخل الى مغتسل الحمام ، استشهد على ايدي الاسماعيليه . ولعل الله غفر له ونقله بشهادته الى جنته العليه ، وذلك بخلاط يوم الاثنين رابع عشر جمادى الاولى من هذه السنة . وكان ايامه كانت احلاما رؤيت في السنة . واول بادئ بالخروج متولى مارين فانه مرد . وحشد المدد ، ونزل على حصن الموزر . بالعزم المزور والجدمزور . وهنا الحصن كان السلطان اقتطعه عن اعمال مادين . حين كان اهله عليه مارين . فلما صالحهم استبقاه واستثناه . واضافه الى تائبه بالرها واعطاه . ثم تحرك عز الدين اتابك مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل . وخرج في الجحفل الحفل . واضافه اخره عماد الدين زنكي بنصيبين وخرجوا لنداء اللقاء مجييين . وقدموا الرسل الى الملك العادل سيف الدين . وقالوا : تخرج من بلادنا .

وتدخل في مرادنا . فكتب الى بني اخيه يستنجدهم ويستدفعهم .
ويستصرخهم ويستنصرهم . فأنجده بالامداد . واعدوه بالانجاد .
فجاؤوه من كل فج ووافوه فوجا بعد فوج . وكان انجاد حلب اقرب .
ولدر الاسعاف احلب . ولما عرف الملك الافضل اغتتم واهتم . وجمع
عسكره وضم . وخص وعم . وكتب الى صاحبي حمص ويعلي بك .
واستدعى عسكرهما الترك . فسار اخوه الملك الظاهر مظفر الدين
خضر . وروض عسكره بورق الحديد الاخضر نضر . والملك العادل
لقدومه منتظر . واما المواصلة فانهم ما اسرعوا بل ابطأوا ،
وما اصابوا بل اخطأوا . وسمعوا ان الامداد العادلية الوافية
متوافية . وان فئته كافة كافيه مكافيه . فتجنّدوا وتجنّدوا . وكانوا قد
وصلوا الى رأس عين فأقاموا وسكّوا . والملك العادل مخيم بظاهر
حران في جموعه وجنوده . واعلامه وبذوبه . ومساعديه وسعونه .
وعزّه على اللقاء مصمم ، وقلبه بحب الظفر مقيم . وجنده غالب .
وحده سائب . وجنده لظياء النصر جالب . ولطيب الذكر جالب .
وسيف سيف الدين باقر واطر . ولحظ الشمس من غبار خيله الساتر
فاتر . وتقارب العسكران حتى ان الطلائع تتواجه وتتجاه . ورجال
اليزك تتناجي وتتناجه . وكان من قضاء الله المحتوم ، وسر قدره
المكتوم . تقليل غروب القوم وتقليلهم . وحرار تأملهم وخار تأميلهم .
وجفل رالهم ورتع رعيّهم . وذلك بما قدره الله من مرض اتاك
صاحب الموصل . ولم يطق الاقامة بالمنزل . واشفى على الخطر .
واشرف صفو حياته على الكبر . فعاد الى الموصل في محفه . ورجا
ان يتبدل ماالم به من ثقل الم بخفه . وقهقر عماد الدين راجعا ولن
وثق به اشياعه فاجعا . وتضرع صاحب ماربين وتذرع . وتشفع
بالامراء والاكابر وخضع . حتى وقع عنه الرضا . وصفع له عما
مضى . واجري على القاعة السلطانية معه . وكان قد ضاق به
الفضاء الرحب لولا العفو عنه وماوسعه . ورأى عماد الدين ان
القوم خاذوا واستكانوا . ومارعوا له العهد كما كانوا . فاضطر الى
الانكفاء وكف عن اللقاء . فخلا الجو . وجلا الضو . وعلا النو .
وأتى الملك العادل الخبر بوصول ابن اخيه الملك الظاهر الى الفرات .
في عسكر دمشق اهل الثبات . فكاتبه بمنازلة سروج وهي من اعمال

عماد الدين . وامنه باين تقى الدين واين المقدم عز الدين ليث
القرين . فنزلوا على سروج يوم السبت ثامن رجب وقتضوها يوم
الاحد تاسعة واستولوا على البلد وامالكنه ومواضعه . ورحل الملك
العادل منتصفا رجب الى الرقة وتسلمها في العشرين منه . وكانت
اليد البيضاء فيها للملك الظافر على ما ذكر عنه . ثم رحل وتملك بلد
الخابور جميعه ، وعاد كل من عصاه من مقطعيه مطيعه . وجاء الى
نصيبين ونزل بظاهرها . وشرع في ضم نخائرها . فجاءت الرسل
العمانية في طلب الصلح . واسفر ليل الحرب بسنى السلم عن
الصبح . ورحل ونزل دارا . وكان صاحبه دار مع القوم وما داري .
فيسط غزوه . وقبض ذعره . واتاه خبر وفاة صاحب الموصل
وتسليم بلده من بعده . الى نور الدين رسلان شاه ولده . وجرى بينه
وبينهم صلح . وكان له في كل سفرة تجارة وربح . وكتب اليها ان
اهل خلاط كاتبوه . وعلى تأخره عنهم عاتبوه . وان كل صاحب
حصن قد ضبط موضعه . وانتظر مطلعه . فانه تولاهم بعد بكثر
المعروف بالهزار بيناري . فلم يرضوا بايائته لخلاط ولم يروه كفروا
لتلك الهدى . ثم اشرف العادل على خلاط . فوجد اهلها قد كملوا
الاحتياط . ورأى ان البرد يشتد . واعد الحصر يمتد . فعاد الى
حران والرها . واعرض عن مضالطة خلاط وتأخر الى الربيع
امرها .

فصل في المعنى انشأته الى الديوان العزيز في آخر رجب عن الملك الافضل

لا شك في احاطة العلم الاشرف بحال الفين الفين حالوا عن
الانصاف بالانصاف ومردوا ومروا لخلاف الخلاف . وعادوا عن
خلق التلافي الى الائتلاف . وبددوا بالانتظام في سلك الفدر شمل
الائتلاف . ونكثوا بعد ايمانهم . حتى قيل كفروا بعد ايمانهم .
وباءوا في بغيمهم بغيمهم . وابدوا قوتهم في وهبهم وعزموا انهم اذا
زعموا نالوا فرصة . ووجدوا اذا جدوا في العزيمة رخصة . وجاؤوا

الى البلاد التي للخدم من انعام امير المؤمنين صلوات الله عليه
ليتملكوها . واستسهلوا سبل الضلالة بعد الهدى فسلكوها .
واغتروا باعتزازهم واعتزوا باغترارهم . واصيبوا اذ لم يصيبوا
ببصائرهم وابصارهم . وبخلوا في دائرة السوء وخرجوا من
ديارهم . واجتمع صاحب الموصل واخوه صاحب سنجار وصاحب
ماربين وحسدوا وحشدوا وما الظن بشر الحاسدين الحاشدين .
ووعدهم الشيطان فصدقوا كذب الواعدين ، وكان العم الملك العادل
سيف النين قد توجه الى تلك البلاد ؛ لابقاء امورها على السداد .
واثقا منهم بالمواثيق . محتفلا بالوفاق الحافل الافاويق . وهو في
خواصه . وذوي استخلاصه . لم ينتظم عسكره ولم ينضم اليه
معشره . ولم يصف لدفع الشوائب وردع الفوائد موريه ومصدره .
فلما عرف نكرهم . وعلم في مكرهم مكرهم . توافت اليه الجموع .
وحنت على قلبه المضلوع . وحنت الى اصله الفروع . وتوافد اليه بنو
اخيه في الجنود . وتوافوا نجدة ساعدت السعود وامد الاخ الملك
الظاهر من حلب بالامداد المتظاهرة . والانصار المتناصرة . ونذب
الخام اخاه الظافر خضرا وانهضه . وسار معه عسكره الذي
بدمشق عرضه . وسمع الاخ الملك العزيز خبر القوم . وانهم من
حول ورد الردى على الحوم . فاخرج المضارب وابرزها . وانفق في
المساكر وجهزها . وذكر عنة النجدة فانجزها . واهتبل فرصة
الفريضة وانتهزها . واقبل على نخيرة الفضيلة فاحرزها . وتحركت
السواكن . وثارت الكوامن . وهاجت الاقطار . وماجت البحار ،
وشابت الاكمار ، واصابت الاقدار . واظهر الله قبل الاجتماع معجز
اياته في اهل السمات . وخص جمعهم بالشتات وحيلهم بالبتات ،
وحص من تلك الثبات اجنحة الثبات ، وشغل كل منهم بوباله وباله ،
وحطه من بقاع اعتلائه الى حضيض اعتلاله . واعادهم على
اعقابهم ناكسين ، وبعقابهم ناكسين ، وفي ارائهم وارايبهم ناقسين
واظهر الله في كل واحد من اعداد الاعداء اية للعانة خارقة . وقدرة
لاقدار الاولياء للاسعانة خالقه . وقتلهم ومقاتلوا ، وقابلهم
وماقابلوا . وغادر الغادرين عبرة للمعتبرين ، وعظلة للمتفكرين .
وعلم صاحب ماربين انه اخطأ وما اصاب ، فابان عن ندمه واناب ،

وتعرض للعفو عنه وتضرع ، وتشفع بالامراء في امره وتذرع ، فأبديت له صفحة الصفيح ، وعانت له بعد عابية الضر عانة الربيع ، وأجري على القاعة المستقرة له في عهد الوالد رحمة الله عليه . فرضوا بما فرضوه من الطاعة وثابوا اليه . وكان الاخ الملك الظاهر خضر قد وصل الى الفرات . حين حكم الله لجموع اولئك بالشتات ، فعبر الى سروج يوم السبت ثامن رجب . وقلب العدو من الفتح الذي وجب وجب ، وفتحها يوم الاحد ضحوة . وجاءت هذه المنحة من الله حظوه . ورحل الملك العادل بالعساكر الى الرقة لاسترجاع وبيعها المستحقة . وهذه بركات استمرار العبيد على طاعة المواقف المقدسة وييمن الائتثار بأوامرها . وسفور الوجوه لمواجهة سوافرها . وماالسعاية الا لمن شملته سعوبها . وماالجد الا لمن وصله جوبها ، وماالكرامة الا لمن كرمته عنده بالوفاء عهوبها ، وماالعصمة الا لمن لزمت في حمده النعماء عقوبها .

ذكر سيف الاسلام باليمن

واقليم اليمن مستقر للملك ظهير الدين سيف الاسلام طغتكين بن ايوب اخي السلطان ، وهو هناك سلطان عظيم الشأن ، مستول على جميع البلدان . مختص في مكانه بالامكان . وكان قد وصل ولده مع الحاج قبل وفاة السلطان بايام . فلم يظفر بمرام . ووصل كتابه الى اخيه . وهو غير عالم بتوقيه . فلما استقر الملك الافضل على سرير ابيه كاتب عمه سيف الاسلام بقمه . وهم في كتابه بما كتب الله من هم . والكتاب بانشائي عن الملك الافضل يشتمل على شرح مالم . وخص به الرزء وعم .

وهذا كتاب يشتمل على سيرته وكتيبته جميعه وهو: صدرت هذه المكاتبه معربة عن النبا العظيم . والخطب الجسيم . والرزء العميم . والحادث الاليم . والكارث المقعد المقيم . والنائب الباغث . والمصاب الساحت . والفجيعة الفاجية . والنكبة الناكية . والطارقة الطارية .

واللمة المؤلة والبلية البارية . والواقعة الرائعة . والصدمة
الصادعة . والحذرة اللافحة . والروعة الفادحة . والغمة التي غامت
بها الايام . وغم لها الانام . واعتل منها الاسلام . واحتل النظام .
فقد عذمت المطالع ضياعها . والمشارع صفاءها والثغور سدائها .
والامور سدائها . والعيون قرتها والنفوس قرارها . والقلوب ثباتها
والجفون غرارها . والايدي ايدها والوجوه سفورها . والصدور
انشراحها . والاسرار سرورها . فقد فقت الدنيا بهجتها . وضلت
العلياء محبتها . واهتدى الضلال الى الهدى . واقتوى نايي
الندى . واقتوت مغاني الغنى . واكفهرت مجالي السنى . وامرت
مجاني المنى . وخفيت مناهج المناجح . وعطلت مناهل المنايح .
وعميت مناهب المواهب . واظلمت مطالع المطالب . وارتجت ابواب
الفتوح . وبتت أضواء الوضوح ودرست معالم المعالي . وطمست
زواهر الليالي . واضطربت النعماء . واضطربت الدهياء وبطلت
مواسم الحق . وابهت مظالم الخلق . وانقطعت مسالك الجهاد .
وتفجعت ممالك البلاد . وأخلقت عدات الاعداء على الاعداء .
وانكسفت انوار امال الاولياء . وذلك بما اجرأه الله من قضائه
المحتوم . وأظهره من سر قدره المكثوم . بمصاب مولانا الملك الناصر
روح الله روحه . وروض في جنان رضوانه وغرفات غفرانه ضريحه .
فقد عظم الخطب وجل . وحل عرى الجلد حين حل . وثلم غرب
الصبر وفل . وأجرى غرب الدموع . وازكى كرب الضلوع . وبست
حبلى اللاجئين . وشتت شمل المراجين . واعلمنا أن الدنيا البنية
حبالها رثا . وحبائرها غثا . وعقوبها انكا . وسهولها
أوعا . وقصورها اجنثا . وسرورها غرور ومراهبها احداث .
وسكونها قلق . وامنها فرق . وصحتها سقم . وأملها ألم . وغبطلتها
ندم . ووجوبها عدم . وبقاؤها فناء . ونعيمها بلاء . وراحتها
عناء . وملكها هلك . وسرتها هتك . واخذها ترك . وسلمها حرب
وصلحها فتك . ووقاؤها غدر . ووقاها مكر . وعرفها نكر .
ووصلها هجر . وخيرها شر . ونفعها ضر . وجبرها كسر .
ومتاعها قليل . وباعها في التناول طويل . ومالعتها مقل . ولا في
ظلمها مقل . ولا رب فيها لأريب . ولا الباب فيها لليب . فان

ظلالها قاص . وفضلها ناقص . وعمرها قصير . وغنيها فقير . وريها جرع . وزنها خدع . وحليها عطل . وسعيها زلل . وإجداؤها إجناب . وإعطاؤها إعطاب . وإصحابها إظلام . وإرغابها إرغام . وسماحتها بخل . وسجاحتها عتل . وعقدتها مفسوخ . وعهدتها منسوخ . وربحها خسار . وجرحها جبار . ويسارها إعسار . وخصبها محال . وحبها محال . وعمارتها شعث . وشيبتها عيث . وعيث . وترايبها تراث . وللاسكنها اساس . وللاسكنها اثاث . ولاكيها في كيبها يد . ولامكرها في جد مكرها جدد . والسعيد من استعد في معاشه للمعاد . واستكثر مدة مقامه في الدنيا لسفر الآخرة من الأزواد . ومن نظر إليها بعين القلى . وعرف أنها دار البلاء والبلى . وتقوى فيها بالتقوى . وجد في الأعراض عن جدواها للفرز العرض بالجدوى . ولقد كان السلطان السعيد قدس الله روحه بحقيقته عارفا . ولزخرفها عاذفا . ومن ملكها أنفا . وعن مالها متدفا . فاشتغل عن الدنيا بالدين . وخصه الله بتأييده في علم اليقين . واقتدى بسنة النبي صلوات الله عليه فما زاغ بصره وما طغى . (ونهى القدس عن عن الهوى . فإن الجنة هي الماوى) (النازعات : ٤٠ - ٤١) ووقف حياته على أحياء معالم الهدى . والاعلان بشعار التقى . وإعلاء منار الجهاد . وإشاعه سنن العدل والاحسان في البلاد والعباد . وإفاضة سجال الفضل والافصال . حتى كفل جوده بفيض الارزاق ووفى بنجح الامال . وأخلص لله عمله . ولأملك ملكا ولاتمول مالا الا في سبيل الله أنفقه وبذله . وكان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من كان لله كان الله له) . فلا جرم أذل الله له الملوك الأعزة . وهب لأعطاف الدولة للتباهي بملكه الهزة . وملكه الاقاليم والامصار . وأجرى بأقداره الاقدار . فأزال عن مشاريع الشريعة الاككار . وعطل البدعة بمصر واليمن والشام . وقمع اعداء الاسلام . ومد الله في عمره حتى بلغ المراد . وفتح البلاد . ووفى في حق الجهاد الجد والاجتهاد . وقدر على ما أعجز عنه الملوك . ونهج في نصره الدين نهجا أعوز من قبله فيه السلوك . وأخرج القرنج عن الساحل وابانها . وملك عليها نيارها وبلائها . وأوهى على الكفرة معاهد معاقلها . وطال بحقه على

باطلها . واقمى عن المسجد الاقصى مذبذبه . وازال عنه ايدي
غاصبيه . واصرخ الصخرة المطهرة وطهرها من الارجاس . وابعد
عنها اجناس الانجاس . وقهر الكفر وخذله . ونصر الايمان
واخذله . واحيا للكرم كل سنة حسنة . واستمرت محاسن ايامه
سنة بعد سنة . وتعديت بعدله الجوانح . وتذلت بباسه الجوامح .
ودانت وبنت له الممالك القاصية . واذعنت إذعنت لحكمه الاماني
العاصية . وملكت القلوب والقبول مهابته ومحبته . وعمت الخواص
والعوام عارفته وعاطفته . ونفخت في الشرق والغرب مراسمه .
وقامت بالحمد والشكر مواسمه . ووفت بامل الداني والقاصي
والطائع والعاصي مكارمه . واسعه الله وامهله . حتى حقق في ذويه
امله . وولى في كل اقليم من يعمل لله في العدل والاحسان عمله . ثم
توفاه حميد الاثر . كريم الورد والصدر . ظافر الرجاء رائج الظفر .
صالح العمل . ناجح الامل . طاهر القطرة . ظاهر النصرة . كاسيا
من الفخار . غاريا من العار . مرتليا بثوب الثواب . مرتويا من
صوب الصواب . مبتهجا بنصرة النعيم . متارجا بعرف نسيم
التسليم . وما كان ابهج الايام بايامه . والاعصار بمزايه .
والامصار بمحاسنه . والاسلام بسلطانه . والافاق بسني احسانه .
وما كان اسعدنا بجدوده . واجدنا بسعوده . واغنانا بعدله وجوده .
فقد فقد الصباح فلا سنى . ودفن السماح فلا جدوى ولا جنى .
وغاض البحر فلا غنى . وهو الطود فلا ثبات . وذوى الروض فلا
نبات . ووهى الركن فلا سند . وانتهى اليمن فلا جدد . وغلب الكمد
فلا جلد . وعز العزاء فلا عزه . ولا قوة ولا عضد . إنا لله وإنا اليه
راجعون . ولأمره تابعون ولحكمه طائعون . ولا راد لأرادته .
ولا صائد لمشيئته . ولا صائد لمصادف قضائه . ولا صارف لصرف
بلائه ولقد كانت الانوار تغرب . والانواء تعزب . والمنابع تغور .
والصنائع تبور . والاحوال تحول . والاهوال تهول . واضواء
المعارف لاتضيء . واقياء العواطف لاتفيء . وزهر السماء لاتشرق .
وازهار الروض لاتؤنق . ومعاهد الاسلام تهني . وميامن الايام
تنتهي . لولا ان الله تبارك الارماق بالطفافة . وتلاقى الامال
باسعافه . وجلا وجه التعمى من خلال اليوس . واهدى البشر بعد

العبوس . وانزل السكينة عند الزلزال . على النفوس . واجرى
الدولة على احسن العوائد . وارشد المقاصد واثبت القواعد . من
استمرارها على الالئام . واستقرارها في النظام . واستدرارها
بأماويق الوقاي . واهلال بدورها غب الحاق . وطلوع شموسها من
الافاق . وارتفاع فروعها في سماء السمو . وامتداد اصولها في
منايب النمو . وانفتاح احداقها النواظر عن نور الابصار . وانفتاح
حدايقها النواضر عن نوار الازهار . حتى اجتمعت الكلمة المتفرقة
واتحدت . وانتظمت الالفه المتباعدة وتساكت . وسكنت القلوب
الراجفة واذست . وسكنت الالسنه المرجفة وخرست . وانارت
الخواطر المظلمة . وافاقت الظنون الراجمة والافكار المنقسمة .
وزاد الرنق وزال الرنق . وانجلي الفسق . وتجلي القلق . واستقامت
الامور . واستقامت الى حفظها الثغور . ووصلت الكتب العزيزية
والظاهرية من مصر وحلب . بكل ما انجح الارب ووصل السبب
ومرى در النصر وحلب . وبكل ما اظهر القوة وقوى الظهر . وشد
الاذر . وامر الامر . وسر السر . ونصر الحق وحقق النصر . من
الموافقة والموافاة . والموالاة القاضية من الجدة المنجدة بالموالاة .
والتابعة والمشايعه في كل امر يبرم . وكل حكم يحكم . وكل عزم في
قمع العدا يصمم . وكل عقد في نصر الهدي يلزم ويتم . ووصل
المولى الملك العادل فتولى امر المملوك بكل ما اوفق ايثاره . واشاع
على عابه الوالد رحمه الله تعالى شعاره ورفع مناره . واخلي من
كل شاغل باله ورفه اسراره . وراح افكاره . وما في الجماعة الا من
خطب الجمعية وخطب في الجمع . واعرض عن الهوى للحق المتبع .
فالكلمة متعده وإن كانت الانفس متعدده . وما اخلقت هذه الدولة بل
استمرت على تجدد الايام متجددة . وانما اشفقت في حال الصدمة
الاولى وبه الرزية الطولى على بيت الله المقدس . ومن غدر الفرنج
يقصدها فان الغدر شيمة لهم في الانفس . فوقى الله شهرهم . ودفع
مكرهم . واوهى امرهم . ولم يزل من قلوبهم الرعب . ولم يؤثروا
على الصلح الحرب . بل طلبوا بقاء السلامة بأبقاء السلم . وخطبوا
اجراءهم في الوفاء بعقد الهدنة على الرسم . ويركات نية المرحوم
شملت . ووصاياه نفذت وكملت . وتوجه الملك العادل الى بلاده

الجزرية . شرقي الفرات لاصلاح تلك الولايات . واخراس شقاشق الهادرين بالارجاف من اهل الضمات . ويرد بالباس مكاييد الحاسد الحاشد . والحمد لله الذي اجد الامن وقد عرت المضافة . وانزل الرأفة وقد فجأت الافة . وابقى الاسلام بعزه والكفر بذه . وثبت قواعد الملك الناصري بجمع شمل اهله . واحيا بهم سني احسانه وعدله . وشيمتي فضاله وفضله . وفي دوام اقبال المجلس السامي دوام اقبالهم . ونظام احوالهم . وسبوغ ظلالهم . وبلوغ امالهم .

ذكر ما افترضه الملك الافضل من خدمة دار الخلافة
المعظمة وانفاذ رسوله بعبدة والده مع هدايا وتحف
سنايا

لما استقر الملك الافضل بدمشق في مقام والده . وشفع طارف ملكه بتاله . وازاد موروث الفضل الى مكتسبه . واكرم نسبه بكرم حسبه . بدأ بالاهم الافرض . والاتم الامحض . فقدم الى الديوان العزيز النبوي نجابين بالكتب . وانهى الحال فيما الم من الخطب . ثم ندب ضياء الدين القاسم بن الشهر زوري في الرسالة . الى منزل الرسالة وموقف الجلالة . واصحبه عنة والده في الفزة . اوان لقاء العدة . وسيفه ودرعة وحصانه وازاد الى ذلك من الهدايا والتحف والخيال العراب ما استندف وسعه وامكانه . فما تهيا مسير الرسول الا في اواخر جمادى الآخرة . حتى حصل كل ما اراده من الهدايا الفاخرة . وحتى كاتب مصر وحلب واعلم بمسير رسوله . حتى لا يظن انه انفرد بسوله . وقصد منارة اخوته . وفضل بفضل نخوته . وذلك بعد ان جسد نقش النيزار والدرهم بسمتي امير المؤمنين . وولي العهد عنة الدين . وامرني بانشاء الكتب وتحريرها . وتقريب المقاصد فيها وتقريرها .

فصل من الكتاب الى الديوان العزيز بعد ذكر الدعاء

اصدر العبد هذه الخدمة وصدره مشروح بالولاء . وقلبه معمور
بالصفاء . ويده مرفوعة الى السماء للابتهاال بالدعاء . ولسانه ناطق
بشكر النعماء . وجنانه ثابت من المهابة والمحبة عن الخوف
والرجاء . وطرقه مغض من الحياء . ووجهه مقبل نحو قبلة
الاستجداء . وهمته في العبودية فارعة ذروة العلاء . وهو للارض
مقبل . وللغرض متقبل . وبالطاعة ماثل . وللاستطاعة باذل .
ولللجهد والاخلاص . عارض ضارع . وفجر فضره من الصحة
والمناصحة صادق صارع . وهو يمت بما قدمه من الموات . واسلفه
من الخدمات ونخره نخر الاقوات لهذه الاوقات . واتخذة عصمة من
النائبات . وعونة من الطارقات . ومؤلفا للشمل عند شمول الشتات
وعروة للاعتصام بها في ا زمن الازمات . وسلوة من الالاسي واسوا
الجراح المصيبات . ولاخفاء بما اخافه . وفاض له من بحر البرح
وضافة . واغاض نطافه . وعاق اوان رجاء جني النجاح نطافه .
لولا ان الله تداركه بفضل له واولاه الطافه . فانه نعمه ما هدمه وفجأه
ما فجعه . وبغته من الرزء ما صد عنه العيش وصدعه . وتابيه
مارابه . وجرحه مصابه صابه . ووافاه من وفاة والده رحمه الله
ما كدر صفو الحياة . ومحا عن صفحة صبحه لية الاياه والم بالم
الامل . واحال الحلى الى العطل . وحلا عن النهل
والعلل . وانهب بهجة الايام . واشمت الكفر بالاسلام وسر الشرك
منه ماساء التوحيد . وقرب من اشفاق القلوب واشفاء الكروب
البعيد . وعطل الجهاد وراح الحديد . وشب حقود العداة على انها
ما شبت الا لتخمد . وشام حدود العتاة على انها ما شيمت الا
لتفمد . وهذا الحادث ارجف المرجفون بحديثه . واثاروا كوامن
الثار وحركوا سواكن الاوتار بتأثيره وتأريثه . واخرج اهل النفاق
رؤوسهم من كل نفق . وعاد ثبات ثباتهم الى نفار وقلق . ومن كان
مستمسكا من ولاء النار العزيزة بالعروة الوثقى . مستمسا من عدد
ايامها ومسند انعامها بالدرع الاقوى الاقوى . فانه لا يحتفل بحقوق

أخلاق أهل الخلاق . ولايتحلل طود حجاه الراسي وحصاه الراسخ
لعواصف ذوي الاجحاف . وقد أحاطت العلوم الشريفة مجدها الله
بأن الوالد السعيد . الشديد السديد . المبير للشرك المبيد . لم يزل
أيام حياته وإلى ساعة وفاته . مستقيماً على جند الجد . مستقيماً
في صون فريضه الجهاد إلى بذل الجهد . مستقيماً في كل ما يحوز به
المراضي الشريفة وسعه . ومستقيماً طاقته في الشغل الديني الذي
يهدى بصره وسمعه . فكم قبض يداً بسطتها بالفتنة الفتنه
العانية . وكم فرض سنة أعلنت سناها للمجتلين وأحلت جناها
للمجتدين الدعوة الهانية . ولكم أخرج دعاة الادعاء وحرس
ولاياته الأولياء وكانت يكتائبه وكتبه سيوفه وأقلامه للأقاليم
أقاليد . ولم تزل جذود الشيطان وجموع الطغيان في الممالك بممالك
الدار العزيزة وعبيدها عبايد وأمطر بلاد الكفر من دماء أهلها
شأبيب . وأقام بها منار الاسلام ومنابره لما أناب عن أعوادها
أنابيب وأسعرها من كرامة الوغى وحماة الورى بمساعير وأنجدها
بضوامره . ضوامن الظفر بمضامير ، وهذه فتوحه فتوح بذشر
النصر وتضوع . وعقوبه تسروق في سلك الملك وتروع ومصر بل
الأمصار باجتهانه في الجهاد شاهدة، والانجاد والاغوار في نظر عزمه
واحدة والبيت المقدس من فتوحاته . والملك العقيم من نتائجه
عزماته . وتوفره على العبودية لما لك رقة سيدنا أمير المؤمنين أوفر
حسناته . وكل ذلك في طاعته ومناصحته وبركاته . وما زال ظاهراً
على العدا . ناصراً للهدى معلماً معالم العلى . محيياً مواسم
التقى . مسنيا سنن الشرع وفروضه مبيماً بأعباء الطاعة بقدر
الطاقة نهوضه وهو الذي ملك ملوك الشرك وغل اعناقها . وأسر
طواغيت الكفر وشد وثاقها . وقمع عبدة الصليبان وقصم
أصلاها . وجمع كلمة الايمان وعصم جنابها . ونظم اسبابها وسد
الثغور . وسد الأمور وأذل للدار العزيزة كل عدو . وأخذ لها على
يد كل ذي غتو . واستمرت على الأيام مساعية في الخدمة
ناحجة . ومعانيه على موازين الموازين راجحة، وسيرته حسنة
وحسناته سائرة ومحاسنة ظاهرة . وسريته ظاهرة . وختم الله
له بالسعادة، وتوفاه على الوفاء بالعبودية والعبادة . وقضى وقد

قضى من آرائه آرايه وقدم بين يديه أعماله الصالحة ووفاه حسابيه . وقبض وعدله ميسرط . وأمره محسوط . ووزره محطوط . وعمله بالصلاح منوط . وأمله بالنجاح مشروط . وملكه بحفظ الله وكلائته مضبوط . والمذاهب مهذبة والمراتب مرتبة . والأسباب محكمة والأحكام مسببة . والأحوال حالية . والأعمال راضية . والمصالح مصبونة . والمناجح مضمونة . والرعية مرعية . والعوائد مرضية والقواعد مثائلة . والمقاصد متحصلة والثغور مسدونة . والخطوب مسدونة . وأصول الدولة ثابتة . وفروع الدوحة نابضة . ومشارك أمرا بعده غير مستقيم ولانحيا غير قويم ، ولاخلف لمن خلفه ما يحتاج الى تقريره وتقديره . ولابقى لمن بقي له ما يفتقر الى ترتيبه وتديبره . وماخرج من الدنيا الا وهو في حكم الطاعة الامامية داخل ، ويمتجرها الرايح الى نار المقامة راحل . ولم تكن له وصية الا بالاستمرار على جانتها ، والاستكثار من مادتها ، والاستعداد بسعابتها . والاستعداد لعيادتها ، وما بنيت القواعد الا على اساس وصاياه . ولا مضيت العوائد الا على قياس سجاياه ، ولا أبرم الا ماعقده ، ولا أحكم الا ما كفه . واقتفيت آثاره . واجتليت أنواره . واتبع ايثاره . واتمرت في انتمار الاوامر الشريفة اوامره ، ومن كان في نصرة الدولة الامامية الناصرية فان الله ناصره . وما يفتخر العبد الا بما ورثه في ولائها من الفخار . ويعتد من الاثنا الغزار . ونعشه برفعة من العثار . وعرفه بعرفه المبر المبار . ولا يتسم بالملك الا من يتسامى بأنه لها مملوك . ولا يوصل الى السعادة الايسية الا مسلك الى رضاها مسلك . ولئن مضى الموالد على طاعة امامه ، فما ماليك اولاده واخوه في مقامه ، والامر في كل مكان بالامن والسكون جار على نظامه . والكفر مغلول الغرب . مخذول الحزب . مجبول على العرب . مغلول بقيد السلم عن الحرب . فان الله أجرى المشركين مع كثرتهم على حكم القلة ، وخصهم لبقاء عزة الثغور الاسلامية بالذلة ، وقد استمرت الحال الى الآن على الهنته ، وهم لا يؤمنون اذا احسوا بالمكنة فان الغدر في طباعهم مركزوز ، والسوء في

- ٦٢٣٠ -

غرائزهم مغرور ، والعبد أخذ بالحزم ، عائد بتأييد الله في العزم
متيقظ لمخوف غدوهم متحفظ من مكر مكرهم ، مستعد بكل
امكان ، مستجد كل ما يفتقر اليه من نجدة وقوة بكل
مكان . مستظهر بما تآكد له من مظاهره المواقف المقدسة في
أموره . مستبشر وجه وجهته منها بسفوره . ظاهر بقوة من
أيدها وأيادها قوي بظهوره . مدلل بما له من الموات
الأكيدة . والسوابق الحميدة . والشوافع المقبولة . والذرائع
الموصولة . وموقن ان الرعاية تدركه . وأن العناية تملكه ، وأن
اختصاصه بفضيلة المائة القديمة يجد له فضل الاختصاص . وأن
فاتحة الحمد منه والاخلاص تفتح له باب الاحماد
والاستخلاص ، ولما قصر رجاءه على طوله بذلك الطول . وأنه يزداد
بما يزدان به من الاصطفاء والاصطناع حسن الحلية وقوة النصرة
والحول . عول على القاضي ضياء الدين في المثول بالخدمة الشريفة
وانهاء حاله ، والانتهاه الى مناجح آماله . والسفارة فيما يسافر
عن صبح المرشد ، ونجح المقاصد ونصح العقائد . وشرح الاحوال
في المصادر والموارد . وأن بلاغته وفيه بالابلاغ ، وملية باشباع
القول في اعتفاء الطول المليء بالاسباغ . وقد فاضله فيما فوضه
اليه . واعتمد في استتجازه واستتجاحه عليه . ولا زالت ايادي الدار
العزيزة دارة غزيرة . سارة أولياءها وباحياء مواتها جديرة
ان شاء الله تعالى

ذكر بعض مناقب السلطان رحمه الله

كان مشغولاً في سبيل الله بالانفاق . موقوفاً عزمه في الاعداء
بانداء الأجال وفي الأولياء بأجراء الارزاق . وماعقر في سبيل الله
فرس أو جرح الا وعوض مالكة بمثله . وزاده من فضله . وحسب
ما وهبه من الخيل العرب والاكاديش الجياد ، للحاضرين معه في
صف الجهاد . مدة ثلاث سنين مذنزل الفرنج على عكا في رجب
سنة خمس وثمانين الى يوم انفضالهم بالاسلم في شعبان سنة ثمان

وثمانين . فكان تقديره اثني عشر ألف رأس من حصان وحجر . وأكيدش طمر وذلك غير مطلقه من المال . في اثمان الخيل المصابة في القتال . ولم يكن له فرس يركبه الا وهو موهوب او موعود به وصاحبه ملازم في طلبه . ومحاضر اللقاء الا استعار فرسا فركبه وهجر جياته فاذا نزل جاء صاحبه فاستعانه . فكلهم يركب خيله . ويطلب خيره . وهو يستعير جوانها . ويستعير في الجهاد اجتهدا ، وكان لا يلبس الا مايحل لبسه ، وتطيب به نفسه . كالكتان والقطن والصوف .

وكسوته يخرجها في اسبء المعروف . وكانت محاضره مصونة من الخطر . وخلواته مقدسة بالطهر . ومجالسه منزهة من الهزل والهزل . ومحافله حافلة أهلة بأهل الفضل . وما سمعت له قط كلمة تسقط . ولا لفظة فظة تسخط . يغلظ على الكافرين الفاجرين . ويلين للمؤمنين المتقين . ويؤثر سماع الحديث بالاسانيد . وتكلم العلماء عنده في العلم الشرعي المفيد . وكان لداومة الكلام مع الفقهاء . ومشاركة القضاة في القضاء اعلم منهم بالاحكام الشرعية . والاسباب المرضية والدلة المرعية . وكان من جالسه لا يعلم انه جليس السلطان . بل يعتقد انه جليس اخ من الاخوان . وكان حليما مقيلا للعثرات . متجاوزا عن الهفوات . نقيا تقيا . وفيها صفيا . يغضي ولا يغضب . ويبشر ولا يتكلم . مارد سائلا ، ولا صد نائلا ، ولا اخجل قائلا . ولا خيب املا .

ومن جملة مناقبه انه تأخر عنه في بعض سفراته . الامير ايوب ابن كنان مشتغلا بمهمات . فلما وصل سأل عن سبب تخلفه . وما الذي وقفه عن موقفه . فذكر ان غرماءه لجؤا والحووا . وضنوا باطلاقه وشدوا . فاحضر غرماءه وتقبل بالدين وتكفل بالعين . وامرني بأن احيلهم على مصر فحسبتها وهي اثنا عشر الف دينار مصرية وكسر . فقدم نوابه وفاءها على الحمل لما عرفوا فيه من بغض صون المال وحب البذل للفضل .

ولما كنا بالقدس في سنة ثمان وثمانين كتب اليه سيف الدولة ابن

مذقذ من مصر وهو بها نائبه . وقد وضحت في الكفاية مزاياه ان واحدا ضمن معاملة بمبلغ فاستنض منها الفينار وتسحب . وربما وصل الى الباب وتحيل وتمحل وخيل وكذب . فجاء الى السلطان من اخبره ان الرجل على الباب وخال انه اليه به تقرب . فقال قل له ان ابن مذقذ يطلبك فأجهد أن لا تقع في عينه . فعجبنا من حلمه وكرمه بعد ان قلنا قدم الرجل بقدمه الى حينه . ومما اذكره له في أول سفري معه الى مصر سنة اثنتين وسبعين . وورثت بها من فضله العذب المعين . انه حوسب صاحب ديوانه . عما تولاه في زمانه . فكانت سياقة الحساب عليه سبعين الف دينار باقية عليه فما طلبها ولاذكرها . واره كانه ما عرفها على ان صاحب الديوان ما اذكرها . وكان يرضى من الاعمال بما يحمل عفوا صفوا . ويحصل عذبا حلوا . وكله يخرج في الجود والجهاد . ورعاية الوفاء والقصاد ثم لم يرض لصاحب ديوانه المذكور بالعطلة . ولم ير انزواءه في بيت العزلة فلولاه ديوان جيشه واولاه ما بنت له به مجاني جاهه وعيشه .

ولما كنا بظاهر حران في سنة احدى وثمانين عم بصداقته الفقراء والمساكين وكتب الى نوابه في الولايات باخراج الصدقات وقال لي اكتب الى الصفي بدمشق ان يتصدق بخمسة الاف دينار صورية فقلت له الذهب الذي عنده مصري . قال : فيتصدق بخمسة الاف مصرية . واشفق من صرف المصري بالصوري فيكون حراما . ويرتكب في كسب الاجر اثاما . فسمح ومنح وتاجر الله وربح . وسمعت بعد ذلك الصفي . وكان في الخير مجلي كل مضماريقول: قد احصيت فقهاء المدارس بدمشق وكانوا ستمائة فأطلقت لهم ستمائة دينار.

ولما عزم على الرحيل من حران . افاض بها الفضل وبث الاحسان وقال لي يوم الرحيل . انظروكم بقي بالباب من الواقفين ابناء السبيل . وهذه ثلاثمائة دينار اقسما عليهم بالقلم . وفضل على اقدارهم في القسم . وكانوا عدة يسيرة لم تبلغ عشرة . ولم

تجده ميسره . فعينت لكل اسم قسما . وعنيت بهم خلقا مني ورسما
فبلغ اربعمائة دينار . ثم وقفت افكر واريد النظر اليه واكرر فسالني
ما الذي عملت . وهل قسمت المبلغ وكملت فقلت جرى قلبي بقسمة
اربعمائة دينار . فهل انقص من كل اسم ريعا ؟ فقال اجري ما جرى
به القلم واحسن صنعا ،

وكان رحمه الله اذا اطلق لعارف عارفة ، وقلت له هذه ما تكفيها
ريها مضاعفة . وكان اصحاب المظالم وارباب المطالب . والراغبون
في الرغائب والذاهبون في المذاهب . يحضرون عندي . ويعرفون في
انجاز امرهم وانجاح قصدهم بذل جهدي . فاكتب لهم توقيعات
بمتوقعاتهم . وانتهي في الاملاء بنهاية مأمولاتهم . فيجريها
ويمضيها . ويضع علاماته فيها ويرتضيها . وانا الفى توقيعا بخطي
علم فيه . ولم يقف ينشره على سر مطاويه . الفيا بما افه من
صحتي ومناصحتي . وكفاء للملمات وكفاية للمهمات بكفايتي .
وكان يأمرني باجابة كتب الملوك واصحاب الاطراف عن كتبهم في
حالي سلمهم وحربهم . وهي تشتمل على اسباب متنوعة وآراب
متفرعة . بدسب الحوادث المتجددة ، والبواعث المتمهدة ، فإذا قلت
له بماذا اكتب وما الذي اخطب . فيقول انت اعرف . وبدسب ما
تعلم من حالنا تتصرف فاكتب من عندي بالاجابة . وتوافق منه
الاصابة فقد كنت مطلعا على سره . مضطلعا بأمره ، ما يخفي عني
مراده . وانا اتيقن لمن ولاؤه ووبائه . فاتني بمداناة الاغراض
ومداواة الاعراض وموازنة الجواهر والاعراض . والتميز بين اهل
القبول واهل الاعراض . فكم اصلح قلبي بينه وبين من
عاداه . وراض الجامع من سخطه وقاده الى مدى رضاه .

وكان يغضب للكبائر . ولا يغضي عن الصغائر . ويرشد الى
الهدى ويهدي الى الرشاد . ويسدد الامر ويأمر بالسداد . فكان
مماليكه وخواصه بل امراؤه واجناده اعف من الزهاد والعباد .
ورأى يوما لي دواة . بالفضة محلاة . فاذا حل الحلية . وادعى
حظر القتية . فقلت على سبيل المداقعة . وطريق المناظرة والممانعة .

أوليس تحل حلية السلاح . واستصحابه في الكفاح . فدواء دواتي
انجع . ومدد مدادي اذفع . ويراغ براعتي القصير اطول ، وسلاح
قلمي أجد واحد واقتك واقتل ، وما اجتمعت هذه العساكر الاسلامية
الا يقلمي ولا تفرقت جموع الكفر الا يكلمها من جوامع كلمي . فقال
ما هذا بدليل ولا يعيد تحريما الى تحليل . حتى قلت له ان الشيخ ابا
محمد والد الامام ابي المعالي قد ذكر وجها في جوازه ونحن نتبعه فلا
وجه مع هذا الوجه المحلل لمن يحظره ويمنعه . ثم لم اكتب بعدما
عنده الا من دواة الشبه . وتجنب طررق الشبه وتركت المحلاة
مخلابه . وعادت الشبهية مجتباة مجتناه . وكان محافظا على
الصلوات الخمس في أوائل اوقاتها . مواظبا على اداء مفروضاتها
ومسنوناتها . فما رأيته صلى الا في جماعة ولم يؤخر له صلاة من
ساعة الى ساعة .

وكان له امام راتب ملازم مواظب . فان غاب يوما صلى به من
حضره من اهل العلم . انا عرفه متقيا متجنبيا للاثم . وكنت للارزمتي
اياها يقدمني اماما في الصلوات . ومستشارا في المشورات . وكان
ياخذ بالشرع ويعطي به . وينفق من حل المال وطيبه . ويجود
بالموجود وبالمعدوم في الحال رجاء الوجود . فما تتجدد جنة الا
ويستوعبها انجاز الوعود . ولم يكن الى المنجم مصقيا . ولم يزل
لقوله ملفيا . فما عنده منجا لمن جاء بمين المنجمين ولا قبول لمنطق
المنطقيين . فلا يفضل يوما على يوم ولا زمانا على زمان الا بتفضيل
الشرع واستقصاء الدين في كل قاص ودان . ولا يتعيف ولا يتطير
ولا يعين وقتا ولا يتخير . بل اذا عزم توكل على الله . واقبل على
محكم امره واعرض عن مظان الاشتباه . فكم فل سفه ذي
الفلسفة . ودل بمعرفه في المعرفة . وما زال ناصرا للتوحيد . قاهرا
جمع اهل البدع بالتبديد . مستجليا سني السنه . مستحليا جني
الجنة . شافعي المذهب اصولا وفروعا . معتقدا له معقولا ومسموعا
يبنى اهل التنزيه . ويقصي اهل التشبيه . ويديم استقامة فقه
الفقيه . واستزادة نباهة النبيه . ووجاهة الوجية . فالعالون في
عدله . والعالون في فضله والبلاد في امته . والعباد في منه . والبرية

- ٦٢٣٥ -

في برسعيه . والاسلام في حماية حميته . واللين في ادالة دولته .
وشرعة الشريعة صاغية بصفائه . ومائة المودة له واغية بدوفائه .
وقامت بعده طريرة طريه . ومن العار عريه ، وببر البرية من
الشائبات والشائبات بريه . وبالحرية حرية . وبسرور السر سريه .
فقد عزت وفضلت وظهرت بعزيزها وافضلها وظاهرها . وفخرت
بمفاخرها . ورويت يروائهم اثار مآثرها ، وتبجلت الافاق وتأرجت
يحسن تباشيرها وطيب بشائرها ، وبرزت الارض في ازهارها .
والسما في زواهرها . والحمد لله مجري الاقدار ومصفي
الاكدار ، ومدير الليل والنهار ، ومدير الايراد والاصدار ، وسلم
تسليما كثيرا آمين

الحواشي والهوامش

البرق الشامي

- (١) مطموس بالأصل .
- (٢) مولى ما يعرف اليوم باسم نبع السريا في حوران التي تخرّب منه بقلة الشيخ مسكين .
- (٣) مطموس بالأصل
- (٤) ريموند الثالث صاحب طرابلس .
- (٥) طمس بالأصل بكلائة أسطر .
- (٦) مطموس بالأصل .
- (٧) النسخة التي اعتمدت عليها هي نسخة وحيمة لا يعلم الآن مكان وجودها ، سوى أنه سبق للمرحوم المختار السوسي أن أورد عنها شريطا مصورا في الفزانة الصامة بالرباط . وقد لحق النسخة بعض الطمس ، وخطها مغربي من الصعب التعامل معه ، وهذا الحال أخاف لي لغة العماد معوقات وعرا قيل جعلتني رغم ما بذلته من جهد غير مطمئن تمام الاطمئنان . وقد اكتفيت بهذا النص كنموذج ، وفيما وجد أبو شامة - صاحب الروضتين - التعامل مع البرق الشامي أمرا صعبا ، ولعله لم يكن قادرا على قراءة النص الكامل للكتاب أو وجد قلة الفائدة في ذلك لهذا اقتبس منه بضع فقرات من هنا وهناك - انظر الروضتين : ٢ - ٧٤ - ٨٢ . وخيرا لعل الفتح البنداري فرما بعد حين أقدم على تهذيب بعض كتب العماد ، وكان منها البرق الشامي هذا .

(الفتح القسي)

- ١ - الحيلة : قولك حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، القاموس
- ٢ - الوحش : الرميء من كل شيء ، ورنال الناس ، القاموس .
- ٣ - كربة الفم : اشتد عليه ، القاموس .
- ٤ - طفر : قفز ، القاموس
- ٥ - الداماء : البحر ، القاموس .
- ٦ - التهنيت : التثني . القاموس .
- ٧ - سحابة بلوح : كثرة الماء ، القاموس .
- ٨ - الريح تحركت فهي تفرج ، والريح تفرج : أي حر سريع ، القاموس .
- ٩ - بلغ : تكبر ، القاموس .
- ١٠ - بطامر بركة نوى في حوران سورية
- ١١ - في وادي الأردن قرب عقبة أقيق .
- ١٢ - الأوام : الخزان ، القاموس .
- ١٣ - السلت : القطع والاستعمال .
- ١٤ - ابن بارزان هو بالبن صاحب بيتي ، والقوم هو ريموند الثالث صاحب طرابلس .
- ١٥ - البهكار فارسي معرب يعني الحرب .
- ١٦ - يلق ، أبيض القاموس .
- ١٧ - طمرت العين : قنأها ، القاموس .
- ١٨ - أي تتعمد الآفات فيها .
- ١٩ - الأمره : الأبيض ، القاموس .
- ٢٠ - أي بحيرة قطنة خارج مدينة حمص .
- ٢١ - حامت : شديد الحرارة ، القاموس .
- ٢٢ - الألعسة التفلحة : ما ليس لها طعم حلوة أو حموضة أو مرارة ، القاموس .
- ٢٣ - الخنجر : فرس فيه نكت فوق البرش ، القاموس .
- ٢٤ - السمند : الفرس ، والفيسة : الظلمة أو بياض فيه كثرة رماد ، القاموس .
- ٢٥ - الشوار : اللباس والسمن والزينة ، القاموس .
- ٢٦ - السلاجل : السيد الضجاع ، القاموس .
- ٢٧ - الحصن : خلق الشعر ، القاموس .
- ٢٨ - العنق سير فيه تفتقر والتميل السير اللين ماكان فوق العنق ، القاموس .
- ٢٩ - الأرى العسل ، القاموس .
- ٣٠ - لثق يومنا : ركبت رمحة وكثر نداء ، القاموس .
- ٣١ - الأوام : الطفل ، القاموس .
- ٣٢ - أمهي السمن والخراب : أكثر مامه ، وأمهي المدينة : أحدهما وسقاهما الماء ، القاموس .
- ٣٣ - انط العود : تنقي من غير كسر ، القاموس .
- ٣٤ - اللوب : العطش ، أو استعارة الحائم حول الماء وهو عطشان لا يصل إليه ، القاموس .
- ٣٥ - أبهى القيل : عطفا من الغزو ، وألهاهي من البيوت : الخالي المظلل ، القاموس .

- ٣٦ - الضلعو : السبورغ والكثرة وفيضان الموضى ، القاموس .
 ٣٧ - رجل نيق : كيس ، وانيق : أرفع موضع بالجبل ، القاموس .
 ٣٨ - السولتيق : الصفر أو الشامين ، القاموس .
 ٣٩ - تقفل : أزيد ، القاموس .
 ٤٠ - حمة النار : شدة اشتعالها ، القاموس .
 ٤١ - خطأ لحمه : اكتنز ، القاموس .
 ٤٢ - باركاه : فارسية تعني خيمة ملكية ، أو جناح استقبال ملكي .
 ٤٣ - كفا بالأصل وهو وهم ففعله أراد قوله تعالى « كذلك نجزي كل كفور » (طاهر ٣٦) ولم يرد قوله جل وعلا « كذلك نجزي من شكر » (القمر ٢٥)
 ٤٤ - الكتفور من السماب قطع كالجبال ، أو المتراكم منه ، القاموس .
 ٤٥ - السنني : ضوء البرق والتار ، والسنور : الدروع أو السلاح . القاموس اللسان .
 ٤٦ - اي الثغرية أو الصدونية .
 ٤٧ - الغرب : النشاط والتمادي والحدة ، القاموس .
 ٤٨ - السنور جملة السلاح ، القاموس .
 ٤٩ - العمام : البحر ، القاموس .
 ٥٠ - الجماء : الفخير . النهاية لابن الأثير .
 ٥١ - التاريخ : الإجراء بين القوم وأيقاد النار ، القاموس .
 ٥٢ - القوتس : ما يوضع على أعلى الرأس ، القاموس .
 ٥٣ - التامور : علة القلب وحمه ، النهاية لابن الأثير .
 ٥٤ - الوج : القطا والنعام ، القاموس .
 ٥٥ - حزا : حزن أو حزر وقدر ، القاموس .
 ٥٦ - شبر : وثب ، القاموس .
 ٥٧ - المشق : السرعة في الطعن والضرب ، القاموس .
 ٥٨ - الزففة : البرج اللينة الراسمة المحكمة ، أو الرقيقة الجمسة السلاسل ، القاموس .

المحتوى

٣ - توطئة

- ٧ - من كتاب البرق الشامي
- ٧ - سنة ثلاث وثمانين
- ١٠ - ذكر سرية الأفضل على
- ١٣ - ذكر الدخول إلى الساحل
- ١٦ - ذكر ما اعتمده الفرنج
- ١٨ - فتح طبرية
- ٢١ - ذكر مسير السلطان لعزم اللقاء
- ذكر الذخائر ووصفه
- ٢٤ - ذكر يوم حطين

★ ★ ★ ★

- ٣٣ - كتاب الفتح الماسي
- ٤٧ - ذكر ما كان بين ملك الفرنج وبين القوم من خلاف
- ٤٨ - ذكر دخول السلطان صلاح الدين إلى بيار الفرنج
- ٥١ - ذكر فتح طبرية
- ٥٦ - ذكر الصليب الأعظم
- ٥٧ - ذكر فتح حصن طبرية
- ٥٧ - ذكر ما اعتمده في الأسارى النارية والاسبتارية
- ٥٨ - ذكر فتح عكا
- ٦١ - فتح عدة من البلاد
- ٦١ - فتح الناصرة وصفورية
- ٦٢ - فتح قيساريه
- ٦٢ - فتح نابلس
- ٦٣ - فتح اللوزة
- ٦٤ - فتح تبنين
- ٦٦ - فتح صيدا
- ٦٧ - فتح بيروت
- ٧٠ - فتح جبيل
- ٧١ - هلاك القوم ونشول المركيس إلى صور .
- نذ - فتح عسقلان
- ٧٥ - فتح القدس
- ٧٦ - كنيسة قمامة
- ٧٩ - وصف البيت المقدس

- ٧٠ - ذكر يوم الفتح
- ٨٦ - ذكر حالي في العود الى الضمة
- ٨٧ - حال الفرنج في خروجهم من القدس
- ٨٩ - ما أظهر السلطان في القدس
- ٩٢ - وصف الصخرة
- ٩٥ - محراب داود
- ٩٨ - ماجرى بعد فتح القدس
- ١٠٠ - حصار صور
- ١٠٥ - ما تم على الاسطول
- ١٠٨ - خروج الفرنج للقتال
- ١١٠ - ما يبروه من الرأي
- ١١٢ - فتح حصن صونين
- ١١٦ - استشهاد محمود أخي جاولي
- ١١٨ - نزول السلطان على عكا
- ١١٩ - ورود رسل
- ١٢٠ - وصول أخو العماد
- ١٢٦ - رسالة الى اليمن
- ١٣٥ - سنة اربع وثمانين وخمسمائة
- ١٣٦ - حال الكرك
- ١٣٩ - عمارة عكا على يد قراقوش
- ١٤٠ - وصول رسول سلطان الروم فليج ارسلان
- ١٤٢ - رحيل السلطان صوب دمشق
- ١٤٦ - وصول عماد الدين صاحب سنجار
- ١٥٥ - فتح جبلة
- ١٥٧ - فتح اللاذقية
- ١٦١ - فتح صهيون
- ١٦٤ - فتح بكاس والاضر
- ١٦٦ - فتح برزية
- ١٧١ - فتح دريساه
- ١٧٢ - فتح بغراس
- ١٧٣ - الهندة مع أنطاكية
- ١٧٤ - عود عماد الدين ثم عود السلطان الى دمشق
- ١٧٧ - فتح الكرك
- ١٧٨ - محاضرة صفد
- ١٧٩ - حصار كوكب
- ١٨١ - فتح كوكب
- ١٨٤ - سنة خمس وثمانين وخمسمائة
- ١٨٥ - رسول من دار الخلافة
- ١٨٧ - رسالة الى بغداد
- ١٩١ - حصار شقيف أرنون
- ١٩٤ - اقامة السلطان بمرج عيون
- ١٩٧ - استشهاد عدة من أمراء العرب


- ١٩٩ - مسير الفرنج الى عكا
- ٢٠٥ - وقعة يوم الاربعاء
- ٢٠٦ - وفاة حسام الدين طمان
- ٢٠٧ - واقعة للعرب
- ٢٠٨ - الواقعة الكبرى
- ٢١١ - نصرة بعد كسرة
- ٢١٢ - رسالة الى بعض الأطراف
- ٢١٦ - عرض المسامر
- ٢١٧ - استرجاع ما نهب من الثقل
- ٢١٨ - مشاورات حول عكا
- ٢٢١ - الرحيل الى القروية
- ٢٢٣ - ما جرى بعد ذلك من حوادث
- ٢٢٤ - وصول ملك الالماني
- ٢٢٥ - رسالة الى دار الخلافة
- ٢٢٧ - وصول الملك المامل
- ٢٢٩ - رسالة الى بغداد
- ٢٣١ - وصول الاسطول المنصور
- ٢٣٢ - رسائل متنوعة
- ٢٣٤ - تقوية عكا
- ٢٣٥ - حال نساء الفرنج
- ٢٣٨ - ما اهداه صاحب الموصل من سلاح وعتاد
- ٢٣٩ - ذكر صاحب سنجار
- ٢٤١ - وصول رسول سلطان المم
- ٢٤٣ - وقعة الرمل
- ٢٤٤ - حال عكا
- ٢٤٦ - رسول من دار الخلافة
- ٢٤٨ - مقاتلة الافرنج عكا بالابراج
- ٢٥٠ - احراق الابراج الثلاثة
- ٢٥٢ - رسائل دشائر
- ٢٥٧ - تاريخ وصول الاكابر هذه السنة
- ٢٥٩ - كتاب الى صاحب الموصل .
- ٢٦٠ - وصول الاسطول من مصر
- ٢٦٠ - رسالة حول الاسطول
- ٢٦٢ - قصة ملك الالماني
- ٢٦٩ - رسالة الى بغداد عن ملك الالماني
- ٢٧٠ - كتاب استغفار
- ٧٢ - الواقعة المادية
- ٢٧٦ - حال الفرنجة
- ٢٧٩ - وصول الكدهري
- ٢٨١ - حريق المنجريات
- ٢٨٢ - وصول بطسة من بيروت
- ٢٨٣ - وصول بطس الخلة من مصر .

- ٢٨٤ - كتاب الى سيف الاسلام
٢٨٥ - ذكر عيسى العوام
٢٨٥ - وصول واد ملك الالمان
٢٨٧ - برج النبان
٢٩٠ - الكيش وهريره
٢٩٣ حوادث تجددت
٢٩٥ - وفاة زين الدين صاحب اربل
٢٩٧ - نوبة رأس الماء
٣٠٠ - كتاب في المعنى
٣٠٢ - وقعة الكمين
٣٠٣ - كتاب بشرح الحال
٣٠٤ - هجوم الشتاء
٣٠٦ - كتاب الى صاحب الموصل
٣٠٧ - ما تجدد هذه السنة
٣١٢ - الشهاء هذه السنة
٣١٥ - ما تجدد من الحوادث
٣١٨ - جماعة وصلوا من عسكر الاسلام .
٣١٩ - وصول ملك الفرنسيس
٣٢٠ - نادرة
٣٢١ - وصول ملك الانكتر الى قبرص
٣٢٣ - قصة الرضيع
٣٢٥ - انتقال السلطان الى تل الصاخية
٣٢٦ - وصول ملك الانكتر
٣٢٨ - غرق البطسة
٣٢٨ - حريق الدبابة
٣٢٩ - وقعات هذا الشهر
٣٣٣ - مغارقة المركيس القوم
٣٣٣ - من وصل من المساكر الاسلامية
٣٣٥ - ضعف عكا
٣٣٦ - كتاب الى صاحب الموصل
٣٣٨ - خروج رسل الافرنج
٣٣٩ - ضعف الثغر
٣٤١ - خروج المشطوب الى ملك الافرنسيس
٣٤١ - هرب جماعة من عكا
٣٤٢ - كتاب الى اربل
٣٤٣ - ماجرى من الحال
٣٤٥ - جماعة من العسكرية وصلوا
٣٤٦ - سقوط عكا
٣٥٢ - كتاب الى نور الدين بن قرا أرسلان
٣٥٢ - رسالة الى اربل
٣٥٦ - ماجرى عليه الحال بعد سقوط عكا
٣٥٨ - غدر ملك الانكتر بأمرى المسلمين

- ٣٦٠ - رحيل الفرنج صوب عسقلان
- ٣٦٢ - كتاب الى اربل
- ٣٦٤ - وقعة قيسارية
- ٣٦٥ - مقتل اياز الطويل
- ٣٦٦ - وقعة لعز الدين بن المقدم
- ٣٦٧ - وقعة ارسوف
- ٣٧٠ - رسالة الى بغداد
- ٣٧٢ - دخول الفرنج يافا
- ٣٧٣ - شراب عسقلان
- ٣٧٥ - كتاب الى بغداد
- ٣٧٦ - ما تجدد لملك الانكثير
- ٣٧٨ - نزول السلطان بالرحلة
- ٣٧٩ - وقعة الكمين
- ٣٨٠ - اجتماع العادل بملك الانكثير
- ٣٨١ - الرحيل الى القدس
- ٣٨٢ - يوم عيد الاضحى بالقدس
- ٣٨٢ - وقعة الافرنج
- ٣٨٣ - هجرة القدس
- ٣٨٤ - وفاة تقي الدين عمر
- ٣٨٨ - وفاة حسام الدين عمر
- ٣٩٣ - رسائل حول القدس
- ٣٩٤ - رسالة شكر الى صاحب الوصل
- ٣٩٨ - حوادث مع الفرنج هذه السنة
- ٣٩٩ - ثلاث سرايا
- ٣٩٩ - سرية فارس الدين ميمون القصري
- ٤٠٠ - خروج المشطوب من الاسر
- ٤٠٠ - هلاك المراكيس
- ٤٠٢ - استيلاء الفرنج على الناروم
- ٤٠٤ - كسبة الفرنج عسكر مصر
- ٤٠٦ - سبب غيبة العادل والافضل
- ٤٠٧ - رحيل ملك الانكثير صوب عكا
- ٤٠٨ - نزول السلطان على يافا
- ٤١٠ - رسالة الى بغداد
- ٤١٢ - الهدنة العامة
- ٤١٤ - رسالة الى بغداد عن ثوبة يافا والهندة
- ٤١٧ - ماجرى بعد الصلح
- ٤١٨ - ما عزم عليه السلطان
- ٤١٩ - خروج السلطان نحو دمشق
- ٤٢١ - وصول السلطان الى بيروت ودخول صاحب انطاكية عليه
- ٤٢٣ - وصول السلطان الى دمشق
- ٤٢٩ - وفاة السلطان بدمشق
- ٤٣٠ - اولاد السلطان

- ٦٢٤٦ -

- ٤٣١ - من تولى ممالك السلطان بعده
- ٤٣٢ - ذكر من تولى دمشق
- ٤٣٤ - ذكر حلب ومن تولوها
- ٤٣٥ - ذكر الملك المعادل
- ٤٣٦ - الشامتين بوفاته صلاح الدين
- ٣٤٨ - رسالة باسم الأفضل الى بغداد
- ٤٤٠ - ذكر سيف الاسلام باليمن
- ٤٤٥ - رسول الأفضل الى دار الخلافة
- ٤٤٩ - بعض مناقب صلاح الدين
- ٤٥٦ - الحواشي والهوامش

 Bibliolista Alexandria



0414652